

ديوانُ السليمانيات

(الجزء الثالث عشر)



نمو شعر عربي أصيل وهادف وبناء وجاد ومحترم

يا مَنْ تسَلَّحتْ بالأوهام والظلم
فبوتَ منها بفهمٍ سيئٍ سَقَمِ
وجئتَ زوراً - من الأقوال - تُطلقها
على عواهنها ، في كل مُصطدمِ
ثم افتريت - على رب السما - كذباً
فكنتَ أبشعَ أفكٍ ومُجترمِ
واحتلتَ يا نذلُ في سر وفي علن
لكي تشوّه - ما في الناس - من قيمِ

الطبعة الأولى

1 فأعضوه ، ولا تكنوا!

2 فأعضوه ، ولا تَكُنُوا!



3 فأعضوه ، ولا تكنوا!

4 فأعضوه ، ولا تَكُنُوا!

ديوان السُّليمانِيَّات

(الجزء الثالث عشر)

فَأَعْضُوهُ ، وَلَا تُكْنُوا

شعر

أحمد علي سليمان عبد الرحيم

الطبعة الأولى

6 فاعضوه ، ولا تكنوا!

الإهداء

الحمد لله الذي أخرجنا - بهذا الدين القويم - من ظلمات الجهل والوهم ، إلى أنوار المعرفة والعلم ، والصلاة والسلام على سيد الخلق ، وحبيب الحق ، الذي أخرجنا - بسنته المطهرة - من وحول الشهوات إلى جنات القربات. لقد خلق الله الإنسان في أحسن تقويم ، وكرمه أعظم تكريم ، وسخر له الكون تسخير تعريف وتكريم ، ووهبه نعمة العقل ، ليتعرف به على خالقه العظيم ، وجعل له فطرة سليمة تدله على خطئه الجسيم ، وأودع فيه الشهوات ليرقى بها صابراً أو شاكراً إلى رب الأرض والسموات العزيز الحكيم ، وجعل له الشرع الحنيف ميزاناً دقيقاً ، فأحل له من خلاله الطيبات ، وحرّم عليه الخبائث ، ومنحه حرية الإرادة ، ليؤمن عمله ، كل ذلك ليعرف ربه فيعبده ، فيسعد بعبادته ، في الدنيا والآخرة. لهذا لا يسلم الإنسان ولا يسعد - وهما مطلبان ثابتان للإنسان في كل زمان ومكان - إلا إذا تطابقت حركته اليومية في حياته الدنيا ، مع الهدف الحقيقي الذي خلق من أجله ، وإذن فتعدُّ معرفة هذا الهدف ، والتحرك نحوه ، شرطين أساسيين لبلوغ هذين المطلبين الثابتين. فإن لم يبحث الإنسان عن الهدف الحقيقي الذي خلق من أجله ، أو توهم هدفاً آخر لم يخلق له ، أو لم تأت حركته اليومية مطابقة للهدف الصحيح ، كان القلق والاضطراب والعذاب ، وكان الضلال والشقاء ، وتحققت خسارة كبيرة أبدية. وجعل في كيان الإنسان قبضة من طين الأرض ، ونفخة من روح الله ، فإذا سما عقله على شهوته أصبح فوق الملائكة المقربين ، وإن سمت شهوته على عقله كان أسفل السافلين ، وخلق فيه حاجاتٍ دُنيا لا يقوم إلا بها ، وخلق فيه حاجاتٍ عُليا ، لا يسعد إلا بتلبيتها ، ومن أبرز هذه الحاجات العليا "العلم" ، الذي هو القيمة المرجحة بين العباد ، قال تعالى: "قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ". اللهم إنا نسألك رضاك والجنة ، ونعوذ بك من سخطك والنار ، اللهم صلي على النبي محمد وآله وصحبه وتابعيه وسلم تسليماً كثيراً. اللهم يا أرحم الراحمين يا ذا الجلال والإكرام ، نعوذ بك أن تحسن في لوائح العيون علانيتنا وتقبح في خفيات العيون سرانرنا ، اللهم كما أسأت فأحسننت إليّ فإذا عدت فعد عليّ ، فإذا عدت للإساءة فعد عليّ بالمغفرة والستر ، يا رحمن يا رحيم أنت أرحم الراحمين ، اللهم إنا نسألك الفردوس الأعلى من الجنة ، اللهم استعملنا في سنة نبينا وتوفنا على ملته وأوزعنا العمل بهديه ، وارزقنا مرافقته ، ووقفنا إلى نيل محبته ورضوانك والجنة ، اللهم خذ بنا إلى سبيله وسنته ، اللهم إنا نعوذ بك أن نخالف سبيله وسنته ، اللهم أقر عينه بمن ينفعه من أمته واجعلنا منهم ، اللهم أوردنا حوضه واسقنا مشرباً رويلاً لا نظماً بعده أبداً ، اللهم ألحقنا بنبينا غير خزايا ولا نادمين ولا خارجين ولا فاسقين ، ولا فاتنين ولا مفتونين ، ولا مبدلين ولا مرتابين. إلهنا كم شيعنا إلى القبور أناساً فما اعتبرنا ولا اتعظنا! وكم شهدنا موت أناس كانوا منا بمنزلة الروح من الجسد ثم نسيناهم ونسينا ما نزل بهم وما يجب لهم! اللهم أعن نفوسنا على الاعتبار بالموت والميتين!

واعصي الهوى ، فالهوى ما زال فتانا

يا نفس توبي ، فإن الموت قد حانا

خطفاً ، وتلحق أحرانا بأولانا؟

أما ترين المنايا كيف تخطفنا

نرى - بمصرعه - آثار موتانا

في كل يوم لنا ميتٌ نشيغهُ

يا نفس مالي وللأموال أتركها	خلفي ، وأخرج - من دنياي - غريانا!
أبعد سبتين قد قضيتها لعباً	قد أن أن تقصيري ، قد أن ، قد أنا!
ما بالننا نتعامى عن مصانرنا	ننسى - بغفلتنا - من ليس ينسانا؟
نزداد حرساً ، وهذا الدهر يزرنا	وكان زجرنا - بالحرص - أغرانا
أين الملوك وأبناء الملوك ، ومن	كانت تحر له الأذقان إذعانا؟
صاحت بهم حادثات الدهر ، فاتقلبوا	مستبدلين من الأوطان أوطاننا
خلوا مدائن كان العز مفرشها	واستفرشوا حُفراً غُبُراً وقيعاننا
يا راكضاً في ميادين الهوى مرحاً	ورافلاً في ثياب الغي نشوانا
مضى الزمان ، وولى العمر في لعب	يكفيك ما قد مضى ، قد كان ما كانا!

اللهم إنا نسألك الفوز عند القضاء ونزل الشهداء وعيش السعداء والنصر على الأعداء ، اللهم إنا نزل بك حاجتنا وإن قصر رأينا وضعف عملنا وإنا نفتقر إلى رحمتك ، فإنا نسألك يا ربنا يا قاضي الأمور ، ويا شافي الصدور ، أن تجيرنا من عذاب السعير ، اللهم يا ذا الحبل الشديد ، والأمر الرشيد ، والشرع السديد ، نسألك الأمن يوم الوعيد ، والجنة يوم الخلود ، مع المقربين الشهداء ، الركع السجود ، الموفين بالعهود ، إنك الرحيم الودود الفعال لما تريد ، اللهم اجعلنا هادين مهتدين غير ضالين ولا مضلين ، اللهم إنا نسألك تمام العافية ودوام العافية والشكر على العافية ، اللهم اجعل في قلوبنا نوراً ، وفي قبورنا نوراً ، وبين أيدينا نوراً ، ومن خلفنا نوراً ، وعن أيماننا نوراً ، وعن شمائلنا نوراً ، ومن فوقنا نوراً ، ومن تحتنا نوراً ، وفي سمعنا نوراً ، وفي أبصارنا نوراً ، وفي شعرا نوراً ، وفي بشرنا نوراً ، اللهم إنا نسألك أن تجعل في لحومنا نوراً ، وفي دماننا نوراً ، وفي عظامنا نوراً ، اللهم أعظم لنا نوراً ، وأعطنا نوراً ، واجعل لنا نوراً ، أنت نور السماوات والأرض! سبحان الذي تعطف بالعز وقال به ، سبحان الذي له المجد وتكرم به ، سبحان الذي لا ينبغي التسبيح إلا له ، سبحان ذي الفضل والنعم ، سبحان ذي المجد والكرم ، سبحان ذي الجلال والإكرام ، اللهم يا سامع كل شكوى ، ويا مقيل كل عثرة ، نسألك ربنا أن ترزقنا خير ما عندك وأن تقينا شر ما عندنا. اللهم لا تحرمنا خير ما عندك بشر ما عندنا ، وعاملنا بما أنت أهله يا كريم! أهدي هذا الديوان لأسرتي العزيزة ، ولزوجتي الحبيبة ، وأبنائي الأعراف ، ولابنتي فاطمة الزهراء! كما أهديه لكل مسلم ومسلمة! وعندما أقول: (مسلم) أي كل إنسان مسلم اعتر بإسلامه وفخر بإيمانه وعمل بإحسانه! لكل مسلم مؤمن قانت موحد ، يحب الإسلام والمسلمين ويرجو رفعة الإسلام وإعزاز المسلمين! ليس للجاهلية سبيل إلى قلبه ولا إلى جوارحه ، بل لفظها ووطنها

بنعله! ولم يُكِنْ لأهلها احتراماً ولا حباً! أهديه لكل المسلمين الخُنفاء الذين إذا اعتز أهل الجاهلية بجاهليتهم اعتزوا هم بإسلامهم! وإذا رفع الجاهليون شعارات الجاهلية البغيضة رفعوا هم شعار الإسلام والتوحيد والإيمان والإحسان: (أبي الإسلام لا أب لي سواه إذا افتخروا بقيس أو تميم!) والأمر على ما وصف الأستاذ سعد بن زيد آل محمود إذ يقول في تصنيف الناس كلهم ما نصه: (إن الناس أقسامٌ ثلاثة * أول قسم منهم الكفار: وهؤلاء الذين يعتزون بكفرهم وشركهم ، وقديماً اعتز المشركون بعبادتهم للأوثان ، فقال - تعالى - : {واتخذوا من دون آلهة ليكونوا لهم عزاً كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضداً} ، وهؤلاء سحرة فرعون ظنوا أن العزة بيد فرعون فتحدوا موسى بذلك ، فقال - تعالى - : {وقالوا بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون}. وهذا القسم من الناس خانب في الدنيا خاسر في الآخرة. * والقسم الثاني: هم المنافقون الذين يطلبون العزة من موالاة الكفار والترامي في أحضان أعداء الأمة ، ظانين أن الغلبة لهؤلاء الكافرين لأن حالهم بالعلو دائم ، متجاهلين سنن الله في الكون! قال - تعالى - في وصف هؤلاء : {يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين}. وتجد هؤلاء القوم يصرون على موقفهم مع أن الله - سبحانه - أخبرنا في كتابه خطأ ظنهم ، وحسم العزة لنفسه جل جلاله ، فقال: {بشر المنافقين بأن لهم عذاباً أليماً الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتنون عندهم العزة فإن العزة لله جميعاً}. وهذا القسم خانب أيضاً في الدنيا وخاسر في الآخرة والعياذ بالله. * أما القسم الثالث: فهم المؤمنون الصادقون الذين ارتضوا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد - صلى الله عليه وسلم - نبياً ورسولاً. هؤلاء الذين علموا وتيقنوا أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين ، وساروا طلباً للعزة منطلقين من قوله - تعالى - : {من كان يريد العزة فلله العزة جميعاً}. فالمؤمن يعلم أن الله - سبحانه - هو الذي يعز ويذل ، وهو الذي يوتي الملك وينزعه ، ولا يقوم بذلك إنس ولا جن ، لا ملك ولا حاكم ولا طاغوت ولا سواهم. مصداقاً لقوله - تعالى - : {قل اللهم مالك الملك توتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير}. ومن هنا اعتز هؤلاء النفر بالله وبيداهم وبإسلامهم ، لم يلتفتوا للباطل ولا لأهله ، ولم ينظروا للظلم ولا لجولته ، وإنما زرعوا في قلوبهم قول الله - تعالى - : {والله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون}. فلم ينظروا إلى المجرمين من الكفار واستكبارهم في الأرض ، ولم يلتفتوا إلى علو الطغاة الظالمين ، ولم يأبهوا بالهجمة الحاقدة على هذا الدين ، وبالترصد الغادر للمجاهدين ، فلم يحنوا إلا لله ولم يقبلوا الدنيا في دينهم بحجة الواقع! كما فعل البعض فتبرأ من دينه وعقيدته وكال التهم والشتائم للجهاد والمجاهدين ، مبرناً نفسه من الإرهاب وأهله كما يدعون. إن الاعتزاز بالإسلام والانتساب إليه إنما هو من أهم أسباب الرفعة للأمم ، وهذا عمر الفاروق - رضي الله عنه - يسطر هذه القاعدة خالدة إلى يوم الدين فيقول: كنا أدلة فأعزنا الله بالإسلام ، فإذا ابتغينا العزة في غير الإسلام أدلنا الله. فإلى اللاهثين وراء الطواغيت وإلى الراكعين لأعدائهم وإلى الراكضين وراء المال والجاه هلا تمعنتم في قول الفاروق الذي لم يكن في قومه في الجاهلية ذليلاً ولم يكن عبداً مهاناً وإنما كان سيداً مهاباً ورجلاً عزيزاً. ومع ذلك يقول هذه المقولة عن تجربة وخبرة وعلم. فيا ليت قومي يفقهون! إن العزة

بالإسلام إنما هي قوة وشدة على أعداء الله ، وجهادٌ لهم وثباتٌ وصبرٌ على أذاهم ، وإرغامٌ لأنوفهم بكل وسيلة شرعها الله وسنتها قوانين العدل ، وهي في الوقت ذاته رحمة للمؤمنين ولين عليهم وألفة لهم. ولهذا يقول الحق - تعالى - : {محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم} ، ويقول: {يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أدلة على المؤمنين أعزّة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله} ، فالعزة طريق النصر ، ولا يمكن لامرئٍ يخجل من دينه وانتنامه لهذا الإسلام أن يكون قوياً مدافعاً عن فكرته ومبادئه ، لأن فاقد الشيء لا يعطيه ، فالذي دخل الوهن والضعف في قلبه أنى له أن يقتنع الآخرين بما يحمل من أمانة ورسالة؟! ولو رجعنا إلى تاريخنا وسيرتنا وماضي أمتنا ، لوجدناه يمضي على نسق واحد ، أنه كلما رجعت الأمة إلى دينها وتمسكت به ، سادت الأمم ووصلت إلى القمة ، وكلما حادت عن الطريق وابتعدت عن الاعتزاز والافتخار بهذا الدين سقطت في أودية الذل ، ولا يرفعها إلا عودتها لدينها وتمسكها واعتزازها به. كيف لا يكون ذلك كذلك والإسلام دين رضيه الله لنا وهو - جل جلاله - الذي خلقنا وهو أعلم بما يصلح حالنا فقد قال الله - تعالى - : {اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً} ، وقال: {إن الدين عند الله الإسلام} ، وقال - سبحانه - : {ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين}. وإذن فلا بد لكل مسلم أن يعلنها بكل صراحة ، مدوياً أن ديني الذي أحمل هو الإسلام وبكل فخر ، فهو الدين الذي سينقذ البشرية من ظلام ظلم الظالمين ، ويرفعها من الهوان والذل الذي تغرق فيه وإنه لقادر على ذلك بإذن الله. يقول الله تعالى: {ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين} ، قالها بكل افتخار واعتزاز ، رافعاً رأسه بدينه عقيدة وسلوكاً ودستوراً ومنهاج حياة ، وهذا ما أخبر الله - تعالى - به عن حال الأنبياء السابقين كيف أنهم دانوا بالإسلام وأعلنوا ذلك إلى قيام الساعة ، فهذا نوح - عليه السلام - قال الله - تعالى - على لسانه: {وأمرت أن أكون من المسلمين} ، وهذا إبراهيم - عليه السلام - جاء قومه بالإسلام ووصاهم به فقال - تعالى - : {ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا و أنتم مسلمون} ، وهذا يوسف - عليه السلام - يدعو ربه دعاءه المعروف بقوله - تعالى - : {توفني مسلماً وألحقتني بالصالحين} ، وهذا موسى - عليه السلام - يؤكد لقومه الالتزام بالإسلام فقال - تعالى - : {وقال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين} ، وهذا عيسى - عليه السلام - قرر قومه بالإسلام فقال - تعالى - : {فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون} ، وهذا خير خلق الله محمد - صلى الله عليه وسلم - يعلنها لكل البشرية قائداً معتزلاً بإسلامه حيث قال الله - تعالى - : {قل إنني أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين وأمرت لأن أكون أول المسلمين}. هـ. وأنا إذ أهديت شعري لمن ذكرت فأسأل الله أن ينفعهم به ويجعله في ميزان من كتب ومن قرأ ومن نشر ومن عمل بالحق الذي احتواه واجتبى الباطل الذي احتواه! وأطلب إليهم جميعاً أن يوسعوا دائرة النشر ليصل ذلك الشعر إلى أقاصي المعمورة داعياً إلى الحق أمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر! وأعتقد أن الوسائل الآن أيسر وأسرع وأرخص! وإنه بلمسة واحدة يصل إلى شتى بقاع الأرض! وهذا من فضل الله!

المقدمة

الحمد لله الذي أخرجنا بالإسلام من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم ، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات ، والحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً ، وشرع الإسلام وجعل له منهجاً ، وأعز أركانه على من غالبه ، فجعله أمناً لمن تمسك به ، وسلاماً لمن دخله ، وبرهاناً لمن تكلم به ، وشاهداً لمن خاصم عنه ، ونوراً لمن استضاء به ، وفهماً لمن عقل ، ولباً لمن تدبر ، وآية لمن توسم ، وتبصرة لمن عزم ، وعبرة لمن اتعظ ، ونجاة لمن صدق ، وثقة لمن توكل ، وراحة لمن فوض ، وجنة لمن صبر. اللهم ارحمنا بالقرآن ، واجعله لنا إماماً ونوراً وهدى ورحمة. اللهم ذكرنا منه ما نسينا ، وعلمنا منه ما جهلنا ، وارزقنا تلاوته آناء الليل وأطراف النهار ، واجعله حُجَّةً لنا لا علينا ، اللهم زيننا بزينة القرآن ، وأكرمنا بكرامة القرآن ، وشرّفنا بشرف القرآن. اللهم اجعل القرآن لنا في الدنيا قريناً ، وفي القبر مؤنساً ، وفي القيامة شفيعاً ، وعلى الصراط نوراً ، وفي الجنة رفيقاً ، ومن النار سترأ ، اللهم ارزقنا أن نتلوه حق تلاوته ، كما تحب وترضى ، وأن نعمل به كما ينبغي وتريد ، وأن نتعلمه ونعلمه كما أمرنا نبيك الحبيب. اللهم اغفر وارحم لكل من يُعلم تلاوته ، وتفسيره ، وحكمه ، وأحكامه ، ونظمه ، وبيانه ، وإعجازه ، وإحكامه ، وزدنا من فضلك العظيم فإنك ذو الفضل والإكرام. إلهنا وسيدنا واسواتنا إذا شاهدتنا وهمتنا تسبق إلى سواك ، واسواتنا ، إن رأيتنا ونحن نتسارع إلى معصيتك بُعداً عنك ، واسواتنا إن تكاسلنا عن طلب رضاك ، يا من أقام لنا ذكرنا وأجرى لنا أنهاراً تجري ، اللهم إنا نسألك أن تجري علينا رزقنا من الخير كله: من الطاعات حتى ترضى ، إنك ولي ذلك والقادر عليه! اللهم إن الطواغيت يتفننون بشتى أساليبهم وقوانينهم وتعليماتهم القذرة العفنة ليصرفونا عنك وعن دينك وعن نبيك وعن كتابك! حيث يضيقون علينا سبل العيش الكريم لكي ننزلق إلى الحرام ويضعون من العراقيل والعقابيل ما يصرفنا صرفاً عن اتباع الحق ولزوم الاستقامة ، فاللهم إنا نستعين بك عليهم فاكفناهم بما شئت إنك لما تشاء قدير وبالإجابة جدير! اللهم إنا نسألك العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة ، اللهم إنا نسألك العفو العافية في ديننا ودنيانا وأماننا وأهلنا وأولادنا. اللهم افتح لنا من خزان رحمتك رحمة لا تعذبنا بعدها أبداً في الدنيا والآخرة ، اللهم وافتح لنا من فضلك الواسع رزقاً حلالاً طيباً ، لا تفقرنا بعده لأحد سواك أبداً ، تزيدنا بها لك شكراً ، وإليك فاقة وفقراً ، وبك عمن سواك غنىً وتعففاً. إلهنا لا يدرك جودك وحنانك ورفقك وتيسيرك إلا المؤمنون بك. آمنا بك وصدقنا نبيك – صلى الله عليه وسلم – فيما جاء به! وعبدناك ربنا بالحب والخوف والرجاء! فتقبل منا! ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم!

إذا برز العبادُ لذي الجلال

أبت نفسي تتوب ، فما احتيالي

بأوزار كأمثال الجبال

وقاموا من قبرهم سُكاري

فمنهم من يكب على الشمال

وقد نصب الصراط لكي يجوزوا

تلقاه العرائسُ بالغوالي

ومنهم من يسير لدار عدن

غفرت لك الذنوب ، فلا تبالي

يقول له المهمين: يا وليي

إلهنا ما كان ينبغي لنا أن نعصيك أو نخالف عن أمرك ، ولكن غلبتنا شهواتنا وأهواؤنا فاعفر وارحم وأنت أرحم الراحمين! ما حيلتنا يا رب في دنيا تجري وهي تجري وراءنا وتلاحقنا؟ ما حيلتنا يا رب في العادات والتقاليد والأعراف والسلوم التي أصبحت ديناً في الأرض اليوم يدين له وبه أغلب أهل الأرض؟ ما حيلتنا في الشياطين الجنية والأخرى الإنسية التي تصل ليلها بنهارها في الصد عن سبيل الله تعالى؟ ما حيلتنا يا رب في الشهوات والأمزجة والأهواء التي تصرفنا عنك؟

أما اسـ تحييت تعصـيني

إذا ما قال لي ربي

ومن ذا سوف يحميني؟

فكيف أجيبُ يا ويحي؟

لِ مِنْ حِينَ الـى حـين!

أسـ الـى الـى بالأمـا

ت ، ما ذا سوف يكفيني؟

وأنسى ما وراء المـو

ش ، ليس الموت يكفيني

كأني قد ضـمنت العـي

ديدة ، من سـ يحميني؟

وجاءت سـكرة الموت الشـ

إذا خفت موازيني سيفديني؟

نظرت الـى الوجـوه ، فمن

ت في دنياي يُنجيني؟

سأسأل ما الـذي قدّمـ

د ما فرطت في ديني؟

فكيف إجابتي من بعـ

كلام الله يـ دعوني؟

ويا ويحي الـى أسـمع

فاء في قافٍ وياسين؟

الـى أسـمع بما قد جـ

ت يـ دعوني يـ ديني؟

الـى أسـمع مُنادي المـو

نـبُ من ذا سـ يؤويني؟

فيما ربـاه عبـذُ تا

سـع للحق يـ ديني

سـوى رب غفـورا

وثقـل في موازيني

أتيتُ إليـك ، فـارحمـني

وخَفَّ فَا فِي جَزَائِي وَحَدِّكَ اللَّهُ تَجْزِينِي!

اللهم انفع بهذا الشعر من قرأه ولا تحرمننا أجره في الدنيا ولا في الآخرة! وحدك تعلم نيتي منه! يا رب أنا قصدت بشعري هذا إعلاء كلمتك وجعل كلمة الذين كفروا السفلى! أقسم عليك باسمك الأعظم أن لا أكون من الثلاثة الذين أخبرنا عنهم نبيك - صلى الله عليه وسلم - والذين أول من تسعّر بهم النار: (قارئ ومتصدق وشهيد) أولئك المُرَاوُونَ بأعمالهم ليقال عن أحدهم: فلان كذا وكذا! اللهم لا أنادي يوم القيامة: كتبت يا أحمد ليقال شاعر وقد قيل! يا رب وحدك تعلم أنني بعدت عن الأضواء والشهرة والفضائيات والظهور ابتغاء وجهك! فاللهم أجزني عليه الآن وفي الآخرة! اللهم كان يسيراً عليّ كتابة الأشعار في القوام النحيل والنهد الجميل والقد المشوق والعين الساحرة والرمش الطويل والخد الممتلئ والساق المستوية واليد البضة ، على حساب العقيدة والتوحيد! ولكنني آثرت الكتابة وفقاً لشريعتك ولسنة نبيك - صلى الله عليه وسلم - وابتليت في شعري وصبرت واحتسبت! وما هذا كله إلا بتوفيق منك ومعونة ، فاللهم كما جعلتني لا أكتب في ظني إلا ما يرضيك ، فاللهم انشره في العالمين وضاعف الأجر لمن أعانني على ذلك ، واجعل هذا الشعر في طاعتك يا جواد يا كريم! اللهم إنني جعلت جنة المأوى عن يميني وأنا أكتب شعري فطلبتها منك بالشعر! وتخلت نار جهنم عن شمالي وأنا أكتب شعري فاستعدت بك منها بالشعر!

تصوّل على العصاة وتسبّط

إذا مُد الصراط على جحيم

وقوم في الجنان لهم مقيل

فقوم في الجحيم لهم ثبور

وطال الويل ، واتصل العويل

وبان الحق ، وانكشف الغطاء

وأنا إذ أقدم لديوان: (فأعضوه ، ولا تكنوا!) فكلي أمل أن يحوز على إعجاب من قرأه! وأعتذر عن بعض المقدمات الطويلة تلك التي عمدت إليها كلما احتاجت القصيدة إلى إيضاح مبهمات حوتها وأعجزت القارئ وعدم من يسأله! وربما يسأل سائل: ألم تجد في حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كليّات تعنون بها لديوانك الجديد هذا إلا: (فأعضوه ولا تكنوا)؟ وإذن فهناك شبهة حول حديث مَنْ تَعَزَّى بِعِزِّ الْجَاهِلِيَّةِ! وأترك الفرصة فيها للشيخ /أكرم حسن مرسى ليحدثنا في معرض رد تلك الشبهة حول عنوان الديوان: (لقد قالوا مراراً: إن رسول الإسلام يأمر أصحابه بأن يقولوا لمن تعزى بعزاء الجاهلة كلاماً غير لائق...واستدلوا على ذلك بما جاء في مسند أحمد عن أَبِي بِنِ كَعْبٍ قَالَ: رَأَيْتُ رَجُلًا تَعَزَّى عِنْدَ أَبِي بَعْرَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ افْتَحَرَ بِأَبِيهِ فَأَعْضَهُ بِأَبِيهِ وَلَمْ يُكْنِهِ ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: أَمَا إِنِّي قَدْ أَرَى الَّذِي فِي أَنْفُسِكُمْ إِنِّي لَا أَسْتَطِيعُ إِلَّا ذَلِكَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ: مَنْ تَعَزَّى بِعِزِّ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَعْضُوهُ وَلَا تَكْنُوا. ورواية أخرى: عَنِ الْحَسَنِ عَنْ عَتِيٍّ عَنْ أَبِي عَتِيٍّ أَنَّ رَجُلًا تَعَزَّى بِعِزِّ الْجَاهِلِيَّةِ فَذَكَرَ الْحَدِيثَ قَالَ أَبِي: كُنَّا نَوْمُرُ إِذَا الرَّجُلُ تَعَزَّى بِعِزِّ الْجَاهِلِيَّةِ: فَأَعْضُوهُ بِهِنَّ أَبِيهِ وَلَا تَكْنُوا. تعليق شعيب الأرناؤوط: حديث حسن. * الرد على الشبهة: * أولاً: إن النبي محمداً- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أعظم الخلق خلقاً وخلقاً ، وكان يأمر أصحابه بمعالي الأخلاق ، وكان يقرب إليه أحسنهم أخلاقاً ؛ يدل على ذلك ما يلي: أنه - صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ! ثبت ذلك في مسند أحمد عن سعد بن هشام قال: سألت عائشة فقالت: أخبريني عن خلق رسول الله - صلى الله عليه وسلم -؛ فقالت: كان خلقه القرآن. وأنه لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً... ثبت ذلك في مسند أحمد عن عائشة أنها قالت: لم يكن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فاحشاً ، ولا متفحشاً ، ولا صحابياً في الأسواق ، ولا يجزي بالسيئة مثلاً ولكن يغفو ويصفح. وأنه - صلى الله عليه وسلم - كان يدعو أصحابه لحسن الخلق ، ويقرب منه أحسنهم خلقاً. وفي سنن أبي داود أن النبي - صلى الله عليه وسلم - نصح لرجل قائلاً له: "لا تسبني أحداً". قال: فما سببت بعده حراً ولا عبداً ولا بغيراً ولا شاة. قال: "ولا تحقرن شيئاً من المعروف وأن تكلم أخاك وأنت منبسط إليه وجهك إن ذلك من المعروف وارتفع إزارك إلى نصف الساق فإن أبيت فإلى الكعبين وإياك وإسبال الأزار فإنها من المخيلة وإن الله لا يحب المخيلة وإن امرؤ شتمك وعيرك بما تعلم فيك فلا تعيره بما تعلم فيه فإنما وبان ذلك عليه". وفي صحيح الجامع قال - صلى الله عليه وسلم - : "أقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحسنكم خلقاً". قال الألباني: (حسن). وعند الحاكم في المستدرک عن عبد الله بن مسعود ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء". قال الشيخ الألباني: (صحيح). * ثانيًا: إن التعزي بعزاء الجاهلية هو التفاخر بالقبيلة ، والنسب ، والحسب ، والتعصب لهم ، والقتال من أجلها مع إخوانهم. ولا شك أن ذلك من أعظم الآثام ؛ لأنها تؤدي إلى تفكيك وحدة المجتمع الإسلامي.... ثبت في صحيح مسلم قال - صلى الله عليه وسلم - : "أربع في أمي من أمر الجاهلية لا يتركوهن الفخر في الأحساب ، والطعن في الأنساب ، والاستسقاء بالنجوم ، والنياحة ، وقال: النياحة إذا لم تثب قبل موتها نقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب. وعليه فإن صاحب هذا الجرم يتلقى جزاء جرمه ، والجزاء من جنس العمل وهو: "من تعزى بعزاء الجاهلية فأعضوه ولا تكنوا". * ثالثًا: إن الأمر بإيذاء من تعزى بعزاء أهل الجاهلية بهذه الكلمات... كالأمر بقتل القاتل ، ورجم أو جلد الزاني ، وكقطع يد السارق... فالعقاب دائماً يكون عن جرم وليس ابتداءً... يقول تعالى: "وإن عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولنن صبرتم لهو خير للصابرين". وإذن فمن يعترض على عقوبة إيذاء من تعزى بعزاء الجاهلية بتلك الكلمات ، فالواجب عليه أن يعترض أيضاً على الحدود ، والتعزيرات التي وردت في كتابه المقدس كالأمر بقتل القاتل ، وقطع يد المرأة التي تمسك بالعضو الذكري للرجل تعارك مع زوجها... أو عقوبة السجن والتغريم... التي تنص عليها القوانين الوضعية... * رابعًا: إن إيذاء من تعزى بعزاء أهل الجاهلية ليس بهذه الكلمات فقط ، وليست - تلك الكلمات - واجبة - ؛ بل إن وجدت عقوبة أخرى كالحبس ، أو التغريم... وهذه أشد - فلا مانع حتى لا يكون ذلك سبباً في تفكك وحدة المجتمع الإسلامي ، ومصدراً من مصادر الفتن الكبرى لأصحابها... ودليل ذلك ما جاء في صحيح البخاري عن جابر - رضي الله عنه - يقول: عَزَوْنَا مَعَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَقَدْ تَابَ مَعَهُ نَاسٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ حَتَّى كَثُرُوا وَكَانَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلٌ لَعَابٌ فَكَسَعَ أَنْصَارِيًّا فَعَضَبَ الْأَنْصَارِيُّ غَضَبًا شَدِيدًا حَتَّى تَدَاعَوْا وَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: يَا لِلْأَنْصَارِ. وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ: يَا لِلْمُهَاجِرِينَ! فَخَرَجَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ: مَا بَالُ دَعَوَى أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ! ثُمَّ قَالَ: مَا شَأْنُهُمْ فَأُخْبِرَ بِكَسَعَةِ الْمُهَاجِرِيِّ الْأَنْصَارِيِّ. قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: "دَعَوْهَا فَإِنَّهَا خَبِيثَةٌ". وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي نُورٍ: أَقَدَّ تَدَاعَوْا عَلَيْنَا ، لِنُنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ فَقَالَ عَمْرٌ: أَلَا نَقْتُلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا الْخَبِيثَ لِعَبْدِ اللَّهِ؟

فَقَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : "لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّهُ كَانَ يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ " . وإذن فقد تبين لنا من الحديث أن النبي لم يؤذ بالقول من تعزى بعزاء أهل الجاهلية ولم يأمر بذلك ، وهذا دليل على عدم وجوب إيذاء من تعزى بعزاء الجاهلية ؛ لأنه لم يؤذ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - من تعزى بعزاء أهل الجاهلية... بسبب الفتن ، ولكنه استخدم لين القول ، والكلام الطيب لجمع لجام الفتنة... فالأمر بإيذاء من تعزى بعزاء أهل الجاهلية هو للزجر ، وليس لحقيقة السب نفسه ، وذلك بعد لين القول والكلام الطيب... فإن لم ينتهي قلنا له: أَعْضُوهُ بِهَنْ أَبِيكَ ، وليس ذلك إلا في حال الضرورة ، والضرورة تقدّر بقدرها. * خامساً: قد يقال: ما معنى فَأَعْضُوهُ بِهَنْ أَبِيهِ وَلَا تَكُنُوا؟ قلت: معنى أَعْضُوهُ ليس المراد أنه يعض بأسنانه ذكر أبيه... فلغة العرب تقول: عض الرجل يعضه عضيضاً: أي: لزمه ولصق به ، وليس المقصود عض بالأسنان ... يدعم ذلك الحديث يتحدث زمن الفتن ففيه يقول - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : "فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت كذلك". (الحاكم في المستدرک). أي: تلزم شجرة تعيش عندها وتعزل الفتن حتى تموت ، وليس المقصود أن الإنسان سيعض الشجرة بأسنانه بطبيعة الحال... ومعنى (الزم هن أبيك): هو أن الإنسان لا يكون في هن أبيه - ذكر أبيه - إلا قطرة حقيرة من المنى. وعليه فإذا كنت أيها المفتخر بنسبك ، وبقبيلتك... بأنك من قبيلة كذا و كذا ، فما نحن نذكرك بأصلك الحقيقي ، فأنت لست سوى قطرة من منى من هن أبيك - ذكر أبيك - ومن المعروف أن الإنسان يستحي من عورته ويداريها ، فإذا تكلمت عن أصلك أيها المتكبر ، فسندرك بأصلك الذي خرجت منه والذي تحرص على ستره). هـ. وجاء في مُدَوْنَةِ الرَّدِّ الصَّارِحِ عَلَى الشُّبُهَاتِ مَا نَصَّهُ: (وأما قول أَبِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كُنَّا نُوْمِرُ إِذَا الرَّجُلُ تَعَزَّى بِعِزَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَعْضُوهُ بِهَنْ أَبِيهِ وَلَا تَكُنُوا.. في الحديث جاء بلفظ هن وهي كناية عن شيء ولم يصرح بذلك. وقد قال ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث: والهن بالتخفيف والتشديد كناية عن الشيء لا تذكره باسمه. وهذا لا عجب فقد قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد حياءً من العذراء في خدرها ، وكان إذا كره شيئاً عرفناه في وجهه.. فلم يناقض حياءه أو خلقه الذي عُرف به ، فلم يصرح بالأمر واستعمل الكناية خاصة والأمر لا يتعلّق بالحدود ، وهي التي لا يقبل معها الكناية وإنما التصريح وقد قال الشنقيطي في أضواء البيان: فانظر كيف سمى النبي صلى الله عليه وسلم ذلك النداء «عزاء الجاهلية» ، وأمر أن يقال للداعي به «اعضض على هن أبيك» أي فرجه ، وأن يصرح له بذلك ولا يعبر عنه بالكناية. فهذا يدل على شدة قبح هذا النداء ، وشدة بغض النبي صلى الله عليه وسلم له... واعلم أن رؤساء الدعاة إلى نحو هذه القومية العربية: أبو جهل ، وأبو لهب ، والوليد بن المغيرة ، ونظراؤهم من رؤساء الكفرة. وقد بين تعالى تعصبهم لقوميتهم في آيات كثيرة. وأهل الأهواء جزأوا معنى السماح ولكن هل هذا السماح مطلق بلا ضوابط؟ قطعاً لا فلا يكون إلا بعد الكلام الطيب اللين فإن أبى المرء إلا العناد وكانت المسألة ضرورية لذكرها صارت مستوجبة ، كما أن المسألة تعود تقديرية فلو كان الجلد أو الحبس رادع لمن ظلم نفسه لكانت أحق من الإيذاء اللفظي زد أن هذا الإيذاء ليس هامشياً ، وإنما له معنى خاص ، فمن تفاخر بأصله يذكر بأصله الحقيقي فهو إيذاء كعقوبة (وهل هناك عقوبة لا تؤذي؟) لردع (وهل هناك عقوبة لا تهدف لردع؟) ولتفكير... فالأمر بالعض أي لزوم وطبعاً هذا أمر ليس فعلياً وإنما تذكير شديد اللهجة ، فالتحقير بعد المكابرة سلاح ناجع ، خاصة وأن المصلحة جماعية فالمكابر يعود عن غيّه ولا يحصل الشقاق

العِرقِي بين أبناء الأُمَّة).هـ. وأياً كان التأويل والترجيح ، فأنا اخترتُ هذا العنوان وأعنيه بكل ما تعنيه الكلمة من معانٍ! لأن أمر الجاهلية قد تفاقم خطره وعلت نبرته في زماننا! وأصبحت الجاهلية تقدّم على الإسلام والإيمان! نعم ، ولا أكون مبالغاً إن قلت بأن الجاهلية عادت لنا اليوم في ثوب عفن من أثوابها العفنة. ولعلي من خلال الاستشهاد بالأحاديث والقصائد أكون قد بينتُ ما للجاهلية من خطر على أمتنا! ورحم الله الشاعر الباكستاني الذي اختصر المدى وشخص المرض فقال:

يا موكبَ النور بدّدْ حالَكَ الظلم	فأمة الحق لم تهدأ ، ولم تنم
هذي الزحوفُ أبو الزهراء قائدها	صرخ الجّهالة ، باسم الله فانهدم
قم يا بلال ، وأعلنها مدوية	إن الحقود عن الإيمان جدّ عم
الله أكبرُ قد دوت بكعبتنا	يا راية الله ، خفقا في سمائمهم
العينُ بالعين ، واصفع كل طاغية	واثارُ لحقك ، لا بهتان وانتم!
دخلت مكة ، والرايات خافقة	لوشئت أسلمتها للحرق والعدم
عفوت لمارأيت العين دامعة	أخ كريم ، وأذروا عبّرة الندم
يا منقذ الكون من جهل أحاط به	لولا الهداية ما ثرنا على صنم
اليوم جئت إلى التاريخ أسأله	ما كان منه حديثاً أو بذني قدم
فما وجدت لكم يا سيدي شَبهاً	هم في السفوح ، وأنتم في ذرى القمم
هذي مبادنهم في شرعنا عدم	شتان شتان بين النور والظلم!
عازّ على أمةٍ دان الوجود لها	أن يستبيح جماها خائنو الذمم
كنا أساتذة الدنيا وساداتها	ما بالناس اليوم أصبحنا من الخدم؟
لا لست أرضى من التاريخ ملحمة	إن كان فيها مدادٌ من زهيد دم
ها ألمح الليل قد حانت نهايته	لا يُشرقُ الفجرُ إلا في دجى الألم!

وأرجو أن أكون قد وفقتُ في اختيار العنوان الذي يُوقِفُ الجاهلية والجاهليين عند حد! وأسأل الله أن تكون القصائد برمتها قد عبرت عن هذا المطمح وحققت المطلوب والمرجو ووفت بالغرض!

الافتتاحية

الحمد لله الذي هدانا للإسلام ، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله. وله الحمد أن شرفنا بالإيمان. وما كنا لنؤمن إلا بإذنه وتوفيقه. وبين لنا الطريق المستقيم الذي يوصلنا إلى جنات النعيم في مقعد صدق عند مليك مقتدر. وله الحمد أن كرمنا على سائر المخلوقات (عدا الجن) بنعمة التكليف. إن الإسلام هو النعمة العظمى ، وكفي به نعمة! وهو الرحمة الكبرى لبني الإنسان ، وكفي بها رحمة! فهو دين التوازن والإيجابية ، جاء لينظم ويوازن حياة المسلم. ليرقى به في جميع جوانب الحياة. الإسلام ليس دين معرفة وعلم فقط ، أو رهبة وتعكف في الصوامع. أو تراويل وتساييح فقط ، أو معجزات وخوارق فحسب ؛ إنما هو دين واقع وعمل. إن الإسلام في حقيقته مصحفٌ وسيف ، عبادة وقيادة ، دنيا وأخرى ، شعائر وشرايع! وضلت أفهامٌ تعتقد أن الإسلام مجرد شعائر تعبدية فقط! إنما هو إلى جوار الشعائر التعبدية منهاج حياة! ولما كان هذا شأن الإسلام كانت الحرب الشعواء التي لا يكف أوارها عليه! إن الإسلام اليوم يتعرض فيما يتعرض لكثير من الاعتداءات والتشويهات والمغالطات والأباطيل والادعاءات المفتراة الزائفة. ولو كان دين خرافة وأكاذيب وشعوذات ، كما يدعي أعداؤه الحاقدون عليه والكارهون له ولأهله ، لما حاربوه هذه الحرب ، ولا ادعوا عليه تلك الادعاءات ، ولا افتروا عليه تلك الافتراءات! فكان من الواجب على كل مسلم ومسلمة أن يقدم شيئاً ولو يسيراً دفاعاً ونصرة للإسلام. كلٌّ على قدر استطاعته! وأخص بالذكر طبقة الكتاب والأدباء والشعراء! تلك التي إن صلحت كانت جنباً إلى جنب مع العلماء المخلصين والعلماء النحارير لإيجاد جيل واع عالم بدينه وديناه! فلتصلح هذه الطبقة نفسها ثم تعدد إلى الآخرين! إذ كيف يصلح غيره من نفسه بحاجة إلى إصلاح؟! وأرى أن أولى الأشياء إصلاح القلب والنفس! قال ابن القيم – رحمه الله -: (القلب يمرض كما يمرض البدن ، وشفاه في التوبة والحمية ، ويصدأ كما تصدأ المرأة ، وجلأه بالذکر ، ويعرّى كما يعرّى الجسم ، وزينته التقوى ، ويجوع ويظمأ كما يجوع البدن ، وطعامه وشرابه المعرفة ، والتوكل ، والمحبة ، والإنابة. وللقلب ستة مواطن يجول فيها لا سابع لها: ثلاثة سافلة ، وثلاثة عالية ؛ فالسافلة دنيا تتزين له ، ونفس تحدثه ، وعدوٌ يوسوس له ؛ فهذه مواطن الأرواح السافلة التي لا تزال تجول فيها. والثلاثة العالية علم يتبين له ، وعقلٌ يرشده ، وإلهٌ يعبده ، والقلوب جواله في هذه المواطن. وإذا استغنى الناس بالدنيا فاستغن أنت يا عبد الله - يا مسلم - بالله ، وإذا فرحوا بالدنيا فافرح أنت بالله ، وإذا أنسوا بأحبابهم فاجعل أنسك بالله. والصبر عن الشهوة أسهل من الصبر على ما توجبه الشهوة ؛ فإنها إما أن توجب ألماً وعقوبةً ، وإما أن تقطع لذة أكمل منها ، وإما تضيع وقتاً إضاعته حسرة وندامة ، وإما أن تتلم عرضاً توفيره أنفع للعبد من ثلمه ، وإما أن تذهب مالاً بقاؤه خير له من ذهابه ، وإما أن تضع قدراً وجاهاً قيامه خيرٌ من وضعه ، وإما أن تسلب نعمة بقاؤها أذى وأطيب من قضاء الشهوة ، وإما أن تطرق لوضع إليك طريقاً لم يكن يجدها قبل ذلك ، وإما أن تجلب همماً ، وغماً ، وحزناً ، وخوفاً لا يقارب لذة الشهوة ، وإما أن تنسي علماً ذكره أذى من نيل الشهوة ، وإما أن تشمت عدواً ، أو تحزن ولياً ، وإما أن تقطع الطريق على نعمة مقبلة ، وإما أن تحدث عيباً يبقى صفة لا تزول ؛ فإن الأعمال تورث الصفات والأخلاق. وللعبد بين يدي الله موقفان: موقفٌ بين يديه في الصلاة ، وموقفٌ بين يديه يوم لقائه ؛ فمن قام بحق الموقف الأول

هون عليه الموقف الآخر ، ومن استهان بهذا الموقف ، ولم يوفه حقه شدد عليه ذلك الموقف ، قال - تعالى :- (وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً ، إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذُرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا).هـ. إلهي قرعت بابك تائباً مستغيثاً بجنابك! فاللهم ثقة بما ادخرت للتائبين ، أعني على التوبة إليك والخوف منك والرضا بما عندك! أعني وقد اعترفتُ بتقصيري وتفريطي! إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت! أعني على حبك وذكرك وشكرك وتقواك وحسن عبادتك!

أنا العبدُ الذي كسب الذنوبا	وصدته المعاصي أن يتوبا
أنا العبدُ الذي أضحي حزينا	على زلاته قلقاً كئيبا
أنا العبدُ الذي سُطِرَتْ عليه	صحائف لم يخف فيها الرقيب
أنا العبدُ المسيء عصيئ سراً	فما لي الآن لا أبدي النحيب
أنا العبدُ المُفَرِّط ضاع عمري	فلم أرع الشبيبة والمشيبا
أنا العبدُ الغريقُ بلج بحر	أصيحُ لربما ألقى مجيبا
أنا العبدُ السقيم من الخطايا	وقد أقبلت أتمسُ الطيبا
أنا العبدُ المُخْلَفُ عن أناس	حووا من كل معروف نصيبا
أنا العبدُ الشريرُ ظلمت نفسي	وقد وافيت بآبكم منيبا
أنا العبدُ الحقيِرُ مَدَدتُ كفي	إليكم ، فادفعوا عني الخطوبا
أنا الغدارُ كم عاهدت عهداً	وكنت - على الوفاء - به كذوبا
أنا المهجورُ هل لي من شفيع	يكلّم - في الوصال - لي الحبيبا
أنا المضطربُ أرجو منك عفواً	ومن يرجو رضاك فلن يخيبا
أنا المقطوعُ فأرحمني وصِلني	ويسرُ منك لي فرجاً قريباً
فوا أسفي على عمري تقضى	ولم أكسب به إلا الذنوبا
وأحذر أن يُعاجلني ممات	يُحير لهول مصرعه اللبب

اللهم اجعل ما حوى شعري من الحق سبيلاً إلى مرضاتك ، وسهله على من قرأه بُغية الانتفاع به! وأنا إذ أفتتح ديوان: (فأعضوه ولا تكنوا) فإني أسأل الله أن يعي القراء ما أريد إيصاله لهم من العزة بالإسلام والإيمان والانتصار لدين الله! إن الاستعلاء الإيماني الذي أعني هو أن يشعر المسلم أنه شئى والجاهلية بخيلها ورجلها وركابها من حوله شئى آخر! فهو يختلف معها في العقيدة كما يختلف معها في السلوك! إنه يتمثل وقفة موسى عليه السلام عندما احتواه الخوف من كيد سحرة فرعون فأوحى الله إليه أنه الأعلى والأسمى! (فأوجس في نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى). ويتمثل جواب النبي - صلى الله عليه وسلم - لصحابته عندما طلب إليهم أن ردوا على المشركين مقولتهم: (العزى لنا ولا عزى لكم - اعلْ هُبْل!) فقال الصحابة: ماذا نقول يا رسول الله؟ قال: قولوا: (الله مولانا ولا مولى لكم - الله أعلى وأجل!) هذا هو استعلاء الإيمان والإسلام! فإذا ما الجاهلية دقت طبولها وفاخرت بإنجازاتها وفعاليتها ، فعلى المسلم أن يتعالى بإسلامه وإيمانه! يقول صاحب المعالم والظلال واصفاً هذا الاستعلاء الإيماني: (إنه يمثل الحالة الدائمة التي ينبغي أن يكون عليها شعور المؤمن وتصوره وتقديره للأشياء والأحداث والقيم والأشخاص سواء. إنه يمثل حالة الاستعلاء التي يجب أن تستقر عليها نفس المؤمن إزاء كل شيء ، وكل وضع ، وكل قيمة ، وكل أحد ، الاستعلاء بالإيمان وقيمه على جميع القيم المنبثقة من أصل غير أصل الإيمان. الاستعلاء على قوى الأرض الحاندة عن منهج الإيمان . وعلى قيم الأرض التي لم تنبثق من أصل الإيمان ، وعلى تقاليد الأرض التي لم يصغها الإيمان ، وعلى قوانين الأرض التي لم يشرعها الإيمان ، وعلى أوضاع الأرض التي لم ينشئها الإيمان. الاستعلاء مع ضعف القوة ، وقلة العدد ، وفقير المال ، كالاستعلاء مع القوة والكثرة والغنى على السواء. الاستعلاء الذي لا يتهاوى أمام قوة باغية ، ولا عُرف اجتماعي ولا تشريع باطل ، ولا وضع مقبول عند الناس ولا سند له من الإيمان. وليست حالة التماسك والثبات في الجهاد إلا حالة واحدة من حالات الاستعلاء التي يشملها هذا التوجيه الإلهي العظيم. والاستعلاء بالإيمان ليس مجرد عزيمة مفردة ، ولا نخوة دافعة ، ولا حماسة فائرة ، إنما هو الاستعلاء القائم على الحق الثابت المركز في طبيعة الوجود . الحق الباقي وراء منطق القوة ، وتصور البيئة ، واصطلاح المجتمع ، وتعارف الناس ، لأنه موصول بالله الحي الذي لا يموت. إن للمجتمع منطق الساند وعرفه العام وضغطه الساحق ووزنه الثقيل على من ليس يحتمي منه بركن ركين ، وعلى من يواجهه بلا سند متين. وللتصورات الساندة والأفكار الشائعة إحاؤهما الذي يصعب التخلص منه بغير الاستقرار على حقيقة تصغر في ظلها تلك التصورات والأفكار ، والاستمداد من مصدر أعلى وأكبر وأقوى. والذي يقف في وجه المجتمع ، ومنطقه الساند ، وعرفه العام ، وقيمه واعتباراته ، وأفكاره وتصوراته ، وانحرافات ونزواته. يشعر بالغرابة كما يشعر بالوهن ، ما لم يكن يستند إلى سند أقوى من الناس ، وأثبت من الأرض ، وأكرم من الحياة. والله لا يترك المؤمن وحيداً يواجه الضغط ، وينوء به الثقل ، ويهددها الوهن والحزن ، ومن ثم يجيء هذا التوجيه: {ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين}. وهذه العزة يقذفها الله تعالى في قلب المؤمن إذا كان صادقاً مخلصاً مستعلياً عن الجاهلية حقاً! وتحت عنوان: (عزة المسلم بإيمانه) يقول الشيخ تركي بن علي الميمان ما نصه: (إن من بين المسلمين من يريد أن يجعل للمسلمين عزة بغير الإيمان ، فيظن جهلاً أن عزة المسلمين قد تكون بالمال ، أو بالتقدم العلمي والتكنولوجي كما يقولون ، أو أن تكون العزة بغير الله سبحانه وتعالى ،

فيظن الظان أن الجاه أو المال أو غيرها من أمور الدنيا يمكن أن يستعز بها الإنسان ، ويرفع بها جبهته أمام الأمم ، وتلك - والله - خدعة نفس وخدعة شيطان ، فلا عزة بغير الإيمان. وهناك حرب نفسية تحاك ضد الأمة الإسلامية ، وضد الصحوة الإسلامية في كل مكان ، فأعداء الإسلام يريدون أن يهزموا المسلمين من الداخل ، وأن يحبطوا هذه العزة وهذه الثقة الذي يجدها المسلم داخل إيمانه ، حتى يتيه المسلم في خضم الفتن والأحوال والأحداث وغيرها ، فيظن أنه فقد عزته وفقد إيمانه وفقد مكنم الرفعة الذي هو الإيمان بالله - سبحانه وتعالى - ، فيجب الحذر من هذه الحرب النفسية ضد المسلمين. ويجب علينا أن نعود إلى أصول ديننا وأصول عزتنا ، والأمة الإسلامية في عصورها المتأخرة لم تجرب هذا العلاج الذي هو مصدر عزتها التجربة الكاملة ، بحيث تُربى عليها النفوس ، وتُربى عليها الأسر ، فوالله لو عاد المسلمون إلى دينهم حق العودة لكان لهم بين الأمم شأن آخر. قال تعالى: (إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ) ، وقال سبحانه: (وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ). فالتاريخ يشهد بالحقائق وينطق بها ، ألم يكن أهل هذه الجزيرة في مكة وفي غيرها يعيشون أدلة بين الأمم؟ ألم يكونوا قبل مبعث الرسول - صلى الله عليه وسلم - أدلة يقتل بعضهم بعضاً ، وينهب بعضهم بعضاً ، ويعبدون الأصنام من دون الله؟ بل كان الواحد منهم يصنع إلهه من التمر ويعبده أول النهار ، فإذا أمسى وجاع أكله، ألم يكونوا أدلة أمام كسرى وقيصر؟ فما الذي رفعهم؟! ما ارتفع أولئك الركب الكرام من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - ، وما انتقلوا من حظيرة الجاهلية إلى عز الإسلام إلا بالإيمان ، وهذا شاهد اجعله أمامك في كل وقت ، فإنه لما نطق رسول الهدى - صلى الله عليه وسلم - في أرجاء مكة قائلاً: "أيها الناس: قولوا: لا إله إلا الله ، إني رسول الله لكم بين يدي عذاب شديد". قالوا: يا محمد: إن كنت تريد بهذا الذي تدعو إليه ملكاً ملكناك علينا ، وإن كنت تريد بهذا الذي تدعو إليه شرفاً سودناك علينا حتى صرت السيد المطاع فلا نقطع بأمر دونك ، وإن كنت تريد بهذا الذي تدعو إليه مالاً جمعنا لك من الأموال حتى تصير أكثرنا مالاً. وهذه هي عروض الجاهلية في كل زمان ومكان ، فالقوميون اليوم يقولون: الوحدة العربية وبعدها الوحدة الإسلامية. ومن طلب العز بغير الدين أدله الله ، فالعز بالوحدة العربية ذل ؛ لأنه لا عز إلا بالإسلام. فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : "ما جئت أريد ملككم ، ولا الشرف فيكم ، ولا أموالكم ، ولكنني جئت أدعوكم إلى كلمة واحدة تدين لكم بها العرب وتخضع لكم بها العجم. قولوا: لا إله إلا الله". فصاحوا جميعاً صيحة واحدة ، وقالوا: أما هذه فلا. ولكن الصحب الكرام من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - هم الذين قالوها.هـ. وعلى ذكر تحقيق القومية العربية من أجل تحقيق العزة! نحن نسأل: وهل تحققت عزة العرب في أي زمان عن طريق القومية العربية؟ إنها الشعارات التي ليس لها إلا: (فأعضوه ولا تكنوا) ألم تكن العرب مجموعة من القبائل يقتل بعضهم بعضاً ويُغير بعضهم على بعض؟ أو على حد تعبير القرآن الكريم: (واذكروا إذ كنتم أعداءً فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً)! وإذن فلم يتحقق للعرب عزة ولا مجد إلا في ظل الإسلام! والتاريخ يشهد بذلك ، والأدلة عليه أكثر من أن تعد أو تحصى! إن ديوان: (فأعضوه ولا تكنوا) يبين كيف تكون العزة بالإسلام والإيمان! كما يقف القراء على حقيقة الاستعلاء الإيماني الذي ينبغي أن يكون في قلب المؤمن وهو يواجه جاهلية القرن الحادي والعشرين! إنه حقاً ينظر إليها من عل ، فما هو عليه هو الحق ويوما سيكون له النصر!

صورة الغلاف

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له! وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وحببيه! يا رب نسالك اللهم أن تكفّ عنا بأس الذين كفروا ، لأنك أشد بأساً وأشد تنكيلاً. اللهم إن أعدائنا وأعدائك يعتمدون على حبل من الناس ، وإن عبادك المؤمنين يقولون: إنهم يعتمدون عليك ، ويلتجئون إليك ، وليس لهم رب غيرك ، وليس لهم إله سواك ، وليس لهم نصير غيرك ، وليس لهم مجير سواك ، وقد تخلى عنهم أهل الأرض ، تخلى عنهم القاصي والداني ، وخذلهم القريب والبعيد ، أفتخذل عبادك المسلمين المؤمنين الموحدين يا رب العالمين؟ أفتعرض عنهم يا أكرم الأكرمين ويا خير الرازقين؟ أفتشمت بهم أعداءهم يا ناصر المستضعفين ويا مجيب دعوة المضطرين؟ اللهم إنك أنت القائل وقولك الحق والصدق: (وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ) ، ونحن يا رب مؤمنون بك ، مقصرون في عبادتك ، فإن كنا لا نستحق أن تنصرنا بعدلك ، فاتصرنا برحمتك ، وإن كنا لا نستحق أن تنصرنا استحقاقاً ، فاتصرنا تفضلاً منك علينا ، فأنت أهلّ للفضل والمنة والعطاء. اللهم إنا نسالك اللهم بوعدك الذي قطعته على ذاتك العلية ونسالك اللهم بإيماننا بك وحدك ، أن تنتصر لنا من الطواغيت الذين ظلمونا وأراقوا دماءنا وهتكوا أعراضنا وأحلوا قومهم دار البوار ، ونسالك اللهم أن تنتصر لأحبابنا في أرض الشام ومصر والعراق وتونس وليبيا واليمن والصومال ، وفي كل أرض يذكر فيها اسم الله وتحت كل سماء فيها عباد لك مسلمون بك مؤمنون بك متوكلون عليك واثقون فيك ، نسالك الله أن تهزم طواغيت الأرض وأن تردّ عنا كيد الكائدين ، وحقد الحاقدين وجبروت الظالمين ، عاجلاً غير آجل ، بما شئت وكيف شئت ، يا رب العالمين. اللهم إنك أنت القائل: (إِذْ تَسْتَعِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبْ لَكُمْ) ، وها نحن يا رب نستغيث بك ، فنسالك أن تغيننا. اللهم كما أغثت أهل بدر بالأمس وفيهم نبيك – صلى الله عليه وسلم – عندما استغاثوك ، فاللهم إنا اليوم نستغيثك وفينا نبيك – صلى الله عليه وسلم – بسنته ، فاللهم انصرنا على الطواغيت وامنحنا أكتافهم بعز عزيز أو بذل ذليل! اللهم اجعل شعري هذا سلماً لأوليائك حرباً على أعدائك! اجعله واحة ظليلة للمؤمنين من هجير الجاهلية اللافح! واجعله أمضى من نضح النبل وتصويب الرماح ورمي السهام وضرب السيوف على أعدائك من المجرمين والظالمين والمفسدين في الأرض! اللهم إني قد بذلت فيه الذي تعلم من الجهد والنصب ، فاللهم اجعل ثوابه الجنة! اللهم اجعل أفئدة من الناس تهوي إلى ذلك الشعر تستروح أرجه الجميل وتعمل بما فيه من الحق المبين ، وتجتنب ما حواه من الخطأ والزلل! أنت ولي ذلك والقادر عليه! اللهم هذا الجهد وعليك وحدك التكلان ، ومنك وحدك العون والسداد والتوفيق والنجاح والفلاح! أصلح أقوالنا وأعمالنا يا رب العالمين! أخبرنا نبيك أن أكثر ما يكب الناس على مناخرهم في النار هو ما تقوله ألسنتهم فاللهم قوم ألسنتنا وأصلح أقوالنا وعلما كيف نقول الحق! قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (من العجب أن الإنسان يهون عليه التحفظ والاحتراز من أكل الحرام والظلم والزنا والسرقة وشرب الخمر ، ومن النظر المحرم ، وغير ذلك. ويصعب عليه التحفظ من حركة لسانه! وكم نرى من رجلٍ متورّع عن الفواحش والظلم ولسانه يفري في أعراض الأحياء والأموات ، ولا يبالي ما يقول). هـ. رأى إبراهيم بن أدهم رجلاً مهموماً فقال له: أيها الرجل إني أسألك عن ثلاث تجيبني قال الرجل: نعم. فقال له: أيجري في هذا الكون شيء لا يريد الله؟ قال: كلا

، قال إبراهيم: أفينقص من رزقك شئ قدره الله لك؟ قال: لا ، قال إبراهيم: أفينقص من أجلك لحظة كتبها الله في الحياة؟ قال: كلا ، فقال له إبراهيم بن أدهم: فعلام الهم إذن؟! قال ابن قيم الجوزية رحمه الله: (يا ابن آدم إن بينك وبين الله خطايا لا يعلمها إلا الله سبحانه فإن أحببت أن يغفرها لك ، فاصفح أنت عن عباده فإنما الجزاء من جنس العمل). هـ. قال أئمة الإسلام كسفيان الثوري وغيره: إن البدعة أحب إلى إبليس من المعصية ، لأن البدعة لا يتاب منها ، والمعصية يتاب منها ، ومعنى قولهم إن البدعة لا يتاب منها: أن المبتدع الذي يتخذ ديناً لم يشرعه الله ولا رسوله ، قد زين له سوء عمله فرآه حسناً فهو لا يتوب ما دام يراه حسناً ، لأن أول التوبة العلم بأن فعله سيء ليتوب منه. قال ابن الجوزي رحمه الله: اعلم أن الزمان لا يثبت على حال كما قال عز وجل: "وتلك الأيام نداولها بين الناس" فتارة فقر ، وتارة غنى ، وتارة عز ، وتارة ذل ، وتارة يفرح الموالي ، وتارة يشمت الأعداء. فالسعيد من لازم أصلاً واحداً على كل حال! وهو تقوى الله عز وجل فإنه إن استغنى زانته ، وإن افتقر فتحت له أبواب الصبر ، وإن عوفي تمت النعمة عليه ، وإن ابتلى حملته. ولا يضره إن نزل به الزمان أو صعد ، أو أعراه أو أشبعه أو أجاعه. إلهنا لا تفضحنا فوق الأرض ولا تحت الأرض ولا يوم العرض! إلهنا ارحمنا من أهوال يوم النشور ، واستر علينا ما أخفيته عن خلقك يا رب العالمين! اللهم إذا قام سوق القيامة وبرزت الجحيم للغاوين وأزلفت الجنة للمتقين ارحمنا يا رب العالمين!

ليوم يجعل الولدان شيبا	فيا حزناه من حشري ونشري
وأصبحت الجبال به كثيبا	تفطرت السماء به ، ومارت
حسير الطرف غريانا سلبا	إذا ما قمت حيراناً ظمياً
إذا ما أبدت الصحف العيوب	فيا خجله من قبح اكتسابي
أكون به - على نفسي - حسيبا	وذلة موقفٍ لحساب عدلٍ
إذا زفرت فأقلعت القلوب	ويا حذراه من نار تلظى
على من كان معتدياً مريباً	تكاد إذا بدت تنشق غيظاً
خطاه أما بدالك أن تتوباً	فيا من مد في كسب الخطايا
رأينا كل مجتهدٍ مضيباً	ألا فاقلغ ، وتب ، واجهد فإننا
جناباً ناضراً عطراً رحيباً	وأقبل صادقاً في العزم ، واقصد
وكن - في هذه الدنيا - غريباً	وكن - للصالحين - أخاً وخلاً

وكن عن كل فاحشةٍ بعيداً وكن في الخير مقيداً نجيهاً

لقد زادت حيرتي وأنا أحاول اختيار صورة مناسبة لديوان: (فأعضوه ، ولا تكنوا) وذلك لأنني أحاول جاهداً أن أنتقي من الصور والرسومات ما يوافق الشريعة الربانية! ولست أطيع أغلب الناشرين الذين لا يعينهم إلا كسب الأموال من حلال أو من حرام! إن الوسائل في ديننا لها حكم المقاصد والغايات! فالمقصود الشرعي لا ينبغي أن يتحقق إلا بوسيلة شرعية! إنني قصدت أي صورة تبين كيف يكون التعالي على الجاهلية والاعتزاز بالإيمان والإسلام ، وهذا يعني الكثير من التدقيق والتمحيص والمفاضلة! إنه غلاف ينبغي أن يصور الأمل الذي نعيشه من غياب الإسلام ، والأمل الذي نؤمن به من انتصار الإسلام في المستقبل! ومن الأمور التي تبنى عليها عزة المؤمن وتستقي منها عزة المؤمن أكسير حياتها في العصر الحاضر بل وفي كل عصر: اليقين الجازم الذي لا يقبل الشك بأن المستقبل - مهما كانت التحديات - للإسلام. فالرسول - صلى الله عليه وسلم - أعطانا عدة بشارات ، البشارة الأولى: "لنفتحن القسطنطينية وروما" ، وروما هي عاصمة إيطاليا وفيها دولة الفاتيكان المعروفة أم النصرانية في العالم اليوم وفيها البابا. "قيل: يا رسول الله: تفتح القسطنطينية أولاً أو روما أولاً؟ قال: "القسطنطينية أولاً". وروما ستفتح بوعده الصادق المصدق - صلى الله عليه وسلم - . فعن عبد الله بن بشر الحنفي ، عن أبيه ، أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: لَنُفْتَحَنَّ الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ فَلَنَعْمَ الْأَمِيرُ أَمِيرُهَا وَلَنَعْمَ الْجَيْشُ ذَلِكَ الْجَيْشُ! قَالَ فَدَعَانِي مَسْلَمَةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمَلِكِ فَسَأَلَنِي فَحَدَّثْتُهُ فَغَزَا الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ. مسند الإمام أحمد. والبشارة الثانية: أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال في الحديث الصحيح: "لَيُبَلِّغَنَّ هَذَا الْأَمْرَ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ ، وَلَا يَتْرُكُ اللَّهُ بَيْتَ مَدْرٍ وَلَا وَبْرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ بَعْرَ عَزِيزٍ أَوْ بَدَلٌ ذَلِيلٍ ، عَزَا يَعْرِزُ اللَّهُ بِهِ الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ ، وَذَلَّ يَذُلُّ اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ". مجمع الزوائد للهيتمي ، ورجاله رجال الصحيح. وتخيلت غلاف ديواني: (فأعضوه ، ولا تكنوا) يصور للقراء كيف وقف المغيرة ابن شعبة في معسكر رستم قائد الفرس المشهور متمطياً سهوة جواده ينظر من عل للجاهلية: (عن أبي عثمان النهدي قال : لما جاء المغيرة إلى القنطرة ، فعبرها إلى أهل فارس أجلسوه ، واستأذنوا رستم في إجازته ، ولم يغيروا من شارتهم تقوية لتهاونهم ، فأقبل المغيرة ابن شعبة والقوم في زيهم ، عليهم التيجان والثياب المنسوجة بالذهب ، وبسطهم على غلوة - والغلوة مسافة رمية سهم وتقدر بثلاثمائة أو أربعمائة خطوة - لا يصل إلى صاحبهم حتى يمشي على غلوة ، وأقبل المغيرة وله أربع ضفائر يمشي حتى يجلس على سريره ووسادته ، فوثبوا عليه فترتروه وأنزاهه ومغثوه ، فقال: (كانت تبلغنا عنكم الأحلام ، ولا أرى قوماً أسفه منكم ، إنا معشر العرب سواء لا يستعبد بعضنا بعضاً ، إلا أن يكون محارباً لصاحبه ، فظننت أنكم تواسون قومكم كما نتواسي. وكان أحسن من الذي صنعتم أن تخبروني أن بعضكم أرباب بعض ، وإن هذا الأمر لا يستقيم فيكم ، فلا تصنعه ، ولم آتكم ولكن دعوتموني. اليوم علمت أن أمركم مضمحل ، وأنكم مغلوبون ، وأن ملكاً لا يقوم على هذه السيرة ولا على هذه العقول). وكذلك تخيلت غلاف ديواني: (فأعضوه ، ولا تكنوا) يصور للقراء كيف وقف ربعي بن عامر داخل إيوان كسرى فارس مستعلياً بإسلامه وإيمانه يدرك ويوقن أنه هو الأعلى ديناً وقيماً وخلقاً ومنهجاً: (أرسل سعد بن أبي وقاص قبل القادسية ربعي بن عامر رسولا إلى رستم ، قائد الجيوش الفارسية وأميرهم ، فدخل عليه وقد زينوا مجلسه بالنمارق والزرابي والحري

وأظهر اليواقيت واللالآء الثمينة العظيمة ، وعليه تاجه ، وغير ذلك من الأمتعة الثمينة ، وقد جلس على سرير من ذهب ، ودخل ربي بثياب صفيقة وترس وفرس قصيرة. ولم يزل راكبها حتى داس بها على طرف البساط ، ثم نزل وربطها ببعض تلك الوسائد. وأقبل وعليه سلاحه وبيضته على رأسه. فقالوا له: ضع سلاحك. فقال: إني لم آتكم ، وإنما جنتكم حين دعوتموني ، فإن تركتموني هكذا وإلا رجعت. فقال رستم: انذونا له. فأقبل يتوكأ على رمحه فوق النمارق لخرق عامتها. فقال رستم: ما جاء بكم؟ فقال: الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده ، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام). ومن هنا وجب الحفاظ على هوية الأمة المسلمة! يقول الدكتور محمد عمارة في كتابه: (عمالة فكرية وحضارية) ما نصه: (إنَّ محافظة الأمة المسلمة على هويتها الإسلامية ، والاعتزاز بهذا الدين العظيم ، يولد لديها الشعور بأنَّها الأمَّة التي اصطفاها الله بين العالمين لخيريتها وسمو تشريعاتها ، ولكنَّ وللأسف نرى أناساً من المثقفين العرب وغيرهم ، يكفرون بهويتهم ، وينقلبون على واقعهم الإسلامي بالهمز واللمز ، بل ويذوبون في المشروعات الغربية المناهضة للمشروع الإسلامي ، والتغريب هو القنطرة التي عبرت عليها العلمانية إلى الشرق ، وهذا التغريب لم يكن لحظة انبهار ؛ لأن الانبهار يزول سريعاً فتبدو الأشياء على حقيقتها ، وإنما كان لحظة عمى وعمه حضاري ، كان لحظة تعاقد تأمري). هـ. ولا يصمد لمخططات الاستعمار والعلمنة والإلحاد إلا الإسلام والإيمان! وصدق (فيليب فونداسي) - رئيس المكتب الخامس الفرنسي لمصلحة التجسس الفرنسية - في مقدمة كتابه: (الاستعمار الفرنسي في أفريقيا السوداء) حيث قال: (إنَّ هذا الإسلام يؤلف حاجزاً أمام مدنيتنا المبنية كلها من مؤثرات نصرانية ومن مادية ديكرتية. فإنَّ الإسلام يهدد ثقافتنا في أفريقيا السوداء. وعلى الرغم من أن بعض النفوس المتسامحة تميل بطبيعتها وعن رضى منها إلى عدم تقدير هذا الخطر (الإسلام) حق قدره ، فإنه يبدو في الظروف الحالية للتطور الاجتماعي والسياسي لعالم البشر أنه من الضروري لفرنسا أن تقاوم الإسلام في هذا العالم ، أو تحاول على الأقل حصر انتشاره ، وأن يعامل وفق أضييق مبادئ الحياد الديني). وإن الكفار ليرعبهم مجرد الانتساب أو محاولة العودة إلى الهوية الإسلامية! جاء على لسان أبا إيبان وزير خارجية إسرائيل عام 1967م في محاضرة له بجامعة بريستون الأمريكية بقوله: 'يحاول بعض الزعماء العرب أن يتعرف على نسبه الإسلامي بعد الهزيمة ، وفي ذلك الخطر الحقيقي على إسرائيل ، ولذا كان من أول واجباتنا أن نبقي العرب على يقين راسخ بنسبهم القومي لا الإسلامي'. وطبعاً من يدرس (بروتوكولات حكماء صهيون) يعي ما أقول له الآن! ولعله بدأ أخيراً أن الكفار ينسوا تماماً من تحريف ديننا ، فعمدوا إلى الحيلولة بين المسلمين وبينه ، والله أسأل أن يخيب مسعاهم! قال الرئيس الأمريكي الأسبق "ريتشارد نيكسون" في مذكراته بأنه: "ليس أماننا بالنسبة للمسلمين إلا أحد حلين: * الأول: تقتيلهم والقضاء عليهم. * والثاني: تذويبهم في المجتمعات الأخرى المدنية العلمانية". وصدق الله - تعالى - حين قال عن أعداء المسلمين: (إنهم إن يظهروا عليكم يرموكم أو يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا إذاً أبداً). وأسأل الله أن يقوم ديواني: (فأعضوه ، ولا تكنوا) بإحداث إفاقة للقراء ليعود بعدها الحق إلى نصابه والقوس إلى باربيها! وما لم يستوعبه القارئ من الغلاف ، فليستوعبه من القصائد فهي الأهم! والله الموفق لكل خير!

هذا الديوان

الحمد لله ، وأصلي وأسلم على خير خلق الله ، وعلى آله وأزواجه ومن والاه! يا رب لقد خاب من رضي من دونك بديلاً ، ولقد خسر من ابتغى عنك متحولاً. يا رب لا يطيب الليل إلا بمناجاتك ، ولا يطيب النهار إلا بخدمة عبادك ، ولا تطيب الدنيا إلا بذكرك ، ولا تطيب الآخرة إلا ببرك. يا رب يا ذا العزة والجبروت ، يا مالك الملك والملوك. يا من أمنت يونس في بطن الحوت ، ونجيت موسى في التابوت ، وحفظت الحبيب محمداً بنسج العنكبوت ، سبحانك أنت الحي الذي لا يموت. يا رب إننا نعوذ بك أن نقول قولاً فيه رضاك نلتمس به أحداً سواك ، ونعوذ بك أن يكون أحداً أسعد بما علمتنا منّا ، ونعوذ بك أن ننزى للناس بشيء يشيننا عندك ، ونعوذ بك أن نكون عبرة لأحد من خلقك. يا رب عجباً ممن يستحي من الخلق كيف لا يستحي من الحق ، عجباً لمن يسعى لإرضاء المخلوقين كيف لا يسعى لإرضاء رب العالمين أحسن الخالقين ، عجباً لمن يعرف جلال الله كيف يعرض عنه ، عجباً لمن يأكل رزق ربه كيف يشكر غيره؟! يا رب هذا دُلْنَا ظاهر بين يديك ، وهذا ضعفنا لا يخفى عليك ، فعاملنا بالإحسان إذ الفضل منك وإليك ، نطلب منك الوصول إليك ، ونستدل بك عليك ، اهدنا بنور وجهك ، وأقمنا بصدق العبودية بين يديك. يا رب قد عجز الطبيب فداونا ، يا رب قد عم الفساد فنجنا ، يا رب قلت حيننا فتولنا ، ارفع مقتك و غضبك عنا ، ولا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ، ولا تؤاخذنا بما فعل السفهاء من ، وتوفنا غير فاتنين ولا مفتونين. يا رب اغفر لنا ذنوبنا ، واستر عيوبنا ، واقبل توبتنا ، وأصلح قلوبنا ، وارحم ضعفنا ، وتول أمرنا ، وفك أسرنا ، وأحسن خلاصنا ، واستر عوراتنا ، وآمن روعاتنا ، وأمننا في أوطاننا ، وبلغنا مما يرضيك آماننا ، واختم بالصالحات أعمالنا ، وأعطنا ولا تحرمنا ، وأكرمنا ولا تهنا ، وآثرنا ولا تؤثر علينا ، أرضنا وارض عنا ، كن لنا ولا تكن علينا. يا رب هب لنا إيماناً صادقاً ، وعلماً نافعاً ، وقلباً خاشعاً ، وعملاً متقبلاً. اللهم أنت أحق من ذكر ، وأحق من عبد ، وأنصر من نصر ، وأراف من ملك ، وأجود من سئل ، وأوسع من أعطى ، أنت الملك لا شريك لك ، والفرد لا نذل لك ، كل شيء هالك إلا وجهك ، القلوب لك مفضية ، والسر عندك علانية ، الحلال ما أحلت والحرام ما حرمت ، والدين ما شرعت والأمر ما قضيت ، الخلق خلقك والعبيد عبيدك ، وأنت الله الرؤوف الرحيم. اللهم يا كاشف الأسرار ، يا مسيل الأستار ، يا واهب الأعمار ، يا منشئ الأخبار ، يا مولج الليل في النهار ، يا معافي الأخيار ، يا مُداري الأشرار ، يا مُنقذ الأبرار من النار ، والعار ، جذ علينا بصفحك عن زلاتنا ، كن لنا وإن لم نكن لأنفسنا لأنك أولى بنا. متعنا بالنظر إلى نور وجهك ، لا تهجرنا بعد وصلك ، ولا تبعدنا بعد قربك ، ولا تتركنا بعد روحك ، قد عادينا أعداءك فيك ، فلا تُشمتهم بنا لتقصيرنا في حقك ، ووالينا أصفياءك لك فلا توحشنا منهم لسهونا عن واجبك ، إنه لا عز إلا في الذل إليك ، ولا غنى إلا في الفقر إليك ، ولا أمن إلا في الخوف منك. اللهم اجعل حبك أحب الأشياء إلينا ، واجعل خشيتك أخوف الأشياء عندنا ، واقطع عنا حاجات الدنيا والشوق إلى لقائك ، وإذا أقررت أعين أهل الدنيا من دنياهم فأقرر أعيننا من رضوانك. اللهم اجعلنا نخشاك حتى كأننا نراك ، وأسعدنا بتقواك ، ولا تُشقتنا بمعصيتك ، وخر لنا بقضائك ، وبارك لنا في قدرك حتى لا نحب تعجيل ما أخرت ولا تأخير ما عجلت. إلهنا وربنا غرتنا زخارف الدنيا وأشغلتنا عن العمل للآخرة! ففرطنا كثيراً وأهملنا طويلاً ، وليس لنا رب غيرك يغفر الذنوب ويستر الغيوب! اللهم يا

علام الغيوب استر العيوب واغفر الذنوب! واقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك!
واجعلنا نخشاك في السر والعلانية وقنا الدنيا والهوى والشيطان والشهوة والعُجب والخلاء!

تأتمن زينة الدنيا ببغض	تكن عبداً إلى المولى حبيبا
فمن يخبر زخارفها يجذها	مخادعة لطالها حلوبا
وغض عن المحارم منك طرفاً	طموحاً يفتن الرجل الأريبا
فخاننة العيون كأسد غاب	إذا ما أهملت وثبت وثوبا
ومن يغضض فضول الطرف عنها	يجد في قلبه روحاً وطيبا
ولا تطلق لسانك في كلام	يجر عليك أحقاداً وحبوا
ولا يبرح لسانك كل وقت	بذكر الله رياناً رطيبا
وصل إذا الدجى أرخى سدولاً	ولا تك للظلام به هيوبا
تجد أجراً إذا أدخلت قبراً	فقدت به المعاشر والنسوبا
وصم مهمما استطعت تجده ريباً	إذا ما قمت ظمأناً سغبيا
وكن متصداً سراً وجهراً	ولا تبخلن ، وكن سمحاً وهوبا
تجد ما قدمت يدك سعداً	عليك إذا اشتكى الناس الكروبا
وكن حسن الخلق ذا حياء	طليق الوجه لا شكساً قطوبا
فيما مولاي جُذ بالعفو ، وارحم	عبيداً لم يزل يشكي الذنوبا
وسامح هفوتي ، وأجب دعائي	فإنك لم تزل أبداً مجيبا
وشفع في خير الخلق طراً	نبياً لم يزل أبداً حبيبا
هو الهادي المشفع في البرايا!	وكان بهم رحيماً مستجيبا
عليه من المهمين كل وقت	صلاة تملأ الأكوان طيبا

اللهم انفعنا بما قرأنا وكتبنا وعلّمنا! أنت ولي ذلك والقادر عليه! أنت العليم بحال كاتبه! لقد اعترض غير واحد من الراسخين في معرفتي على عنوان هذا الديوان: (فأعضوه ، ولا تكنوا) ، وندبوا إليّ أن أختار عنواناً آخر! وأنا أصررتُ على موقفي وطالبتهم بأن يرجعوا إليه في مظانه ، إذ إنه جزء من حديث لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهذا الجزء من الحديث يعبر عن المعنى الذي أريده بالفعل! وإذن فلا بد من تفصيل القول في حديث: "أعضوه بهن أبيه" والرد على من قال إنه من الفحش! ومهما اجتهد مثلي من المبتدئين ، فلن يكون كالشيخ محمد المنجد في الرد والتفنيد وإفحام الخصوم! وأنا رجل أتابع المنجد إلى ساعة كتابة هذا النص على مدي ثلاثة عقود من عمري فألفيته وبلا مبالغة ابن تيمية هذا الزمان قوة وجزالة وإخلاصاً وحُجة وإنصافاً ، ولا أركيه على الله تعالى! فالله حسيبه ووكيله! و فقط أقول: أحسبه هكذا! وأورد هنا السؤال والجواب! ويكاد المنجد تعرف فتواه من عناوينه كالبخاري! * السؤال: (سألني ملحد: كيف يتكلم الرسول عليه الصلاة والسلام بالألفاظ البذيئة! وهو نبي ، مثل قوله: (فأعضوه بهن أبيه) ، ويقرّ قول أبي بكر: "امصص بظر اللات" ، مع أنه عليه الصلاة والسلام: نهى عن الفحش والتفحش؟ فما الجواب المفصل بارك الله فيكم؟ * الجواب: (* أولاً: لا ينبغي للمسلم أن يلتفت لظن الطاعنين بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، فقد زكاه ربه تعالى في خلقه فقال: (وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ) ، فإذا كانت هذه تزكية رب السموات والأرض له صلى الله عليه وسلم: فكل طعن فيه لا قيمة له ، ولسنا نتبع نبياً لا نعرف دينه وخلقه ، بل نحن على علم بأدق تفاصيل حياته ، وقد كانت منزلته عالية حتى قبل البعثة ، وشهد له الجاهليون بكمال خلقه ، ولم يجدوا مجالاً للطعن فيها ، والعجب هو عندما يأتي ملحد قد سبَّ رب العالمين أعظم السب فنفى وجوده ، ثم هو يأتي ليطعن في أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم ، ويتهمه بالفحش والبذاءة ، ويعمى عن كمال خلقه ، وينسى سيرته وهديه ، وما أحقه بقول القائل الفذ: (وَهَبْنِي قُلْتُ هَذَا الصُّبْحُ لَيْلٌ أَيْعَمِي الْعَالَمُونَ عَنِ الضِّيَاءِ؟) * ثانياً: قد كان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أشد حياءً من العذراء في خدرها ، ومع بعثه بأعظم رسالة للعالمين ، وفيها أحكام لأدق تفاصيل الحياة ، إلا أنه في الأبواب التي لها تعلق بالعورة لا نراه إلا عَفَّ اللسان ، يستعمل أرقى عبارة ، ويتعد عن الفحش في الكلام ، ويوصل المقصود بما تحتويه لغة العرب الواسعة ، وذلك في أبواب متعددة ، مثل: قضاء الحاجة ، والاغتسال ، والنكاح ، وغير ذلك ، وقد تنوعت عباراته حتى إن الرجل ليستطيع التحدث بها أمام النساء ، ولعلنا نكتفي بمثال واحد يؤكد ما سبق ذكره ، وإلا فالأمثلة كثيرة جداً: عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ امْرَأَةً سَأَلَتْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ غُسْلِهَا مِنَ الْمَحِيضِ ، فَأَمَرَهَا كَيْفَ تَغْتَسِلُ ، قَالَ: (خُذِي فِرْصَةً مِنْ مَسِكَ فَتَطَهَّرِي بِهَا) ، قَالَتْ: كَيْفَ أَتَطَهَّرُ؟ قَالَ: (طَهَّرِي بِهَا) قَالَتْ: كَيْفَ؟ قَالَ: (سُبْحَانَ اللَّهِ تَطَهَّرِي) ، فَأَجْتَبَدْتُهَا إِلَيَّ فَقُلْتُ: تَتَّبَعِي بِهَا أَثَرُ الدَّمِ. رواه البخاري ومسلم. ومعنى (فرصة من مسك) أي: قطعة صوف أو قطن عليها ذلك الطيب المعروف. وفي رواية للبخاري: عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ قَالَتْ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كَيْفَ أَغْتَسِلُ مِنَ الْمَحِيضِ؟ قَالَ: (خُذِي فِرْصَةً مُمَسَّكَةً فَتَوْضِئِي ثَلَاثًا). ثُمَّ إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتَحْيَا ، فَأَعْرَضَ بِوَجْهِهِ ، أَوْ قَالَ: (تَوْضِئِي بِهَا) فَأَخَذْتُهَا فَجَدَّبْتُهَا ، فَأَخْبَرْتُهَا بِمَا يُرِيدُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. * ثالثاً: بخصوص الجواب عن الحديث المذكور في السؤال: فإننا ننبّه على أمرين قبل ذكر تفصيل الجواب: الأول: أن هذا اللفظ الوارد في الحديث لم يستعمله النبي صلى الله عليه وسلم في حياته ، وهو لم يكن لا ابتداء

الكلام به ، بل هو عقوبة لقائله ، أي: أنه شرع ردّاً على مرتكبٍ لمحرّم وهو التعصب الجاهلي. الثاني: أن ما يوجد في شرع الله تعالى من عقوبات وحدود إنما يراد منها عدم وقوع المعاصي والآثام التي تُفسد على الناس حياتهم ، فمن رأى قطع اليد عقوبةً شديدةً فليعلم أنه بها يحفظ ماله من أهل السرقة ، ومن استبشع الرجم للزاني المحصن فليعلم أنه به يأمن من تعدي أهل الفجور على عرضه ، وهكذا بقية الحدود والعقوبات ، ومثله يقال في الحد من التعصب الجاهلي للقبيلة ، والآباء ، والأجداد ، فجاء تشريع هذه الجملة التي تقال لمن رفع راية العصية الجاهلية ؛ لقطعها من الوجود ، ولكف الألسنة عن قولها ، وفي كل ذلك ينبغي النظر إلى ما تحققه تلك العقوبات والروادع من طهارة في الأقوال ، والأفعال ، والأخلاق ، وهذا هو المهم لمن كان عاقلاً ، يسعى لخلو المجتمعات من الشر وأهله. * رابعاً: أما الجواب التفصيلي عن الحديث الوارد في السؤال: فحين نذكر ألفاظ الحديث ، ثم نعقبها بشروح أهل العلم له. عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ أَنَّ رَجُلًا اعْتَرَى بِعِزَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَعَضَّهُ وَلَمْ يَكُنْهُ ، فَنَظَرَ الْقَوْمُ إِلَيْهِ فَقَالَ لِلْقَوْمِ: إِنِّي قَدْ أَرَى الَّذِي فِي أَنْفُسِكُمْ ؛ إِنِّي لَمْ أَسْتَطِعْ إِلَّا أَنْ أَقُولَ هَذَا ؛ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَنَا: (إِذَا سَمِعْتُمْ مَنْ يَعْتَرِي بِعِزَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَعَضُّوهُ وَلَا تَكْنُوا). رواه أحمد وحسنه محققو المسند. وَعَنْ أَبِي رَضِيٍّ أَنَّ اللَّهَ عَنَهُ أَنَّ رَجُلًا اعْتَرَى ، فَأَعَضَّهُ أَبِي بِنِ كَعْبٍ ، فَقَالُوا: مَا كُنْتَ فَحَاشَا؟ قَالَ: إِنَّا أَمَرْنَا بِذَلِكَ. رواه أحمد وحسنه محققو المسند ، وصححه الألباني في صحيح الجامع. قال أبو جعفر الطحاوي – رحمه الله -: ففي هذا الحديث أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن سَمِعَ يدعو بدعاء الجاهلية ما أمر به فيه. فقال قائل: كيف تقبلون هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنتم تروون عنه: (الحياء من الإيمان ، والإيمان في الجنة ، والبذاء من الجفاء ، والجفاء من النار)؟ قال: ففي هذا الحديث أن البذاء في النار ، ومعنى البذاء في النار هو: أهل البذاء في النار ؛ لأن البذاء لا يقوم بنفسه ، وإنما المراد بذكره من هو فيه. فكان جوابنا في ذلك بتوفيق الله عز وجل وعونه: أن " البذاء " المراد في هذا الحديث خلاف البذاء المراد في الحديث الأول ، وهو البذاء على من لا يستحق أن يُبذأ عليه! فمن كان منه ذلك البذاء: فهو من أهل الوعيد الذي في الحديث المذكور ذلك البذاء فيه ، وأما المذكور في الحديث الأول: فإنما هو عقوبة لمن كانت منه دعوى الجاهلية ؛ لأنه يدعو برجل من أهل النار وهو كما كانوا يقولون: "يا ل بكر يا لتميم يا لهدان". فمن دعا كذلك من هؤلاء الجاهلية الذين من أهل النار: كان مستحقاً للعقوبة ، وجعل النبي صلى الله عليه وسلم عقوبته أن يقابل بما في الحديث الثاني ؛ ليكون ذلك استخفافاً به ، وبالذي دعا إليه ، ولينتهي الناس عن ذلك في المستأنف ، فلا يعودون إليه. وقد روي هذا الحديث بغير هذا اللفظ ، فعن عتي بن ضمرة قال: شهدته يوماً - يعني: أبي بن كعب ، وإذا رجل يتعزى بعزاء الجاهلية فأعضه بكذا أبيه ، ولم يكنه ، فكان القوم استنكروا ذلك منه ، فقال: لا تلموني فإن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال لنا: (من رأيتموه تعزى بعزاء الجاهلية فأعضوه ، ولا تكنوا). ومعناه: معنى الحديث الذي قبله ؛ لأن معنى (من تعزى بعزاء الجاهلية): إنما هو من عزاء نفسه إلى أهل الجاهلية ، أي: إضافتها إليهم. "بيان مشكل الآثار" باختصار وتهذيب. وقال ابن تيمية – رحمه الله -: ولهذا قال من قال من العلماء إن هذا يدل على جواز التصريح باسم العورة للحاجة ، والمصلحة ، وليس من الفحش المنهي عنه ، كما في حديث أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من سمعتموه يتعزى بعزاء الجاهلية فأعضوه هن أبيه ولا تكنوا). رواه أحمد ، فسمع أبي بن كعب رجلاً يقول: يا فلان ، فقال:

اعضض أير أببيك ، فقييل له في ذلك فقال: بهذا أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم. "منهاج السنة النبوية". وقال ابن القيم - رحمه الله - عند التعليق على حديث أبي داود: أن رجلاً عطس عند النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (وَعَلَيْكَ السَّلَامُ وَعَلَى أُمَّكَ) -: ونظيرُ ذِكْرِ الأُمِّ هَاهُنَا: ذَكَرُ "هَنْ" الأب لمن تعزى بعزاء الجاهلية ، فيقال له: اعضضْ هَنْ أببيك ، وَكَانَ ذِكْرُ "هَنْ" الأب هَاهُنَا أَحْسَنَ تَذْكِيراً لِهَذَا الْمُتَكَبِّرِ بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ بِالْعَضْوِ الذِي خَرَجَ مِنْهُ ، وَهُوَ "هَنْ" أببيه ، فَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَتَعَدَّى طَوْرَهُ! كَمَا أَنَّ ذِكْرَ الأُمِّ هَاهُنَا أَحْسَنُ تَذْكِيراً لَهُ ، بِأَنَّهُ بَاقٍ عَلَى أُمَّيْتِهِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمِرَادِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. "زاد المعاد في هدي خير العباد". * خامساً: قد عمل كبار الصحابة بهذه الوصية ، ورأوا ذلك عقوبة وقعت على مستحقها ، ولم يروا ذلك مستقبلاً في شيء؟! وقد سبق ذكر قول أبي بن كعب راوي الحديث لها ، وقد قالها أيضاً أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، فقد قال عروة بن مسعود لما جاء مفوضاً عن المشركين في "الحديبية" للنبي صلى الله عليه وسلم: "فَأَنِّي وَاللَّهِ لَأَرَى وَجُوهًا ، وَأَنِّي لَأَرَى أَوْشَابًا مِنَ النَّاسِ خَلِيفًا أَنْ يَفِرُّوا وَيَدْعُوكَ" ، فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ: "امْصُصْ بَظَرَ اللَّاتِ ، أَنْحُنْ نَفْرًا عَنْهُ وَتَدْعُهُ" ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: أَبُو بَكْرٍ. رواه البخاري. قال ابن حجر: و"البظر": بفتح الموحدة ، وسكون المعجمة: قطعة تبقى بعد الختان في فرج المرأة. و"اللات": اسم أحد الأصنام التي كانت قريش وثقيف يعبدونها ، وكانت عادة العرب الشتم بذلك ، لكن بلفظ الأم ، فأراد أبو بكر المبالغة في سب عروة بإقامة من كان يعبد مقام أمه ، وحمله على ذلك ما أغضبه به من نسبة المسلمين إلى الفرار. وفيه: جواز النطق بما يستبشع من الألفاظ لإرادة زجر من بدا منه ما يستحق به ذلك ، وقال ابن المنير: في قول أبي بكر تخسيس للعدو ، وتكذيبهم ، وتعريض بالزامهم من قولهم: "إن اللات بنت الله!" تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، بأنها لو كانت بنتاً: لكان لها ما يكون للإناث. "فتح الباري". وقال ابن القيم - رحمه الله: وفي قول الصديق لعروة: "امصص بظر اللات": دليل على جواز التصريح باسم العورة ، إذا كان فيه مصلحة تقتضيها تلك الحال ، كما أذن النبي صلى الله عليه وسلم أن يصرح لمن ادعى دعوى الجاهلية بهن أببيه ، ويقال له: "اعضض أير أببيك" ، ولا يُكنى له ، فلكل مقام مقال. "زاد المعاد في هدي خير العباد". هـ. وإذن فهذا المعنى الذي أردته أننا يمكن أن نصف بأفحش الألفاظ من تطاول على التوحيد وجعل تقاليد الجاهلية فوق الإسلام! إن الهوية الإسلامية ما ضاعت اليوم ، ولا سقطت اليوم هيبة الأمة التي كان يخشاها كسرى وقيصر بالأمس ، ولا طمع فينا كلاب الأرض من الصهاينة وأذئابهم الرطبة ، إلا عندما لم نقل لأهل الجاهلية: (اعضض هن أببيك وامصص بظر أمك!) ، عندما رفعوا جاهليتهم على إسلامنا وسبوا النبي - صلى الله عليه وسلم - ورسموا رسوماتهم المشينة عنه! يقول الأستاذ خباب بن مروان الحمد الباحث الفلسطيني المعروف ما نصه: (فنحن نعلم جميعاً ما وصلته اليابان من قوة تقنية وصناعية لا ينكرها منكر، وتذكر جيداً أن اليابانيين حين ضربتهم أمريكا بالقنبلة النووية ودمرت ناجازاكي و هيروشيما ، رأوا أن من أسباب ضعفهم عدم قدرتهم على مواجهة الأمريكان ، وقلة المعلومات التقنية التي لديهم ؛ فأرادوا تحقيق المناعة واستقطاب المعلومات التي جهلونها فأرسلوا البعثات للتعلم في بلاد الغرب والنهل من علومهم الطبيعية ، حتى يرجعوا إلى اليابان وينقلوا إلى أرضها تلك التجارب الغربية الطبيعية فتنهض دولتهم ، وحين بعثت أول بعثة يابانية إلى دول الغرب رجعوا إلى بلادهم متحليين من مبادئهم ، ذائبين في

الشخصية الغربية ، فما كان من اليابانيين إلا أن أحرقوهم جميعاً على مرأى من الناس في طوكيو ، ليروا عاقبة من تنكر لأمته وقيمه ، ولم يرع المسؤولية التي أنيطت به ، وبعد ذلك أرسل اليابانيون بعثة أخرى وأرسلوا معها مراقباً يراقبهم أولاً فأول ، من ناحية ثباتهم على عقيدتهم وخصوصياتهم البوذية ، ومراقبة انهماكهم في استقطاب واجتذاب المعلومات التي يجهلونها لينقلوها في واقع بلادهم ، وتمضي الأيام وتكون اليابان من أكبر الدول التقنية في العالم أجمع ، بل والمنافسة والمسابقة لأمريكا وأوروبا في كثير من التخصصات التقنية. أليس في هذه القصة درس وعبرة بما يفعله الآخرون من غير المسلمين في الحفاظ على هويتهم، ومع ذلك وصلوا ونجحوا، وذلك لمحافظتهم على الخصوصية والهوية الخاصة بهم، فأولى بنا وبالأمة المشهود لها بالخيرية والوسطية بأن يكون أبناؤها خير أناس يحافظون على هوية الأمة الإسلامية ، ويرعون هويتهم حقاً رعايتها؟! هنالك نقطة ذات أولوية في نظري وتسهم في المحافظة على الهوية والخصوصية الإسلامية مما يسمى:(عولمة الثقافة) وإشعار هذه الأمة بخطورة هذه الفكرة، وأن فحواها ومحتواها طمس الخصوصية الإسلامية ، وإشغال الأمة المسلمة بما لدى الأمم الغربية والأمريكية على وجه الخصوص من ثقافات جديدة ، وإغراقهم في المستنقع الثقافي لما يسمى بالقرية الكونية! وإذا كانت وزيرة الثقافة الدنماركية اشتكت من هيمنة الثقافة الأمريكية ، وقالت: "لم يعد يحتمل هذا الغزو"! وإذا كان الرئيس الفرنسي السابق (فرانسوا ميتيران) وقف يخاطب في الجموع المحتشدة محدثاً من تفشي ظاهرة لبس الجينز بين الشباب الفرنسي لأنه مظهر من مظاهر الغزو الأمريكي) ، فإنا بوصفنا مسلمين يلزمنا ، أن نحذر من ذلك ونكون أشد إصراراً على المحافظة على هويتنا وخصوصياتنا وقيمنا ، وعدم التشبه والافتداء بأعداء الإسلام ، كيف ورسولنا - صلى الله عليه وسلم - حذرنا من ذلك وقال: (من تشبه بقوم فهو منهم) أخرجه أحمد وجود إسناده ابن تيمية وحسنه ابن حجر).هـ. وأظن أنه قد وضح الآن لماذا هذا العنوان لهذا الديوان؟ ذلك أن الرهان اليوم على الهوية الإسلامية وعلى الاستعلاء الإيماني! وتحت عنوان: (عزة المسلم بإيمانه) يقول الشيخ تركي بن علي الميمان ما نصه: (وما زال الإسلام ينتشر وينتصر حتى امتدت الفتوحات الإسلامية إلى مشارق الأرض ومغاربها ، ودك المسلمون قصور كسرى وقيصر مهللين مكبرين رافعين رؤوسهم ؛ لأنهم قالوا: لا إله إلا الله ، وهي قولة حق وصدق وإخلاص ، فعملوا بمقتضاها ، ولم يرتكبوا ما يناقضها ، فأعزهم الله ورفع شأنهم. وهكذا كان أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومن جاء بعدهم من التابعين وتابعيهم حتى صارت الأمة الإسلامية هي القائدة وهي الرائدة بين الأمم. أما اليوم أصبح الكفار يتكلمون فنسمع ، وأصبح أعداء الإسلام يحاربوننا بالغزو الفكري ، وبالأفكار الجاهلية ، وبالتبشير وغيره ، ونحن ننظر! فلماذا تغيرت الصورة؟ لأننا حتى الآن ما اعتصمنا بالله وبهذا الإيمان حق الاعتصام ؛ ولأننا حتى الآن لا يزال فينا ويوجد بيننا ومن يتكلم بلغتنا من يبحث عن العزة في القوميات الجاهلية والقوانين والأنظمة الجاهلية. إن العزة لا تكون إلا بالله ، والعزة لا تكون إلا بالصراط المستقيم الذي بينه لنا رسول الهدى - صلى الله عليه وسلم -. فما هو هذا الإيمان الذي به عزة المؤمنين؟ لقد بينه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لنا بياناً واضحاً: أن نسير على هذا الإيمان وفق منهج أهل السنة والجماعة أصحاب الرسول - صلى الله عليه وسلم - والتابعين لهم وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين. وإن الإيمان الذي به عزة المسلمين هو الإيمان الذي يولد عملاً ، وليس إيمان النفاق ، ولا إيمان

المجاملات الباردة في دين الله ، إنه الإيمان الذي يحرك الغيرة في قلب العبد المؤمن إذا رأى حرمان الله تنتهك ، إنه الإيمان الذي يجعل الإنسان لا يسير في هذه الحياة وكأنه أبله لا يفقه من أموره شيئاً ، بل ينظر ماذا يخطط له الأعداء ويتدبر ، فينظر ماذا يريد الأعداء في حربهم للمسلمين فيقف في وجوههم ، وينظر ماذا يريد المنافقون وأذئابهم فيقف ضد مخططهم ، هذا هو الإيمان الذي به العزة والرفعة والمكانة للأمة الإسلامية. فالإيمان الذي نريده ، هو الإيمان القائم على العبادة الخالصة لله الواحد القهار الملك الجبار الذي بيده ملكوت كل شيء ، فهو الذي يحيى ويميت وهو الذي يذل ويعز ، وهو الذي بيده الأمر كله ، وحياتنا وأرزاقنا وأجالنا وأمراضنا كلها بيد الله - سبحانه وتعالى - ، فالإيمان الحق هو الذي يجعل العبد يخلص في جميع أمور العبادة لله وحده لا شريك له. والإيمان الذي به العزة هو الذي يجد العبد طعمه وحلاوته في أموره وحياته كلها ، كما قال المصطفى - صلى الله عليه وسلم - : "ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ ، مَنْ كَانَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعْوَدَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَذَّفَ فِي النَّارِ" (رواه مسلم). هـ. والحل في هذا كله هو الاعتزاز بالإسلام وإعلان الولاء لله ولرسوله وكتابه! يقول الدكتور محمد العريفي في محاضراته القيمة (الاعتزاز بالإسلام) ما نصه: (إن من آمن بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد نبياً ورسولاً ، سما بشخصيته ، وأعلن ولاءه لدينه ، واعتز بعقيدته ، عزة العلم والإيمان ، وليست عزة الإثم والعدوان. أما النفس الذليلة فلا تصلح لعمل ، ولا يرجى منها خير ، إلا إذا تخلت عن أسباب هذه الذلة ، وعرفت أن الحياة الكريمة لا تكون إلا بالإقدام على الله وبذل النفس في مرضاته. ولكي يملأ الإسلام حياتنا بمعنى العزة ، تبدأ كلمات الأذان بكلمات يقول فيها المؤذن على ملام من الناس: «اللهم أكبر ، الله أكبر» ، فالله أكبر من كل كبير ، وأكبر من كل عظيم ، وأكبر من كل قوي ، وأكبر من كل غني ، فهو وحده الكبير المتعال ، فإيا من تطلب العزة أو الحياة أو المال أو الجاه من غني فالله أكبر من الغني ، وإيا من تطلب العزة من عظيم ، فالله أكبر منه مهما عظم. ففي كل أركان الصلاة شرع الله أن نردد في حال الانتقال من ركن إلى ركن بقولنا: «الله أكبر» ، فإذا ركعت تقول: «سبحان ربي العظيم» ، فلا عظيم إلا الله ، وإذا سجدت تقول: «سبحان ربي الأعلى» فلا أعلى على الخلق إلا الله. فهذا يورث كمال العزة والكرامة التي يعرف الإنسان بها قدره ، وأن العظمة لله وحده ، وأنه لا استعلاء لأحد من البشر. كل هذا ليوثق المسلم يقيناً لا يهتز ولا يزول ، أن كل متكبر بعد الله صغير وأن كل متعظم بعد الله حقير ، فكأن هذا النداء يرد الناس إلى الصواب كلما أطاشتهم الدنيا وضللتهم متاهاتها الطامسة « فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ * فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لَنُنذِرَ فِيهِمْ وَعَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ». لذلك فإن المسلم لا يعتز إلا بالله ، ولا يستمد القوة والغلبة والنصرة إلا منه. فالعزة بالله هي العزة الحقيقية الدائمة الباقية ، والعزة بغيره مذلة. عن طارق بن شهاب قال: «لما قدم عمر بن الخطاب الشام عرضت له مخاضة ، فنزل عمر عن بعيره ، ونزع خفيه - أو قال موقيه - ثم أخذ بخطام راحلته وخاض المخاضة. فقال له أبو عبيدة بن الجراح: لقد فعلت يا أمير المؤمنين فعلاً عظيماً عند أهل الأرض ، نزعت خفيك وقدت راحلتك وخضت المخاضة. قال: فصك عمر بيده في صدر أبي عبيدة وقال: أوه ، لو غيرك يقولها يا أبا عبيدة ، أنتم كنتم أقل الناس فأعزكم الله بالإسلام

فمهما تطلبوا العزة بغيره يذلكم الله عز وجل» (رواه الحاكم في المستدرک والبيهقي في الشعب).
لقد بين القرآن الكريم طريق العزة فقال تعالى: «مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ
الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ» ، قال ابن كثير - رحمه الله - : «من كان يحب أن يكون عزيزاً
في الدنيا والآخرة فليلزم طاعة الله ، فإنه يحصل له مقصوده ؛ لأن الله تعالى مالك الدنيا والآخرة
وله العزة جميعاً» ، قال تعالى: « قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ
تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » ، يُعَقِّبُ الإمام ابن كثير
على هذه الآية فيقول: «أي أنت المعطي ، وأنت المانع ، وأنت الذي ما شئت كان ، وما لم تشأ لم
يكن». وبهذا نعلم أن العز الحقيقي إنما يكون بالقيام بطاعته سبحانه واتباع رسله ، والذل الحقيقي
إنما يكون بمعصيته. وإن وُجد مع أهل المعاصي عز ظاهر ، وانتفاش دنيا ، فإن ذلك محشو بالذل
والهوان ، قد يشعر به صاحبه ، وقد تغلب عليه السكره ، فلا يشعر به. فمن أطاع الله واجتنب
معاصيه أعزه الله تعالى ، فمع كل طاعة عز وتكريم ، ومع كل معصية ذل ومهانة! وقد ربط الله
سبحانه العز بالطاعة ، فهي طاعة ونور ، وربط الله سبحانه الذل بالمعصية ، فهي معصية وذل
وظلمة وحجاب بين العاصي وبين الله تعالى. قد يعتز الإنسان بقوة البدن فيأتيه المرض فيهدده هدأً ،
وقد يعتز بالمال فإذا غول قاتل ، وقد يعتز بالنسب والحسب فيأتيه الضياع من كل مكان ، وقد
يعتز بالعلم فلا يزيده العلم إلا انحرافاً ، وقد يعتز بالمنصب والجاه والقوة والجبروت ، فتدور عليه
الدوائر فيصبح أذل الأذلاء. إن اعتزاز البشر بأجناسهم وألوانهم ولغاتهم وأنسابهم وأموالهم هي
عزة جوفاء على شفا جرف هار ، تستمد زيفها من تصورات خاطئة ، وقيم زائلة زانفة. أما
الاعتزاز بالله فباق دائم ، لا يحول ولا يزول ، ولذلك قال تعالى: «وَاللَّهُ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ
وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ». هذه العزة هي الحصن القوي أمام المتعالمين بالثروة ، أو المفاخرين
بالنسب ، أو المكاثرين بالعدد ، أو المزهوين بالقوة ، أو غير ذلك من أعراض الدنيا. إن أخطر ما
يصيب الأمة الإسلامية روح الهزيمة النفسية ، وضعف الهمة الذي يولد الانحطاط والتقهقر
والتخلف. إن الأمة الإسلامية - وهي تعيش في ظل هزيمة نفسية - بحاجة إلى أن تثبت في نفوس
أبنائها معاني العزة ، تعمقها في شخصياتهم ، وتصل بها فكرهم ورأيهم ، وترفع بها ذكركم ،
وتدفعهم بها نحو المعالي والسؤدد والشموخ. يشعر المؤمن الذي تعلق قلبه بالله أنه عزيز بتلك
القوة المستمدة من العبودية الحقة لله ، فهو الإله الخالق الرازق الضار النافع المحيي المميت ،
المالك للأمر كله بلا شريك ، ومن ثم لا يعود يخشى الأشياء ولا الأشخاص المتجبرين ، يرفض
المساومة على الشرف والكرامة ، لأنه يعلم أن الله هو المدبر الحقيقي لكل ما في هذا الكون). هـ.
وأظن أنه قد أن الأوان لكل مسلم معتز بإسلامه أن يستعلي على الجاهلية وأهلها وقيمها وموازينها
وعاداتها وتقاليدها وأعرافها ليقول لمن يعتزون بغير الإسلام ويدينون بالولاء ويرفعون شعاراتهم
ويلقون صورهم هنا وهناك: (اعضض هن أبيك يا فلان!) حتى ينتهي ذلك الفلان عن التعزي
بدعوى الجاهلية ويتخذ الإسلام عنها بدلاً لا ينشد العزة ولا المجد ولا السؤدد في سواه مطلقاً
مهما كانت التحديات والإغراءات والمنعطفات!

لن أحلف بالله كاذباً!

(هناك في ساحة المحكمة ، وأمام القضاة والناس ، استيقظ ضمير المدعي عليه عندما وجّه إليه القاضي الطلب بالحلف بالأيمان المغلظة أمام الناس ، أنه لم يتقاض من المدعي مبلغاً وقدره (136000 درهم) ، الأمر الذي ظلّ ينكره في جلسات سبقت. والحال أن المدعي بهذا المبلغ عليه ليس يملك بيّنة ولا دليلاً ولا شيئاً من أوراق ثبوتية على الإطلاق. ومن هنا فالقاعدة تقول بالزام المدعي عليه باليمين الحاسمة (البيّنة على من ادعى ، واليمين على من أنكر) ، وكانت هذه الجلسة هي الختامية الفيصلية. إذ أمره القاضي بوضع يده على القرآن وذلك استعداداً لتلاوة اليمين المغلظة ، بعد أن وعظه القاضي وبيّن له أنها إن كانت يميناً كاذبة ، فعقوبتها عند الله أن يُغمس صاحبها في النار ، ومن هنا أخذت اسمها (اليمين الغموس) ، وذلك لأنه لا كفارة لها ، وبيّن له القضاة والمستشارون بأنه لا يزال صغيراً في السن ، وأنه إن بدأ حياته بهذي اليمين الكاذبة ، فسوف يعاقبه الله تعالى ، ولن يكون تالي عمره بأفضل من مقتبله ، بل سوف يحيا في كوارث ومنعطفات سيئة مُسيئة بشؤم اليمين الغموس تلك. وقد اتفق البخاري ومسلم على حديث ابن مسعود - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم قال: (من حلف على مال امرئ مسلم بغير حقه ، لقي الله وهو عليه غضبان ، قال ابن مسعود: ثم قرأ علينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مصداقه من كتاب الله عز وجل: (إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكّيهم ولهم عذاب أليم). وروى البخاري من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (الكبائر: الإشراف بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس واليمين الغموس). وهنا استيقظ ضميره ، وعادت له شهامته ، وقوي إيمانه ، ونشط الوازع الديني فيه من عقاب الشيطان وعقده وتزيينه ووسوسته ، فقال في ثقة المؤمن وإيمان الواثق:- (يا سيدي لن أحلف بالله كاذباً) ، فهتفت الحاضرون وفرحوا وكبروا. وفرح القاضي ، ووعده خيراً مادام قد صدق. وسرّ القضاة والمستشارون بذلك ، حيث أثمرت كلماتهم في وعظ ذلك المتهم قبل اليمين. وتخويفه بالله وبالقيامة وبالقبر وبالنار. وأما المدعي فقد طالبه بنصف المبلغ مُسقطاً النصف الآخر عنه ابتغاء مرضاة الله ، وزاد القاضي التيسير على ذلك المتهم الصادق ، فحمل المدعي بقبول شفاعة القاضي بتقسيط المبلغ المطلوب سداده على 18 شهر بواقع 1000 درهم كل شهر ، فوافق بعد جدال عميق وأخذ ورد ومد وجزر ، مكافأة له على صدقه أمام الجموع الغفيرة من الناس. وزاد القاضي رجاءً أخيراً هو أن لا يتعمد المدعي إلحاق الضرر بالمدعي عليه! فوافق ودعا له الكل بالبركة في المال والرزق الحلال! وكنّت حاضراً مع آخرين في هذه الجلسة ، فأنشدت حكاية على لسان ذلك الشاب الذي عظم يمين الله ، وأبى أن يحلف به كاذباً من أجل المال! فقلت من شعري:)

أنكرت أخذني الذي أعطيت إنكارا وكم - على سلبه - أصررت إصرارا!
وكم تماديت - في التدليس - دون حيا! وكنت - في الغش والتزوير - ديارا
وعشت أخدغ من حولي بلا وجل وكم نسجت عن الأخلاق أخبارا!

ولم أجد بينهم - في البأس - أنصارا
يوماً ، وما التمسوا - للوبش - أعذارا
وعنه ذاعوا أحاديثاً وأسراراً
تستوجبُ الخزي والتجريح والعارا
فَعَشَرْتُ مُفْتَقِدًا أَهْلًا وَسُمَرًا
فبانت يشكو النوى والخلق والدارا؟
فأشهرَ الزيفَ - بين الناس - إشهارا؟
فأسدلتُ - فوق ما تأتيه - أستارا؟
فكم أتى بِدَعَا تُزْرِي وَأوزارا!
يوماً سـيدفعُ أرزاءً وأخطارا
وأظهرَ الحق ما زخرفتُ إظهارا
حتى استسغتُ الخنا والخزي والعارا
بالله ، من بعد أن أنذرتُ إنذارا
منها الدموغُ غدت تنسابُ أنهارا
وأكبرَ الكلُّ هذا الحثَّ إكبارا
فكيف أنكرُ ما أعطيْتُ إنكارا؟
أقولُ ذلك كيلا أدخل النارا
أو شاء سامحٌ إحساناً وإيثارا

وملني الناسُ ، لَمَّا عاينوا كذبي
تفرَّقوا عن كذوب ليس يصدِّقهم
وفاصلوه بلا إذن ولا أسفٍ
وزايلوه ، وجدوا في مقاطعةٍ
فقلتُ: أحياب بلا خيل يُسامرني
ما العيشُ إن ملَّتِ الإنسانَ صُحبته
ما العيشُ إن جثمتُ في القلب غفاته
ما العيشُ إن غلبتُ نفسي هواجسها
ما العيشُ إن شقيتُ روعي بصاحبها؟
كم انجذبتُ - إلى التلفيق - أحسبه
كم اخترعتُ أباطيلاً مُزخرفة!ْ
وكم فضحتُ - بما نمقتُ - من شُبهه
واليومَ يُطلبُ مني - في الملا - قسَم
لقد سمعتُ - بأذن القلب - موعظة
والناسُ حولي بكوا من فرط لهجتها
والجو صمتتُ سوى أناتٍ من وعظوا
أقول: والله دعوى الخصم صادقة
إن شاء عاقب ، والبرهانُ يخدمه

جنة الفردوس

(مهما كتب الكاتبون عن الجنة ونعيمها وصفة أهلها وساكنيها وحورها وفاكهتها ومائها وعسلها وخمرها ولبنها وظلالها وأنهارها وأشجارها وحُلِيِّها وفرشها ولباسها وكلام أهلها والملائكة فيها ، فإنهم يكتبون في إطار: (ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر). ومن هنا تأتي كلماتهم وقصائدهم تقريبية فقط. والسبب أنهم لم يروا الجنة لتكون كلماتهم انعكاساً لما رأوا. والحقيقة التي يجب أن ندركها اليوم أن كل نعيم دون الجنة حقير ، وكل بلاء دون النار عافية. وأن الغمسة الواحدة في الجنة تنسي صاحبها شقاء الدنيا كله ، وأن غمسة واحدة في النار تنسي صاحبها نعيم الدنيا كله. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها ، ولقاب قوس أحدم أو موضع قدمه في الجنة خير من الدنيا وما فيها ، ولو اطلعت امرأة من نساء أهل الجنة إلى أهل الأرض لمألت ما بينهما ريحاً ، ولأضاعت ما بينهما ، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها". صحيح الجامع. وعن سهل ابن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: شهدت من رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلساً وصف فيه الجنة. حتى انتهى. ثم قال صلى الله عليه وسلم في آخر حديثه فيها ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ثم اقتراً هذه الآية: (تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون* فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون). صحيح مسلم. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن في الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة ، عرضها ستون ميلاً في كل زاوية منها أهل ما يرون الآخريين ، يطوف عليهم المؤمنون ، وجنتان من فضة ، أنيتهما وما فيهما ، وجنتان من كذا ، أنيتهما وما فيهما ، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبر على وجهه في جنة عدن". صحيح البخاري. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "قلنا يا رسول الله ما لنا إذا كنا عندك رقت قلوبنا وزهدنا في الدنيا وكنا من أهل الآخرة ، فإذا خرجنا من عندك فأنسنا أهاليها وشممنا أولادنا ، أنكرنا أنفسنا؟! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أنكم تكونون إذا خرجتم من عندي كنتم على حالكم ذلك لزارتكم الملائكة في بيوتكم ، ولو لم تُذنبوا لجاء الله بخلق جديد كي يُذنبوا فيغفر لهم. قال: قلت: يا رسول الله مم خلق الخلق؟ قال: من الماء. قلت: الجنة ما بناؤها؟ قال: لبنة من فضة ولبنة من ذهب ، وملاطها المسك الأذفر وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت وتربتها الزعفران من دخلها ينعم لا يبأس، ويخلد لا يموت ؛ لا تبلى ثيابهم ولا يفنى شبابهم. ثم قال: ثلاث لا ترد دعوتهم: الإمام العادل ، والصائم حين يفطر ، ودعوة المظلوم يرفعها فوق الغمام وتفتح لها أبواب السماء ، ويقول الرب تبارك وتعالى: وعزتي لأنصرك ولو بعد حين". صحيح الترمذي. روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة ما يقطعها ، وأقروا إن شئتم: (وظل ممدود) ، ولقاب قوس إحدكم في الجنة خير مما طلعت عليه الشمس أو تغرب). أما الدنيا فلسْتُ أدري لماذا يبيع بعض الناس آخرتهم من أجل دنياهم وقد علموا زوالها وحقارتها؟ قال القرطبي في تفسيره للآية الكريمة: (لقد خلقنا الإنسان في كبد): (أول ما يكابد الإنسان قطع سرته ، ثم إذا قُط قماطاً ، وشد رباطاً يكابد الضيق والتعب ، ثم يكابد الارتضاع ولو فاتته لضاع ، ثم يكابد نبت أسنانه ، وتحرك لسانه ، ثم يكابد الفطام الذي هو أشد من اللطام ، ثم

يكابد الختان والأوجاع والأحزان ، ثم يكابد المعلم وصولته والمؤدب وسياسته والأستاذ وهيبته ، ثم يكابد شغل التزويج والتعجيل فيه ، ثم يكابد شغل الأولاد والخدم والأجناد ، ثم يكابد شغل الدور وبناء القصور ثم الكبر والهرم وضعف الركبة والهرم في مصائب يكثر تعدادها ونوائب يطول إيرادها من صداع الراس ووجع الأضراس ورمد العين وغم الدين ووجع السن وألم الأذن ، ويكابد محناً في المال والنفوس مثل الضرب والحبس ، ولا يمضي عليه يوم ولا يقاسي فيه شدة ولا يكابد إلا مشقة ، ثم الموت بعد ذلك كله ، ثم مساءلة الملك وضغطة القبر وظلمته ، ثم البعث والعرض على الله ، إلى أن يستقر به القرار إما في الجنة وإما في النار). فالفوز كل الفوز لمن كان من أهل الجنة ، والخسران كل الخسران لمن حرم نفسه بشقوته دخول الجنة وإنما أوبق نفسه بدخول دار الإهانة (النار) أعاذنا الله منها. وكان الباعث عن كتابتي عن الجنة أحد الأناشيد الجميلة التي مطلعها: (أن تدخلني ربي الجنة) فقلتُ إذا كنت أريد بشعري الجنة فينبغي أن أكتب عنها شعراً!

نِعَمَ الْفَضْلُ ، وَنِعَمَ الْمِنَّةُ	أَنْ يَدْخُلَكَ اللَّهُ الْجَنَّةَ!
وَتَرَى مَا لَا عَيْنٌ نَظَرَتْ	وَيُكَذِّبُ مَنْ يَنْظُرُ عَيْنَهُ
وَتَعْيِ مَا لَا أذُنٌ سَمِعَتْ	عَنْهُ ، وَلَمَّا تَدْرِكُ شَأْنَهُ
تلك - على قلب - ما خطرَتْ	بل هي - من مولانا - مِنَّةُ
في الجنة رؤية بارينا	ونلاقي - فيها - هاديننا
وملائكة الله تهنيي	وتقابلنا ، وتحييننا
وحوالينا رسول المولى	تبعث نور الفرحة فينا
والشهداء - لهم - دندنة	والخُور العيين تُسَلِّيننا
في الجنة أنهار حلوة	هي - للشارب - أنقى سلوة
من ماءٍ لم يأسنْ أبداً	أو كوثرها بييد الأسوة
أو لبن طعمته طابت	أو خمير لذتها حلوة
يا رب أدقنا لذتها	واسـتـجب المأمـل والدعوة

في الجنة فأكهة ينعث
 ونخيل تعقب رماناً
 وحوار ماست بشراً
 وخيام الحور مزرکشة
 وخالي الجنة من ذهب!
 والثوب حريراً مخضراً
 ولهم لحم الطير طعام
 ومزاج الكافور شراب
 والكلمات صدى وتحايا
 لا تاتيم ، ولا لاغية
 بل تسليم وتسابع
 ونفوس زكاهما المولى
 رب الناس ارزقنا المأوى
 عقبى أهل الخير جميعاً
 نحو الجنة دون ترو
 فانعمل ، ولنخلص حتى
 ومن الأكل بعد اقتربت
 وحدائق زينت ، وابتشرت
 بل صينت ، وعلينا قصرت
 والحور - على البسط - اتكأت
 ولألى تأسر عن رغب
 يذهب رونقه بالكرب
 مما يرغب أهل القرب
 بعد زواج الغيد العرب
 تعكس أخلاقاً وسجايا
 إن اللغو أذى وخطايا
 بقلوب سلمت ، ونوايا
 في أسعد قوم وبرايا
 إن الجنة خير المأوى
 فلنستيق - اليوم - الخطوا
 سعياً ، أو جرياً ، أو حبوا
 ندخل في الآخرة المأوى

من الهاوية إلى بر الأمان

(في جريدة عكاظ (السعودية) العدد 8641 يحكي هذا المدمن قصته ، فيقول: (كان المنعطف الأول في حياتي في سن مبكر جداً حيث كان عمري آن ذاك ست سنوات لا غير ، وقبل أن أعي الحياة وأدركها كما ينبغي صحوت على (مأساة عائلية). لقد طلق والدي أمي ، وانفصلت عنه ، ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل ازداد الأمر تعقيداً حينما قررت أمي أن تتزوج ، واختار أبي زوجة أخرى ، فأصبحت تائهاً مشتتاً ضائعاً بين الاثنين ، وكما يقولون: (أمران أحلاهما مر) ، فعند أبي كنت أقابل بمقابل زوجة أبي ، أما عند أمي فكان زوج أمي يكشر عن أنيابه دائماً في وجهي ، ومن الطريف أنني كنت دائماً حاضراً عند كليهما ، فكنت الحاضر الغائب ، والموجود المفقود. ومع هذه الظروف العائلية غير الطبيعية ، ومع النفكك والاضمحلال الأسري ، سقطت في هوة الإدمان مع رفقاء السوء ، ووجدت معهم الملاذ الذي افتقدته ، والعطف والاهتمام الذين حرمت منهما ، طبعاً لم يكن عطفًا واهتماماً خالصاً لوجه الله ، إنما كان من أجل الوصول إلى أغراضهم الخبيثة. أصبحت أقضى معظم وقتي مع أولئك الأشرار ما بين شرب وتعاطٍ وإدمان ، وحينما يسألني أبي أين كنت؟ أقول له عند أمي ، وحينما تستفسر أمي عن غيابي ، أقول لها: كنت عند أبي ، وهكذا يظن كلاهما أنني موجود ، وكنت مفقوداً. ويعتقد كلاهما أنني حاضر ، وكنت في تلك الأثناء الغائب الوحيد عن الحياة الساقط في التيه والضياع. كان هذا هو المنعطف الذي ألقى بي في هاوية الإدمان ، ولكن كيف خرجت إلى شط الأمان؟ تلك قصة أخرى سأرويها لكم: ففي ليلة من الليالي ، وبعد سهرة تطايرت فيها الرؤوس ، وتلاعبت بها المخدرات ، خرجنا من (الوكر) لكي نتنفس الهواء العليل ليزيدنا طرباً على طرب! ونشوة إلى نشوة! وبينما كنا في سعادة وهمية غامرة ، وغيابات كاذبة ، إذ بالسيارة تنقلب عدة مرات. كنا أربعة من الشياطين داخل السيارة ، ولم يبق إلا أنا نجوت بأعجوبة. بفضل الله تعالى. ومكثت في المستشفى عشرة أيام كاملة مابين الحياة والموت ، غيبوبة كاملة تماماً ، كتلك التي كنت أحيها من قبل. وأفقت من الغيبوبة الصغرى عقب الحادث ، على حقيقة الغيبوبة الكبرى التي كنت أحيها ، واكتشفت نفسي من جديد ، وشعرت بالإيمان بعد أن مات الإحساس لدي ، وعدت إلى الله ضارعاً مستغفراً حامداً شاكرًا ، لأنه تولاني وأنقذني من موتتين: موت السيارة ، وموت الإدمان ، وخرجت من المستشفى إلى المسجد مباشرة ، وقطعت كل صلتي بالماضي ، وأحمد الله أنني دخلت المسجد بدلاً من السجن ، والقرآن الكريم هو أوفى صديق لي ، لأنه يلازمي والأزمه. هذه قصتي باختصار ، وأنصح إخواني الشباب وغيرهم بالحذر من رفقاء السوء ، الذين يلبسون للناس جلود الضأن من اللين ، ألسنتهم أحلى من العسل ، وقلوبهم قلوب الذئاب ، كما أنصحهم بالبعد عن المخدرات فإنها رأس كل خطيئة! والله الموفق).هـ. وقال الحسن البصري: للمؤمن أربع علامات: كلامه ذكر ، وصمته تفكر ، ونظره عبدة ، وعلمه بر ، وكان بعض الصالحين يقول: إنني لأخرج من منزلي ، فما يقع بصري على شيء إلا رأيت لله علي فيه نعمة ، ولي فيه عبدة. فهنيئاً لمن تفكر واعتبر ، وتذكر واتعظ. والحكاية على السنة الحيوانات والنباتات كانت سبيلاً إلى التعبير في مرحلة من المراحل! فهيا بنا ندرك من حكاية الأسد مع الثعلب والأرنب والضبوع! خرج الأسد بصحبة ثعلب وضبع في رحلة صيد فاصطادوا حماراً وظبياً وأرنباً! فقال الأسد للضبوع: اقسم بيننا! فقال: الأمر هين ، الحمار لك ، والظبي لي ، والأرنب للثعلب!

فَضْرِبَهُ الْأَسَدُ ضَرْبَةً قَضَتْ عَلَيْهِ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى الثَّعْلَبِ وَقَالَ لَهُ: إِنَّ هَذَا الْخَائِنَ لَمْ يَحْسُنِ الْقِسْمَةَ فَاقْسِمِ أَنْتَ! فَقَالَ: يَا أَبَا الْحَارِثِ الْأَمْرُ بَيْنَ ، الْحِمَارِ لِعِذَانِكَ وَالظَّبْيِ لِعِشَانِكَ وَكُلُّ الْأَرْنَبِ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ! فَقَالَ الْأَسَدُ: مَا أَحْسَنَ قِضَاءِكَ؟ مَنْ عَلِمَكَ هَذَا؟ فَقَالَ: عَلِمْنِيهِ مَوْتُ هَذَا الْخَائِنِ ، وَالْعَاقِلُ مِنْ وَعَظَ بَغْيِرَهُ! تَرَى مَا أَحْجَجْنَا هَذِهِ الْأَيَّامَ لِأَنَّ نَتَعَطَّ مِنْ غَيْرِنَا وَبَغْيِرِنَا! وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: لَمَّا كَانَ لَيْلَةً مِنَ اللَّيَالِي قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا عَائِشَةُ ذُرِينِي أَتَعْبُدِ اللَّيْلَةَ لِرَبِّي» ، قَالَتْ: وَاللَّهِ إِنِّي لِأَحْبَبُ قَرَبِكَ ، وَأَحَبُّ مَا سَرَكُ ، قَالَتْ: فَاقَامَ فَتَطَهَّرَ ثُمَّ قَامَ يَصَلِّي ، فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَ جَجْرَهُ - أَيِ ثَوْبِهِ - ثُمَّ بَكَى فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَ لِحِيَّتِهِ ، ثُمَّ بَكَى فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَ الْأَرْضَ ، فَجَاءَ بِلَالٌ يُوذِنُهُ بِالصَّلَاةِ ، فَلَمَّا رَأَاهُ يَبْكِي قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَ تَبْكِي وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقْدِمُ وَمَا تَأْخُرُ؟ قَالَ: «أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا؟ لَقَدْ نَزَلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةُ آيَةً وَيْلٌ لِمَنْ قَرَأَهَا وَلَمْ يَتَفَكَّرْ فِيهَا: (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ). وَالْحَقُّ أَنَّ الْعَاقِلَ مِنْ وَعَظَ بَغْيِرَهُ وَالشَّقِيَّ مِنْ وَعَظَ بِهِ غَيْرَهُ! وَكَانَ ابْنُ مَسْعُودٍ يَقُولُهَا فِي آخِرِ خُطْبَةِ الْحَاجَةِ كَمَا فِي لَفْظِ الطَّبْرَانِيِّ فِي الْمَعْجَمِ الْأَوْسَطِ: "فَأَحْسَنُ الْهُدْيِ هُدْيَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَصْدَقُ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ ضَلَالَةٌ إِلَّا إِنَّ الشَّقِيَّ مِنْ شَقِيٍّ فِي بَطْنِ أُمَّهِ ، وَإِنَّ السَّعِيدَ مَنْ وَعَظَ بَغْيِرِهِ". وَيَقُولُ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: الْفِكْرَةُ مِرَاةُ تَرِيكِ حَسَنَاتِكَ وَسَيِّئَاتِكَ ، فَالْعَاقِلُ فِي تَفَكُّرٍ دَائِمٍ ، لِلرَّقِيِّ بِالنَّفْسِ ، وَالِاسْتِزَادَةِ مِنَ الْخَيْرَاتِ وَفِعْلِ الصَّالِحَاتِ ، قَالَ تَعَالَى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مِمَّا قَدِمَتْ لَعْدٌ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ). وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: (فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ). أَيِ: اتَّعَظُوا يَا أَصْحَابَ الْعُقُولِ النَّيِّرَةِ وَالْأَبْأَبِ الْفَذَّةِ الْمَتَوَقِّدَةِ. وَضَرَبَ اللَّهُ تَعَالَى لَنَا الْأَمْثَالَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ لِتَكُونَ ذِكْرًا لِلذَّاكِرِينَ وَمَوْعِظَةً لِلْمَتَّقِينَ! وَقَصَّ عَلَيْنَا سَبْحَانَهُ مِنْ نَبِيِّ الْمُرْسَلِينَ ، وَأَحْدَاثِ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ لِلْعِبْرَةِ وَالْعِظَّةِ ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ). وَعِنْدَمَا طَالَعْتُ قِصَّةَ الْمَدْمَنِ التَّائِبِ رَحِمَتْ أَحْكِي شِعْرًا عَلَى لِسَانِ ذَلِكَ التَّائِبِ الْعَائِدِ ، وَأَتَخِيلُهُ يَحْكِي لِلْمَدْمَنِ وَالْمُنْحَرِفِينَ قِصَّتَهُ لِعَلَّهُمْ يَعْتَبِرُونَ بِهَا فِي حَيَاتِهِمْ ، وَيَلْتَمِسُونَ فِيهَا النَّصِيحَةَ ، وَالْعَرَبُ تَقُولُ: (الْعَاقِلُ مِنْ وَعَظَ بَغْيِرَهُ ، وَالْمَجْنُونُ مِنْ وَعَظْتَهُ نَفْسَهُ) أَيِ كَانَ حَالُ غَيْرِهِ سَبِيلًا إِلَى انْتِصَاحِهِ وَرَجُوعِهِ عَنِ الْغِي!)

عَبَثْتُ حَتَّى طَوَانِي الْهَزْلَ وَالنَّزْقَ	ثُمَّ انْحَدَرْتُ إِلَى وَحْلِ الَّذِينَ شَقُوا
وَانْسَقْتُ - طَوْعًا - إِلَى مَا كُنْتُ أَحْذَرُهُ	وَعَزَنِي - فِي الَّذِي أَهْوَى - الْأَلَى فَسَقُوا
وَسِرْتُ فِي دَرْبِ مَنْ خَانُوا شَرِيْعَتَهُمْ	وَبِالرَّشَادِ وَبِالْأَخْلَاقِ كَمِ شَرَقُوا!
وَبِعَثْتُ دِينِي بِدُنْيَا الْغَيْرِ مُجْتَرئًا	وَكَانَ لِي - فِي سَرَابِ التِّيهِ - مَنْطَلِقُ
وَعَبْتُ مَنْ جَاءَ يَهْدِينِي ، وَيَنْصَحْنِي	إِذْ لَيْسَ - لِي - قَطُّ مَعْيَارٌ وَلَا خَلْقُ
وَطَوَّقْتَنِي - مِنَ التَّقَاةِ - مَوْعِظَةً	فَضِقْتُ ذَرْعًا بِهِمْ ، وَضَاقَ - بِي - الْأَفْقُ

على الذي بهما - في الناس - يحترق
وبات لي - في مهاوي الوزر - مستبق
حتى انتشيت ، وأغرى همتي النزق
وأمقتُ القومَ - في أحواله - غرقوا!
ولم أعد عنهم - في الوصف - أفرق
حتى غدوت - بما قالوا به - أثق
إذ هم - على ضربةٍ تودي بي - اتفقوا
وأنطقُ اللفظ ، هم دوماً به نطقوا
بأحرفٍ نشزت ، إذ ليس تتفق
وها همُ الصحب - في سيارةٍ - نفقوا
فتب إلى الله ، دغ درب الألى مرقوا
وللبلاء جميعُ الناس قد خلقوا
حتى يزول الأذى والضنك والقلق
والصحب ها هم على درب الهوى مزق
وأهله كل من تابوا ومن صدقوا
وبين قوم - من الإسلام - قد أبقوا!
والعبد - نحو سبيل الغي - ينطق!
مهما تمازجتِ الشارات والفِرَق!
ودربُ قوم - بنار الباطل - احترقوا!
لا يستوي الشيخ - عند الشم - والخبق!

إذ للمُخَدَّر والإدمان سيطرة
وشيلة الفسق قادنوني لهاوية
وناولوني من (البنجو) ثمالتة
وزيتوا باطلاً كم عشت أمقتة
وزخرفوا السوء حتى خلتة حسناً
وأقنعوني بأن السكر مكرمة
وصرتُ رهن بلاويهم ومحناتهم
أطيع لا رأي لي ، ولا أجادلهم
كالبيغاء يعيدُ القول يسمعه
حتى ابتليت بسهم الموت يتبعني
وقال لي: أنت في بحبوحه كتبت!
أملاك ربك ، والأيام جارية
أبصر طريق الهدى ، واسلكه محتسباً
واندم على جرم سقتك حرقتهما
بر الأمان ينادي من يتوق له
شتان بين الألى عاشوا لملتهم
لا يستوي العبد تقوى الله منهجه
دربان ما التقيا ، شتان بينهما
درب التقاة ، وفي الجنات موعدهم
هل تستوي أمة شوها وفاتنة؟

مرحباً بك أختاً يا سناء

(نشرت مجلة الفيصل في عددها (165) قصة سناء. وعرضها بتصريف الأستاذ / محمد السيد رشاد الخولي في (موسوعة القصص الواقعية) ص 500 تلك القصة العجيبة التي تبين صفاء العقيدة وقوتها في وجه التحديات ، إذ كيف تقوى فتاة - كانت نصرانية ، ثم هداها الله إلى الإسلام - على مواجهة الصعاب الواردة في ثنايا القصة ، إلا إذا كانت العقيدة الصحيحة قد رسخت في قلبها ، فباتت تضحّي وتستهنين بالغالي والنفيس في سبيل عقيدتها. (سناء فتاة مصرية نصرانية ، كتب الله لها الهداية واعتناق الدين الحق بعد رحلة طويلة من الشك والمعاناة ، تروي قصة هدايتها فتقول: نشأت كأبي فتاة نصرانية مصرية على التعصب الديني النصراني ، وحرص والداي على اصطحابي معهما إلى الكنيسة صباح كل أحد لأقبل يد القس ، وأتلو خلفه تراتيل الكنيسة ، وأستمع إليه وهو يخاطب الجمع ملفناً إياهم عقيدة التثليث ، ومؤكداً عليهم بأغلط الأيمان أن غير المسيحيين مهمما فعلوا فهم مغضوب عليهم من الرب ، لأنهم - حسب زعمه - كفرة ملاحدة. وكنت أستمع إلى أقوال القس دون أن أستوعبها ، شأني شأن غيري من الأطفال ، وحينما أخرج من الكنيسة أهرع لصديقتي المسلمة لألعب معها ، فالطفولة لا تعرف الحقد الذي يزرعه القسيس في قلوب الناس. كبرت قليلاً ، ودخلت المدرسة ، وبدأت في تكوين صداقات مع زميلاتي في مدرستي الكائنة بمحافظة السويس ، وفي المدرسة بدأت عيناى تتفتحن على الخصال الطيبة التي تتحلى بها زميلاتي المسلمات. فهن يعاملنني معاملة الأخت ، ولا ينظرون إلى اختلاف ديني أو دينهم أبداً ، وقد فهمت فيما بعد أن القرآن الكريم حث على معاملة الكفار - غير المحاربين - معاملة طيبة طمعاً في إسلامهم وإنقاذهم من الكفر ، قال تعالى: "لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين". إحدى زميلاتي المسلمات ربطتني بها على وجه الخصوص صداقة متينة ، فكنت لا أفارقها إلا في حصص التربية الدينية ، إذ كنت - كما جرى النظام - أدرس مع طالبات المدرسة النصرانيات مبادئ الدين النصراني على يد معلمة نصرانية. كنت أريد أن أسأل معلمتي كيف يمكن أن يكون المسلمون - حسب افتراضات النصارى - غير مؤمنين وهم على مثل هذا الخلق الكريم وطيب المعشر؟! لكنني لم أجروا على السؤال خشية إغضاب المعلمة ، حتى تجرأت يوماً وسألت ، فجاء سؤالي مفاجأة للمعلمة التي حاولت كظم غيظها ، وافتعلت ابتسامة صفراء رسمتها على شفتي ، وخاطبتني قائلة: (إنك مازلت صغيرة ، ولم تفهمي الدنيا بعد ، فلا تجعلي هذه المظاهر البسيطة تخدعك عن حقيقة المسلمين كما نعرفها نحن الكبار). صمتت على مضض على الرغم من رفضي لإجابتها غير الموضوعية وغير المنطقية. و تنتقل أسرة أعز صديقتي إلى القاهرة ، ويومها بكينا لألم الفراق ، وتبادلنا الهدايا والتذكارا ، ولم تجد صديقتي المسلمة هدية تعبر بها عن عمق وقوة صداقتها لي سوى مصحف شريف في علبة قطيفة أنيقة صغيرة ، قدمتها لي قائلة: (لقد فكرت في هدية غالية لأعطيك إياها ذكرى صداقة وعمر عشناه سوياً ، فلم أجد إلا المصحف الشريف الذي يحتوي على كلام الله). تقبلت هدية صديقتي المسلمة شاكرة فرحة ، وحرصت على إخفائها عن أعين أفراد أسرتي التي ما كانت لتقبل أن تحمل ابنتهم المصحف الشريف. وبعد أن رحلت صديقتي المسلمة ، كنت كلما تنأى إلى سمعي صوت المؤذن ، منادياً للصلاة ، وداعياً المسلمين إلى المساجد ، أعمد إلى إخراج هدية

صديقتي ، وأقبلها وأنا أنظر حولي متوجسة أن يفاجئني أحد أفراد الأسرة ، فيحدث لي ما لا تحمد عقباه. ومرت الأيام متعاقبة ، وتزوجت من (شماس) كنيسة العذراء مريم ، ومع متعلقاتي الشخصية ، حملت هدية صديقتي المسلمة (المصحف الشريف) معي ، وأخفيته بعيداً عن عين زوجي ، الذي عشت معه كأي امرأة شرقية وفيه ومخلصة وأنجبت منه ثلاثة أطفال وعملت في المحافظة! وهناك التقيت بزميلات مسلمات متحجبات ، ذكرنني بصديقتي الغالية ، وكنت كلما علا صوت الأذان في المسجد المجاور ، يتملكني إحساس خفي يخفق له قلبي ، دون أن أدري لذلك سبباً محدداً ، إذ كنت لا أزال غير مسلمة ، ومتزوجة من شخص ينتمي إلى الكنيسة بوظيفة يفتات منها ، ومن مالها يطعم أسرته. وبمرور الوقت وبمجاورة زميلات وجارات مسلمات على دين وخلق بدأت أفكر في حقيقة الإسلام والمسيحية ، وأوازن بين ما أسمع في الكنيسة عن الإسلام والمسلمين ، وبين ما أراه وألمسه بنفسى ، وهو ما يتناقض مع أقوال القس والمتعصبين والنصارى. بدأت أحاول التعرف على حقيقة الإسلام ، وأنتهز فرصة غياب زوجي لأستمع إلى أحاديث المشايخ عبر الإذاعة والتلفاز ، لعلي أجد الجواب الشافي لما يعتدل في صدري في تساؤلات حيرى ، وجذبتني تلاوة الشيخ محمد رفعت ، والشيخ عبد الباسط عبد الصمد للقرآن الكريم ، وأحسست وأنا أستمع إلى تسجيلاتهم عبر المذياع أن ما يرتلانه لا يمكن أن يكون كلام بشر ، بل هو وحي إلهي. وعمدت يوماً أثناء وجود زوجي في الكنيسة إلى دولابي ، وبهد مرتعشة أخرجت كنزي الغالي (المصحف الشريف) ، فتحته وأنا مرتبكة ، فوقع عيناى على قوله تعالى: "إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون". ارتعشت يدي أكثر ، وتصيب وجهي عرقاً وسرت في جسمي قشعريرة ، وتعجبت لأنى سبق أن استمعت إلى القرآن كثيراً في الشارع والتلفاز والإذاعة ، وعند صديقاتي المسلمات ، ولكنى لم أشعر بمثل هذه القشعريرة التي شعرت بها وأنا أقرأ من المصحف الشريف مباشرة بنفسى. هممت أن أوصل القراءة إلا أن صوت أزيز مفتاح زوجي وهو يفتح باب الشقة حال دون ذلك ، فأسرعت وأخفيت المصحف الشريف إلى مكانه الأمين ، وهرعت لأستقبل زوجي . وفي اليوم التالي لهذه الحادثة ذهبت إلى عملي ، وفي رأسي ألف سؤال حائر ، إذ كانت الآية الكريمة التي قرأتها ، قد وضعت الحد الفاصل لما كان يورقني حول طبيعة عيسى عليه السلام ، أهو ابن الله كما يزعم القسيس - تعالى الله عما يقولون - أم أنه نبي كريم كما يقول القرآن؟! فجاءت الآية لتقطع الشك باليقين ، معلنة أن عيسى - عليه السلام - من صلب آدم ، فهو إذن ليس ابن الله ، لقد عرفت الحقيقة الخالدة القاطعة ، حقيقة أن (لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله) ، أيمن أن أشهر إسلامي؟! وما موقف أهلي منى ، بل ما موقف زوجي ومصير أبنائي؟! طافت بي كل هذه التساؤلات وغيرها وأنا جالسة على مكتبي ، أحاول أن أؤدي عملي لكنى لم أستطع فالتفكير كاد يقتلني ، واتخاذ الخطوة الأولى أرى أنها ستعرضني لأخطار جمة ، أقلها قتلى بواسطة الأهل أو الزوج أو الكنيسة. ولأسابيع امتدت ظللت مع نفسى بين دهشة زميلاتي اللاتي لم يصارحنى بشئ ، إذ تعودن على أنى عاملة نشيطة ، لكنى في ذلك اليوم لم أعد أستطيع أن أنجز عملاً إلا بشق الأنفس. وجاء اليوم الموعود ، اليوم الذي تخلصت فيه من كل شك وخرف وانتقلت فيه من ظلام الكفر إلى نور الإيمان ، فبينما كنت جالسة ساهمة الفكر ، شاردة الذهن ، أفكر فيما عقدت العزم عليه ، تناهى إلى سمعي صوت أذان المسجد القريب داعياً المسلمين إلى لقاء ربهم وأداء صلاة الظهر ، تغلغل صوت الأذان داخل نفسى

فشعرت بالراحة النفسية التي أبحث عنها ، وأحسست بضخامة ذنبي لبقائي على الكفر على الرغم من عظمة نداء الإيمان الذي كان يسري في كل جوانبي ، فوقفت بلا مقدمات لأهتف بصوت عال بين زهول زميلاتي: (أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمد عبده ورسوله). فأقبل عليّ زميلاتي وقد تحيرن من زهولهن ، مهنئات باكيات بكاء الفرح ، وانخرطت أنا أيضاً معهم في البكاء ، سائلة الله أن يغفر لي ما مضى من حياتي ، وأن يرضى عني في حياتي الجديدة. كان طبيعياً أن ينتشر إسلامي في ديوان المحافظة ، وأن يصل إلى أسماع زملائي وزميلاتي النصارى ، اللواتي تكلفن – بين مشاعر سخطنهن – بسرعة إيصاله إلى أسرتي وزوجي ، وبدأ يرددن عني مدّعين أن وراء القرار أسباب لا تخفى. لم أبه بأقوالهن الحاقدة ، فالأمر الأكثر أهمية عندي من تلك التخريصات ، أن أشهر إسلامي بصورة رسمية ، كي يصبح إسلامي علناً ، وبالفعل توجهت إلى مديرية الأمن وأنهيت الإجراءات اللازمة لإشهار إسلامي. وعدت إلى بيتي لأكتشف أن زوجي ما أن علم بالخبر حتى جاء بأقاربه وأحرق جميع ملابسني ، واستولوا على ما كان لدي من مجوهرات ومال وأثاث ، فلم يؤلمني ذلك ، وإنما تألمت لخطف أطفالي من قبل زوجي ليتخذ منهم وسيلة للضغط علي للعودة إلى ظلام الكفر ، ألمني مصير أولادي! وخفت عليهم أن يتربوا بين جدران الكنائس التي هي على عقيدة التثليث ، ويكون مصيرهم كأبيهم في سقر. رفعت ما اعتلم في نفسي بالدعاء إلى الله أن يعيد إليّ أبنائي لتربيتهم تربية إسلامية ، فاستجاب الله دعائي ، إذ تطوع عدد من المسلمين بإرشادي للحصول على حكم قضائي بحضانة الأطفال باعتبارهم مسلمين ، فذهبت فوراً إلى المحكمة ومعني شهادة إشهار إسلامي ، فوقفت المحمة مع الحق وخيرت زوجي بين الدخول في الإسلام أو التفريق بيني وبينه ، فقد أصبحت بدخولي في الإسلام لا أحل لغير مسلم ، فأبى واستكبر أن يدخل في دين الحق ، فحكمت المحكمة بالتفريق بيني وبينه ، وقضت بحقي في حضانة أطفالي باعتبارهم مسلمين ، لكونهم لم يبلغوا الخلم ، ومن ثم يلتحقون بالمسلم من الوالدين. وكنت قد حسبت أن مشكلاتي قد انتهت عند هذا الحد ، لكنني فوجئت بمطاردة زوجي وأهلي أيضاً ، بالإشاعات والأقاويل بهدف تحطيم معنوياتي ونفسياتي ، وقاطعتني الأسر النصرانية التي كنت أعرفها ، وزادت على ذلك بأن سعت هذه الأسر في بث الإشاعات حولي بهدف تلوين سمعتي ، وتخويف الأسر المسلمة من مساعدتي لقطع صلتهم بي. وبالرغم من كل المضايقات ظللت قوية متماسكة ، مستمسكة بإيماني ، رافضة كل المحاولات الرامية إلى ردي عن دين الحق ، ورفعت يدي بالدعاء إلى مالك الأرض والسماء ، أن يمنحني القوة لأصمد في وجه كل ما يشاع حولي ، وأن يفرّج كربني. فاستجاب الله دعائي وهو القريب المجيب ، وجاءني الفرج من خلال أرملة مسلمة فقيرة غنية النفس ، لها أربع بنات يتامى وابن وحيد بعد وفاة زوجها ، تأثرت هذه الأرملة المسلمة بالظروف النفسية التي أحياها ، وتملكها الإعجاب والإكبار لصمودي ، فعرضت عليّ أن تزوجني با بنها الوحيد (محمد) لأعيش وأطفالي معها ومع بناتها الأربع ، وبعد تفكير لم يدم طويلاً وافقت وتزوجت محمداً ابن الأرملة المسلمة الطيبة. وأنا الآن أعيش مع زوجي المسلم (محمد) وأولادي وأهل زوجي في سعادة ورضا وراحة بال ، على الرغم مما نعانيه من شظف العيش ، وما نلاقيه من حقد زوجي السابق ، ومعاملة أسرتي النصرانية. ولا أزال بالرغم مما فعلته عائلتي معي أدعو الله أن يهديهم إلى دين الحق ويشملهم برحمته مثلما هداني وشملي برحمته ، وما ذلك عليه – سبحانه وتعالى – بعزير) اهـ. ومن هنا وبعد مطالعة هذه القصة الواقعية الجميلة شكرت للأستاذ

الخولي ، وحييت أختي سناء ورحبْتُ بها ، وجعلت تحيتي شعراً عربياً أصيلاً! ودعوتُ لها بخير!

وعنك أنشدُ ما أحسستُ أشعارا
شِعراً ، وأجعلُ ما أزجيه تذكارا
وكم وضعتِ - على الأهات - أستارا!
نحو الشواطئ ، إذ أبحرتِ إبحارا!
وكم طغنتِ - بسهم العزم - أشرارا!
بكل بأس! وكم أصررتِ إصرارا!
ولم تُقرِّي الذي يرجون إقرارا
أصحابها حذقوا الناقوسَ والطارا!
فألبسوا بالذي أعلنته العارا!
لأجلها حملوا إليك أسفارا!
تغَيَّرين بهما رؤى وأفكارا
ولا تُطيعين - في التخذيـل - خوَّارا
وسُنة المصطفى أهدتكِ أنوارا
وقد يردُّ أشقى القوم مزمارة
فبيتوا الحقدَ والأضغانَ والثارا
وأجبروكِ - على التسليم - إجمارا
بل انفلتتِ ، وكم أنكرتِ إنكارا!
وما اتخذتِ - بهذي الحرب - أنصارا
كجفـل ضمّ أجناداً وثوَّارا

أكبرتِ سعيك ، يا أختاه إكبارا
أنتِ الجديرة - بالتوقير - أسطره
فكم صبرتِ - على الدغاول - اجتمعت!
وكم مخرتِ عُباب الضنكِ مُشرعة
وكم ضربتِ - لمن ترجو الغلا - مثلاً!
وكم جهرتِ - لهم - بالحق صامدة
وكم عننتِ لهم في كل خندمة!
وكم دحضتِ أباطيلاً مُلفقة
وكم سحقتِ الألى خاضوا مناظرة
وكم محقتِ الذي حاكوه من شُبه
وكم تحملتِ - في إقناعهم - محناً!
تُجـابِهين بلا ضعفٍ ولا خوِّر
وتحملين - من القرآن - حُجته
وللخصوم دجى الإصباح يُوبقهم
حتى انتصرتِ عليهم نصرَ واثقة
وحاربوكِ ، وكادوا دون مرحمة
فما استكنتِ لِمَا صاغوه من خطِّ
وما استجبتِ لمن أغرؤكِ مُذعنة
بل كنتِ وحدكِ - في الميدان - ثائرة

فأثرت موتها - في الله - إيثاراً
مجلة لفتت - إليك - أنظارا!
بقصةٍ تستحقُّ اليوم (أوسكاراً)
بالساقطات هدمن الناس والدارا
ونلت بعد - اتباع الحق - (إشهاراً)
وإن للشم - عند الصيـد - أقدارا
ولن تراعي ، فقد جاوزت أخطارا
وكاد صبرك - في التنظير - كفارا
يزيدك الوهن أثاماً وأوزارا
قويمة يُصـبـحوا صـيـداً وأبرارا
حتى يعيشوا - بذكر الله - أخيارا
ودرسي سيراً تُغلي وأخبارا
ثغر ، فأوصي الوري والأهل والجارا
سـيـدخـل الله أهـل الباطـل النارا
وأظهري الحق - بين الناس - إظهارا
فاستبسلي ربما دعوتِ أحبارا
كي تُعذري - بجدال القوم - إعدارا
وهددت أمماً هانت وأمصارا
وإن للفجر - مهما غاب - إسفاراً!

روح البطولة أغرت قلب مسلمة
وكم عجبث ، وقد طالعت ما نشرث
(الفصل) انطلقت تختال صفحتها
لكن (أوسكار) عنها اليوم منشغل
(سناء) خزت الغلا والمجد أجمعه
مرحى بك الآن أختاً عز جانبها
(سناء) أنت لنا أخت مكرمة
نجاك ربك من كيد الألى كفروا
إني أعيذك - بعد النصر - أن تهني
ربي صغارك يا أختاه تربية
وعلميهم هدى القرآن ، واجتهدي
ولقني سنة المختار ناصحة
ونشئهم على الإيمان ، أنت على
ولا تُبالي بما الأعداء قد جمعوا
وجاهدي كل من يسعى لمفسدة
(سناء) أنت - لدين الله - داعية
وجادلي كل من أملاك أسئلة
(سناء) لا تجزعي مهما طغت فئة
(سناء) ليل الهوى حانت نهايته

مرآة النذل

(هكذا عنون الخولي لإحدى قصصه في موسوعته: (القصص الواقعية) ص 414. تبين كيف حمى الله بسنتين من سنن نبيه - صلى الله عليه وسلم - امرأة مؤمنة محصنة من أحد الصعاليك الأوباش. إن السنتين هما (ستر الوجه وعدم مصافحة المرأة غير محارمها). وتبدأ قصتها عندما سافر زوجها ، وتركها مع أولادها ، وأوصى أخاه الكبير بأن يأتي إلى بيت أخيه ، وأن يقوم بأعمال البيت ، ويتابع الأولاد! تقول هذه المرأة: (فكان هذا الأخ الكبير يأتي كل يوم تقريباً وكان لطيفاً في أول أيامه ، ولكن لما أكثر التردد علينا وليس عندي محرم ، ولم أكن أتحدّب بدأت تظهر منه تصرفات غريبة حتى قدم زوجي ، وكنت أريد أن أفتح زوجي في الموضوع ، ولكن خفت من المشاكل. ثم سافر زوجي مرة أخرى ، ورجع أخوه إلى حالته الأولى ، من الحركات الغريبة والكلام العاطفي ، وبدأ يعاكس زوجة أخيه ويغازلها ، وأحياناً يراودها عن نفسها ، وبدأ يحضر في كل وقت ، لسبب أو بدون سبب. وتستطرد المرأة فتقول: لقد تعبت من تصرفاته ، وفكرت في الكتابة إلى زوجي ، لكنّ تراجعت حتى لا أضايقة ، لأنه في بلد آخر يبحث عن المعيشة ، وحتى لا تحصل المشاكل ، وقلت لا بد من نصيحة الخائن الغادر ، فنصحت هذا الرجل الذي ليس هو برجل بل هو ذكر آدمي فقط ، ولم ينفع فيه النصح. تقول: فكنّ أدعو الله - عز وجل - كثيراً أن يحفظني منه ، ثم طرأت عليّ فكرة ، فشرعت في لبس الحجاب وتغطية وجهي ، وكتبت لزوجي بأني سأترك مصافحة الرجال الأجانب ، فشجعني وأرسل إليّ كتباً وأشرطة ، وبعد أن لبست الحجاب: وعندما جاء شقيق زوجي ذلك الخائن كعادته ورآني واقفة بعيداً ، قال: ماذا حصل؟ فقلت: لن أصافح الرجال ، إلا محارمي ، فوقف قليلاً ، ثم نكس رأسه ، فقلت له: إذا أردت شيئاً فكلمني من وراء حجاب ، فانصرف ، فكفّ الله عز وجل شره عني). على أن ذلك النذل هو أخو الزوج (الحمو) ، لكنه لم يحترم وصية أخيه ولا غيبته عن أهله وداره. تردد على البيت - تكلم - تودّد - غازل - راود ، وما ردّه أبداً وعظ ولا نصح ، ولا بيان ولا توضيح ، ولا وعد ولا وعيد ، ولا ترغيب ولا ترهيب! ولكن ردّه وكفى شره ستر المرأة وجهها وامتناعها عن مصافحته. فأنشدت في ذلك شعراً على لسانه ، وردّها عليه بعد ذلك (وقد جعلت له قصيدة وأخرى منفردة على غرار قصيدتي وصية مشفق - لوثة غادر بشأن اللغة العربية في ديوان سبق منذ سنوات ، وذلك لأن الأشياء تتميز وتظهر للعيان بظهورها). عَن عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إِيَّاكُمْ وَالذُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ! فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: يَا رَسُولَ اللهِ ، أَفَرَأَيْتَ الْحَمُو؟ قَالَ: الْحَمُو الْمَوْتُ". أخرجه البخاري ومسلم. وقال الإمام النووي في "شرح صحيح مسلم": قَالَ اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ: الْحَمُو أَخُو الزَّوْجِ ، وَمَا أَشْبَهَهُ مِنْ أَقَارِبِ الزَّوْجِ: ابْنُ الْعَمِّ وَنَحْوَهُ. اتَّفَقَ أَهْلُ اللُّغَةِ عَلَى أَنَّ الْأَحْمَاءَ أَقَارِبُ زَوْجِ الْمَرْأَةِ كَأَبِيهِ ، وَأَخِيهِ ، وَابْنِ أَخِيهِ ، وَابْنِ عَمِّهِ ، وَنَحْوَهُمْ. وَالْأَخْتَانِ أَقَارِبُ زَوْجَةِ الرَّجُلِ. وَالْأَصْهَارُ يَقَعُ عَلَى النَّوْعَيْنِ. وَمَا قَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (الْحَمُو الْمَوْتُ) فَمَعْنَاهُ: أَنَّ الْخَوْفَ مِنْهُ أَكْثَرُ مِنْ غَيْرِهِ ، وَالشَّرُّ يَتَوَقَّعُ مِنْهُ ، وَالْفِتْنَةُ أَكْثَرُ ، وَذَلِكَ لِتَمَكُّنِهِ مِنَ الْوُصُولِ إِلَى الْمَرْأَةِ وَالْخُلُوةِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُنْكَرَ عَلَيْهِ ، بِخِلَافِ الْأَجْنَبِيِّ. وَالْمُرَادُ بِالْحَمُو هُنَا أَقَارِبُ الزَّوْجِ غَيْرِ آبَائِهِ وَأَبْنَائِهِ. فَأَمَّا الْأَبَاءُ وَالْأَبْنَاؤُ فَمَحَارِمٌ لِزَوْجَتِهِ تَجُوزُ لَهُمُ الْخُلُوةُ بِهَا ، وَلَا يُوصَفُونَ بِالْمَوْتِ ، وَإِنَّمَا الْمُرَادُ الْأَخُ ، وَابْنُ الْأَخِ ، وَالْعَمُّ ، وَابْنَةُ ، وَنَحْوَهُمْ مِمَّنْ لَيْسَ بِمَحْرَمٍ. وَعَادَةُ النَّاسِ

المُساهلة فيه ، وَيَخْلُو بِامْرَأَةِ أَخِيهِ ، فَهَذَا هُوَ الْمَوْتُ ، وَهُوَ أَوْلَى بِالْمَنْعِ مِنَ الْأَجْنَبِيِّ لِمَا ذَكَرْنَا. فَهَذَا الَّذِي ذَكَرْتَهُ هُوَ صَوَابٌ مَعْنَى الْحَدِيثِ). هـ. والأصل أن الأخ عندما يغيب أخوه عن داره مخلفاً زوجة له وأولاداً وبيتاً ، فإنه يجب على أخيه أن يخلفه في داره وأبنائه وأهله ، بالحماية والرعاية وتحقيق المصالح والقيام على شؤون البيت من جميع النواحي ، فيغيث ملهوفهم ويُجير مستجيرهم ويُطبب مريضهم ويَجلب احتياجاتهم ، ويسهر على راحتهم. هذا هو الواجب الذي تُمليه الأخوة والقراة ، بطبيعتها التي سنها الله في عالم البشر. وقد طالعت ذلك الخلق في أدب غير المسلمين من الكفار ذوي القيم الإنسانية الرفيعة! إذ الأخلاق لا دين ولا وطن ولا زمن لها! فما بالنا إن كان الأخ المسافر المغترب قد أوصى بكل هذا صراحة ، وقال بأنه ترك بيته وزوجته وأبناءه أمانة يسأل عنها من استأمنه عليهم مرتين: أمامه مرة ، وأمام الله عز وجل أخرى يوم القيامة مرة ثانية! وإذا كان المستأمن هو الأخ الأكبر تكون المسؤولية أخطر وأكبر. ولكن عندما يتحول الأخ الأكبر إلى صلوك متصيد دنئ النفس خبيث السريرة مدسى الطوية ، تكون الأمور على خلاف ما نتصوره. الأخ الأكبر الذي دارت حوله قصيدتاي: (مراودة النذل – وجواب المحصنة) ، هو من النوع الثاني الخسيس الوبش النذل الخبيث الصلوك. فلقد سوّلت له نفسه المدساة الدنيئة الحقيرة أن يغازل امرأة أخيه ، واستغل شوق امرأة أخيه إلى رجل كان يؤنس وحشتها ويملاً عليها حياتها. واحتال بكل حيلة ، وذهب كل مذهب ، وبذل ما يستطيع ليظفر بها ، وهي ثابتة ثبات الجبال الرواسي محافظة على سنة نبيها – صلى الله عليه وسلم – فلم يستطع أن يقتحم عليها أسوار نفسها المنيعة أو أن يؤثر على أخلاقياتها العالية ، وهكذا تبدو أسرار الشريعة الربانية وتتجلى حكمتها في كل حكم من أحكامها (علم ذلك الحكم من علمه ، وجهله من جهله ، وتعامى عنه من تعامى ، ونسيه من نسيه ، وتناساه من تناساه ، وتعداه من تعداه ، وغفل عنه من غفل) ، فلقد حماها حجابها وعدم مصافحتها الرجال من غير محارمها بالطبع ، وأنجاها الله من كيد ذلك الصلوك النذل الذي لم يتق الله ، ولم يخف عذاب الآخرة ، ولم يرع الذمار ، ولم يراع العادات السامية ولا التقاليد الراقية ولا الأعراف الكريمة ولا والشريعة القويمة. فتخيلته يراودها بكل الأساليب ، فكانت قصيدة (مراودة النذل) ، وتخيلتها تصفعه وترد عليه ، فكانت قصيدة (إباء المُحصنة) ، فأنشدت في هذا الموقف هاتين القصيدتين محبباً هذه الأخت الكريمة الغالية العزيزة ، طالباً من كل أخت مؤمنة تعيش مثل هذا الموقف أن تتصرف ذات التصرف بغير تردد ، وتكون قوية أبية شريفة عزيزة).

مالي أراك تحطمين كياني	وتمارسين تمرد النسوان؟
وتعذبين مُتيمماً ، إحساسه	يهتاج في سر وفي إعلان؟
أحيا ، وتجرخني سياط صاباتي	وجوى الفؤاد يوزني بطعان
ونوازع الإعجاب تحرق مُهجتي	بلهيبها ، والشوق بعض دُخان
والعشق أودى بالفؤاد ، وبالنهي	فظللت أشكو سطة الهديان

فـذَلَّتْ ذلَّ المُعْجَبِ الهَيْمَانِ
لِيُزِيدَ ذلَّ العَاشِقِ الوَلَهَانِ
فَأزَال - بَيْنَ العَالَمِينَ - كِيَانِي
وَسَعَيْتُ سَعِيَّ العَاجِزِ الحِيرَانِ
مَا حِيلَتِي فِي كِبَةِ النِيرَانِ؟
أَمَسَى أَسِيرَ جَمَالِهَا الفَتَانِ
إِنْ شَقَّ حَاجِزَهُ إِلَيَّ الآذَانِ!
وَالدَارُ تَشْكُو قَلْبَةَ الجِيرَانِ
وَتَمَلِّقِي وَتَزَلْفِي بِرَهَانِي؟
لِمُرَادِ أَنثَى مِنْهُ دُونَ تَوَانِ؟
زَوْجٌ سَقَاهَا حُبَّهُ بِحَنَانِ؟
وَقَادَةَ كَتَسَعَرِ البِرْكَانِ؟
زَوْجاً لِيُخَمِدَ جَذْوَةَ الهَيْجَانِ؟
وَأَنَا كَذَلِكَ هَاهُنَا وَحَدَانِي؟
بَيْنَ العَوَائِلِ مِنْ رَطِيبِ أَغَانِ؟
طَرِيباً ، وَكَلَّ مِنْهُمْ حَيَّانِي
وَتَقَابِلِينَ الوُدَّ بِأَسْتَهْجَانِ!
مَتَوَدِّدَاً أخطَاتِ فِي العَنَوَانِ!
بِالصَّدِّ وَالتَّعْنِيفِ وَالهَجْرَانِ؟
إِنْ الجَمِيلُ يُرَدُّ بِالعَرْفَانِ

وَطغَى الهَيْمَانُ عَلَيَّ دُونَ تَرْفِقِ
وَالحُبُّ أَدْمَى خَاطِرِي وَجَوَانِحِي
وَسَبَا الغَرَامُ تَشَامِخِي وَسَرِيرَتِي
فَطَفَقْتُ أَنشِدُ مِنْ غَرَامِكَ جُنَّةَ
قَسَمَاتٍ وَجَهْكَ أَضْرَمْتُ فِي الهَوَى
وَيَمِينِكَ الوَضَاعَةَ اصْطَادَتِ فَتَى
وَعَذُوبَةَ الصَّوْتِ الرَّخِيمِ لَهَا صَدَى
وَأَخِي نَأَى عَنَّا ، وَطَالَتِ غَرْبَةَ
أَوْلَا يَسْرَكَ أَنْ أَتَيْتُكَ لَاهِثَاً
أَوْلَا يَشْوِقُكَ إِلْفُ لَيْلٍ يِرْعَوِي
عَجَباً أَلَسْتَ صَبِيبةً عَنْهَا نَأَى
عَجَباً أَلَيْسَتْ تَسْتَذُكُ شَهْوَةَ
عَجَباً أَلَسْتَ كَمَلِ أَنثَى ، تَشْتَهِي
عَجَباً أَلَسْتَ وَحِيدَةً تَشْكُو الجَفَا
أَوْلَمْ يَوْثُرْ فِيكَ مَا أَنشَدْتَهُ
أَعْنَى صَغَارِكَ مَنْ إِذَا جُنْتُ انْتَشَوَا
وَأَرَاكَ تَتْبَعُ دِينَ دُونَ مُبْرَرِ
وَكَأَنِّي إِذْ جُنْتُ أَخْدُمُ طَائِعَاً
أَتَّقَابِلِينَ مَوَدَّتِي وَتَلَطَّفِي
هَلْ هَذِهِ الصَّفْعَاتُ رَدَّ جَمَائِلِي؟

واسـتمتعـي - بالحب - كل أوان
ويبوء ما نأتيه بالكتمان!
كلا ، ولا أنا - في الغرام - بثان
منك الصدود مضخاً بهواني
ستلفنا في حلة الخسران؟
ونأى عن الأهلين والأوطان؟
يهواك؟ أم هذا دلال غوان؟
بك؟ يا حبيبة إننا سيان!
فمتى وصفت بنوبة الخذلان؟
وأنا - إليك - مددت كف العاني
حتى ولو كان اللقاء ثوان!
تجريح صب ، لا يزال يعاني
وأنا أجود - هنا - بعذب معان؟
وأنا أتوق إلى رضاب لسان؟
إن النصيحة والهوى ضدان
عن حُسنك المتناغم الفينان؟
نفس رغانبها اللئام دوان؟
وتحبين إليّ حور جنان؟
أها - بقلب الصب - أي مكان؟
أرنو إليك يقودني شيطاني؟

مُدّي - إلى الولهان - كف خايلة
والأمر مستور سيطويه الخفا
أنا لست - في هذا الصنيع - بأول
وكذاك لست بآخر حتى أرى
فيم احتفالك بالظنون ، كأنها
فيم التخوف من أخ هجر الحمى
فيم ارتجافك من خلوك بالذي
فيم التوجس من هلاك مُحقق
أترينني يوماً سأخذل حبنا؟
لا تُمطلي ، فالعمر يستبق الخطا
أهفو إلى لقياك في جُرح الدجى
لأبث شكوى هائم لمن ارتضت
لم تطعنين بكل لفظ جارح
لم تطرحين بذا اللسان قذافاً
لم تنصحين؟ أللنصائح وقعها؟
لم تعبتين؟ وهل عتابك صارفي
لم تزجرين؟ وهل لزجرك أدعنت
لم تذكرين النار إن قلت: ارفقي
لم تعمدين إلى المواعظ غضة؟
لم تطمحين إلى النجاة ، كأنني

فضلى تُرَجِّحْ جانب الإيمان؟
في ساحة التنظير والغُدوان؟
تُلقي سعادتها على الإنسان؟
بعد الدعا والدمع والقرآن؟
وتُغلبين بواعث الإحسان؟
هل يا ترى هذا من الرجحان؟
رؤياه؟ هذا الوجه كم أغراني!
من كفّ مَنْ فاقت جمال حسان
أسُحرت؟ أم آثَارُ مَسَّ الجان؟
يوماً ، وليس الحال في حُسابي
بعبَاءةٍ وتسوُّترٍ وصِبيان
نبراتها أحلى مِنَ الألحان
خلف النقاب ، بدتْ فقط عينان
لا تحتفي - عند اللقا - بفلان
عن عُطْبُل تهوى فتى الفتيان
ونسيرُ خلف (النابغ الذبياني)
إذ قلبها - في الحب - كالصوان

لم تشعرين بأني عبءٌ على
لم تنفخين لظى الجدال كأننا
لم تهربين من اللذائذ أقبلتْ
لم تلجئين إلى التمسك بالتقى
لم تشمخين بعزّةٍ وتعاظم
لم تلبسين الدرّع أسودَ سابغاً؟
لم تسترين الوجه عن يشتهي
وإذا مددتْ يدي أصافحُ ما ارتوت
ماذا جرى لك؟ أفصحي ، وتكلمي
أنا ما عهدتُك هكذا يا غادتي
ولئن بقيتِ على احتشامك هكذا
وبلا مصافحةٍ وأنس مقالةٍ
وبسوِّتر وجهٍ لا أطيق بقاءه
وفلانة من خلف هذا كله
فلسوف أبحث في الصبايا جاهداً
وأحبها ، وتحبني بتفحش
أنا لن أضيعَ العمر خلف حشيمةٍ

إباء المحصنة

(تخيلت الأخت المسلمة المؤمنة الوضيئة الطاهرة العفيفة ، وهي تردّ على زير النساء أخي زوجها الذي استغل سفر أخيه وراح يراود زوجة أخيه عن نفسها! بكل إباء وشموخ واعتزاز في إيمان الواثقة وثقة المؤمنة. وتبين أنها ليست من الفاسقات المتخذات الأخدان ، ولا هي من الخائنات لأزواجهن ، بل إنها تؤثر الموت على أن تلوث فراشها وتمتحن عرضها بمثل هذه الممارسات الدنيئة القذرة. وآثرت أن أصوغ جوابها شعراً على ذات البحر والروي والقافية وعدد الأبيات (62 بيتاً). هذا كله حتى تتضح الصورة أمام القارئ ، ولتكن آية من الآيات وعبرة من العبر ، من أننا وإن كنا في زمن الإباحية والإنترنت والتويتير والفييس بوك والتهتك والفجور ، فلا يزال في جيلنا العفيفات الطاهرات. ولأثبت كذلك أن تأثير القرآن والسنة في أهلها لا يزال له بصماته في الكلمات والسلوكيات. يا قوم لا بد من كبح جماح النفس البشرية بكل سبيل! وتحت عنوان: (نوازع الخير والشر) يشاركنا الدكتور علي الطراح الرأي فيقول ما نصه: (إن النفس تحتوي على النوازع البشرية من خير وشر ، والتحكم في النوازع وظيفة العقل ، والنفس إما أن تكون أمانة بالسوء أو مبالغة للخير. والنفس البشرية تحمل الصفتين معاً ، ونحن من يقوم بتهدئتها إذا ما كان العقل مدركاً لدوره البناء. والشر نزعة إنسانية تهاجمنا ولا تخلو النفس منه ، والفرق هو التمادي وتغليب الشر على الخير. ولعلنا نتذكر قول الخالق جل وتعالى: "كل نفس بما كسبت رهينة" ، وهذه الآية توضح دور العقل في كبح جماح النفس وتوجيهها ومسؤولية الفرد نحو الشر والخير ، حيث هي خيارات نحن نملكها. احتار الكثيرون في فهم القلب ، وما إذا كان مجرد عضو مثله مثل باقي أعضاء جسم الإنسان ، لكن الآية الكريمة تقول: "ألا بذكر الله تطمئن القلوب" ، أي أن للقلب دوراً في الاستقبال والتحسس للسلوك ، لكن لا نعرف حقيقة ما إذا كان يخزن الأحاسيس أم لا! وكثير من المفاهيم قد تكون معقدة ، لكن لعل التشبيه الأنسب هو أن النفس والجسد مثلها مثل الصندوق الأسود الذي يخزن كل المعلومات. وعندما نتأمل الإنسان ، تسيطر علينا الحيرة في فهم سر هذا المخلوق وقوة ترابط أجزائه ، فالجسد يستجيب عن طريق الحواس ، سواء الخارجية أم الداخلية ، ويقوم بالاستجابة المناسبة وفق ما هو مخزن في الذاكرة أو ما نطلق عليه الموجات الكهرومغناطيسية التي يستجيب لها الدماغ. والنفس البشرية في هذا المشهد تتفاعل مع المؤثرات ، وهي تحس ، ومن هنا قد تحزن أو تفرح أو تشعر بالطمأنينة).هـ. ولذا وجدنا هذه الأخت تتأبى وتصمد ، رغم غياب زوجها ، وكونها صارت حرة تفعل ما تشاء. ولكن رقابة الله دونها كل رقابها ، ونار الله دونها كل نار ، وعذاب الآخرة دونه كل عذاب. فتخيلتها في عبايتها السابغة وإبانها الفريد وعزتها القعساء الشامخة تصفع النذل على قفاه في هذه المعقدة النونية فأنشدت من شعري - على لسانها - أقول:

أوما سمعت بخبرةٍ وحصانٍ تحيا على الإسلام والإيمان؟
وتصون عرض خليلها إماناً إن ابتذل العرض شر هوان
وتقيم في قعر الحمى صلواتها وتديم ذكر الله كل أوان

ولكي تنال - به - جزا الرحمن
بالحسب والإكرام والنعمان
فحياتها بتلاوة القرآن
وتزيدهم من سنة العبدان
ليصونها عن أعين الذؤبان
لئلا نذل ساقط ذهقان؟
رفع السما - هذي - بلا عمدان!
يا أحقر الأحماء والإخوان!
أم أن ذلك ليس في الحسبان؟
يا أوي إليها أفسق الشبان؟
وأوزع البسمات بالمجان؟
دنس السريرة فاسق وجبان؟
ترجوه باسم الحسب والهيجان؟
حتى غدا كالعاشق الولهان
إذ إنها في قمة الإحصان
وكتيبة من خيرة الولدان
وهل الزنا تأتيه أي حصان؟!
تمكين داعرة ، ولو لثوان
مهما اكتسى بعباءة الإحسان
لا شيء مثل رقابة الـديان

وتصوم شهر الصوم ، تُرضي ربها
وتطيع - في المعروف - زوجاً خصها
ولها - من القرآن - دوماً حصاة
وتقيم أمر صغارها وفق الهدى
وتفضل البيت الذي هو حصنها
وتصارع الشهوات كيلا ترعوي
أنا هذه الأمة الضعيفة ، والذي
أحببتي ، وعشقتني يا ساقطاً
أنسيت أني ذات زوج غائب؟
أحسبتي هذي المسافحة التي
أرايتني - في السوق - أعرض فتنتي
أزعمت أني أسـتجيب لأرذل
أظننت أني سوف أعطيك الذي
ياعابثاً أغراه شيطان الهوى
لن تستطيع حصار أشرف عادة
دين زوج ، ثم بيت أهل
هي لا تسافح ، فالمسافحة الردى
هي لا تمكّن فاجراً من نفسها
وترى بأن الحموم موت مهالك
وتراقب الـديان كل لحظـة

وترى الحياة - بما حوته - رخيصة
وتعيش تحت حرم المبادئ ، تستمي
وتبيت تحلم بالجنان مع الألى
وتخاف من نار المليك وحرها
وتظل تشفق من عذاب إلهها
وتقوم تدعو الله بالدمع الذي
ودرجت في بيت دعائمه التقى
وجهي الذي أغراك يوماً حسنه
مادمت تحت أخيك أنت محرم
فلسوف يُستزى يا دعيّ تحسباً
ويدي التي صافحتها مستمتعاً
عصت المليك بكشف صفحة وجهها
ورجوت عفو الله بعد جريرتي
وزعمت قلبي يا متيم صخرة
أو أنني أنثى بدون مشاعر
أو أنني لا أشتهي مثل النساء
حجّلت - يا هذا المدلس - واسعاً
وكذبت إذ كان التخرص منهجاً
قلبي يحنّ ، وخاطري متوقد
لكن لزوجي ، لا لنذل ساقط

وترى التدين غالي الأثمان
عن حماة الأرجاس والعصيان
عملوا لنيل مثوبة وجنان
فمن التي تقوى على النيران؟
إن العذاب مظنة الخسران
جادت به - في الظلمة - العينان
وأسال عن الأشياخ والنسوان
هو وجه أختك ، يا حقيّر الشان!
أوما أتاك بذلك الوحيان؟
من لوثة المتشيبب الشهواني
هي كفّ أخت ، صافحت بأمان
وبمسّها كفّ العشيق العاني
فالله ذو صفح ، وذو غفران
جلمودة قذت من الصوان
واللفظ مثل مَخَازِم وسِنان
لقيا الحليل بعثنا المُزْدان
وزعمت زعماً مفرط البطلان
وطرحت قولاً بالغ النكران
وأنا - من الشوق الدفين - أعاني
يحتال يأمل أن يُزيل صياني

حَبِّ يَطَّالَ جَوَانِحِي وَكِيَانِي
إِلَّا بِيَسْذَلِ الشُّوْقِ وَالْعِرْفَانِ
أَشْتَاقُ رَغْمَ الْأَتْفِ - لِلْخِلَانِ؟
وَحُرْمَتِ نَصْرِ اللَّهِ بِالْخِلَانِ
حَتَّى تَجْرِبَ لَوْعَةَ الْجِرْمَانِ
فَمَعِيَ إِلَهَ النَّاسِ ، ذَا سَلْوَانِي
فَسَخِرْتَ مِنْ نَصْحِي وَمِنْ تَبِيَانِي
أَنْ قَدْ بَدَلْتَ لَهُ بَدُونَ تَوَانِ؟
وَتَقْوَمُ بِالتَّزْوِيرِ فِي الْبِرْهَانِ؟
قَبَّحْتَ مِنْ مُتَزَلِّفٍ خَوَانِ!
تَرْجُو عَلَيْهَا وَافِرَ الشُّكْرَانِ؟
بِدَمُوعِ عَيْنِ - فِي الْوَدَاعِ - حَوَانِ؟
تَرْجُوهُ مِنْ نِي فِي دَجَى الْكُتْمَانِ!
وَالْأَهْلَ كُلَّ فِي بَعِيدِ مَكَانِ
لَا خَوْفَ مَرْتَقِبٍ مِنَ الْجِيرَانِ
لَكِنَّ رَبَّ الْعَالَمِينَ يِرَانِي
يَهْوَى النَّسَا كَالنَّابِغِ الذُّبْيَانِي
وَالنُّورِ (عَبْدُ الْقَادِرِ الْجِيلَانِي)
أَدْعُو عَلَيْكَ بِدَمْعِي الْهَتْمَانِ!

وَلِدِي - مِنْ حُبِّ الْحَلِيلِ - كَثِيرُهُ!
أَهْفُو إِلَيْهِ ، وَلَا أَرَدْ جَمِيلَهُ
أَتَقُولُ أَنِّي - فِي الدِّيَارِ - وَحِيدَةٌ
أَخْزَاكَ رَبُّ النَّاسِ ، يَا زِيرَ النَّسَا
وَحَيِّبَتِ وَحْدَكَ دُونَ الْإِفِّ أَوْ أَخِ
أَنَا لَسْتُ يَا هَذَا السَّفِيهِ وَحِيدَةٌ
وَلَكُمْ نَصْحَتِكَ فِي الْعَشِيِّ وَفِي الضُّحَى
أَتَخُونُ يَا هَذَا أَخَاكَ ، وَتَدْعِي
أَوْ تَسْتَبِيحُ الْعِرْضَ دُونَ مُسْوَعِ
هَلْ عَشِقَ زَوْجَتَهُ يُنْيَاكَ عِرْضَهَا؟
أِذَا هَتَكْتَ الْعِرْضَ صُنْتَ وَصِيَّةِ
أَوْ هَكَذَا أَوْصَى أَخُوكَ بِحَضْرَتِي
مَا كَانَ أَيْسَرَ أَنْ أَطِيعَكَ فِي الَّذِي
وَأَخُوكَ يَشْقَى فِي دِيَاغِرِ غَرْبَةٍ
وَالْبَيْتِ مَنَعَزَلٍ ، هِنَاكَ فِي الْعَرَا
أَمَّا الصِّغَارُ فَتَوْمُهُمْ فَصَلِّ الْقَضَا
وَأَرَاكَ تَمْدُحُ دَرَبَ كُلِّ مُعْرَبِدِ
أَمَّا أَنَا فَمُعَلِّمِي دَرَبِ الْهُدَى
فَاذْهَبْ كَفَانِي اللَّهُ شَرَّكَ إِنِّي

لا طلاق ولا عدة ، بل فراق

(هكذا عنونتُ لهذه القصة مجلة (شهد الفتيات) العدد 13 ذى الحجة 1425هـ ، وهي أغرب من الخيال. إنها عن امرأة جميلة ، تزوجها ابن عمها. وكادت لأمه وعذبتها. واستغلت حب زوجها لها في أن تقوده حيث تشاء. وبعد هذا الحب والأولاد والسعادة ، ابتلاها الله بالتفريق بينها وبين زوجها الذي هو أخوها من الرضاعة. فلا طلاق ولا عدة إنما هو فراق أبدي لا عقد ولا مهر ولا قيد ولا شرط. نعم أتاه الله من حيث لا تحتسب. تقول هذه الشقية: (تفنتنت وتلذذت بتعذيب أم زوجي ، وإبعاده عنها قدر المستطاع ، ونسيته حقها الذي فرضه الله علينا. فكان الرد انتقام رب العالمين مني ، وكان انتقامه سبحانه صعباً وقاسياً ، فلقد دمر ذلك الانتقام حياتي من أساسها. قال تعالى: "ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون". كثيراً ما يحدث نزاع صامت أو معلن بين الزوجة وأم الزوج حول الزوج وحقوق كل منهما ، فالأم ترى حقها مقدماً على الزوجة ، والزوجة لا تعترف بهذا الحق ، وترى أن زوجها ملك خاص بها وحدها ، لا تسمح لأخرى بأن يكون لها اعتبار حتى ولو كانت أمه. الزوجة غالباً تمتلك أوراق اللعبة ، وتعتقد أنها ستكتسب ، فتضع رأسها برأس أمه ولكن مهما كانت حساباتها فالحرب محسومة لصالح الأم ، لاعتبارات كثيرة في مجتمعنا ، قد تكون مرارة العداوة تجعل الزوجة تتجاهلها أو لا تتفهمها بما فيه الكفاية ، فتأتي الرياح بما لا تشتهي السفن. قصتي أقرب للخيال منها إلى الواقع ، وقد تكون رعونتي واستفزازي لأم زوجي هما سبب تعاستي التي لا توصف ، فقد انهار كل شيء في لحظة لا تخطر على البال ، لهذا أقدم قصتي عبرة لكل فتاة لتتعظ بها: إنه ابن عمي ، حيث نشأ كل منا متعلقاً بالآخر منذ الطفولة ، حتى إذا كبرنا تم زواجنا وسط فرحة الأهل وأمنياتهم لنا بالحياة السعيدة ، عشنا حياة مليئة بالحب والسعادة هي أقرب للأساطير ، حتى أصبح البعض يضرب بنا المثل من حيث الانسجام والحب ، والتفاهم والتوافق ، كما أكرمنا الله بطفلين ، الولد حمل اسم جده ، والبنت حملت اسم أمي! وزوجي يحبني كثيراً حباً أحسد عليه ، أما أنا فجميلة بشهادة الجميع ، وأهتم بنفسي ، قد يكون الجمال وما حظيت به من حب قد دفعاني أن أفتعل العداوة مع أمه ، أو بالأصح أتسلى بإغاضتها بأسلوب بارد ، لأنني كنت ممسكة بكل الخيوط ، وأحس في قرارة نفسي أن ما أقوم به خطأ ، ولكنني متأثرة بما أستمع من كراهية الأم لزوجتي الابن. فاستطعت أن أحكم قبضتي على زوجي حتى أصبح اهتمامه بأمه في حدود ضيقة ، واستمرت الأيام وأنا أتعمد إغاضتها ، واستمرت اللعبة عندما لم يملك ابنها أذناً صاغية لشكواها ، وكنت أشعر أنني أتمتع بدهاء يفوق دهاء صويحبات يوسف! حتى جاء اليوم المشؤوم ، الذي سددت لي فيه هذه المرأة الضربة القاضية التي نسفت كل شيء ، لا أدري أهي صادقة أم استفزازي لها جعلها تقف هذا الموقف؟ ومهما كان فأنا الخاسرة والنادمة. في ذلك اليوم مرضت هذه العجوز ، وجنت أزورها ، وقلت لها ، اكتبني وصيتك ، تنهدت وقالت لي: الموت حق. عندما رجع زوجي كالعادة نادى أطفاله ولاطفهم ، وحدثنني عن الذكريات الجميلة التي عشناها ، وقال لي: لا أعرف بدونك كيف أعيش ، كل الناس يحسدونني ، قلت له: وأنا كذلك ، ثم ذكرت له أن أمه مريضة وأنه لا بأس بزيارتها ، فذهب وما هي إلا دقائق حتى جاء زوجي بوجه لم ألفه عليه ، جاء عابس الوجه ، مطأطئ الرأس ، قلت له: ماتت؟ قال: لا ولكن ، ولكن ماذا؟ خرج من البيت دون أن يكلمني. لاحظتها أدركتُ أن أمه قالت له شيئاً أزعه ، ذهبت لها وسألته بأسلوب تهكمي ،

وبلهجة التعالي والغرور ، قلت لها: ماذا قلت يا عجوز لابن عمي؟ قالت لي ببرود وبصوت متهدج: الموت حق ، وأنا كنت جاهلة ، أنت وابن عمك أرضعتمك سوياً ، وسمعتُ الشيخ في الإذاعة يقول: إن الأخت بالرضاعة لا تتزوج أختها من الرضاعة ، وسألتُ العلماء فقالوا لي: زواج ابنك باطل؟ صرخت في وجهها وقلتُ لها: دمرتني؟! حرام ، أنت حاقدة. لحظتها دارت بي الدنيا ، وسقطت منهارة وقد وقعت الكارثة ، وأصبحت حديث الناس ، سألتُ أمي عن موضوع الرضاعة فقالت لي: هي رضعات لم تتجاوز أصابع اليد الواحدة ، ولكن هذه المرأة أقسمت أنها أكثر من أصابع اليدين. وبعد الرفع للقضاء صدر الحكم بالتفريق بيني وبين زوجي دون طلاق ، وإلحاق الأبناء بأبيهم ، فخرست الزوج والأبناء. لقد ضاع كل شيء جميل في حياتي). اهـ. روى النسائي وابن حبان وصححه الشيخ الألباني عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أربعة يُبغضهم الله عز وجل البياع الحلاف (أي كثير الحلف كذباً وزوراً) والفقير المختال والشيخ الزاني والإمام الجائر. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: إن أكبر الكبائر استطالة المرء في عرض رجل مسلم بغير حق. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم القضاة ثلاثة: واحد في الجنة واثنان في النار ، فأما الذي في الجنة فرجل عرف الحق ففضى به ، ورجل عرف الحق فجار في الحكم فهو في النار ، ورجل قضى للناس على جهل فهو في النار". وعلى بن أبي طالب يقول: إنما أهلك من كان قبلكم أنهم منعوا الحق حتى اشترى ، وبسطوا الجور حتى أفتدي. ويقول عمر بن عبد العزيز: إذا دعيتك قدرتك على ظلم الناس فاذكر قدرة الله تعالى عليك ، واذكر نفاذ ما تأتي إليهم وبقاء ما يأتون إليك. وعن جابر أن رسول الله قال: {اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة ، واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم ، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم}. [رواه مسلم]. وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: {لتؤذن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء}. [رواه مسلم]. وعن أبي هريرة أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: {من كانت عنده مظلمة لأخيه ؛ من عرضه أو من شيء ، فليتحلله من اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم ، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته ، وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه}. [رواه البخاري]. وعن أبي هريرة أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: {أتدرون من المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. فقال: إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، ويأتي وقد شتم هذا ، وقذف هذا وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا ، فيعطى هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه ، أخذ من خطاياهم وطرحت عليه ، ثم طرح في النار}. [رواه مسلم]. فلما طالعتُ القصة انهمرتُ دموع الشعر وتحولتُ إلى باقة من الأبيات التي تتناول حالة هذه الزوجة التي كان درس النقمة منها قاسياً. وعسى أن تعتبر به كل زوجات الأبناء في الأرض اليوم ليفرج الله عنا الكرب!

بشعرى أعرض بالعطبل | بلفظٍ أمرٍ من الحنظل
وقافيةٍ نصفها كاللظى | ونصفاً - بنيرانها - يصطلي
ووزن معاً يبره أحكمت | لأجلها في المقام العلي

وأَنْصُرُهُ بِالْبِيَانِ الْجَلِيِّ
تَعِيشُ - مِنْ الْخَيْرِ - فِي مَعزِل
لَتَشْتَعِلَ النَّارُ فِي الْمَنْزِلِ
وَحَابَ التَّجَبُّرُ مِنْ مَنْهَلِ!
وَيَوْمًا يُصِيبُكَ فِي مَقْتَلِ
مِنَ الطَّغْمَةِ الْوَبْشَةِ الْعُذْلِ
فَأَحْرَى بِكَ الْيَوْمَ أَنْ تَعْقَلِي
بِقَلْبٍ بِأَحْقَ عَادِهِ مِمَّنِّي؟
وتَغْلِي - مِنَ الْكَيْدِ - كَالْمَرْجَلِ
وتَحْتَجُّ بِالْمَنْطِقِ الْمُبْطِلِ
وتَحْتَالُ بِالْمَطْمَحِ الْمُخْجَلِ
لِيَبْقَى شَرِيداً بِسَلا مَوئِلِ؟
تَخِرُّ لَه قِمَمُ الْأَجْبُلِ
فَهِيَ اسْتَجِيي ، فَلَنْ تُمَهَلِي
لَتَبْكِي عَلَيِ الزَّمَنِ الْأَوَّلِ
وَلَكِنْ فَرَاقٌ بِحُكْمِ (الْعَلِي)
تَذَكَّرْ مَا فَاتَ ، فَلْتَسْأَلِي
وَمَا لَكَ - فِي الْأَمْرِ - مِنْ مَعْدِلِ
وَحَقِّ لَكَ الْيَوْمَ أَنْ تَرْحَلِي

أَعِيدُ - إِلَى الْحَقِّ - قَسْطَاسَهُ
يَمِيناً تَعَجَّبْتُ مِنْ عَادَةِ
تُجَرِّعُ أُمَّ الْحَلِيلِ الضَّنَا
هَدَادِيكَ كَأْسُ الشَّقَا مُرَّةً!
وَسَيْفُ التَّشْفِي شَدِيدُ الْمَضَا
وَيُثْمِتُ فِيكَ لِنَامِ الْوَرَى
مَغْبِةً مَا تَفْعَلِينَ الرَّدَى
وَكَيْفَ تَعِيشِينَ غَدَارَةَ
وَنَفْسٍ تَعَذِّبُ مَنْ حَوْلَهَا
وتَلْفِخُ مَنْ لَامَهَا بِاللُّظَى
وتَصْبِغُ - بِالْمَكْرِ - أَلْفَاظَهَا
حَنَانِيكَ ، زَوْجُكَ مَا ذُنُبُهُ
وَهَا قَدْ أَتَاكَ الْبَلَاءُ الَّذِي
وَمَا لَكَ - فِي صَرْفِهِ - قُدْرَةَ
إِلَى دَارِ قَوْمِكَ فِي ذَلَّةٍ
وَلَا طَلْقَةَ بَعْدُ أَوْ عِدَّةَ
أَعَانَ الْإِلَهَ الْعَجُوزَ عَلَيِ
وَأَمَّا الشُّهُودُ فَقَدْ قَرَّرُوا
وَأَمْسَى الْحَلِيلُ الْعَشِيْقُ أَخَاً

مائدة وأسئلة

(اعتاد ذلك الفتى الموفق الذي لا يتجاوز الخامسة عشر من عمره أن يعد مائدته كل حين ويدعو أستاذه في المناسبات وغير المناسبات. وفي ذات الحين الذي لم يغفل فيه عن إحضار أطيب الطعام والشراب ، كان لا يغفل عن إحضار قائمة فيها من الأسئلة الشئى الكثير ليستفتي فيها الأستاذ. وكان لا يقدم بين يدي اللقاء أسئلة سخيصة تستفرغ الطاقة والجهد والوسع! إنما يستهلها بزيد الموضوعات وجميل الألغاز والأحاجي التي أعجزت الآخرين مستغلاً في ذلك أمانة الأستاذ الذي إن علم أجاب ، وإلا وعد بالحث والدراسة! وكأنه يذكرنا بحكاية ابن طولون مع ولده! يحكى أن الأمير ابن طولون أراد أن يؤدب ولده ، وكان الولد أكولاً نهماً ؛ فأرسل الوزير في ساعة من الليل ، وقال له: انتني به فوراً ، ولا تسمح له بأكل شيء قبل أن تشخصه إليّ ، فذهب الوزير ، وقال للولد: أجب الأمير ، قال أمهلني قليلاً لأكل ، قال: أجب الأمير فوراً على هينتك الآن ، وذهب الولد ، فجلس في قاعة انتظار حتى طال به الجلوس واشتد به الجوع ، قال والده: أدخلوه الغرفة ؛ فدخل ووجد على الخوان ألواناً من الأطعمة اليسيرة التي نسميها (مقبلات) الجرجير والبقول والسلطات وما شابه ذلك ، فوقع عليها أكلاً حتى شبع وهدأت نفسه ، ثم أمر الأمير أن يؤذن للولد على مائدة من أجود أنواع الأطعمة مما لذ وطاب من الوجبات الرئيسية ، وعليها الأمير ووزراؤه وحاشيته ، فأكلوا وانقبض الولد. فسأله أبوه: لماذا لا تأكل؟ قال: قد شبع ، ولم أعلم أن ثمة طعاماً آخر هو ألد وأطيب. قال الأمير: إنما أحضرتك لألقتك درساً في حياتك ، اعلم يا بني أنه ليس لك إلا بطن واحد ، فإذا ملأته بالبقول والأطعمة الأولية ؛ لم تجد نفسك في الطعام الذي هو أكثر نفعاً وأعظم لذة ، وهكذا إذا ملأت وقتك بالأموال الصغيرة ضاق عن جلائل الأعمال وفضائلها. وما أرى ابن طولون إلا صدق فيما ارتأى! وإذن فسؤال الأستاذ هو الطريق إلى العلم والتعلم. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ». وَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «رَحِمَ اللَّهُ نِسَاءَ الْأَنْصَارِ لَمْ يَمْنَعُهُنَّ الْحَيَاءُ أَنْ يَسْأَلْنَ عَنْ أَمْرِ دِينِهِنَّ». وَقَالَتْ أُمُّ سَلِيمٍ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ هَلْ عَلَى الْمَرْأَةِ مِنْ غُسْلٍ. . . ؟» وقال ابن حزم في مراتب العلوم [ضمن مجموع رسائله]: [في وصايا لطالب العلم]: (وسكنى حاضرة فيها العلم ، ولقاء المتنازعين ، وحضور المتناظرين فبهذا تلوح الحقائق ، فليس من تكلم عن نفسه وما يعتقده ، كمن تكلم عن غيره ، ليست الثكلى كالنائحة المستأجرة ، ومن لم يسمع إلا من عالم واحد أوشك أن لا يحصل على طائل ، وكان كمن يشرب من بئر واحدة ، ولعله اختار الملح المكدر ، وقد ترك العذب ، ومع اعتراك الأقران ومعارضتهم يلوح الباطل من الحق ، ولا بد ، فمن طلبه كما ذكرنا أوشك أن ينجح مطلبه ، وأن لا ينفق سعيه ، وأن يحصل في المدة اليسيرة على الفائدة العظيمة ، ومن تعدى هذه الطريقة كثر تبعه ، وقلت منفعته. مذكراً إيانا بالشافعي الأستاذ وأحمد التلميذ وغيرهما من الأئمة العظام. فأثنت على هذا السلوك الجميل شعراً أقول حكاية على لسان الأستاذ!)

هاتِ يَا مَحْمُودُ عَذْبَ الْأَسْئَلَةِ واجعلِ الْعِلْمَ - إِلَى التَّقْوَى - صَلَاةً

واطرحِ التَّكْلِيفَ أَرْضَاءً وَالْهَوَى إنَّ لِلْعِلْمِ عَظِيمَ الْمَنْزِلَةَ

كم بصير المرء خُلت مشكلة!
عند رب الناس أجزر الأسئلة
وهي - بالتطويح - باتت مُبظلة
ينصرُ الحق ، ويُنهى المهزلة
وأثاروا - في الديار - البلبلة
من دعاوى - إي ورببي - مُخجلة
واستمررت دون أدنى غربلة
بل تمادوا في التدني والبله
واهجر الزيف ، ودغ من أصله
كل فتوى - في صداها - حنظلة
يلزم التقوى ، ويهوى المعدلة
وتتبع من روى والسلسلة
وروايات أتت مُرسلة
وهي للسواى - يقيناً - مُوصلة
واسع - في درب التلقي - هرولة
دربهم للفسق دوماً مُوصلة
فاحقر الدون ، وخَلَّ الهرجلة

والتمسُ يا صاح صيراً وافراً
واحتسبُ جُهداً ووقتاً ، وادخرُ
عصرنا فيه الفتاوى طَوَعَتْ
لم نعد نعهد فيها من هدىً
ودعاة السوء خطوها ضحىً
واستساغ الناس ما تدعوله
واستقرت دون إنكار لها
والألى أفتوا بها لم يندموا
إيه يا محمود ، لا تعبأ بهم
هذه الفوضى لها أربابها
سوف لن تفين عبداً صالحاً
فاكتب النص ، وحقق متنه
وتأمل كل لفظٍ غامض
واحذر الأهواء تُزري بالهدى
واغتنم علماً تجد آثاره
وانأ عن أهل المخازي جملة
أنت أهل للتسامي للعللا

فأين الفضل إذن؟

(من أداب المداينة في الإسلام الأدب في الطلب والحسن في الأداء. ولكن عندما يصبح الدينار في قلوب الداننين يتغير الوضع وتنقلب المعايير. فأما دانن قصيدتنا فيطلب حقة بأدب واحترام ، وبعد صبر طويل جميل على مدينه المُعسر. وبقي في ذمة المدين من مبلغ كان مقداره 52900 درهم بقي منه فقط ألف وسبعمائة. ويطلب تأجيلها إلى ميسرة ، ولا يرضى الدانن بل يتعسف للحد الذي معه يبيع المدين ملابسه وكتبه ونعاله وسراجه ، فالذي قيمته ألف يباع بمائة. وأسأل: فأين الفضل إذن؟ وقد روى البخاري من حديث جابر - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى). وروى أحمد بإسناد صحيح من حديث عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (دخل رجل الجنة بسماحته قاضياً ومقتضياً). وبناء على كل هذا فإنه يجب على المسلم أن يُحسن ويتأدب في الاقتضاء ، ولا يكلف مدينه أن يبيع ما يملك ليؤدي الدين ، فيكون بيعه للذي يملكه بيع تلجئة تبخس فيه القيمة ، ويضطر المدين للقبول حتى يحصل على المال الذي به يؤدي الدين الذي عليه. عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنت أخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما نزل ، فكنت أسمعه يكثر أن يقول: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ ، وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ ، وَالْبُخْلِ وَالْجُبْنِ ، وَضَلَعِ الدِّينِ ، وَغَلْبَةِ الرَّجَالِ). والمعنى: (وضلع الدين): أي شدته وثقله مع عدم قدرة المدين على أدائه ، حتى يميل صاحبه عن الاستواء والاعتدال ؛ فلهذا استعاذ منه صلى الله عليه وسلم لما فيه كذلك من شغل العبد عن القيام بالعبادة على الوجه الأكمل ، والوقوع في المحذورات الشرعية ، مثل: الإخلاف في الوعد ، والوقوع في الكذب. أنشدت في هذا من شعري أقول حاضاً على الفضل وأمرأ به ، ومُنفرأ عن الجبر والاعتساف في الطلب ناهياً عنه!)

الفضـلُ يُورثُ عِزَّةً وَصَـلَاحاً	وَرِحَابُهُ تَسْتَأْصِلُ الأتْرَاحاً
وَصَـنَائِعُ المَعْرِوفِ تَنفَعُ أَهْلَهَا	وَالرَّفِيقُ يَهْدِي - لِلنَّفْسِ - سَـمَاحاً
لَا شَيْءَ كَالتَّيْسِ يَبِيرُ بِهَيْجِ عَيْشِنَا	وَيُقِيمُ - فِي أَصْقَاعِنَا - الأَفْرَاحاً
وَالدِّينُ عِاتٍ ، وَالمَطَالِبُ جَمَـةٌ	وَالضِّيقُ يُزْجِي الهَمَّ وَالأَتْرَاحاً
هُوَ بِالنَّهَارِ مَذَابِحٌ ، وَمَهَانَةٌ	كَمَ خَمَشَتْ - عِنْدَ اللِّقَاءِ - جَرَا حَا!
وَأَرَاهُ - بِالبَلِيلِ البَهِيمِ - كَآبِةٌ	وَالعَيْنُ تَنزِفُ دَمْعَهَا السَّحَا حَا
وَكَمَ اسْتَدَانُ عَزِيْزِ قَوْمِ فَاعْتَلَى	مَتَنَ الإِهَانَةَ غَدْوَةً وَرَوَاحَا!
فَإِذَا بِهِ - بَعْدَ الكِرَامَةِ - وَاجمَأً	إِذْ لَمْ يَعدْ - بَيْنَ الوَرَى - مَرْتَا حَا

يُؤذِيهِ وَخَزَّ الدِّينَ حَانَ سَدَادُهُ
وَالدَانُونَ - إِلَيْهِ - سَاقُوا جُنْدَهُمْ
مَاذَا وَرَاءَكُمْ؟ أَحَرَبٌ أَوْ قِدْتُ
أَمْ جَحْفَلٌ وَالْعَادِيَّاتُ تَحْوِطُهُ
أَوْلَيْسَ دَيْنًا مَا اسْتَطَاعَ مَدِينُهُ
وَهَلِ الْبَقِيَّةُ - بِالشُّقَاقِ - جَدِيدَةٌ
حَتَّى يَبِيْعَ مَنْ اسْتَدَانَ لِبَاسَهُ
الْفَضْلُ أَيُّنَ؟ وَأَيُّنَ رَحْمَةٌ دَائِنٌ
وَالرَّفِيقُ أَيُّنَ؟ وَأَيُّنَ تَيْسِيرُ الْأَلَى
وَهَلِ الْمَدِينُ بِبَعْضِ مَا أَدَى اِكْتَفَى
أَمْ قَال: أَمَهْلَنِي ، وَذَا فِي ذِمَّتِي
هَلْ هَذِهِ أَسُسُ الْمَدَائِنَةِ الَّتِي
هِيَ - فِي كِتَابِ اللَّهِ - أَطْوَلُ آيَةٍ؟
عُودُوا إِلَى الْقُرْآنِ يَحْكُمُ بَيْنَنَا
كَيْلًا أَعْدَبَ مَرَّتَيْنِ ، وَأَرَعَوِي
ذَلَان: ذَلَّ الدِّينَ سَرِبَلٌ عَزَّتِي
وَالْمَدَائِنُ الْمَغْرُورُ ذَلَّ شَرْطُهُ
تَا اللَّهُ إِنَّ الدِّينَ أَحْنَى هَامَتِي
يَا رَبِّ جَنَّبْنَا الْبُيُوتَ وَذَلَّهَا

فِي رُوحٍ - مِنْهُ - عَشِيَّةً وَصَابَاحًا
وَالكُلُّ يَحْمِلُ جُنْدَةً وَسِبَاحًا
نِيرَانَهَا ، وَالْكَيْدُ يَغْزُو السَّاحَا؟
وَتَصَوُّونَ - لِفَتْحِ الْمَبِينِ - ضَبَاحًا؟
كُلُّ الْأَدَاءِ ، فَلَيْسَ ذَاكَ مَتَاحًا؟
حَتَّى نَرَى - فِي الْاِقْتِضَاءِ - صِفَاحًا؟
وَكِتَابَهُ وَالنَّعْمَ وَالْمِصْرَ بَابًا؟
أَعْطَى وَأَنْظَرَ ، لَا عَلَيْهِ جُنَاحًا؟
أَعْطَاهُمُ الْمَوْلَى تَقَىً وَصَاحًا؟
وَنَأَى بِجَانِبِهِ لَكُمْ ، وَأَشَاحًا؟
وَعَلَى الْوَفَا أَنَا أَشْهَدُ الْفِتَاحَا؟
هِيَ - فِي الْكِتَابِ - تَخَاطَبُ النَّصَاحَا؟
وَاسْتَنْطَقُوا الْكُتَابَ وَالشُّرَاحَا
إِذْ أَفْصَحَتْ آيَاتُهُ إِفْصَاحَا
لِلْغَمِّ يَأْسُرُ خَاطِرِي الصَّادَاحَا
وَالْعَيْشُ لَيْلٌ فَارِقَ الْإِصْبَاحَا
وَكَأَنَّ - فِي سَرْدِ الشَّرْطِ - رِمَاحَا
لَمَّا عَجَزْتُ ، وَمَا اسْتَطَعْتُ كِفَاحَا
إِذْ تُعْقِبُ الْأَهْمَاتِ وَالْأَنْوَاحَا

الزواج ليس سجناً جبرياً

(ص 27 من (حدث في المحكمة) للأستاذ سلمان العمري ، قصة المرأة التي احتالت لتطلق من زوجها ، ثم هو يبادر ويعطيها الفرصة فعلاً ، ثم يأخذ ابنته ويطلق الأم. (إن الإنسان ليعجب من هذه المعاملات جداً!). (جاءت هذه المرأة لكون زوجها مريضاً بالقلب ولكرهاها له وقد أنجبت منه ولكونه يراجع المستشفى ويرقد فيها كثيراً وهو يسكن بجوار أهلها ، انطلقت ذات صباح إلى المحكمة لتقول: إن زوجي غائب لا أعرف مكانه ، وتقدمت إلى المحكمة بهذا الطلب ، فأعلنت المحكمة في إحدى الصحف ، وتخابر به الناس ومن ضمنهم جيرانهم ، وفجأة جاءت بالشهود للقاضي بشكل سريع بعد انقضاء مدة الإعلان ، ثم جاءت بشهود زور يشهدون بغيته وأنه لا يعرف مكانه ، وأنها بحثت عنه وكتبت للجهات المختصة التي لم تستدل عليه لكونه يقيم إقامة نظامية ، وفعلاً جاء الشهود فسمع القاضي ما لديهم من شهادة ورصدها وأجل الأمر لمزيد من التثبت ، وبقدرة من الباري سبحانه وتعالى يتهدى هذا المريض بعد أن أخبر بالإعلان ، ومعه صورة من الإعلان ، ورجلان يشهدان بأنه مجاور لهما ، فيخبر القاضي بذلك ، ولأنه أي الزوج شهم أبيّ كريم فقد قال كلمته التي لا ترد: مادامت لا تريدني فأنا كذلك لا أريدها ، ولكن تسلمني ابنتي وأخلي سبيلها فرضيئت هي بذلك ، وأعلنت تسليمها له ، والتزمت بذلك. وكان الفراق وأخذت الطفلة من بين يدي أمها وهي تبكي أسيرة حسيرة كسيرة. وبقيت الأم تعيش هموم كذبها وحسراتها وآلامها ، وخسرت دنياها وما كان سيدخر لها من الأجر العظيم بقيامها بحق زوجها ورعايتها له ، ولا يبعد أن يكون هناك من دخل في حياتها فأفسدها وخببها على زوجها). اهـ. إنني أقول بكل صدق: إنه إذا وصلت العلاقة بين الزوجين إلى هذا الحد ، فلماذا التحايل والتحاكم والتزوير والتدليس والغش والخداع؟ إن الزواج يا بنات حواء ويا أبناء آدم ليس سجناً جبرياً قسرياً لا يمكن الخروج منه البتة! والكتاب الذي احتوى أحكام الزواج كلها من الألف إلى الياء ليس يحتوي على سورة تسمى بسورة الزواج ، بل احتوى على سورة (الطلاق)! إن الطلاق في بعض الأحيان يكون حلاً ناجعاً موقفاً لبعض المشكلات التي منها (كره المرأة لزوجها ورغبتها الجامحة في فصم عرى الزوجية بأي ثمن وبأي سبيل). وحتى إذا لم يقبل الزوج فهناك الخلع المنصوص عليه في القرآن صراحة (فلا جناح عليهما فيما افتدت به) ، وكان هذا قضاء النبي - صلى الله عليه وسلم - للمرأة التي جاءتته تقول: (إنني أكره الكفر في الإسلام ، بمعنى أنها لا تريد أن يكون بغضها لزوجها طريقاً إلى كفران عشيره والتقصير في واجباته وحقوقه ، وبيئت للرسول - صلى الله عليه وسلم - بعد ذلك أنها لا تعيب على زوجها خلقاً ولا ديناً ولا معاملة) فقال لها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (أتردين عليه حديقته؟) فقالت: أفعل ، فأخذ الرجل حديقته ونالت المرأة حريتها وباتت في حل من هذه الزيجة ، وأخذ الرجل ما أصدقها به (الحديقتين) والنساء دونها كثيرات ، والرجال دونه كثيرون ، (وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته). وإذن ففي الأمر سعة ويسر لماذا يضيق الناس بشقوتهم رحمة الله ويعمدون إلى الطرق الملتوية وتزوير الحقائق؟ أنشدت أحبب الناس في صدق المواجهة وأبغض إليهم الالتواء والخداع!

لماذا التحايل يا عطفانة؟ وهل - هكذا - خللت المشكلة؟

وخضتِ المَعَامِعَ مستبسلة
فهل - بعد ذلك - من مهزلة؟
عذاباتِها مُرّةٌ مُخجّلة
كأنّ ليس بينكما من صلة!
بـ نفسٍ بـغصّاتِها مُثقلّة
لَمّا أحدثتِ المكرُ من بلبلّة
تغربلها - في الـورى - غربلة
حليلاً تعثرَ في الزعجالة
بعنفٍ ، ولم تقرأ البسمة
لتزاح - من دربه - المعضلة
من السير في السكة الفوحلة
فضاقت - بما صاغ - من أسئلة
لثُمسيّ في دارها مُهملة
وتُدرك ما نالها من بَلْه؟
وأين التثبُتُ والمعدالة؟
وزلزل أخلاقها زلزلة
أمرّ مَذاقاً من الحنظلة
وكفّت عن الحيل المُبطلّة!

تجشّمتِ - في الكيد - مُر الأذى
وحكّتِ الأباطيلَ في خسةٍ
ولفقتِ حتّى زكّت فتنة
وزوجك مُستنزفٌ ضائعٌ
يعاني الذي أنتِ أدري به
وقلب يكابدُ أوجاعه
وروح تقاسي صنوفَ الشقا
لأن الحليّة لم تحتـرم
وألقّت به في مهاوي الردى
فراجعهـما بـاذلاً ودّه
ولكنها آثرت ما ارتأت
وساءلها الزوج عن قصدها
فطلقها مُسـتجيباً لها
أما كان أحري بها أن تعي
وأين الرشاد؟ وأين الحجّاء؟
رأيتُ التهورَ أزرى بها
وأطعمتِ البناتِ خذلانها
فيا ليتها أبصرتُ رشدها

توبة تحت الأمواج

(عاش عاشقاً للبحر ، واشترى لأجله مركباً ، ليستمتع بالبحر. وانقلب به القارب وحيداً. فدعا الله تعالى ، واستجاب الله الدعاء وأنجاه على أيدي أناس آخرين. فعزم على التوبة بعد أن كان غارقاً في الملذات والشهوات الدنيا بعيداً عن الله عز وجل. ولنستمع إليه يحكي قصته بنفسه ، (يقول: كنت ذات يوم في البحر مع قاربي وحيداً ، أقطع الأمواج وكان الوقت قد قارب على المغرب! وأنا أحب أن أبقى منفرداً في هذه الساعة بالذات ، أعيش مع أحلامي ، وأقضي أجمل أوقاتي مع الأطياف ، وأنا وحيد على الماء الأزرق ، وفجأة حدث ما لم يكن في الحسبان ، ورأيت القارب وقد اعتلاني ، وأصبحت تحت الماء أصارع الأمواج والموت معاً. لم أستطع أن أستخدم قارب النجاة أو الطوق المعد لمثل هذه الحالات. صرخت بأعلى صوتي: يا رب أنقذني ، صدرت هذه الصيحة من أعماق قلبي ، ولم أدر بنفسي. غبت عن الوعي ، استيقظت ، أجلت بصري يمنة ويسرة ، رأيت رجالاً كثيرين يقولون: (الحمد لله ، إنه حي ، لم يموت) ، ومنهم اثنان قد لبسا ملابس البحر. قالوا لي: (الحمد لله الذي نجاك من الغرق ، قد شارفت على الهلاك ، ولكن إرادة الله كانت لك رحمة ومنقذاً). لم أتذكر ما مضى في الحادث إلا ندائي لربي. دارت بي الدنيا مرة أخرى ، وأصبحت أحدث نفسي ، لماذا تجافي ربك؟ لماذا تعصيه؟ وكان الجواب: الشيطان والنفس ، والدنيا كانت تصرفني عن ذكر الله! أفقت من دواري ، وقلت للحاضرين: هل دخل وقت العشاء؟ قالوا: نعم. قمت رغم دهشة الحضور ، وتوضأت وصليت. ثم قلت: واعجباً هل الحقيقة أني أصلي؟! لم أكن أؤدي هذه الصلوات في حياتي إلا مرات قليلة جداً ، وفوق ذلك رحمني ربي وأكرمني بجوده ومنه. عاهدت ربي على أن لا أعصيه أبداً ، وإن أزلني الشيطان فسوف أستغفر ، فإن ربي غفور رحيم. وبقيت متخوفاً أن لا يقبل الله توبتي حتى قرأت هذه الآية: "إن الله لا يغفر أن يشرك به ، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء". وتذكرت قول النبي ﷺ: "إن التوبة تجب ما قبلها" ، فطمأنت نفسي واستكانت ، وعرفت أن الله جواد كريم يفرح بتوبة عبده مهما بلغت ذنوبه. أسأل الله سبحانه وتعالى أن يتوب عليّ وعليكم وعلى المسلمين أجمعين ، إنه سميع مجيب). اهـ. يقول الحافظ ابن الجوزي في تصوير تسوية التوبة: يجب على من لا يدري متى يبعثه الموت أن يكون مستعداً ، ولا يغتر بالشباب ، والصحة ، فإن أقل من يموت الأشياخ ، وأكثر من يموت الشبان ، ولهذا ينذر من يكبر ، وقد أنشدوا: يُعمر واحد ، فيغر قوماً وينسى من يموت من الشباب ، ومن الاغترار طول الأمل ، وما من أفة أعظم منه ، فإنه لولا طول الأمل ما وقع إهمال أصلاً ، وإنما يقدم المعاصي ، ويؤخر التوبة لطول الأمل ، وتبادر الشهوات ، وتنسى الإنابة لطول الأمل! (انظر صيد الخاطر لابن الجوزي). ويقول الإمام أبو حامد الغزالي صاحب الإحياء في بيان أن طول الأمل مع نسيان الموت والدار الآخرة قد يكون من الأسباب التي تؤدي إلى التسوية: اعلم أن من له أخوان غائبان ، وينتظر قدوم أحدهما في غد ، وينتظر الآخر بعد شهر أو سنة ، فلا يستعد للذي يقدم إلى شهر أو سنة ، وإنما يستعد للذي ينتظر قدومه غداً ، فالاستعداد نتيجة قرب الانتظار ، فمن انتظر مجيء الموت بعد سنة ، اشتغل بالمدة ، ونسي ما وراء المدة ، ثم يصبح كل يوم ، وهو منتظر للسنة بكاملها ، لا ينقص منها اليوم الذي مضى وذلك يمنعه من مبادرة العمل أبداً ، فإنه أبداً يرى لنفسه

متسعاً تلك السنة ، فيؤخر العمل! [انظر إحياء علوم الدين للغزالي] . والحقيقة أن هذه قصة قصيدتنا تعطينا درساً واعياً في عدم تسويق التوبة ، بل الواجب والأحرى بالمسلم أن يسارع في التوبة ويعجل بها لأنه ليس يدري متى ينقضي الأجل ومتى تقوم قيامته. إن تسويق التوبة يعني بقاء العبد سادراً في الغي والمعصية ، وإذا كان ذلك فإن العبد لا يدري هل يقبضه الله عليها؟ أم تكون هناك فسحة للتوبة والإنابة؟ والأعمال بالخواتيم ، فلربما يسبق عليه الكتاب وتحين ساعة قبض روحه فيكون ذلك على معصية يلقي الله تعالى بها! والقرآن يحضنا في أكثر من موضع على عدم تسويق التوبة! قال الله تعالى: (أَفَأَمَّنْ أَهْلُ الْفُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ * أَوْ أَمَّنْ أَهْلُ الْفُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يُلْعَبُونَ * أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ). وقال: (أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ * أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ). وقال: (وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بآيَاتِ رَبِّنَا وَنُكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ). وقال: (وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ). وقال: (حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ). وقال: (كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا * وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا * وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذُّكْرَى * يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي). وقال: (وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ * أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتِي عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ * أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ * أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ). وصدق النبي – صلى الله عليه وسلم – إذ يقول فيما أورد البغوي في شرح السنة: (الكيس من دان نفسه ، وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها ، وتمنى على الله الأمانى). والعرب تقول: رب ضارة نافعة. فلنغتتم الفرصة ولنجدد التوبة ولنعد الزاد ليوم المعاد قبل أن نعص أصابع الندم ولات ساعة مندم. وأوصى ثمامة بن بجاد السلمي قومه فقال: أي قوم ، أنذرتكم سوف أعمل ، سوف أصلي ، سوف أصوم! [أخرجه ابن المبارك في الزهد بهذا اللفظ].. ويوسف بن أسباط قال: كتب إلي محمد بن سمرة السائح بهذه الرسالة : أي أخي ، إياك وتأمير التسويق على نفسك ، وإمكانه من قلبك ؛ فإنه محل الكلال ، وموئل التلف ، وبه تقطع الآمال ، وفيه تنقطع الآجال ، فإنك إن فعلت ذلك أبدلته من عزمك وهواك عليه فعلاً ، واسترجعا من بدنك من السامة ما قد ولى عنك ، فعند مراجعته إياك لا تنتفع نفسك من بدنك بنافعة ، وبادر يا أخي فإنك مبادر بك ، وأسرع فإنك مسروع بك ، وجد فإن الأمر جد ، وتيقظ من رقدتك ، وانتبه من غفلتك ، وتذكر ما أسلفت وقصرت وفرطت ، وجنيت وعملت ، فإنه مثبت محصى ، فكأنك بالأمر قد بغتكَ فاعتبطت بما قدمت ، أو ندمت على ما فرطت. [اقتضاء العلم بالعمل]. يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: من القوة ألا تؤخر عمل اليوم إلى الغد. قال لقمان لابنه: يا بني ، لا تؤخر التوبة ، فإن الموت يأتي بغتة ، ومن ترك المبادرة إلى التوبة بالتسويق ، كان بين خطرين عظيمين ، أحدهما: أن تتراكم الظلمة على قلبه من المعاصي ، حتى يصير رينا وطبعاً لا يقبل المحو ، الثاني: أن يعاجله المرض أو الموت فلا يجد مهلة للاشتغال بالمحو [إحياء علوم الدين للغزالي]. ولقد نظرت أحوال الناس ، فوجدت أن طول الأمل مرض لا يبتلى به إلا ضعيفو الإيمان وغير المخلصين! إن

شبح الموت يكاد يمثل للمؤمن نصب عينيه ، ولذا فهو يستعد له جيداً ، من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله! إنه فعلاً يعيش في هذه الدنيا كأنه غريب يوقن أنه سوف يفارقها يوماً ، ومن هنا نجده يستعد بالأعمال الصالحة ويعيش حذراً من طول الأمل وكثرة الأمانى! لأن هذا سمت العاجز الغوي!)

رُبُّ ضُررٍ يُغَيِّرُ الأَوْضَاعَا
ثم يغدو زيرُ النساءِ رَجَاعَا
بل ويمضي - عن المعاصي - بعيداً
ويُجافي الخِـلانَ والأَتباعَا
ويُواري عِصِيَّاتِه والخِطايَا
ويُحابي أهلَ التقى والمَعالي
والمتابُ عن كلِّ ذنبٍ يُخَبِّي
واسألَ الموجَ عن غريقٍ كَنيبِ
غاله البحرُ ، واحتواه وحيداً
غاضباً للحقِ استتبع كثيراً
مُستثيراً أمواجه مُستتحناً
إيه يا بحرُ قد يتوبُ عِصِيَّيْ
ودَع الفسقَ خوفاً ربِّ البرايا
عازماً أن لا يسـتجيبَ لزيـفِ
مؤثراً تقوى ذي الجلال سببلاً
يا خضمَ ارفق بالغريق ، وأحسنُ
أنت عبداً ، والضيفُ عبداً ، فيسّرُ
بات أقوى مِن لجتيك ، وأسمى!
إن هذا الشراعُ يا بحرُ عالٍ

وصية لا أحلى ولا أجمل

(أورد الإمام أبو حاتم محمد بن حبان البستي في مصنفة الرائع: (روضة العقلاء ونزهة الفضلاء) ص(160) وصية الخطاب بن المعلّى المخزومي لولده تلك التي رواها عنه عبد الرحمن بن أبي عطية الحمصي. فألفيتها بديعة ظريفة وموفية بالعرض والفائدة. عن عبد الرحمن بن أبي عطية الحمصي عن الخطاب بن المعلّى المخزومي القرشي أنه وعظ ابنه فقال: (يا بني ، عليك بتقوى الله وطاعته ، وتجنب محارمه باتباع سنته ومعالمه حتى تصحّ عيوبك ، وتقر عينك ، فإتها لا تخفى على الله خافية ، وإني قد وسمت لك رسماً ، ووضعْتُ لك رسماً ، إن أنت حفظته ووعيته وعملت به ملأت أعين الملوك ، وانقاد لك به الصلوك ، ولم تزل مرتجى مشرفاً يحتاج إليك ويرغب إلى ما في يديك ، فأطع أباك واقتصر على وصية أبيك ، وفرغ لذلك ذهنك ، وأشغل به قلبك ولبك ، وإياك وهذر الكلام ، وكثرة الضحك والمزاح ، ومهازلة الإخوان ، فإن ذلك يذهب البهاء ، ويوقّع الشحاء ، وعليك بالرزانة والتوقر ، من غير كبر يوصف منك ، ولا خيلاء تحكى عنك ، والى صديقك وعدوك بوجه الرضا ، وكف الأذى ، من غير ذلة لهم ولا هيبة منهم ، وكن في جميع أمورك في أوسطها ، فإن خير الأمور أوسطها ، وقلل الكلام ، وأفش السلام وامش متمكناً قاصداً ، ولا تخط برجلك ، ولا تسحب ذيلك ، ولا تلو عنقك ولا رداءك ، ولا تنظر في عطفك ، ولا تكثر الالتفاف ، ولا تقف على الجماعات ، ولا تتخذ السوق مجلساً ، ولا الحوانيت متحدثاً ، ولا تكثر المراء ، ولا تنازع السفهاء ، فإن تكلمت فاختصر ، وإن مزحت فافتصر ، وإن جلست فتربع ، وتحفظ من تشبيك أصابعك وتفقيعها ، والعبث بلحيتك وخاتمك ، وذوابة سيفك وتخليل أسنانك ، وإدخال يدك في أنفك ، وكثرة طرد الذباب عنك ، وكثرة التثاؤب والتمطي ، وأشبه ذلك مما يستخفه الناس منك ، ويغتمزون به فيك. وليكن مجلسك هادياً ، وحديثك مقسوماً ، وأصغ إلى الكلام الحسن ممن حدثك ، بغير إظهار عجب منك ، ولا مسألة إعادة ، وغض عن الفكاهات من المضاحك والطرائف والحكايات ، ولا تحدث عن إعجابك بولدك ، ولا جاريتك ، ولا عن فرسك ، ولا عن سيفك وإياك وأحاديث الرؤيا ، فإنك إن أظهرت عجباً بشيء منها طمع فيها السفهاء ، فولدوا لك الأحلام ، واغتمزوا في عقلك ، ولا تتصنع تصنع المرأة ، ولا تتبدّل تبدل العبد ، ولا تهلب تهلب الشعر: (نتف ما غلظ منه) ، ولا تحلقن لحيتك ولا تبطنها ، وتبطين اللحية: (أن لا يأخذ مما تحت الذقن والحنك من الشعر) ، وتوق كثرة الحف ، ونتف الشيب ، وكثرة الكحل ، والإسراف في الدهن ، وليكن كحكك غباً ، ولا تلح في الحاجات ، ولا تخشع في الطلبات ، ولا تغلم أهلك وولدك - فضلاً عن غيرهم - عدد مالك فإنهم إن رأوه قليلاً هُنت عليهم ، وإن كان كثيراً لم تبلغ رضاهم ، وأخفهم من غير عنف ، ولين لهم من غير ضعف ، ولا تهازل أمتك ، وإذا خاصمت فتوقر ، وتحفظ من جهلك ، وتجنب من عجلتك ، وتفكر في حجتك ، وأر الحاكم شيئاً من جلمك ، ولا تكثر الإشارة بيدك ، ولا تحفز على ركبتك ، وتوق حمرة الوجه ، وعرق الجبين ، وإن سفه عليك فاحلم ، وإذا هدا غضبك فتكلم ، وأكرم عرضك ، وألق الفضول عنك ، وإن قرّبك سلطان فكن منه على حد السنان ، وإن استرسل إليك فلا تأمن انقلابه عليك ، وارفق به رفقك بالصبي ، وكلمه بما يشتهي ، ولا يحملك ما ترى من إطفاه إياك ، وخاصته بك: أن تدخل بينه وبين أحد من ولده وأهله وحشمه! وإن كان لذلك منك مستمعاً ، وللقول منك مطيعاً فإن سقطت الداخل بين الملك وأهله

صرعة لا تنهض ، وزلة لا تقال ، وإن وعدت فحقق ، وإن حدثت فاصدق ، ولا تجهر بمنطقك كمنازع الأسم ، ولا تخافت به كتخافت الأخرس ، وتخير محاسن القول بالحديث المقبول ، وإذا حدثت بسماع فانسبه إلى أهله ، وإياك والأحاديث العابرة المشنعة التي تنكرها القلوب ، وتقف لها الجلود (تقشعر) وإياك ومضعف الكلام مثل: نعم ، نعم ، لا ، ولا ، وعجل ، عجل ، وما أشبه ذلك ، وإذا توضأت فأجد عرك كفيك وليكن وضعك الحُرْض (بزنة قفل أو عنق هي الأشنان تغسل به الأيدي إثر الطعام) من الأشنان في فيك كفعلك بالسواك ، ولا تنخع في الطست ، وليكن طرحك الماء فيه مترسلاً ، ولا تمجّ فتضح على أقرب جلسائك ، ولا تعض نصف اللقمة ، ثم تعيد ما بقي منها منصبغاً ، فإن ذلك مكروه ، ولا تكثر الاستسقاء على مائدة الملك ، ولا تعبت بالمشاش (بزنة غراب - العظم الذي لا مخ فيه) ، ولا تعب شيئاً مما يقرب إليك على مائدة بقلة خل أو تابل أو عسل ، فإن صحابه قد صيرت لنفسها مهابة ، ولا تمسك إمساك المثبور ، ولا تبذر تبذير السفية المغرور واعرف في مالك واجب الحقوق ، وحُرمة الصديق ، واستغن عن الناس يحتاجوا إليك ، واعلم بأن الجشع يدعو إلى الطبع ، والرغبة كما قيل تدق الرقبة ، ورب أكلة تمنع أكلات والتعفف مال جسيم وخلق كريم ، ومعرفة الرجل قدره ، وتشرف ذكره ، ومن يتعدى القدر ، هوى في بعيد القعر ، والصدق زين ، والكذب شين ، ولصدق يسرع عطب صاحبه أحسن عاقبة من كذب يسلم عليه فأنله ومعاداة الحليم خير من مصادقة الأحمق ، ولزوم الكريم على الهوان خير من صحبة اللئيم على الإحسان ، ولقرب ملك جواد ، خير من مجاورة بحر طراد ، وزوجة السوء الداء العضال ونكاح العجوز يذهب بماء الوجه ، وطاعة النساء تزري بالعقلاء. وتشبه بأهل العقل تكن منهم ، وتصنع للشرف تدركه. واعلم بأن كل امرئ حيث وضع نفسه ، وإنما ينسب الصانع إلى صناعته ، والمرء يعرف بقريته ، وإياك وإخوان السوء فإنهم يخونون من رافقهم ، ويحزنون من صادقهم ، وقربهم أعدى من الجرب ، ورفضهم من استكمال الأدب ، واستخفاف المستجير لؤم ، والعجلة شؤم ، وسوء التدبير وهن. والإخوان اثنان: فمحافظ عليك عند البلاء ، وصديق لك في الرخاء ، فاحفظ صديق البلاء وتجنب صديق العافية ، فإنهم أعدى الأعداء. ومن اتبع الهوى ، مال به الردى ، ولا يعجبك الجهم من الرجال ، ولا تحقر ضئيلاً كالحلال (بكسر الخاء: بزنة الكتاب العود الذي تخلل به الأسنان ، يريد الرجل النحيف البالغ النحافة) ، فإنما المرء بأصغرية: قلبه ولسانه ، ولا ينفع به بأكثر من أصغريه. وتوق الفساد ، وإن كنت في بلاد الأعادي ، ولا تفرش عرضك لمن دونك ، ولا تجعل مالك أكرم عليك من عرضك ، ولا تكثر الكلام فتثقل على الأقوام وامنح البشر جليساك والقبول ممن لاقاك. وإياك وكثرة التبريق والتزليق ، فإن ظاهر ذلك ينسب إلى التانيث وإياك والتصنع لمغازلة النساء ، وكن متقرباً ، متعزراً ، منتهزاً في فرصتك ، رفيقاً في حاجتك ، متثبتاً في حملتك ، والبس لكل دهر ثيابه ومع كل قوم شكلهم. واحذر ما يلزمك اللانمة في آخرتك ، ولا تعجل في أمر حتى تنظر في عاقبته ، ولا ترد حتى ترى وجه المصدر. وعليك بالنورة في كل شهر مرة ، وإياك وحلاق الإبط بالنورة ، وليكن السواك من طبيعتك ، وإذا استكتت فعرضاً ، وعليك بالعمارة ، فإنها أنفع التجارة ، وعلاج الزرع خير من اقتناء الضرع ، ومنازعتك اللئيم تطمعه فيك! ومن أكرم عرضه أكرمه الناس ، وذم الجاهل إياك أفضل من ثنائه عليك ، ومعرفة الحق من أخلاق الصديق ، والرفيق الصالح ابن عم ، ومن أيسر أكبر ومن افتقر احتقر ، قصر في المقالة ، مخالفة الإجابة ، والساعي إليك غالب عليك ، وطول السفر ملالة وكثرة المنى ضلالة ، وليس للغائب

صديق ، ولا على الميت شفيق ، وأدب الشيخ عناء ، وتأديب الغلام شقاء ، والفاحش أمير ، والوقاح (بفتح الواو – الوصف من الوقاحة – وهي الإفراط في سوء الأدب) وزير ، والحلم مطية الأحق ، والحمق داء لا شفاء له والحلم خير وزير ، والدين أزين الأمور ، والسماجة سفاهة ، والسكران شيطان ، وكلامه هذيان ، والشعر من السحر والتهدد هُجر ، والشح شقاء ، والشجاعة بقاء ، والهدية من الأخلاق السرية ، وهي تورث المحبة ، ومن ابتدأ المعروف صار ديناً ، ومن المعروف ابتداء من غير مسألة ، وصاحب الرياء يرجع إلى السخاء ، ولرياء بخير خير من معالنة بشر ، والعرق نزاع ، والعادة طبيعة لازمة: إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ، ومن حل عقداً احتمل حقداً ، ومراجعة السلطان خرق بالإنسان ، والفرار عار ، والتقدم مخاطرة ، وأعجل منفعة إيسار في دعة ، وكثرة العلل من البخل ، وشر الرجال ، الكثير الاعتلال وحسن اللقاء ، يذهب بالشحناء ، ولين الكلام ، من أخلاق الكرام. يا بني ، إن زوجة الرجل سكنه ، ولا عيش له مع خلافها ، فإذا هممت بنكاح امرأة فإن العروق الطيبة تنبت الثمار الحلوة. واعلم أن النساء أشد اختلافاً من أصابع الكف ، فتوق منهن كل ذات مجبولة على الأذى ، فمنهن المعجبة بنفسها ، المزرية ببعلها ، إن أكرمها رأته لفضلها عليه ، لا تشكر على جميل ، ولا ترضى منه بقليل ، لسانها عليه سيف صقيل! قد كشفت القحّة ستر الحياء عن وجهها ، فلا تستحيي من إعوأها ، ولا تستحيي من جارها ، كلبة هرارة ، مهادشة عقارة (هر الكلب: نبح ، وعقارة: تعقر صاحبها كما يعقر الكلب) ، فوجه زوجها مكلوم ، وعرضه مشتوم ، ولا ترعى عليه الدين ولا الدنيا ، ولا تحفظه لصحبة ولا لكثرة بنين ، حجاب مهتوك ، وستره منشور ، وخيره مدفون ، يصبح كنيباً ، ويمسى عاتباً ، شرا به مر ، وطعامه غيظ ، وولده ضياع ، وبيته مستهلك وثوبه وسخ ، ورأسه شعث ، إن ضحك فواهن ، وإن تكلم فمتكاره ، نهاره ليل ، وليله ويل ، تلدغه مثل الحية العقارة ، وتلسعة مثل العقرب الجرارة. ومنهن شفشليق شعشع سلفع (الشفشليق: العجوز المسترخية ، والشعشع: الطويلة ، والسلفع: الصاخبة البذيئة السيئة الخلق) ، ذات سُم منقع ، وإبراق واختلاق ، تهب مع الرياح ، وتطير مع كل ذي جناح ، إن قال: لا ، قالت: نعم ، وإن قال: نعم ، قالت: لا ، مولدة لمخازيه ، محترقة لما في يديه ، تضرب له الأمثال ، وتقصر به دون الرجال ، وتنقله من حال إلى حال ، حتى قلا بيته ، وملّ ولده ، وغث عيشه ، وهانت عليه نفسه وحتى أنكره إخوانه ورحمه جيرانه. ومنهن الورهاء الحمقاء (وأصله قولهم "سحابه ورهاء" أي كثيرة المطر) ، الماضغة لسانها ، الآخذة في غير شأنها ، قد قنعت بحبه ، ورضيت بكسبه ، تأكل كالحمار الراتع ، تنتشر الشمس ولما يسمع لها صوت ، ولم يكنس لها بيت ، طعامها بانث ، وإنأؤها وضر (الوضر – بفتح الواو والضاد – بقية الدسم والدهن في الإناء ، والوضر – بكسر الضاد – الوصف منه) ، وعجينها حامض ، وماؤها فاتر ، ومتاعها مزروع ، وماعونها ممنوع ، وخدامها مضروب ، وجارها محروب. ومنهن العطوف الودود ، المباركة الولود ، المأمونة على غيابها ، المحبوبة في جيرانها ، المحمودة في سرها وإعلانها ، الكريمة التبعل الكثير التفضل ، الخافضة صوتاً ، النظيفة بيتاً ، خادمها مسمن ، وابنها مزين ، وخيرها دائم ، وزوجها ناعم ، موموقة مألوفة ، وبالغفاف والخيرات موصوفة. جعلك الله يا بني ممن يقتدي بالهدى ، ويأتم بالتقى ، ويتجنب السخط ، ويحب الرضى. والله خليفتي عليك ، والمتولي لأمرك ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وصلى الله على نبي الهدى وعلى آله وسلم تسليماً كبيراً). اهـ. هذا وقد كثرت وصايا الأمهات لبناتهن ، في الماضي والحاضر.

وأما وصايا الآباء فألفتها قليلة ، وهذه واحدة منها. وإنها لمن عيون وصايا العرب ، فهي وصية جامعة مانعة كاملة شاملة ، لم تترك شاردة ولا واردة إلا وذكرتها! تقول الأستاذة بدرية الصالح عن النصيحة: (النصيحة هدية عظيمة ولا سيما إذا كانت من محب غير شامت ، نحن بحاجة إليها كلما حارت بنا الطرق ، بها نستدرك الخطأ الذي يعترينا ، فيلون العلاقات بلون رمادي فنجنني على أنفسنا وعلى من نحب ، فأين من يمسك بأيدينا ويعيدنا إلى جادة الحق؟ أين الناصح المحب الذي يهمس في آذاننا ولا يستخدم ذلك البوق الذي يسمع الناس جميعاً؟ أين تلك الأيدي التي تضغط على أيدينا ويرفق ، فتنقل الإحساس الصادق وتنقل كل عبارات النصيحة ومفرداتها ، ونعيد تلوين علاقاتها بلون زاهٍ جميل؟ صدقاً النصيحة فن لا يجيده الكثيرون ، وهي تحتاج إلى المزيد من إماطة اللثام عن مفهومها حتى تصبح واقعاً بين المسلمين ، لأن عدم قبولها يقود إلى تغييبها ، وغيابها يصيب الحياة بكارثة اجتماعية ، باعتبارها نوعاً من التقويم).هـ. وتقول الأستاذة أمل الدويح: (النصيحة فن من حيث إنها تُعطى في الوقت المناسب وبالأسلوب المناسب ، وهي لا تأتي إلا من أخ أو صديق يهمله أمرك ويخشى عليك الهلاك ، أما من يصرخون في وجوهنا مبرزين أخطاءنا وشامتين في حالنا مدعين أنهم نصحونا ولم نسمع ، فهؤلاء لا يمكن أن نسميهم ناصحين أبداً ، فالنصيحة هي الحكمة وهي ضالة المسلم ، ومن ينصح بالحق وللحق فهو صادق ومحب ، ومن ينصح فقط بما يحب ويرى فليس ناصحاً ، ومن ينصح ويعمل بالنصح فهذا يؤكد صدق نواياه ، فمتى نجيد فن النصح ومتى نتقبله ، وكيف نجد الأسلوب اللائق والوقت المناسب للنصح؟).هـ. وتقول الأستاذة شهب الودعاني: (النصيحة فن من فنون الحياة قلما نجد من يجيده ، وقد حث الإسلام عليه في قوله صلى الله عليه وسلم: (الدين النصيحة) وللأسف ابتعد كثير من الناس عنها! وهذا ما ساعد على انتشار الفساد في بلاد المسلمين ، لذلك يجب على كل مسلم مراجعة نفسه في هذه القضية ، وللنصيحة شروط لا يتسع المجال لذكرها ، ولكن يمكننا ذكر أهمها جميعاً وهو اللين لقوله تعالى: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ}.هـ. ووصية الخطاب جمعت كل هذا (والعجيب فيها كذلك اهتمام قائلها بأمر الدين والدنيا والآخرة في وقت واحد! فحيثُ الخطاب شعراً بعد أن قرأت وصيته كاملة وشرحتها لابني عمر الفاروق يوماً ، وقلت له: اعتبرها وصيتي لك).

زبَدُ الْكَلَامِ شَدَا بِهَا (الخطاب)	وحوى الوصية - للأنام - كتاب
دُرٌّ تَقْلُدُ مَنْ يُطَالِعُهَا السُّنَا	ففي جوفها الأخلالق والآداب
صَيغَتْ بِكُلِّ بِلَاغَةٍ وَفَصَاحَةٍ	ولها - لكل بصيرة - أسباب
وأعارها (الخطاب) تجربة سمّت	فسما - بها - الأعجام والأعراب
واختارها (البستي) بين فصوله	فله - على ذا الاختيار - ثواب

في (روضۃ العقلاء) خيرُ وصيةٍ
واستمسكوا بالحق وفق أدلةٍ
و(ابن المغلبي) في الوصية لم يدع
هي مَوردُ الآباء إن ساد الظما
هي منهلٌ يَروي ، وراحة رائح
حوتِ النصائح لا حدود لوصفها
هي منهجُ الآباء في إرشادهم
والنصحُ أثنى ما علمتُ هدية
وشعيرة هذه النصيحة من شعاع
وتكون أوقع من أناس جربوا
لم يهزلوا - في الجد - إن هزل الوري
وتعلموا من كل أمر عايشوا
ورأيت - في هذي الوصية - نفحة
بدأت بتوحيد الإله وذكره
أوصت ببعيدٍ عن محارم ربنا
ثم استهلّت بالتخلق بالهُدى
واستحسنّت خلق التواضع منهجاً
وتوشحت بالجد يدمغ حرفها
وحوت من الرشد الكثير ، فنصّها

تسمو بقوم - للرشاد - أنابوا
والى المهيمن أختبوا ، فأصابوا
لمغالطٍ قولاً ، فليس يُعاب
هي بلسمٌ - يُشفي الوري - وشراب
هي غادة يسعى لها الخُطاب
يسمو لها الإطراء والإعجاب
أبناءهم إن أخطأوا ، أو خابوا
يسخو - بها - الآباء والأحباب
ئر ديننا ، إن النصيح مُثاب
هذي الحياة ، وفي التجارب شابوا
والهزل لا ترقى به الألباب
وكلامهم أفاضه إطراب
طهريّة ، ولها التقى جلباب
فأعان - من يشدو بها - الوهاب
إن الـذى يسعى لها مرتاب
إن الـهىدى - لمن اتقى - محراب
ولمن تواضع يبسمُ الترحاب
وهل المُجدّ تنال - منه - صِعب؟
كل الـذى يدعو إليه صواب

فاطمة الزهراء السليمانية

(أهدي هذه القصيدة الرقيقة لابنتي فاطمة التي منَّ الله - سبحانه وتعالى - علينا بولادتها يوم الجمعة 8 من محرم 1431هـ. الموافق 25 / 12 / 2009 م. ولقد انتظرناها دهرًا. وعشت على أمل كبير أن يمن الله عليّ بابنة أدخرها في المشيب ، واحة ظليلة في هجير الكبر وقلباً حانياً في قسوة الشيخوخة ، وضميراً حياً في طغيان الهرم ، إن كان في العمر بقية وفسحة. وكانت الأمنية قد سُجّلت شعراً عام 1995م ، ففي قصيدة: (قراصنة القلوب) وتحديداً في ديواني الأول: (نهاية الطريق) أنشدت بيتاً من أبيات القصيدة أحاطب فيه نفسي أقول لها:
سوف تُعطي طفلة عما قريب فارحم الأنثى ، ترفق بالولاياء!

واستجاب الله الدعاء ، وكانت الزهراء. وعندما علمت بخبر ولادتها استبشرت خيراً. وعندما أمسكت بالقلم لأعبر عن فرحتي بها إذ بي توقفت عن الكتابة عند البيت الثمانين ، بعد أن اخترت لها القافية الهمزية المرفوعة (جعلها الله همزة وصل بين المؤمنين والمؤمنات ورفعنا الله وإياها في الدنيا والآخرة). والبحر الخفيف خفة ظلها وحنانها وعودتها. وكنت قد سطرث الأشعار في أبناء لي سبعة قبل هذي الزهراء. ولكن عند كتابتي قصيدة الزهراء انتابني شعور غريب ، وأحسست أنه الشعر الذي دونه كل شعر ، والحنين الذي دونه كل حنين. وكأن قلبي هو الذي يكتب لها ، وضميري هو الذي يفكر. وتحولت مني القصيدة التي أعبر فيها عن فرحتي الكبرى بالزهراء لتصبح مجموعة من الوصايا التي قد تنفعها يوماً ، إن لم أعش لليوم الذي أراها فيه عروساً أزفها لعريسها بكل ما أملك من حنان وحنين ، وعز وتمكين ، وعرف ومعروف ، على هدى من الله وكتاب منير. وإنني لأبتهل إلى الله تعالى أن يجعلها هادية مهدية ، صالحة مُصلحة ، يتعدى خيرها غيرها باذلة الخير للغير ، تعيش لغيرها من المؤمنين والمؤمنات أكثر من أن تعيش لنفسها ، ذلك أن الذي يعيش لنفسه يعيش صغيراً ويموت صغيراً ويسجل اسمه في ديوان الأنانيين ، وأما الذي يعيش لغيره ، فإنه يعيش كبيراً ويموت كبيراً ويسجل اسمه في ديوان الكرماء الأجوايد. لسان حالها وقد عاشت لغيرها: (ما استحق أن يولد من عاش لنفسه فقط!) وأسأل الله أن يجعلها مثل سبتنا الزهراء - رضي الله عنها - وكنت أنوي تسمية ابنتي على اسم أم أبيها ذلك الاسم الميمون القرآني المبارك: (كوكب) إلا أنه دار جدال كبير حول خيرية الاسم وأفضليته ، فاقترعنا فكانت القرعة (فاطمة) ، وإن كنتُ أحسنتُ إليها باختيار أمها واختيار اسمها ، فأسأل الله أن يعينني على حسن تربيتها وإخوانها على كتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - . وهذا تعقيب لغوي هام على كلمة (الست). ويعقبه تحقيق لغوي حول اللفظ العربي الأصيل (الست). وأنا دائماً أسألها مذ كانت في مهدها قائلاً: (هل ينفع هذا يا ست فاطمة؟) فأجد الاستهجان ممن حولي لاستخدامي لفظ (ست)! وأسأل: هل كان من دارجة المصريين؟ أم هو لفظ عربي أصيل؟ حيث إنني وجدت المصريين أكثر قوم في الأرض اليوم وأمس وغداً يستخدمون لفظ الست عانين به المرأة! وبعد التحقيق والتثبت أدركت أن اللفظ عربي أصيل! كان هذا هو الموجز ، وإليكم التحقيق والبحث والدراسة! قال صاحب (المحيط) في مادة (الست): وستي للمرأة أي يا ست جهاتي ، أو لحن ، والصواب (سيدتي) ، والست: بنت أبي عثمان الصابوني المحدث. وأورد محقق القاموس المحيط

في هامشه بعد أن أورد الذي قاله المؤلف الفيروزآبادي تعليقا: - ويحتمل أن الأصل: (سيدتي) فحذف بعض حروف الكلمة وله نظائر. اهـ. وأنشد للبهاء زهير قوله:-

بروحي مَن أسميها بسـتي فينظرُ لي النحاة بعين مَقَتِ

يروُنْ بأنني قد قلتُ لحناً! وكيف وإننى لزهيرُ وقتي؟

ولكن عادة مآكث جنائي فلا لحنٌ إذا ما قلت: (ستي)!

وقد أورد صاحب (تراجم أعلام النساء) الأستاذ رضوان دعبول في مادة (ست) من الاسم رقم: (1074) وحتى (1161) من الأسماء بعض أسماء النساء بلفظ (ست) بمعنى (سيدة) مضافاً إلى غيره (87) اسما في القديم يعني من العصر الجاهلي ، وحتى العصر الحديث الذي نعيش فيه ، مما يدل اشتهاً لفظ (ست) بمعنى سيدة ، ومن ذلك على سبيل المثال وليس الحصر مع استبعاد المكرر: (ست الأجناس - ست الإخوة - ست الأدب - ست الأرقاء - ست الأمل - ست الأهل - ست البنين - ست البهائم - ست الجميع - ست الخطباء - ست الدار - ست الركب - ست الشام - ست العباد - ست العبيد - ست العجم - ست العراق - ست العرب - ست العشيرة - ست العلماء - ست العيال - ست الفخر - ست الفقهاء - ست قريش - ست القضاة - ست الكل - ست الناس - ست النساء - ست النعم - ست الوزراء - ست الوفاء). اهـ. وإذن فلفظ (ست) بمعنى (سيدة) مشهور من عصر الجاهلية و صدر الإسلام إلى اليوم ، فلماذا استهجانته من البعض في آخر بيت في قصيدتي (فاطمة الزهراء السليمانية)؟! والمصريون يجمعون كلمة (ست) على (ستات) عاتين به (نساء) ، فيمكننا إضافة (ست الستات) التي هي (فاطمة الزهراء السليمانية)! ولعلها بإذن الله تكون من ربات الأدب والكمال والفضل والقيم والأدب ، فتضاف إلى معجم (تراجم أعلام النساء) وتكون كنيته (الزهراء أو ست الستات)! كما أضيف أبوها إلى معجم الأدباء الإسلاميين المعاصرين للأستاذ أحمد عبد اللطيف الجدد ، ذلك السفر العظيم الذي امتد في مجلدات ثلاثة! ذلك الإنجاز القيم الذي تجاوز (1416) من الصفحات ذوات القطع الوسط! وفي الصفحة 125 تناولني في صفحات ثلاث! وأصفه بالعظيم لا لأنه ذكرني من بينهم! ولربما يكون ذلك خطأه الوحيد! بل لأنه احتوى أكابر وأجاويد وعمالقة وعباقرة الشعر والأدب في العصر الحديث! وإن كان المؤلف الأستاذ الجدد قد زج باسمي من بينهم فهذا من فضل الله علي! والحكم لله العلي الكبير من قبل ومن بعد! وهناك التاريخ والأدباء والنقاد والكتاب سيغربلون بالطبع ما كتبنا ويدلون بدلانهم في جب أشعارنا ويخرجون بترجيح إن كنا نستحق أن نكون شعراء أم لا؟! أنشدت أقول:

غرد القلبُ ، واحتواه الهناء واجتباهاه - للطيبات - الخُداءُ
والأساريرُ في انبساطٍ وشوق والحياءُ ضيفٌ عليها البهائم
والفؤادُ يختالُ أنساً ودِفناً رغم طقس يشتت - فيه - الشتاء

تَوَجَّتِي ! نَعَمِ الْمُنَى وَالرَّجَاءَ
وَالْمَدِيحُ يُشْجِي النَّهْيَ وَالثَّنَاءَ
مِنْ أَنْسَ - فِي مَوْلِدِ النُّورِ - جَاؤُوا
كُلَّ حُسْنٍ ، إِذْ اعْتَلَاهَا الضِّيَاءُ
وَالْتِرَاتِيْلُ تَنْسَابُ ، وَالْأَصْدَاءُ
مِنْذَ حَلَّتْ - فِي دَارِنَا - (الزَّهْرَاءُ)
إِنهَآ - فِي جَوِّ السَّمَآءِ - الذِّكَاةُ
وَاتْرَكُونِي يَا نَاسَ حَيْثُ أَشَاءُ
مِنْ قَصِيدٍ يَشْدُو بِهِ الشُّعْرَاءُ
شَاقَهَا مَا يَهْفُو لَهُ السُّعْدَاءُ
كِي يَرَاهُ - فَوْقَ الْجَبِينِ - النَّسَاءُ
إِنْ قَرِيبِي - مِنْ غَادَتِي - نَعْمَاءُ
مَوْنَلُ الشُّعْرِ الرَّمْزُ وَالْإِيمَاءُ
حَبِذَا الْهَمْسُ زَانَهُ الْإِيحَاءُ!
وَإِشْتَكَاْنَا الْإِمَهَالُ وَالْأَنْهَاءُ
حَيْثُ يَأْتِي - بِالْإِبْتِسَامِ - الْهِنَاءُ
إِنَّمَا سَمْتُ الْفَضْلِيَّاتِ الْوَفَاءُ
طَابَ - قَطْعاً - عَنِ جَانِبِيهِ الثَّوَاءُ
عَزَّ فِيهِ الْإِصْبَاحُ وَالْإِمْسَاءُ
جُمُعَةٌ - فِي فَصْلِ الشِّتَا - غِرَاءُ

وَالْأَمَانِي أَمْنِيَّةٌ تَلُو أُخْرَى
وَالْتَحَايَا مِنْ كُلِّ خِلِّ مَحَبٍ
وَالْهَدَايَا هَدِيَّةٌ بَعْدَ أُخْرَى
وَالدِّيَارُ الْإِشْرَاقُ أَضْفَى عَلَيْهَا
وَالْتِرَانِيمُ - فِي (المُحَرَّمِ) - هَبَّتْ
وَالْتَعَاوِيذُ فَوْقَ كُلِّ لِسَانٍ
وَيَحَّ (عَجْمَانٌ) اسْتِضَاءَتْ بِفَضْلِي
قَرَّبُوا مِنِّي طِفْلَتِي وَيِرَاعِي
عَلَّ شِعْرًا يُقْلِدُ الْقَلْبَ تَاجًا
عَلَّنِي بِالْأَشْعَارِ أَسْعِدُ نَفْسًا
عَلَّ شِعْرِي يُهْدِي ابْنَتِي تَاجَ عِزِّ
وَاجْعَلُونِي - مِنْ مَهْدَاهَا - قَابَ شَبْرِ
أَتَمَلَى - مِنْ وَجْهَهَا - بَوَّخَ شِعْرِي!
حَيْثُ تَوْحِي هَمْسًا يَسُرُّ يِرَاعِي
إِيهَ (يَا زَهْرَاءُ) ، انْتَظِرْنَاكِ دَهْرًا
عَلَيْنَا بِبِسْمَةِ مَنْكَ حَجَلِي
وَإِمْنَحِينَا - مِنْ السَّجَايَا - نَصِيْبًا
وَاجْعَلِينَا - مِنْ قَلْبِكَ الْغَضَّ - أَدْنَى
إِنْ يَوْمًا وُلِدَتْ فِيهِ لُغَالُ
خَيْرُ يَوْمٍ قَدْ أَشْرَقَتْ فِيهِ شَمْسٌ!

ولنا - من هذي الفتاة - ارتواء
ليس تمحو أنواره الظلماء
في الدياجي حتى استجيب الدعاء!
وارحمينا ، إن عقتنا الأبناء
واطمئني ، لا لن يضيع العطاء
إنما طبع الوالدين السخاء
ربيبك ، والشاهد الأقرباء
مثلما يهذي بالعزيف الغناء
واكتفينا ، إن العيال ابستلاء
إن مرضنا فهني الدوا والشفاء
واعترت الألام والأزراء
والعيون جبراً دهاها البكاء
واشكتت إذ مستهما البأساء
إنما النصح ذريعة واصطفاء
إذ به صدقاً - في الدجى - يستضاء
ليس - عن دين الحق - يوماً غناء
في البرايا ، واستشرف السفهاء
والزمي الصفح ، إن سرت شحناء
إن تظنت - بين الورى - الهيجاء
فالصواب تزكو وبه الآراء

إنه الغيث يغمر الأرض ريباً
وإذا - بالزهراء - بدر تجلى
كم دعونا الرحمن ، ثم ابتهلنا
(فاطم الخيرات) ، اتق الله فينا
وابذلي الخير ، أنت للخير أهل
والدك كم أعطيا دون من!
رغم ضعف وشيبة واغتراب
لم يقولوا: من أين نأتي بقوت
لم يقولوا: بسبعة قد قنعنا
بل سررنا بغادة نشتهيا
أوبلينا - بين الورى - بالزرايا
وانتخبنا مما نلقى مبراراً
كففت دمع الوالدين احتساباً
(فاطم الأخلاق) استجيبى لنصحي
حكمتي الشرع تفلحي يا فتاتي
واعلمي بالإسلام سراً وجهراً
واستقيمي مهما رأيت انحرافاً
وارفقي بالآيتام ، لا تقهرهم
واجنحي للسلم الذي لا يبارى
واعرضي الرأي إذ يكون صواباً

والطريقُ - يا غادتي - الفقهاء
بيد الله الموت والإحياء
بالطواغي يوماً سيؤدي العداء
واحتراماً وعفة وارتقاء
والحصان يحمي صباها الخباء
ليس تُبدي الوجوه إلا الإماء
واختياري الإسـدال والإدناء
وكذا أنهى عن منكر من أساؤوا
واصمدي مهما استفحل الإيذاء
كل يوم يسعد بك الشعراء
واستسيغي ما تحتوي الأجزاء
إنما أهل السنة الغرباء
خاب عبداً خصومه أبرياء!
فاغتياب الأنام بئس الداء!
ثم هاهم بالسوء والشر باؤوا
واعظ الخير ، واعتراه الشقاء
في السما ، في الدنيا ، له الكبرياء
إنما عند الله ربي الجزاء
سمته البر والعطا والإبـاء
زينة الدنيا السادة الصالحاء

وادرسي الفقه ، إنما الفقه نورٌ
واستعيني بالله في كل أمر
لا تخافي من ظالم أي بطش
واعلمي أن الحجاب احتشامٌ
ليس يُزري لبس الخمار بفضلي
واستري الوجه ، يا حبيبة قلبي
خُرة أنت ، واحتشامك فرضٌ
وأُمري بالمعروف في كل حين
واصبري في هذا السبيل وجدي
وانهلي من مُستعذب الشعر كأساً
واقري القرآن الكريم تباعاً
وارشفي قسطاً من أحاديث صحّت
واستبيني كيلاً تُصيبي بريناً
واهجري من تغتاب دون اكتراثٍ
وانصحي من عن شرعة الحق حادوا
واصفحي عن قد أساء وجافى
واقعلي الخير ، وارتجي الأجر ممن
إن عدمت عند البرايا جزاءً
واصطفي زوجاً مسلماً مستقيماً
طيب القلب ، صالحاً مستتيراً

إنما يأتي ذلك البلاء
ماله - في حُب ابنتي - نظراء
لا يفيدُ قط القِلا والجفاء
سوف تُشجيه الطاعة العمياء
يا فتاتي - على الهدى - أمناء
واشتكتُ - من أجسادنا - الغبراء
واكتويننا بما أتى الأقرباء
وعليهم - والله - عز الصفاء
وكاننا - في بذلنا - الدماء
وحكايات يشوبهن افتراء
بلية والعاصفات والأثواء
إنما الخذل خيبة وازدراء
ديدنُ الفضلى - في الحياة - الحباء
إن عُقبى الجود النما والثراء
رُب جودٍ تُردى به البلاء!
خبية الظن طعنة كأداء
مثلما كانت سبتنا الزهراء

لا يبيعُ ديناً بديننا بتاتاً
إن أحب أولاكِ كل احترام
أو قلاكِ لم يأخذِ الظلمَ نهجاً
وأطيعي إن كان في الأمر رُشدٌ
واعصي أمراً يخالفُ الشرعَ ، إننا
واذكرينا بالخير إمارحنا
إننا يا زهراء ذبنا التباعاً
جرعوننا خذلاً يروحُ ، ويغدو
كم بذلنا ، نرجو لهم كل خير!
فلقيننا ردّ الجميل التعدي
والجميع سيفٌ مُببرٌ علينا
لا تكوني يوماً كمن خذلونا
شَهمة عيشي فابذلي ، لن تراعي!
والمليكَ يجزي الجميلَ جميلاً
لا أراكِ تسسكتكثيرين عطاء
لا يخب ظني في ابنتي ذات يوم
بل فكوني ولية ذات شأن

إن في ذلك لعبرة

(في موقع (صيد الفوائد) الإلكتروني قصة تائب فيها من العبر والدروس الشيء الكثير ، وأرى أن يقصها بنفسه. يقول هذا التائب: (لا أحد يدرك قيمة النعمة حتى يفقدها. لقد كنت من المولعين جداً بالقراءة ، فكنت لا أستغني عن القراءة يومياً ، لمدة تزيد على خمس ساعات ، لا أترك جريدة أو مجلة أو كتاباً جديداً إلا وأقرأه حرفاً حرفاً حتى أدمنت هذه الهواية ، وصارت جزءاً من حياتي اليومية. وفي يوم من الأيام كنت أقود سيارتي بسرعة مذهلة ، فأنحرفت بي السيارة نتيجة للسرعة القصوى التي أسير بها وتدرجت كالكرة ، وارتطمت بأحد الأعمدة الضخمة ، وأصبت في رأسي بكدمات قوية ، وقد عولجت لفترة طويلة في المستشفى ، وقدّر الله علي فقد البصر. ووسط هذه المعاناة الشديدة يفقد هذه النعمة الكبرى ، كان ذكر الله والدعاء ، والصبر والاحتساب ، والاستماع المنتظم لتلاوة القرآن الكريم هو المخرج الوحيد بفضل الله تعالى. لقد كنت في زمن مضى من المفرطين - للأسف - فكنْتُ معرضاً عن تلاوة كتاب الله والتمتع فيه ، وأختلس النظرات المحرمة ، واليوم أعض أصابع الندم على ما فرط مني ، وأرفع كفي إلى الله وأدعو وأبتهل نادماً ، تائباً إلى الله تعالى ، وأسوق حكايتي هنا لعل فيها عبرة للآخرين).هـ. قال سبحانه وتعالى: (وبشر الصابرين الذين إذا أصابهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة). قال شمس الدين المنبجي: "وقد جعل الله كلمات الإسترجاع - وهي قول المصاب: {إنا لله وإنا إليه راجعون} ملجأً وملاذاً لذوي المصائب ، وعظماً للممتحنين من الشيطان لنلا يتسلط على المصاب فيوسوس له بالأفكار الرديئة ، فيهيّج ما سكن ، ويظهر ما كمن".هـ. قال صاحب الظلال: "إنه لا يعدهم هنا نصراً ، ولا يعدهم هنا تمكيناً ، ولا يعدهم هنا مغام ، ولا يعدهم هنا شيئاً إلا صلوات الله ورحمته وشهادته ، لقد كان الله يعدُّ هذه الجماعة لأكبر من ذواتها وأكبر من حياتها ، فكان من ثمَّ يجردُها من كل غاية ، ومن كل هدف ، ومن كل رغبة من الرغبات البشرية ، حتى الرغبة في انتصار العقيدة ، كان يجردُها من كل شائبة تشوب التجرد المطلق له ولطاعته ولدعوته ، كان عليهم أن يمضوا في طريقهم لا يتطلعون إلى شيء إلا رضا الله وصلواته ورحمته وشهادته لهم بأنهم مهتدون. هذا هو الهدف وهذه هي الغاية. وهذه هي الثمرة الحلوة التي تهفو إليها قلوبهم وحدها. فأما ما يكتبه الله بعد ذلك من النصر والتمكين فليس لهم ، إنما هو لدعوة الله التي يحملونها. إن لهم في صلوات الله ورحمته وشهادته جزاء على التضحية بالأموال والأنفس والثمرات ، وجزاء على الخوف والجوع والشدة وجزاء على القتل والشهادة ، إن الكفة ترجح بهذا العطاء ، فهو أثقل في الميزان من كل عطاء. أرجح من النصر وأرجح من التمكين وأرجح من شفاء غيظ الصدور).هـ. فتخيلتُ ذلك الشاب تتوجه إليه نصيحة من أخ له راح يلومه ، ويحضه على الإكثار من الاسترجاع والإكثار من التوبة والإلحاح في طلب المغفرة والقبول ، ولكنه جعل تلك النصيحة في قالب شعري فأنشدتُ من شعري أقول:

كـم بـكـيـتَ بـالمـدمـع الـذـارـفِ أن غـرقتَ فـي الشـر والإسـرافِ!

وانتـحـبتَ فـي ذلـةٍ وانكسـارِ أن وقعـتَ فـي السـوء والإحـجافِ

واقترفت ما تشتهي باحتراف!
دون خوف الله العزيز الكافي
إذ أبيت أسباب الاسـتعاف!
وتسوق الإعجاب باستظرف!
بـ (غلياً) من بعد (لبنى) و(صافي)!
ثم ولى - عنك - الجلال الضافي
عن حلال يهديك ثوب العفاف!
فاعتراك منها الدمار الجافي
من عذاب مستبشع الأوصاف
قطعتك - في التو - بالأسياف
مُقلتيه بالمدمع الذراف
والدروس - في ذاك - بالآلاف
ليس من إبرام ولا استئناف
لا ترى إلا الغيد في الأفواف؟
جفّ فيها الحياء أي جفاف؟
للنهود - عفواً - ولأرداف؟
حُرمة لله المليك الشافي
للذي غاص في دجى الإجفاف
من سواك يهدي السورى ، ويُعافي؟

كم نظرت بالعين حسناً حراماً
من قـدودٍ تختال تيهماً ودلاً
كم جعلت للغيد - في القلب - مأوى
وانطلقت تُبدي - لهن - اهتماماً
كم بذلت ماء الحياء احتفالاً
وابثُذلت ، حتى عشقت التـدني
كم تمتعت - بالحرام - اشتغالاً
وارتضيت الأوزار سـمماً وهدياً
فابتليت مما جنيت بقسطٍ
صدمة - من كل البلاءات - أنكى
خلفتك أعمى يـنن ، ويبكى
وانكـرت من بعد لأي وكـدٍ
ثم حكم الأقدار وافى سريعاً
أن تعيش أعمى ، وما نفغ عين
كيف تحيا كريمة أي عين
منتهى ما تصبو إليه التعري
عبرة هذي للألى لم يُراعوا
والمتاب كان النهاية طوعاً
رب فاغفر ، واقبل وسامح ووفق

وفاء حتى نهاية العمر

(حدثني من لا أظنه يكذب ، وراجعتة في مدى صحة القصة فقطع وأقسم وجزم بصحتها ، وشهد عليه آخرون من أهل بلده! والعهد عليه وعليهم في روايتها ، أن طالباً ترك المدرسة وعمل راعياً للغنم التي اشتراها له أبوه. ثم تكاثرت غنمه تكاثر الدود ، لأنه كان صاحب قرآن وصلاة وصدقة. وتزوج وظفر من سوق الحياة بولدين رباهما وعلمهما حتى الجامعة. وتابعه كلبٌ شريفاً فأعطاه بعض شوانه فلم يفارقه أبداً. فاتخذ حارساً لأغنامه. فوجد منه الكثير من الحرص على الغنم. إذ كان يتابع منها القاصية الشاردة ويردّها إلى القطيع. وعُرف بالكلب وعُرف الكلب به. حتى كان الناس عندما يسألون: أين إسماعيل؟ فيقول قائلهم: ذهب إلى كذا ومعه كلبه. ولُقب في القرية والقرى المجاورة بأنه: (إسماعيل أبو كلب). وبعد سنوات ثمان يموت إسماعيل ، وينفقه كلبه فلم يجده. فأحس بموته ، واجتمع الرجال ومن بينهم ابنا إسماعيل وذلك لتغسيله ، فاخترق الكلب الصفوف ، ودخل غرفة الغسل ، ونظر في وجوه القوم فلم يجد صاحبه ، بل رأى جُثماناً مُسجى في عباءة على كنبه ، فكشف العباءة فإذا هو صاحبه إسماعيل. فاغرورقت عيناه بالدموع ، وجلس عن بُعد يحضر التغسيل والتكفين. وحاول الرجال إخراج بهشق الأنفس فلم يستطيعوا أبداً. فتابع الجنائز إلى المسجد ، وانتظر خارجه ، حتى إذا خرج الناس بالجنائز انطلق معهم في جملة المشيعين. وما أن رأى القبر حتى اخترق الصفوف ، ودخل القبر وجثا على ذراعيه ، وحاول الرجال إخراج فلم يستطيعوا ، فرأى جماعة منهم أن يدفنوا الجثة ومعها الكلب. وما اهتموا إلى ذلك لحرمة إذ يموت الكلب وأنه لا يعقل هذا. وقام ولدا إسماعيل بربط الكلب بالحبال وأخرجوا الكلب بالقوة. ودفنت الجثة. وعاد الناس ولم يزل الكلب يحفر ليصل إلى صاحبه وأهل الميت يرمدون الحفر ، حتى وجدوا الكلب ميتاً أمام القبر بعد اثني عشر يوماً! حقيقة قليلاً ما نسمع عن وفاء البشر لبعضهم البعض! وكثيراً ما نرى صوراً كثيرة من وفاء الكلاب لأصحابها. والعملية حب وتضحية ووفاء وإخلاص. ولا نستغرب عندما نعلم أن البعض يكتبون ثرواتهم للحيوان خاصة في الغرب. ولكن ماذا يعني وفاء الكلب وحرصته في قصة أهل الكهف؟ قال بعض المفسرين: الحكمة من وجود الكلب مع هؤلاء الفتية هو أنه الحيوان الوحيد الذي يتمتع بصحبة البشر وحماية أملاكهم وأرواحهم ، ولقد منّ الله تعالى على هذا الحيوان بالرحمة وكان الكلب مخلصاً لهم ويغفو معهم 309 سنوات وهو على باب الكهف لكي يحرسهم من الأعداء أو الحيوانات المتوحشة. روي أن ملكاً أمر بتجويد 10 كلاب لكي يرمي لهم كل وزير يخطئ فيأكلوه! فقام أحد الوزراء بإعطاء رأي خاطئ لم يعجب الملك ، فأمر برميهم للكلاب! فقال له الوزير: أنا خدمتك 10 سنوات وتعمل بي هكذا؟ أمهلني 10 أيام قبل تنفيذ الحكم. فقال له الملك: لك ذلك! فذهب الوزير إلى حارس الكلاب وقال له: أريد أن أخدم الكلاب فقط لمدة 10 أيام. فقال الحارس: لك ذلك! فقام الوزير بالاعتناء بالكلاب وإطعامهم وتغسيلهم وتوفير لهم جميع سبل الراحة. وبعد مرور 10 أيام جاء موعد تنفيذ الحكم بالوزير وزج به في سجن الكلب. والملك ينظر إليه والحاشية ، فاستغرب الملك مما رآه! وهو أن جاءت الكلاب تنبح تحت قدميه. فقال له الملك: ماذا فعلت بالكلاب؟! فقال الوزير: خدمت هذه الكلاب 10 أيام فلم تنس الكلاب هذه الخدمة وأنت خدمتك 10 سنوات فنسيت كل ذلك ، فهل تكون الكلاب أكثر منك عرفاناً بالجميل؟! والحقيقة أن قصة (إسماعيل أبو كلب) أعجبتني لدرجة

أنني أخذت أناشد صاحبها حكايتها غير مرة منصتاً له إنصاتاً مشهوداً! واستوثقت منه أحداثها ولما ذهب بي الإعجاب بها مذهبه ، قررت أن أكتب عن هذا الوفاء اللامحدود وعن هذا الإخلاص الذي عدمناه في بني البشر! فأتشددت في ذلك من شعري أقول:

أنصتُ حتى أستلذ وأكبراً
وإرى وفاءك - في المربع - مزهراً
ويسيل دمع العين إعجاباً بما
عانيتُ ، ما هذا حديثاً مُفتري
ومُجاهر بالجود مُفتخر به
وعلى الوفا والبذل يغطه الورى
كلبٌ ، وقد فقت الأوادم همّة
ورآك كل الناس كلباً خيراً
فقت الصديق تودداً وتفانياً
إما تصدى للخطوب ، وشمراً
وتبعك خلِكَ - في الديار - مُرافقاً
وإذا أتاه النومُ عُدت القهقري
وشمخت لم تعباً بلومة لانم
وعُرفت بالراعي الذي صاحبه
عن كل أنياب التدر كشراً
وكأنما خلان في هذي الدنيا
وبك ازدهى - مُترنحاً - وتبخترا
حتى إذا مات الصديقُ بكيته
جعلنا الحياة - إلى الصداقة - معبراً
وحضرت غسلاً تستميل الخُصرا
ورسمت دربياً للمودة نيراً
وغيرت دمعيك ثاويلاً لفراقه
حتى تودع قبل غربلة الثرى
ونظرت في وجه المُسجى عامداً
بضمير من لأك الجوى ، فتصبراً
وكلت تجاسر في البلية ، واجتري!
والكل شدّد في الوعيد ، وأنكرا
مَن ذا يُجابه في النزال غضنفرًا؟
ظفراً غدا جُكراً على أسد الشرى
لَمَّا رأوا دمع العيون تحدرًا
ولذا فهم تركوك تشهدُ غسلهم

حتى إذا انطلقت جنازة راحل
والكل في جلد ، ووحدهك خائراً
والهمة القساء سربلها الأسى
حتى إذا بلغوا المقابر جئتهم
ثم اخترقت صفوفهم تُزري بهم
ودخلت قبر الخيل تُونسُ مكثه
فتجمّعوا زمراً ، وكان قرارهم
فأبيت ، حتى وثقت أشطانهم
حتى إذا ما أخرجوك وسعتهم
ماذا تؤمل منهم أن يفعلوا؟
أن يدفنوا حياً وآخر ميتاً
أن يقتلوك ، وما عليهم فدية
حتى إذا دفنوا انبريت تُسيمهم
وحفرت ما ردموا لتظفر بالذي
أو تنبش القبر الذي هم أعمقوا
وقد امتنعت عن الطعام ، كأنما
وأمام قبر الخيل بت مُجنّداً

شيعتها مُتفرداً مُتصّداً
وكأنما العزمُ التليد تبعثرا
ورباط جأشك - في المصاب - تعثرا
مُتدرباً - بالبأس - يصرع قيصر
فتخرصوا ، جُنَّ الكليب بلا مرا
فرداً وحيداً ، هل ستقدر يا ثرى؟
أن يُخرجوك مُحطماً مُتحتسراً
لتجرّ من شجب الأذى وتذمرا
لوماً وزجراً وازدريت المنظرا
أن يتركوك لِمَا تريد وما ترى؟
خاب الذي ظلم الخلائق ، وافترى!
والجمعُ قدّم في الحول ، وأخرا
توبيخ من جعل التآفف مظهرا
في القبر - عن دنياك - أمسى مُدبرا
وترى الشريعة مثل هذا منكرا!
ترجو الحمام ، فليس ذلك مُضمرا
وبكاك من خبر النبا ، وتأثرا

وصية تائب

(أسرف هذا الشاب على نفسه وصاحب أوغاداً قادوه إلى المخدرات والفساد والفواحش والموبقات. ثم من الله عليه بأبي أنس ذلك الرجل الطيب الذي نصحه وأرشده ، ودعاه إلى الله ودلّه على طريق الخير. وكان مع أبي أنس رجال صالحون مخلصون تابَعوا ذلك الشاب. فتخيلته يشكر لهم جميلهم وينصح الشباب الشاردين في الغي والسائرين على درب الهوى حتى يزدجروا مما حدث له ، ويتوبوا إلى الله فإن الله يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات. قال علي رضي الله عنه: العجب ممن يهلك ومعه النجاة ، قيل: وما هي؟ قال الاستغفار! وقال قتادة رحمه الله: القرآن يدلكم على دانكم ودوائكم. أما داؤكم فالذنوب وأما دواؤكم فالاستغفار! وقال الفضيل رحمه الله: الاستغفار بلا إقلاع توبة الكذابين! وقال بعض العلماء: العبد بين ذنب ونعمة لا يصلحها إلا الاستغفار. وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: اجلسوا إلى التوابين فإنهم أرق أفئدة. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: التوبة النصوح: الندم بالقلب ، والاستغفار باللسان ، والإضمار أن لا يعود إليه أبداً. قال أبو بكر الواسطي رحمه الله: التائب في كل شيء حسن إلا في ثلاث خصال: عند وقت الصلاة ، وعند دفن الميت ، والتوبة عند المعصية. وقال مجاهد رحمه الله: من لم يتب إذا أمسى وإذا أصبح ، فهو من الظالمين. وقيل: من ندم فقد تاب ، ومن تاب فقد أناب. قال شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله :- "تأملت أنفع الدعاء فإذا هو: سؤال الله العون على مرضاته". وقال شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله :- "القلوب الصادقة والأدعية الصالحة هي العسكر الذي لا يغلب". وقال بعض السلف: "أدخر راحتك لقبرك ، وقّل من لهوك ونومك ، فإنّ من ورائك نومةً صباحها يوم القيامة". وقال شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله :- "النّية المجردة عن العمل يُثاب عليها ، والعمل المجرد عن النّية لا يُثاب عليه". وقيل للإمام أحمد: "كم بيننا وبين عرش الرحمن؟ قال: دعوة صادقة من قلب صادق". وقال ابن تيمية- رحمه الله :- "ليس في الدنيا نعيمٌ يشبه نعيم الآخرة إلا نعيم الإيمان". وسئل أحمد: "متى الراحة؟ قال: عند أول قدم أضعها في الجنة".)

يا سامعين ترانيمي ، ألا اعتبروا	إني أبوخ بها ، والقلب منقطر
والله أسأل - من قلبي - سلامتكم	مما ابتليت به ، يا قوم فازدجروا
فأنصبتوا للذي أحكيه مستحياً	لقد يكون لكم - في قصتي - عبر
صاحبت عيراً وأوغاداً شقيت بهم	وكم يكابد من أصحابه عجر!
فعلمني من الأخلاق سينيها!	ودرب أهل الهوى - والله - مُحْتَقِر
مخدرات سببت عقلي وعاطفتي	وكيف تُرجى السجايا في الألى سَكروا؟
وكم أتيت الخطايا طائعاً عَجلاً	بلا اكتراثٍ إلى أن مسّني الضرر!

لأنني كنتُ - للعصيان - أنحدر
وهل تفيذُ أسير الشهوة النذر؟
فالقول قولهمُ ، والأمرُ ما أمروا
والله يعلمُ ما حاكوا وما مكروا
وكِدت - من ثقل الهموم - أنتحر
أتى يناصرُني حيناً ، ويبتشر
وفي الحوالك قطعاً يُعرفُ القمر
إني بهم - في مجال الخير - أفتخر
فأرشدوني ، فنعم الوعظ والسمر!
وأنا بالتقى نسمو ، وننتصر
ولا أعود إلى الصحب الألى فجروا
كالمسكِ إمّا غدا - في الروض - ينتشر
يزينها الورْدُ والريحانُ والزهر
وفي مواجهة الأخطار كم صبروا!
وكم - على راحة الجميع - قد سهروا!
لأنهم سادة أفاضلٍ غرر
عند الأماجد لا ذل ولا قتر
فأنتِ حقاً على ما قلتِ مقتدر
والخيرُ عندك يا رباه مدخر
إننا لجدودك يا رحمن نفتقر

وكم تسليت بالغايات مُجترئاً!
وكم تجاهلت خلاً كان ينصُني!
سأمتُ نفسي - لخلاني - طواعية
فدمروني بما خطوه من جيل
فضاع مستقبلي - بين الأنام - سُدَى
والله أنقذني بطيب فطن
أعني (أبا عمر) ، والكل يعرفه
حياه ربي وأجناداً له صُذفاً
أتى (أبو عمر) ، والآل في أثر
وأخبروني بأن الرشيد منقبة
فبت أنشد - عند الله - مكرمة
فيا (أبا عمر) هذي تحيتنا
وللرجال تحايا لا حدود لها
عاش الرجال لدين الله كم بذلوا!
عزَّ الرجال سَمت بهم مراتبهم
وكم تواضع أدناهم وأكبرهم!
فالبيضُ والسودُ في داري سواسية
يارب فاتصر بهم ديناً نعيشُ له
وانفع بهم ، وأدم للخير قاندهم
وامنن عليهم بتقوى منك عامرة

كلاهما بطل!

(إن مشهد البطولة الذي تم فيه اغتيال الجنرال كليبر - لعنة الله عليه والملائكة والناس أجمعين - على يد البطل الشهيد سليمان ونس الحلبي - عليه رحمة الله - لمشهد جدير بالتأمل والتفكير! مشهد يستحق أن يلهج المؤمن فيه بالدعاء بالرحمة والمغفرة والرضوان للبطل الحلبي ، ويلهج بالدعاء باللعة والانتقام والعذاب للطاغوت الفرنسي! مشهد في غاية الإبداع والتفاني والإخلاص! وكلاهما بطل! وإن كنا لا نعتز ببطولة الطاغوت الفرنسي الغازي الكافر الملعون المحتل المتجبر المتفرعن المتغطرس المجرم! لكنه بطلٌ عند قومه لأنه جاء لمصر والشام ليحقق مجد بلاده ولو بسفك الدماء وهتك الأعراس وتيتيم الأطفال وترميل النساء فضلاً عن اغتصابهن! وهذا من باب التنزل للخصم على مراده! وإلا فما البطولة في جرائمه سالفة الذكر؟! وفي الوقت ذاته لا يعترف قومه من الكفار من أهل الكتاب ببطولة سليمان الحلبي قاتله! ذلك البطل الذي قتله فقط انتصاراً لمجد أمته المسلمة وغيره على أراضيها التي احتلت ، وعلى نساها اللائي اغتصبن أو قتلن أو ترملن أو حرّقن ، وعلى علمائها الذين شنقوا أو غُذّبوا أو شردوا أو سجنوا ظلماً وعدواناً! فسليمان عندنا بطل شهيد وفق ديننا وعاداتنا وتقاليدنا وكتاب ربنا وسنة نبينا! كما أن كليبر عندهم بطل وفق دينهم وعاداتهم وتقاليدهم! هذا إذا نظرنا إلى المسألة من المنظور القومي الضيق. وهي كذلك من المنظور الديني الشرعي! فكليبر بطل في نصوصه المكذوبة المحرفة ودينه الباطل. وسليمان بطل في نصوصنا الصادقة كتاباً وسنة وهو شهيد في دينه الحق! إنه سليمان ونس الحلبي (1191 هـ / 1777م - 1216 هـ / 1801م) ، من مواليد حلب ، وهو طالب شامي كان يدرس بالأزهر الشريف ، وكان عمره آنذاك 24 عاماً حين اغتال قائد الحملة الفرنسية على مصر الطاغوت الهالك الجنرال كليبر (أو ساري عسكر) كما أطلق عليه المؤرخ العظيم عبد الرحمن الجبرتي. هذا ولقد سافر البطل سليمان الحلبي من حلب إلى القدس عندما عاد الوزير العثماني بعد هزيمته أمام الفرنسيين وبعد 10 أيام سافر من غزة في قافلة صابون ودخان ، ووصل القاهرة بعد 6 أيام. وبعدها ذهب إلى الأزهر وسكن هناك ، وعرف بعض الساكنين معه وهم من مدينة حلب أنه حضر لمقاومة الاحتلال الفرنسي المجرم الظالم. ولقد عمل والده المتدين المسلم الموحد محمد أمين في مهنة بيع السمن وزيت الزيتون ، وكان تاجراً كبيراً معروفاً مشهوراً. والمؤرخون السوريون بصفة عامة ومؤرخو مدينة حلب بصفة خاصة أوردوا أن سليمان الحلبي عربي الأصل من حلب ، وهذا الأرجح من كون عفرين لم تكن جزء من حلب في تلك الفترة ، وهو كما ورد من عائلة ونس وهي عائلة حلبيه من مدينة حلب حي البياضة ، ولقبه الحلبي نسبة إلى مدينة حلب. كان عمره 24 عاماً حين اغتال قائد الحملة الفرنسية على مصر كما أسلفنا آنفاً ، حيث إن كليبر ومعه كبير المهندسين بالبستان الذي بداره بحي الأزبكية (وهو مقر القيادة العامة بالقاهرة) ، فتكر سليمان الحلبي في هيئة شحاذ ودخل عليه في حديقة قصره يوم 2 صفر 1216 هـ الموافق 14 يونيو 1800م ، وعمد سليمان الحلبي يده وشده بعنف وطعنه 4 طعنات متوالية أردته قتيلاً ، وحين حاول كبير المهندسين الدفاع عن كليبر طعنه أيضاً ولكنه لم يمت ، فاندفع جنود الحراسة الذين استنفروهم الصراخ العالي فوجدوا قائدهم قتيلاً ، فامتلت شوارع القاهرة بالجنود الفرنسيين ، وخشي الأهالي من مذبحه شاملة انتقاماً من الاغتيال ، بينما تصوّر الفرنسيون أن

عملية الاغتيال هي إشارة عملية لبدء انتفاضة جديدة ، أما سليمان فقد اختبأ في حديقة مجاورة. إلى أن أمسكوا به ومع الخنجر الذي ارتكب به الحادث (والذي يحتفظ به الفرنسيون إلى يومنا هذا في متحف الإنسان بقصر شايو في باريس مع جمجمة سليمان الحلبي في علبة من البلور مكتوباً تحتها: جمجمة مجرم). لم تستغرق المحاكمة أكثر من أربعة أيام ، حققوا معه ومع من عرف أمره من مشايخ من الأزهر الأجلء ، الذين حاولوا ثنيه عن الأمر دون إبلاغ السلطة الفرنسية ، وأصدر مينو في اليوم نفسه أمراً بتكليف محكمة عسكرية بتاريخ 15 و16 يونيو 1800م لمحاكمة قاتل كليبر ، وهذه المحكمة مؤلفة من 9 أعضاء من كبار رجال الجيش ، وكانت رئاسة المحكمة للجنرال رينيه ، وحكموا عليهم حكماً مشدداً بالإعدام إلا واحداً ، فحكم عليه الفرنسيون بحرق يده اليمنى وبعده يتخوزق ويبقى على الخازوق لحين تأكل رَمته الطيور ، وهذا الكلام ثابت في كتاب (المختار من تاريخ الجبرتي) ، كما كانت العادة في أحكام الإعدام ، ونفذوا ذلك في مكان علني يسمى "تل العقارب" بمصر القديمة ، على أن يقطعوا رؤوس الأزهريين أولاً ويشهد سليمان إعدام رفاقه ممن عرفوا أمره ولم يبلغوا الفرنسيين بالمؤامرة ، ومن ثم يحرق بارتيليمي يد سليمان الحلبي ثم يرسله إلى خوزقته ، ويردّد الحلبي الشهادتين وآيات من القرآن! وقد ظل على تلك الحال أربع ساعات ، حتى جاءه جندي فرنسي مُشفقاً لحاله فأعطاه - بعد خروج الجميع - كأساً ليشرب منه مُعجلاً بذلك بموته بالحال. قام الشعب السوري والشعب المصري بجمع التوقيعات الشعبية لإرسالها إلى الحكومة الفرنسية مطالبين بعودة رفات سليمان الحلبي والتي حملتها القوات الفرنسية معها ورفات سليمان الحلبي معروضة في متحف الإنسان بباريس. ووعدت الحكومة! إلى باريس الفرنسية بالوفاء ولكن هيهات هيهات لما توعدون! هل سمعتم باسم هذا البطل المسلم من قبل؟ إنه الشاب المجاهد ابن الـ 24 عامًا "سليمان الحلبي" الذي قتل قائد الحملة الفرنسية على مصر "جان بابست كليبر". كتب المؤرخون عن كليبر فقط ، وهذا طبيعي ؛ فهو بطل معركتي "مايستريك وعين شمس" ، وصاحب المعارك البطولية على ضفاف أنهار النيل والراين والأردن ، أما سليمان الحلبي ، فلم يهتم أحدٌ بتاريخه ، لا كُتِبَ مذكرات ولا ترك صوراً ولا رثاء شاعر ، كل ما ذكره عنه ، أنه شاب "أهوج" قتل أحد أعظم القادة الفرنسيين. إنه في اليوم الثاني من يونيو 1798م حيث تمكنت الحملة الفرنسية بقيادة نابليون بوناپرت من السيطرة على أرض الكنانة مصر ، واستمر في قيادة الحملة حتى رحيله في 22 أغسطس 1799م ، وتسلم من بعده أحد القادة المقربين منه الجنرال "جان بابست كليبر". يذكر التاريخ أن الفرنسيين أسرفوا في إهانة سكان القاهرة ، فاعتقلوا الكثير ، ونصبت المشانق في الميادين ، وتزايدت أساليب القمع ، واشتد الضغط على الناس ، حتى ذكر المؤرخون أنه قلما توجد في تاريخ الثورات فجاج تشبه ما عانتها القاهرة بعد إخماد ثورتها ، من قتل وتكيل وتجويع ، حيث منع المحتل الفرنسي الطعام عن سكان القاهرة. نعود إلى بطلنا سليمان الحلبي الذي صورَه كُتَاب التاريخ المزوّر بأنه شاب متعصب إرهابي ، صاحب هلاوس دينية ، قتل كليبر ابن حضارة العدل والإخاء والمساواة ، الذي جاء لينشر العلم والعمران في أوطاننا التي عمّها الجهل والتخلف ، والحقيقة عكس ذلك ، فكل شعارات الثورة الفرنسية أثبتت عكس ادعائها ، وقد شاهدنا فظائعها في جميع البلدان التي احتلتها ، من الجزائر أم المليون والنصف مليون شهيد ، إلى بلاد أفريقيا وبلاد الشام ، لم تكن إلا «دجلاً من أعلى طراز» كما قال نابليون بوناپرت في مذكراته. فمن هو سليمان الحلبي وما قصته؟ إنه وجه من الوجوه

التي أضاعت صفحات تاريخ الجهاد العربي ضد الهجمات الاستعمارية التي حاقت بوطننا الحبيب في فترة من فترات التاريخ ، في الوقت الذي كانت تموج فيه البلاد بمساوي الاحتلال ، وقد أيقن المستعمر أنه في أوج انتصاره وأنه أحمد الأنفاس وقضى على حركة التحرير. في ذلك الوقت قدم من سوريا سليمان الحلبي وعمره 24 عاما ، جاء من حلب إلى القدس عبر الجليل ويافا وغزة ، ليدرس بالأزهر الشريف ويحفظ القرآن على يد الشيخ مصطفى أفندي. وكان للأزهر الشريف في ذلك الوقت دور بارز في إذكاء روح الثورة وقيادة المقاومة الشعبية ، ولم يكن منبراً من منابر الحكام يشرع مجازرهم ويبرر طغيانهم ويضفي الشرعية على انحراف الطواغيت ويوصل ويرسخ قيم الجاهلية. وهكذا ولدت من بين جدران الأزهر فكرة الانتقام من الاحتلال في شخص قائد الحملة كليبر ، فقد كان لا بد من عمل وطني يهز الحملة الفرنسية ويجعلها تشعر أن المقاومة لم تمت ، رغم قتل معظم قادتها ، وأن الشعب المصري لم يستسلم. كان سليمان يعيش في جوار الأزهر الشريف ، قيل إنه كان قليل الكلام ، لا يعرف أحد ما يدور في رأسه ، لا يختلط بأحد ، لكن عندما تحوّلت القاهرة إلى متاريس ، وأخذ جنود كليبر يعيثون قتلاً وفساداً ، شعر ذلك الشاب بالقهر والرغبة بالدفاع عن أهله والثار لعذاباتهم ، وجاءت فكرة الاغتيال ، فالشاب الهادئ صرخ في داخله بأنه لم يعد يقوى على تحمّل هذا الوضع ، فقرر أن ينتقم ، ولم يفكر كثيراً بما سيلقاه بعد ذلك. في 14 يونيو 1800م ، كان كليبر يسير في ممرات قصر محمد بك الألفي الذي كان يجهزه ليكون مقر القيادة الفرنسية ، وكان يصاحبه في جولته التفقدية المهندس جان بروتان الذي لاحظ شاباً حقيقاً قبيح الهيئة ، يرتدي عمة خضراء يمشي وراء كليبر ، لكنه لم يلتفت له فقد ظنه أحد عمال القصر ، وعندما اقترب سليمان من الجنرال فجأة ، أخرج سكيناً صغيراً ثم طعنه أربع طعنات قاتلة في بطنه وذراعه وخده الأيمن ، ولاذ بالفرار ، إلى أن اعتقله الفرنسيون بعد يومين وكان مُختبئاً في حديقة مجاورة. سلمت يمينك أيها البطل ، وسلمت يمين حفيدك الشهيد البطل "مُهند الحلبي" الذي سار على دربك وتعلم في مدرستك وأشعل انتفاضة السكاكين في فلسطين المحتلة ، وسلمت يمين أبنائك من أبطال انتفاضة القدس الذين لا يملكون إلا شجاعتهم وسكاكينهم لينازلوا بها المحتل الغاصب. نعود إلى سليمان لنقرأ في مذكرات أحد مؤرخي الحملة الفرنسية وهو يصف ما حدث خلال هذين اليومين فيقول: اندفعنا إلى الخارج ، وقتلنا بسيوفنا وخناجرنا جميع من صادفناهم من الرجال والنساء والأطفال" ، وعندما اصطبغت شوارع القاهرة بالدماء عثر الفرنسيون على الحلبي وقدموه للمحاكمة. أمر الفرنسيون حينها بتشكيل محكمة عليا مكونة من قيادات الجيش الفرنسي ، وفي أثناء المحاكمة قال الشاب سليمان: "جئت إلى مصر لأجاهد في سبيل الله" ، ثم صمت. فأصدرت المحكمة حكماً قاسياً عليه نصّ على: "حرق يده اليميني ، وبعد ذلك "يتخوزق". هكذا كان إعدام سليمان الحلبي بمنتهى الوحشية ، على الرغم من تمسك الفرنسيين أثناء المحاكمة بالإجراءات القضائية الحديثة ، واهتمامهم بإبراز التزامهم بكل مظاهر الحضارة الأوروبية ، لكن ما تم من إجراءات كان بعيداً كل البعد عن الحضارة والإنسانية. يُجمع المؤرخون على أن مقتل كليبر هو الذي عَجَلَ بإنهاء الحملة الفرنسية على مصر ، وبذلك فإن هذا البطل قد فعل بشكل فردي ما يعجز جيش كامل عن فعله ، وعند رحيل الاحتلال الفرنسي عن مصر عام 1801م ، تم نقلت رفات سليمان الحلبي في صندوق إلى فرنسا ، وجمجمته معروضة اليوم في متحف الإنسان في قصر "شايو" في باريس إلى جانب جمجمة "ديكارت" فيلسوف فرنسا الأكبر ،

وقد كتب تحت الجمجمة الأولى "جمجمة العبقري ديكارت" وتحت الثانية "جمجمة المجرم سليمان الحلبي". إنه الحقد الاستعماري البغيض الذي وصف سليمان الحلبي بالإجرام ، ذلك البطل الذي انتفض ليدافع عن أمته ضد الغزاة ، والمجرم الحقيقي هم القوات الفرنسية الغازية التي هدمت ونهبت وقتلت وأشعلت الحرائق في المناطق التي وقعت تحت سيطرتها في مصر. رحم الله الشهيد وفي البطل سليمان الحلبي ، مشعل ثورات السكاكين الأول! ومطلق شرارة تحرير مصر من الغزاة. (قصة الإسلام) يورد الدكتور راغب السرجاني عن الحلبي ما نصه: (ولد سليمان الحلبي عام 1777م في قرية عفرين في الشمال الغربي من مدينة حلب ، من أب مسلم متدين اسمه محمد أمين ، كانت مهنته بيع السمن وزيت الزيتون. تمكنت الحملة الفرنسية بقيادة نابليون بونابرت من احتلال مصر عام 1798م ، وذلك بعد قيام الثورة الفرنسية بعشر سنوات ، وعملت الحملة الفرنسية على إهانة الشعب المصري وإذلاله ، بعد أن رأوا منه المقاومة التي كان يحركها علماء الأزهر ، فعملت الحملة الفرنسية على وأد هذه الثورات ، وكان نابليون قد عهد إلى كليبر بقيادة حملة بعد أن غادرها إلى فرنسا! فقتل من علماء الأزهر الكثير ، ودخل الأزهر بخيله وضربه بالمدافع ؛ مما كان له الأثر الكبير في إنشاء خلايا سرية تقاوم المحتل الفرنسي ، وكانت هذه الخلايا بداية النهاية ، حيث استطاع أحد أفراد هذه الخلايا قتل كليبر قائد الحملة ؛ مما ألقى الرعب في قلوبهم ، وكان لذلك أثرٌ في خروجهم من مصر. عاش سليمان الحلبي في بلده إلى أن تم العشرين من عمره ، حيث أرسله والده بعد ذلك إلى الأزهر لينهل من علومه ، فرحل إلى القاهرة لينخرط في رواق الشوام المكان الذي خصص لطلبة الأزهر من أبناء الشام ، وانتظم في سلك الدراسة وتتلذذ على يد الشيخ أحمد الشرقاوي الذي علمه وغرس فيه معنى العزة والكرامة بأفعاله ، والتي تتمثل في إشعال الثورات ضد الحملة الفرنسية حتى قتله كليبر فيما بعد ، وزادت صلته بهذا الشيخ حتى إنه كان يبني بيت في بيته! وكان سليمان الحلبي بجانب شيخه حين اقتحم جيش نابليون أرض الجيزة ، ثم أرض القاهرة حيث راح الغزاة ينكلون بالشعب المصري أشد تنكيل كما يذكر الجبرتي. في الوقت الذي فيه إبراهيم بك يحرض المصريين على الثورة ضد الغزاة الكفرة من مكانه في غزة ، ومراد بك يحض الشعب المصري على المقاومة من مكانه في صعيد مصر ، وهو التحريض الذي جعل بونابرت يزعم في رسالة بعث بها إلى شريف مكة في الحجاز غالب بن مسعود وإلى بيان وجهه على مشايخ وأعيان المحروسة القاهرة (بأنه قد هدم الكنائس في أوروبا وخلع بابا روما قبل قدومه على مصر ، وأنه محب للنبي محمد - صلى الله عليه وسلم - وأنه نصير الدين الإسلامي)! إلا أن حصافة الشعب المصري لم تكن عاجزة عن إدراك هذا الزعم الكاذب الذي رافقه التنكيل بالمصريين الذين أججوا ثورة القاهرة الأولى ضد الغزاة الكفرة انطلاقاً من الجامع الأزهر. وقد رد عليها الغزاة بقذائف مدافعهم غير الرحيمة التي نالت من مبنى المسجد الكبير الذي لم تشفع له قدسيته كمسجد للعبادة الإسلامية فقامت خيول الغزاة المسلحين بالبنادق والسيوف باحتلاله.. وحكمت على ستة من شيوخ الأزهر بالإعدام كان من بينهم أستاذ سليمان الحلبي الشيخ أحمد الشرقاوي ، الذي اقتيد إلى القلعة حيث ضربت عنقه مع أعناق الشيوخ المجاهدين الخمسة الآخرين. واستطاع الفرنسيون إجهاض الثورة المصرية الأولى بعد القبض على شيوخ الأزهر وإعدامهم ، فاختلف البعض عن أعين الفرنسيين وهرب البعض وكان فيمن هرب سليمان الحلبي الذي خرج متوجهاً إلى الشام بعد أن أقام في القاهرة ثلاثة سنوات ، وكان

سليمان الحلبي وقتند قد انضم إلى بعض الخلايا السرية تعمل على جهاد الفرنسيين. وبعد أن تمكن بونابرت من اجتياح خان يونس والعريش وغزة ويافا ، وفشل في اجتياح عكا لمناعة أسوارها ، سافر إلى فرنسا سرًا ، تاركًا على الحملة الفرنسية كليبر الذي لقي حتفه على يد سليمان الحلبي. وانضم سليمان إلى مجموعة من الشوام المقيمين في (رواق الشوام) كطلبة في الأزهر ، وقد كانوا أربعة فتیان من مقرني القرآن من الفلسطينيين أبناء غزة هم: محمد وعبد الله وسعيد عبد القادر الغزي ، وأحمد الوالي. وقد ابلغهم سليمان بعزمه على قتل الجنرال كليبر ، وبأنه نذر حياته للجهاد الإسلامي في سبيل تحرير مصر من الغزاة. وربما لم يأخذوا كلامه على محمل الجد باعتباره كان يمارس مهنة كاتب عربي (عرضحالجي). وفي صباح يوم 15 يونيو 1800م كتب الفتى سليمان الحلبي عددًا من الابتهالات والدعوات إلى ربه على عدد من الأوراق ، ثم ثبتها في المكان المخصص لمثلها في الجامع الأزهر ، ثم توجه إلى (بركة الأزيكية) حيث كان الجنرال كليبر يقيم في قصر (محمد بك الألفي) الذي اغتصبه بونابرت وأقام فيه ، ثم سكنه بعد رحيل بونابرت إلى فرنسا خليفته الجنرال كليبر ، الذي ما إن فرغ من تناول الغداء في قصر مجاور لسكنه (ساري عسكر داماس) ، حتى دخل سليمان حديقة قصر محمد الألفي بك الذي يقيم فيه كليبر ، ومعه كبير المهندسين الفرنسيين (قسطنطين بروتاين) ، وقد تمكن سليمان من أن يطعن كليبر بنبصلة السكين التي اشتراها من غزة أربع طعنات قاتلة في كبده ، وفي سرته وفي ذراعه الأيمن وفي خده الأيمن. كذلك تمكن من طعن كبير المهندسين قسطنطين بروتاين ست طعنات غير قاتلة. وقد تمكن اثنان من العساكر الفرنسيين هما العسكري الخيال الطبجي جوزيف برين ، والعسكري الخيال الطبجي روبيرت ، من إلقاء القبض عليه في الحديقة ، ومن العثور على السكين التي نفذ بها (مهمة القتل) التي كلف بها كمجاهد إسلامي ، وهب حياته لحرية مصر وكبريائها المثلوم. حوكم الفتى سليمان بعد حرق يده اليمنى خلال التحقيق معه حتى عظم الرسغ ، لكنه أنكر صلته بالشيخ الشرقاوي ، وبحركة المقاومة الشعبية الإسلامية المصرية المختلطة (المصرية - العربية الحجازية - المملوكية - التركية العثمانية - الشامية). وبما أن رفاقه المقيمين معه في رواق الشوام في الأزهر كانوا أربعة جميعهم من غزة ، وليس فيهم مصري واحد ، بل وبما أنه لم تكن لهؤلاء الأربعة الفلسطينيين أية صلة بعملية القتل ، فقد اعترف سليمان بأنه كان مقيمًا معهم مدة 34 يومًا قبل إقدامه على تنفيذ (مهمة القتل) ، عقب وصوله إلى القاهرة من غزة مكلفًا بقتل (ساري عسكر كليبر). وبأنه أسر إليهم بعزمه على قتل الجنرال كليبر من منطلق جهادي نضالي صرف ، لكنهم لم يأخذوا كلامه على محمل الجد. وبذلك أدانتهم المحكمة بالتستر على (الجريمة) قبل وقوعها ، وحكمت على سليمان بالإعدام بالخازوق ، وعلى أحمد الوالي ومحمد وعبد الله الغزي (سعيد عبد القادر الغزي كان هاربًا) بالإعدام ، وفصل رءوسهم عن أجسادهم ، على أن يتم قطع رءوسهم أمام سليمان قبل إعدامه بالخازوق. وفي الساعة 11.30 من يوم 28 / 06 / 1800م ، نفذ حكم الإعدام بالفلسطينيين الثلاثة أمام عيني سليمان ، ثم حرقت أجسادهم حتى التفحم ، ثم غرس وتد الخازوق في مؤخرة سليمان الحلبي فوق (تل حصن المجمع - تل العقارب) ، ثم ترك جثمانه المغروس في أحشائه وتد الخازوق النافذ ، عدة أيام ، تنهشه الطيور الجوارح والوحوش الضواري ، عقب دفن جثمان الجنرال كليبر في موضع من القاهرة قريب من (قصر العيني) ، بعد تشييعه في احتفاء رسمي ضخم ، وقد كان جثمانه موضوعًا في تابوت من الرصاص ملفوفًا بالعلم الفرنسي ، وفوق

العلم سكين سليمان الحلبي المشتراة من غزة. وقد حمل الجنرال مينو معه إلى باريس ، عظام الجنرال كليبر في صندوق ، وعظام سليمان الحلبي في صندوق آخر ، وعند إنشاء متحف (انفاليد - الشهداء) بالقرب من (متحف اللوفر) في باريس ، خصص في إحدى قاعات المتحف اثنان من الرفوف: رف أعلى وضعت عليه جمجمة الجنرال كليبر ، وإلى جانبها لوحة صغيرة مكتوب عليها: (جمجمة البطل) الجنرال كليبر ، ورف أدنى تحته وضعت عليه جمجمة سليمان الحلبي ، وإلى جانبها لوحة صغيرة مكتوب عليها: (جمجمة المجرم) سليمان الحلبي. والجمجتان لا تزالان معروضتين في متحف (انفاليد) حتى اليوم. تتأكد حقيقة أن سليمان الحلبي كان بطلاً حقيقياً ، وفتى من شهداء الإسلام والعروبة والحرية ، وأنه جدير بالتخليد اسماً وكفاحاً وبطولةً ، وإذا كانت أطراف سورية غير رسمية قد سعت خلال السنتين المنصرمتين لدى فرنسا ، معبرة عن رغبتها برد الاعتبار إلى اسم سليمان الحلبي ، وتطهيره من صفة (المجرم) اللصيقة بجمجمته في متحف (انفاليد) ، وبالموافقة على أن تسترد سوريا رفاتة من فرنسا ؛ لإعادة دفنها في مسقط رأسه (عفرين) أو في مدينة حلب ، بصفته بطلاً من شهداء الكفاح من أجل الحرية والاستقلال ، فإن العدل وفضيلة الوفاء يقضيان بضم جهود مصر إلى الجهود السورية في هذا السبيل ، وبخاصة أن مصر ملتزمة بفضيلة الوفاء التاريخي في كل العصور. ومن حق روح سليمان الحلبي عليها أن يكون له نصيب من هذا الوفاء المصري التاريخي الشهير ، المضاد لكل ألوان الإجحاف والظلم والجحود. هذا وكان قتل كليبر عاملاً أساسياً في فشل الحملة الفرنسية الغازية ، فتجرأ الناس عليها ، وألجأتها الظروف إلى الخروج من مصر مدحورة مهزومة ، واحتفل الأزهري بهذا النصر المبين ، وفتحت أبوابه التي كانت مغلقة ، وفرح الناس فرحاً عظيماً بزوال الغمة ، وتذكر المؤمنون سليمان الحلبي المجاهد ، ونسيه الجاحدون ، وحسبنا أن الله يعلمه. هـ. لقد أسرف الغزاة الفرنسيون في إذلال وإهانة سكان القاهرة ، في الوقت الذي كان فيه إبراهيم بك يحرض المصريين على الثورة ضد الغزاة من مكانه في غزة ، ومراد بك يحض الشعب المصري على المقاومة في صعيد مصر. ومما ذكره الجبرتي عن الجيش الفرنسي المحتل ، قوله: «ثم دخلوا إلى الجامع الأزهر وهم راكبون الخيول ، وبينهم المشاة كالوعول ، وتفرقوا بصحنه ومقصورته ، وربطوا خيولهم بقبلته ، وعاثوا بالأروقة والحارات ، وكسروا القناديل والسهارات ، وهشّموا خزائن الطلبة ونهبوا ما وجدوا من المتاع ، والأواني والقصاص ، والودائع والمخبآت بالدواليب والخزانات ، ودشتوا الكتب والمصاحف ، وعلى الأرض طرحوها وبأرجلهم ونعالهم داسوها ، وتغوطوا وبالوا وتمخطوا ، وشربوا الشراب وكسروا أوانيهم ، وألقوها بصحنه ونواحيه ، وكل من صادفوه عرّوه ، ومن ثيابه أخرجوه». ثم أنهم حكموا على ستة من شيوخ الأزهر بالإعدام ، منهم الشيخ الشرفاوي أستاذ سليمان الحلبي ، واقتيدوا إلى القلعة ، حيث ضربت أعناقهم ، وانتشلت أجسادهم إلى أماكن غير معروفة. وبعد تمكن الغزاة من إخماد ثورة القاهرة الأولى ، تضاعفت المظالم ، ولوحق كل من جاهد وقاوم باسم الجهاد أو المقاومة الشعبية الوطنية المصرية الإسلامية ، فاختفى من اختفى ، وهرب من هرب ، ثم توافرت الظروف لتوحيد خطط الجهاد داخلياً وخارجياً. وكان نابليون قد اجتاح كلاً من خان يونس والعريش وغزة ويافا ، وفشل في اجتياح أسوار عكا ؛ نتيجة تحالف واليها أحمد باشا الملقب بالسفاح مع إبراهيم بك الذي غادر غزة إلى القدس وجبال نابلس والخليل ، يثير روح المقاومة ، إضافة إلى استمرار مساعيه في التحالف مع الأستانة ، للوقوف في وجه

الغزاة داخل مصر ، وبعد فشله في اقتحام عكا ، عاد نابليون بجيشه إلى مصر مدحوراً من بلاد الشام ومنها توجه سراً إلى فرنسا عن طريق البحر ليلة الاثنين 16 آب 1799م نظراً لاضطراب الظروف الداخلية فيها وتكتل القوى الأوروبية ضده ، تاركاً قيادة جيشه في مصر إلى الجنرال كليبر أحد القادة المقربين له. وقد واجه كليبر ثورات عديدة منها ثورة القاهرة الثانية (20 آذار-21 نيسان 1800م) ، فيما أسرف الفرنسيون في إهانة سكان القاهرة ، فاعتقلوا الكثير ، وأقيمت المذابح في الميادين ، وتزايدت أساليب القمع والإرهاب ، واشتد الضيق بين الناس. وهكذا كانت بشائع الاحتلال ، حتى ذكر المؤرخون أنه قلما توجد في تاريخ الثورات فجاجع تشبه ما عانتها القاهرة بعد إخماد ثورتها الثانية ، حتى أن الأمر وصل بهم إلى قتل المصريين جوعاً ، إذ منع القوات عن القاهرة ، وهكذا تولد لدى الناس الشعور بالظلم والاضطهاد من المستعمر ، فتدهورت الزراعة والصناعة والتجارة ، وتوالى تحصيل الضرائب الباهظة ، وفرض الأتاوات والمصادرات والنهب ، فتزايدت الأوضاع الاقتصادية تدهوراً ، ما أدى إلى تزايد سخط الشعب على الاحتلال الفرنسي. وفي ذلك الوقت الذي كانت تموج فيه البلاد بمساوئ الاحتلال ، وقد أيقن المستعمر أنه في أوج انتصاره ، وأنه قد أخمد الأنفاس ، وقضى على حركة التحرير ، قدم من حلب سليمان الحلبي ، وعمره أربعة وعشرون عاماً ؛ ليدرس في الأزهر الشريف ، فأقام في القاهرة مع زملائه. وكان الأزهر الشريف في ذلك الوقت مشعلاً في إذكاء روح الثورة ، وفي قيادة المقاومة الشعبية ، وهكذا ولدت من بين جدران الأزهر فكرة الانتقام من الاحتلال في شخص قائد الحملة كليبر ، فقد كان لا بد من عمل وطني يهز الحملة الفرنسية ، ويجعلها تشعر بأن المقاومة لم تمت رغم وفاة معظم قادتها ، وأن الشعب لم يستسلم. وكان سليمان الحلبي ممن غادروا أرض مصر إلى بلاد الشام بعد غياب ثلاث سنوات قضى فيها فريضة الحج ، ورحل بعدها إلى مسقط رأسه حلب ، وهناك شاهد ما يلقاه الأهالي والتجار ، وعلى رأسهم والده على يد واليها إبراهيم باشا ، من الاضطهاد والتعسف ومطالبته لهم دائماً بالغرامات والضرائب التي أثقلت كاهلهم. وانزوى في عقر داره يفكر في رسم خطة يقاوم بها هذه المظالم ، فإذا به يأخذ طريقه في صباح أحد الأيام إلى القدس ، فصلى في المسجد الأقصى في آذار 1800 ، ثم توجه إلى الخليل حيث إبراهيم بك ورجاله في نابلس. وبعد عشرين يوماً من إقامته في الخليل ، سار في نيسان 1800 إلى غزة في استضافة ياسين آغا (أحد أنصار إبراهيم بك) في الجامع الكبير ، وسلمه سليمان رسالة من أحمد آغا المقيم في حلب تتعلق بخطة تكليفه بقتل الجنرال كليبر ، نظراً لكون سليمان عنصراً من عناصر المقاومة الإسلامية التي تناضل في سبيل تحرير مصر من الغزاة. وفي غزة سلم ياسين آغا 40 قرشاً إلى سليمان الحلبي لتغطية نفقات سفره برفقة قافلة الجمال التي تحمل الصابون والتبغ إلى مصر ، وليشتري سكيناً من محلة في بلدة غزة ، وهي السكين أو الخنجر الذي قتل به سليمان الجنرال واستغرقت رحلة القافلة من غزة إلى القاهرة ستة أيام ، وانضم سليمان ثانية إلى مجموعة كليبر. طلاب الأزهر الشوام ، وكان منهم أربعة مقرئي القرآن من فتيان فلسطين أبناء غزة ، وهم محمد وعبد الله وسعيد عبد القادر الغزي ، وأحمد الوالي ، وأعلمهم سليمان بعزمه على قتل الجنرال كليبر ، وأنه نذر حياته للجهاد في سبيل تحرير مصر من الغزاة ، وربما لم يأخذوا كلامه على محمل الجد. وفي صباح يوم 14 حزيران عام 1800 م توجه كليبر في عرض عسكري لكتيبة الأورام الذين انخرطوا في سلك الجيش الفرنسي بمصر ، ولم يكن يعلم أن نهايته ستكون على يد

شاب عربي سوري اسمه سليمان الحلبي ، وعاد كليبر من استعراضه هذا ليتفقد أعمال الترميمات التي كانت تجرى في دار القيادة العامة ، وعقب ذلك تناول الغداء مع رئيس أركان الحرب ، ثم انصرف في صحبة أحد المهندسين الفرنسيين (بروتان) لتفقد أعمال الترميمات مرة أخرى ماراً بحديقة السراي ، وبينما كان يتحدث مع المهندس خرج عليهما شاب نحيل متوسط الجسم ، ظن كليبر أن له ملتصماً أو رجاء ، أو أنه قدم ليقبل يده ، وما كاد يلتفت إليه حتى عاجله بطعنات خنجر مميتة أصابته في صدره وبطنه وذراعه ، وصاح كليبر: «إلي أيها الحراس» ، ثم سقط على الأرض ، وحاول سليمان الحلبي الفرار ، غير أن المهندس الفرنسي حاول الإمساك به فطعنه هو الآخر ست طعنات ، وعاد سليمان الحلبي إلى كليبر الساقط أرضاً ، وطعنه عدة طعنات أخرى إمعاناً في التأكد من قتله ، إلا أن الطعنة الأولى كانت قد أجهزت عليه ، كونها قد نفذت إلى القلب. وهكذا كانت نهاية كليبر الذي كان يبلغ من العمر 47 عاماً ، وتمكن سليمان من الهروب تاركاً عمامته ، ونقل كليبر إلى مسكن رئيس الأركان حيث توفي من دون أن ينطق بكلمة واحدة ، غير أن الجنود الفرنسيين سارعوا إلى البحث عن الفاعل ، حتى تمكنوا من القبض على سليمان الحلبي ، وهو مختبئ وراء حائط مهدوم بالقرب من مكان الحادث. وتم إجراء تحقيق مبدئي بمعرفة الجنرال مينو باعتباره أقدم ضباط الحملة بعد كليبر ، وظهر من الاستجواب الأول أن الشاب المقبوض عليه يسمى سليمان الحلبي ، وأنه ولد في مدينة حلب بولاية الشام ، وعمره أربع وعشرون سنة ، وأنه قدم إلى القاهرة مع إحدى القوافل فنزل في الجامع الأزهر. غير أن سليمان أنكر ما نسب إليه من جريمة قتل كليبر ، والشروع في قتل المهندس بروتان ، فتليت عليه الأدلة التي تدينه فأنكرها ، فقرر المجلس العسكري إحالته إلى العذاب ، فشد وثاقه ، وما زال يجلد حتى التمس الصفح ، ووعده بقول الحقيقة ، فرفع عنه العذاب ، واستجوب ثانية ، فاعترف أنه قدم إلى القاهرة من غزة منذ واحد وثلاثين يوماً ، ولم يكن قدومه مع إحدى القوافل ، بل كان على هجين استحضره خصيصاً لذلك ، فقطع المسافة بين غزة والقاهرة في ستة أيام ، وأنه جاء إلى القاهرة لقتل الجنرال كليبر الذي اعتدى على الشعب والعلماء وبيوت الله. وسئل هل حرّضه على ذلك أحد في مصر؟ وهل أخبر أحداً بنيته؟ فأجاب أن أحداً لم يحرّضه في مصر ، غير أنه تعرف منذ سكنه في الجامع الأزهر بأربعة مشايخ. وأنه أطلعهم على مشروعه فنصحوه بالرجوع عنه لاستحالة تنفيذه ، واعترف أيضاً أنه تردد على الجيزة لرؤية القائد العام والاستفهام عنه وعن غدواته ، فعلم أنه ينزل أحياناً إلى الحديقة ، وأنه رآه في هذا الصباح يجتاز النيل في قاربه ، فتبعه حتى قتله في الحديقة. فأصدر القائد العام مينو في الحال أمراً بالقبض على الأربعة المذكورين ، ولم تمض ساعة حتى قبض على ثلاثة منهم ، وأحضروا في الحال إلى المجلس العسكري وبدئ باستجوابهم ، وقد أنكروا أن سليمان الحلبي قد كاشفهم بنيته في قتل الجنرال ، وقد أدى استجواب المشايخ إلى القبض على شخص آخر هو مصطفى أفندي البورصلي ، وقدم للاستجواب فقرر ما يأتي: إنه يسمى مصطفى أفندي البورصلي ، ومولده في بورصة من أعمال الأناضول ، وعمره واحد وثمانون سنة ، وصناعته معلم وسكنه مدينة القاهرة ، قرر أن سليمان تلميذه منذ ثلاثة أعوام ، وأنه قدم إلى القاهرة منذ نحو عشرين يوماً وزاره في منزله للسلام عليه ، فأضافه ليلة واحدة لفقره ولسابق علاقته به ، وأن سليمان أخبره أنه حضر ليتقن القرآن الكريم ، ولم يخبره عن سبب آخر لحضوره ، ولم يفيض إليه مطلقاً بشيء يتعلق بنيته في ارتكاب الجريمة ، وأنه لا يخرج كثيراً من منزله ؛ لكبر سنه

وضعه. وقد ووجه الأستاذ بتلميذه ، فأقره سليمان على جميع أقواله ، ولما انتهى التحقيق الابتدائي ، أصدر الجنرال مينو في اليوم التالي قراراً بإنشاء محكمة لمحاكمة المتهمين ، مؤلفة من تسعة أعضاء ، وبعد أن تمت مرافعة المقرر ، وقرئت أوراق التحقيق ثانية ، حضر المتهمون إلى قاعة الجلسة من دون أغلال ، وسألهم رئيس المحكمة بحضور وكيلهم المترجم عدة أسئلة أخيرة ، فلم يغيروا شيئاً من أجوبتهم السابقة ، ثم سألهم إن كان لديهم ما يبرنون به أنفسهم ، فلم يجيبوا بشيء ، فعندئذ أمر الرئيس بإخلاء الجلسة من الحضور ، واختلت المحكمة للمداولة ، ثم عادت إلى الانعقاد ، وأصدرت حكمها بإدانة كل من: سليمان الحلبي ومحمد الغزي وعبد الله الغزي وعبد القادر الغزي ، والسيد أحمد الوالي ، وبراعة مصطفى أفندي البورصلي وإطلاق سراحه ، وقضت على المحكوم عليهم بالعقوبات الآتية: * أن تحرق اليد اليمنى لسليمان الحلبي ، ثم يعدم فوق الخازوق ، وتترك جثته فوقه حتى تفترسها الجوارح وأن يكون ذلك خارج البلاد فوق التل المعروف باسم تل العقارب وأن يقع التنفيذ علناً عقب تشييع جنازة القائد العام ، وبحضور رجال الجيش وأهل البلاد. * أن يعدم عبد القادر الغزي على الخازوق أيضاً ، وأن تصدر أمواله من عقار منقول لحساب الجمهورية الفرنسية. * أن يعدم كل من محمد الغزي وعبد الله الغزي وأحمد الوالي بقطع الرأس ، ثم توضع رؤوسهم فوق الرماح ، وتحرق جثثهم بالنار ، وأن يكون ذلك فوق تل العقارب أيضاً وأمام سليمان الحلبي قبل أن ينفذ فيه الحكم. وقرئ الحكم على المتهمين بواسطة المترجم ، فيكون ما استغرقت هذه القضية من تحقيق ومحاكمة هو أربعة أيام فقط. وفي اليوم التالي تأهب الفرنسيون لدفن قاندهم القتل ، فشيّعوا جنازته في موكب حافل ، ولما ابتدأت الجنازة بالتحرك أطلقت مدافع وبنادق كثيرة ، ثم ابتدأ الموكب بالمسير ، فلما وصلوا إلى تل العقارب بالقرب من القلعة التي بنوها هنالك أطلقوا عدة مدافع أخرى ، وكانوا قد أحضروا سليمان الحلبي وزملاءه. وفي الساعة الحادية عشرة والنصف من ذلك اليوم أي في 28 حزيران 1800م ، نفذ حكم الإعدام بالفلسطينيين الثلاثة أمام سليمان الحلبي ، وتم حرق أجسادهم حتى التفحم ، وقد تم ذلك كله أمام سليمان الحلبي وقبل إعدامه ، ثم أحرقت اليد اليمنى لسليمان الحلبي ، وغرز وتد الخازوق في مؤخرته فوق التل ، وبقي جثمانه على الخازوق ، ثم استأنف الموكب سيره حتى وصل إلى باب قصر العيني ، وهنالك واروا الصندوق الرصاصي الذي وضعوا فيه كليبر في كتيب من التراب ، وأحاطوا مكانه بسياج من الخشب ، غطوه بالقماش الأبيض ، وزرعوا حوله أعواد السرو ، ونصب على القبر جنديان مسلحان يتناوبان حراسته ليل نهار. أما الجنرال مينو الذي كان من قبل «ساري عسكر مدينة الرشيد» ، والذي عينه بونابرت قبل رحيله عن مصر ، فقد كان قد أشهر إسلامه بلعبة سياسية قذرة ، وسمى نفسه «عبد الله مينو» وتزوج من سيدة مطلقة ، رحلت معه إلى فرنسا بعد نجاح الخلافة العثمانية بالتحالف مع بريطانيا في إرغامه على الانسحاب من مصر ومعه كل رجاله ، لينضم إلى مسيرة نابليون بونابرت الذي ارتقى إلى منصب قنصل فرنسا ، قبل أن يغدو إمبراطورها الأعظم ، ثم أسيراً في جزيرة ألبا ، ثم في جزيرة سانت هيلانة ، حيث قضى نحبه مسموماً بسائل الزرنيخ. وقد حمل الجنرال عبد الله جاك مينو معه إلى باريس عظام الجنرال كليبر في صندوق وعظام سليمان الحلبي في صندوق آخر. وهكذا كان إعدام سليمان الحلبي بمنتهى القسوة والوحشية ، فعلى الرغم من تمسك الفرنسيين أثناء المحاكمة بالإجراءات القضائية الحديثة ، واهتمامهم بمظاهر الحضارة الأوروبية ، إلا أن ما تم من إجراءات كان بعيداً

عن الحضارة الإنسانية ، ويمثل صورة بشعة من صور الهمجية ، ويكشف عن الوجه الحقيقي وجاء للحضارة الغربية المتشدقة والمتبجحة بالإنسانية والديمقراطية واحترام حقوق الإنسان).هـ. إن مجاهداً مخلصاً بوزن سليمان الحلبي – رحمه الله تعالى لِنُذَكِّرنا بالعهد الأول وبالرعيل الأول من الجيل القرآني المجاهد الفريد! من صحابة النبي – صلى الله عليه وسلم -! جاء في (نخبة النخب) عن الصحابي عاشق الشهادة البراء بن مالك رضي الله عنه: (هو ثاني أخوين ، عاشا في الله ، وأعطيا رسول الله صلى الله عليه وسلم عهداً نما وأزهر مع الأيام. أما أولهما فهو أنس بن مالك خادم رسول الله عليه السلام. وأما الثاني فهو البراء بن مالك. عاش حياته العظيمة المقدامة ، وشعاره: "الله - الجنة" ومن كان يراه وهو يقاتل في سبيل الله ، كان يرى عجباً يفوق العجب. فلم يكن البراء حين يجاهد المشركين بسيفه ممن يبحثون عن النصر ، وإن يكن النصر آنذاً أجلّ غاية. إنما كان يبحث عن الشهادة. كانت كل أمانيه أن يموت شهيداً ، ويقضى نحبه فوق أرض معركة مجيدة من معارك الحق والإسلام. من أجل هذا لم يتخلف عن مشهد ولا غزوة. وذات يوم ذهب إخوانه يعودونه. فقرأ وجوههم ثم قال: "لعلكم ترهبون أن أموت على فراشي. لا والله ، لن يحرمني ربي الشهادة!!" ولقد صدق الله ظنه فيه ، فلم يمض البراء على فراشه ، بل مات شهيداً في معركة من أروع معارك الإسلام! ولقد كانت بطولة "البراء" يوم اليمامة خليقةً به. خليقةً بالبطل الذي كان عمر بن الخطاب يوصي ألا يكون قائداً قط! لأن جرأته وإقدامه وبحته عن الموت كل هذا يجعل قيادته لغيره من المقاتلين مخاطرةً تشبه الهلاك! ولقد قف البراء "يوم اليمامة" وجيوش الإسلام تحت إمرة "خالد" تنهياً للنزال. وقف يتلمظ مستبظاً تلك اللحظات التي تمر كأنها السنون ، قبل أن يُصدر القائد أوامره بالزحف. نادى خالد: "الله أكبر" ، فانطلقت الصفوف المرصوصة إلى مقاديرها المحتومة ، وانطلق معها عاشق الموت: "البراء بن مالك" ، وراح يجندل أتباع الكذاب مسيلمة بسيفه ، وهم يتساقطون كأوراق الخريف تحت وميض بأسه ، لم يكن جيش مسيلمة هزياً ولا قليلاً. بل كان أخطر جيوش الردة جميعاً. وكان بأعداده ، وبعتاده ، وباستماتة مقاتليه ، خطراً يفوق كل خطر. ولقد أجابوا على هجوم المسلمين بمقاومةٍ تناهت في العنف حتى كادوا يأخذون زمام المبادرة وتتحول مقاومتهم إلى هجوم ، وكان البراء بن مالك جميل الصوت وعاليه. وناداه القائد خالد: تكلم يا براء. فصاح البراء بكلمات تناهت في الجزالة والدلالة والقوة ، تلك هي: "يا أهل المدينة لا مدينة لكم اليوم. إنما هو الله والجنة" ، كلماتٌ تدل على روح قائلها وتنبئ عن خصاله ، أجل. "إنما هو الله والجنة!!" وفي هذا الموطن ، لا ينبغي أن تدور الخواطر حول شيء آخر. حتى المدينة عاصمة الإسلام ، والبلد الذي خلفوا فيها ديارهم ونساءهم وأولادهم ، لا ينبغي أن يفكروا فيها لأنهم إذا هزموا اليوم فلن تكون هناك مدينة ، ومضى وقتٌ وعادت بعده المعركة إلى نهجها الأول. المسلمون يتقدمون ، يسبقهم نصر مؤزر. والمشركون يتساقطون في حضيض هزيمة منكره ، والبراء بن مالك هناك مع إخوانه يسيرون براية محمد صلى الله عليه وسلم إلى مواعدها العظيم. واندفع المشركون إلى الوراء هاربين ، واحتموا بحديقة كبيرة دخلوها وأغلقوا أبوابها. وهنا علا صوت البراء: "يا معشر المسلمين: احملوني وألقوني عليهم في الحديقة!!" ولم ينتظر البراء أن يحمله قومه ويقذفوا به ، اعتلى هو الجدار وألقى بنفسه داخل الحديقة وفتح الباب للمسلمين! واقتحمته جيوش المسلمين. ولكن حلم البراء لم يتحقق ، فلا سيوف المشركين اغتالته ، ولا هو لقي المصرع الذي كان يمني نفسه به! وصدق أبو بكر رضي الله عنه: "أحرص على الموت توهب لك الحياة" صحيحٌ أن جسد البطل تلقى يومئذٍ من سيوف المشركين بضعاً وثمانين ضربة ، أثنخته ببضع وثمانين جراحة ، لقد ظل بعد المعركة شهراً كاملاً يُشرف خالد بن الوليد بنفسه على

تمريضه. ويبرأ البراء من جراحات يوم اليمامة. وفي إحدى حروب العراق لجأ الفرس في قتالهم المسلمين إلى كل وحشيه دنيئة يستطيعونها. فاستعملوا كلاب حديدية مثبتة في أطراف سلاسل مُحَمَّاة بالنار ، يلقونها من حصونهم فتخطف من تناله من المسلمين الذين لا يستطيعون منها فكاًكاً. وكان البراء وأخوه العظيم أنس بن مالك قد وُكِّل إليهما مع جماعة من المسلمين أمر واحد من تلك الحصون. ولكن أحد هذه الكلاب سقط فجأة فتعلق بأنس. ولم يستطع أنس أن يمس السلسلة ليخلص نفسه ، إذ كانت تتوهج لهباً وناراً. وأبصر البراء المشهد. فأسرع نحو أخيه الذي كانت السلسلة المحماة تصعد به على سطح جدار الحصن. وقبض على السلسلة بيده وراح يعالجها في بأس شديد حتى قصمها وقطعها! ونجا أنس وألقى البراء ومن معه نظرة على كفيه فلم يجدوهما مكانهما! لقد ذهب كل ما فيهما من لحم ، وبقي هيكليهما مُسَمَّرًا محترقاً! وقضى البطل فترة علاج أخرى في علاج بطئ حتى برئ. أما أن لعاشق الموت أن يبلغ غايته؟ وها هي موقعة: "تستر" تجيء ليلاقي المسلمون فيها جيوش فارس ، وتبدأ الحرب بالمبارزة فيصرغ البراء وحده مائة مبارز من الفرس. ثم تلتحم الجيوش ويتساقط القتلى سريعاً من الفريقين كليهما في كثره كثره. ووسط شهداء المعركة ، كان هناك البراء تعلوا وجهه ابتسامة هادئة كضوء الفجر. وتقبض يمينه على حثيثة تراب مضمخة بدمه الطهور وسيفه مدد إلى جواره. قوياً غير مثلوم. سوياً غير ملكوم. لقد بلغ المسافر داره. وأنهى مع إخوانه الشهداء رحلة عمر جليل وعظيم). هـ. (ونودوا أن تلکم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون). إنها الرجولة في التعامل مع الإسلام وقضاياها! ويرى الأستاذ حامد الصفي أن: (الرجولة والشجاعة صفتان عظيمتان ، وهما من الصفات التي تكمل بعضها في النهاية ، فالشجاع يمتلك الرجولة الكافية لأن يتحدى الصعاب ، ويكون صاحب قلب قوي لا يخاف شيئاً ، فلقد كان العرب قديماً يفتخرون بهذه الصفات ، لأنها تعبر عن قيمة الرجل أمام الناس ، فبالموافق الصعبة يعرف الرجل ، وهنا في هذا المقال جمعت لكم عبارات عن الشجاعة والرجولة. والرجولة والشجاعة فن ، فينبغي للرزين العاقل من الرجال أن يكون مرة شجاعاً ، ومرة حذراً ، وهذا هو فن النجاح. وعيش يوم واحد كالأسد ، خير من عيش مئة سنة كالنعامة. والجنباء يهربون من الخطر ، والخطر يفر من وجه الشجعان. إنَّ الجنان يموت آلاف المرات ، ولكن الشجاع لا يذوق الموت إلا مرة واحدة. والشجاعة أهم الصفات الإنسانية لأنها الصفة التي تضمن باقي الصفات. وأخذ خطوة جديدة ، ونطق كلمة جديدة هو أكثر شيء يخافه الناس. ومن لا يجد في نفسه الشجاعة الكافية للمخاطرة ، لن يحقق شيئاً في حياته. وإذا كان صاحب البيت جباناً ، واللص جريئاً ، فالبيت ضائع لا محالة. والشجاعة في حقيقتها هي الصبر الجميل على الشدائد. وكما يقول الشاعر الحكيم: (من لم يمت بالسيف مات بغيره ، تعددت الأسباب والموت واحد). وعندما تُدافع عن أفكارك أمام العامة ، يجب عليك أن تكون قوياً ، وشجاعاً للعيش من أجلها. إننا كثيراً ما يملكنا شعور بالخوف من أشياء أو مواقف مزرية معينة ، فلا يمكن إزالة هذا إلا بالخوف من الله سبحانه ، والتوكل عليه. وأهل البدو أقرب إلى الشجاعة من أهل الحضر ، والسبب في ذلك أن أهل الحضر ألقوا جنوبهم على مهاد الراحة ، والدعة ، وانغمسوا في النعيم ، والترف). هـ. والحكماء ينصحون المرأة الواعية بقولهم: ابتعدي عن رجل لا يملك شجاعة الاعتذار ، حتى لا تفقدي يوماً احترام نفسك ، وأنت تغفرين له إهانات ، وأخطاء في حقك ، لا يرى لزوم الاعتذار عنها ، سيزداد تكراراً لها ، واحتقاراً لك. والأمر كما يقولون: سنعمل معاً لدعم الشجاعة حيث هناك خوف ، لتشجيع التفاوض عندما يكون هناك صراع ، وإعطاء الأمل حيث يوجد اليأس. والشجاعة وسيلة للخوف والثقة. والشجاعة أهم الصفات الإنسانية ؛ لأنها الصفة التي تضمن باقي الصفات. وربما تقتضيك

الشجاعة أن تجبُن ساعة. فلا تتحدَّ إنساناً ليس لديه ما يخسرُه. والشجاعة بلا حذر حِصانٌ أعمى. والشجاعة تصنع المنتصرين ، والوفاق يصنع الذين لا يُهزمون. وفي الملمات الصعاب والشدائد الجسم تظهرُ الشجاعة الكبرى. وتتضاعفُ الشجاعة بالجرأة ، ويزداد الخوف بالتردد. ومن لا يمتلك الشجاعة عليه أن يمتلك ساقين. وإن فقدان الشجاعة يؤلم أكثرَ من الصبر. وقل للمرء أنه شجاع ، وسوف تساعده على أن يصبح كذلك. ولو لم يمتلك أصحاب البطولات والشهائم الرجولة لما استطاعوا أن يحرزوا بطولة واحدة! والأستاذ سامر حمدان تتبع أقوال الحكماء والمفكرين عن الرجولة والشجاعة والشهامة فلخصها في أقوالهم: وليس يعاب المرء من جبن يومه. وقد عرفت منه الشجاعة بالأمس. وإن الرجل الشجاع هو من يتحمل نتائج عمله). هـ. وقال ابن القيم: (ومن أسباب السعادة الشجاعة فإن الله يشرح صدر الشجاع بشجاعته وإقدامه). إنه لا بد أن يدرك الرجل حقيقة هامة ، ألا وهي أن الرجولة أفعال وليست أقوالاً. وأشجع الناس من قاوم هوى نفسه وحبسها عن الدنيا. والشجاعة هي ما أن تقف وتتحدث ، وهي أيضاً أن تجلس وتستمع. والجبن والشجاعة غرائز وأخلاق وطباع ، فالجبان يفر عن عرسه ، والشجاع يقاتل عمن لا يعرفه. ومن لا يجد في نفسه الشجاعة الكافية والجرأة الكافية للمخاطرة لن يحقق شيئاً في حياته. ولقد تعلمت أن الشجاعة ليست غياب الخوف ، ولكن القدرة على التغلب عليه. وعندما تتحقق من أن القوة الوحيدة التي تمتلكها للسيطره على نفسك هي إيمانك بها ، عندئذ يمكنك أن تسمو فوق كل السلبيات. وسوف تصبح حراً إذا جربت هذه الحقيقة. وطبقته على نفسك. وأقوى من شجاعة النفس الشجاعة الأدبية التي يملئها مبدأ الاعتذار عند الخطأ! فعلينا أن نقدم الاعتذار بنية صادقة معترفين بالأذى الذي وقع على الآخر ، وكلنا نخطئ ، ولكن حينما نخطئ ونعرف خطأنا يجب علينا المسارعة بالاعتذار ، فذلك دليل الشجاعة والمحبة والثقة بالنفس وقوة الشخصية. والفشل لا يهم ، فمن الشجاعة أن تجعل من نفسك أضحوكة. وكثيراً ما يملكنا شعور بالخوف من أشياء أو مواقف معينة ، فلا يمكن إزالة هذا إلا بالخوف من الله سبحانه والتوكل عليه. وهناك ثلاثة لا يُعرفون إلا في ثلاثة: الشجاع في الحرب ، والكريم في الحاجة ، والحليم عند الغضب. والشجاعة تقود إلى النجوم والخوف يقود إلى الموت. وأهم شيء هو ألا تخاف ، فدعوك الذي يجبرك على التراجع يخافك في تلك اللحظة ذاتها. وكما قال الشاعر الشابي: (من يتهيب صعود الجبال يعش أبد الدهر بين الحفر). ولقد تعلمت عبر التاريخ أنه إذا كان الشخص مصمماً على شيء فإن هذا يهزم الخوف ، ومعرفة ما يجب فعله تلغي الخوف. والإمام ابن القيم رحمه الله يصف أبا بكر الصديق بأنه: (كان رضي الله عنه أشجع الأمة بعد رسول الله. فلقد برز على الصحابة كلهم بثبات قلبه ، في كل موطن من المواطن التي تزلزل الجبال ، وهو في ذلك ثابت القلب ، ربيط الجأش ، يلوذ به شجعان الصحابة وأبطالهم ، فيثبتهم ويشجعهم ، ولو لم يكن له إلا ثبات قلبه يوم الغار ، وليلته ، وثبات قلبه يوم بدر ، وهو يقول للنبي يا رسول الله: كفاك بعض مناشدتك ربك ، فإنه منجز لك ما وعدك! وثبات قلبه يوم أحد ، وقد صرخ الشيطان في الناس بأن محمداً قد قتل ، ولم يبق أحد مع رسول الله إلا دون عشرين في أحد ، وهو مع ذلك ثابت القلب ساكن الجأش! وثبات قلبه يوم الخندق ، وقد زاعت الأبصار ، وبلغت القلوب الحناجر! وثبات قلبه يوم الحديبية ، وقد قلق فارس الإسلام عمر بن الخطاب ، حتى إن الصديق ليثبته ويسكنه ويطمئنه! وثبات قلبه يوم حنين حيث فر الناس وهو لم يفر ، وثبات قلبه حين النازلة التي اهتزت لها الدنيا أجمع ، وكادت تزول لها الجبال ، وعقرت لها أقدام الأبطال ، وماجت لها قلوب أهل الإسلام ، كموج البحر عند هبوب قواصف الرياح ، وصاح لها الشيطان في أقطار الأرض أبلغ الصياح ، وخرج الناس بها من دين الله أفواجاً ، وأثار عدو الله بها

أقطار الأرض عجاجًا ، وانقطع لها الوحي من السماء ، وكاد لولا دفاع الله لطمس نجوم الاهتداء ، وأنكرت الصحابة بها قلوبهم ، وكيف لا وقد فقدوا رسولهم من بين أظهرهم ، وحببيهم ، وطاشت الأحلام ، وغشي الأفاق ما غشيها من الظلام ، واشترأب النفاق ، ومد أهله الأعناق ، ورفع الباطل رأسًا كان تحت قدم الرسول موضوعًا ، وسمع المسلمون من أعداء الله ما لم يكن في حياته بينهم مسموعًا ، وطمع عدو الله أن يعيد الناس إلى عبادة الأصنام ، وأن يصرف وجوههم عن البيت الحرام ، وأن يصد قلوبهم عن الإيمان والإسلام والقرآن ، ويدعوهم إلى ما كانوا عليه من اليهود ، والتمجس ، والشرك ، وعبادة الصليبان ، فشمّر الصديق رضي الله عنه من جده عن ساق غير خوار ، وانتضى سيف عزمه الذي هو ثاني ذي الفقار ، وامتنى من ظهور عزائم جوادًا لم يكن يكبو يوم السباق ، وتقدم جنود الإسلام فكان أفرسهم إنما همه للحاق ، وقال: والله لأجاهدن أعداء الإسلام جهدي ، ولأصدقنهم الحرب حتى تنفرد سالفتي ، أو أفرد وحدي ، ولأدخلنهم في الباب الذي خرجوا منه ، ولأردننهم إلى الحق الذي رغبوا عنه ، فثبّت الله بذلك القلب الذي لو وزن بقلوب الأمة لرجحها جيوش الإسلام ، وأذلّ بها المنافقين ، والمرتدين ، وأهل الكتاب ، وعبدة الأصنام ، حتى استقامت قناة الدين من بعد اعوجاجها ، وجرت الملة الحنيفة على سننها ومنهاجها ، وتولّى حزب الشيطان وهم الخاسرون ، وأذن مؤذن الإيمان على رؤوس الخلائق فإنّ حزب الله هم الغالبون. هذا وما ضعفت جيوش عزماته ، ولا استكانت ولا وهنت ، بل لم تزل الجيوش بها مؤيدة ومنصورة ، وما فرحت عزائم أعدائه بالظفر في موطن من المواطن ، بل لم تزل مغلوبة مكسورة ، تلك لعمر الله الشجاعة التي تضاعلت لها فرسان الأمم ، والهمة التي تصاعرت عندها عليات الهمم ، ويحق لصديق الأمة أن يضرب من هذا المغنم بأوفر نصيب ، وكيف لا وقد فاز من ميراث النبوة بكمال التعصب).هـ. وعن ابن عمر رضي الله عنهما ، قال: (لما أسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، لم تعلم قريش بإسلامه ، فقال: أي أهل مكة أنشأ للحديث؟ فقالوا: جميل بن معمر الجمحي ، فخرج إليه وأنا معه أتبع أثره ، أعقل ما أرى وأسمع ، فاتاه فقال: يا جميل ، إني قد أسلمت ، قال: فوالله ما رد عليه كلمة حتى قام عامدًا إلى المسجد ، فنادى أندية قريش ، فقال: يا معشر قريش ، إنّ ابن الخطاب قد صبا ، فقال عمر: كذب ولكني أسلمت وأمنت بالله ، وصدقت رسوله ، فتأوروه ، فقاتلهم حتى ركدت الشمس على رؤوسهم ، حتى فتر عمر وجلس ، فقاموا على رأسه ، فقال عمر: افعلوا ما بدا لكم ، فوالله لو كنا ثلاث مائة رجل لقد تركتموها لنا أو تركناها لكم. وأيضاً عن محمد بن إسحاق قال: (فلما قدم عبد الله بن أبي ربيعة ، وعمرو ابن العاص ، على قريش ولم يدركوا ما طلبوا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وردهم النجاشي بما يكرهون ، أسلم عمر بن الخطاب ، وكان رجلاً ذا شكيمة ، لا يرام ما وراء ظهره ، امتنع به أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وبحمزة بن عبد المطلب ، حتى غزا قريشًا ، فكان عبد الله بن مسعود يقول: ما كنا نقدر على أن نصلي عند الكعبة حتى أسلم عمر بن الخطاب ، فلما أسلم قاتل قريشًا حتى صلّى عند الكعبة وصلينا معه ، وكان إسلام عمر بعد خروج من خرج من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى أرض الحبشة. عن عمرو بن دينار قال كان يقال: (أشجع الناس الزبير ، وأبسلهم علي رضي الله عنهما)! وعن هشام بن عروة ، عن أبيه ، (أنّ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا للزبير يوم اليرموك ، ألا تشد فنشد معك؟ فقال: إني إن شددت كذبتم ، فقالوا لا نفعل ، فحمل عليهم حتى شق صفوفهم فجاوزهم وما معه أحد ، ثم رجع مقبلًا فأخذوا بلجامه فضربوه ضربتين على عاتقه بينهما ضربة ضربها يوم بدر ، قال عروة: (كنت أدخل أصابعي في تلك الضربات ألعب وأنا صغير). وعن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما قال: (كنت يوم الأحزاب ، جعلت

أنا وعمر بن أبي سلمة في النساء ، فنظرت فإذا أنا بالزبير على فرسه يختلف إلى بني قريظة مرتين ، أو ثلاثاً ، فلما رجعت قلت يا أبت رأيتك تختلف ، قال: أو هل رأيتني يا بني؟ قلت: نعم ، قال: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من يأت بني قريظة فيأتيني بخبرهم؟ فانطلقت فلما رجعت جمع لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أبويه، فقال: فذاك أبي وأمي). وإن كنت أنسى فلست أنسى ولا ينبغي أن أنسى شجاعة خالد بن الوليد رضي الله عنه. قال خالد بن الوليد رضي الله عنه: (لقد رأيتني يوم مؤتة تقطعت في يدي تسعة أسياف، وصبرت في يدي صفيحة لي يمانية). ولما احتضر خالد قال: (لقد طلبت القتل مظانه ، فلم يُقدَّر لي إلا أن أموت على فراشي ، وما من عملي شيء أرجى عندي بعد لا إله إلا الله من ليلة بنتها وأنا متترس بترسي ، والسماء تهلبني ننتظر الصبح حتى نغير على الكفار ، ثم قال: إذا أنا مت فانظروا سلاحي وفرسي فاجعلوها عدة في سبيل الله عز وجل). وكذلك لست أنسى شجاعة سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه. فعن عامر بن سعد عن أبيه رضي الله عنه: (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع له أبويه قال: كان رجل من المشركين قد خرق المسلمين ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لسعد: ارم فذاك أبي وأمي ، قال: فنزعت بسهم لي فيه نصل ، فأصبت جنبه ، فوقع وانكشفت عوراته ، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نظرت إلى نواجذه). وكان هذا طابعا في الغالب الأعم من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - فعن أنس رضي الله عنه ، قال: (غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر فقال: يا رسول الله غبت عن أول قتال قاتلت المشركين ، لنن الله أشهدني قتال المشركين ليرين الله ما أصنع ، فلما كان يوم أحد وانكشف المسلمون قال: اللهم إني أعتر إنيك مما صنع هؤلاء ، يعني أصحابه ، وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء ، يعني المشركين ، ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ ، فقال: يا سعد بن معاذ الجنة ورب النضر ، إني أجد ريحها من دون أحد ، قال سعد: فما استطعت يا رسول الله ما صنع ، قال أنس: فوجدنا به بضعا وثمانين ضربة بالسيف ، أو طعنة برمح ، أو رمية بسهم ، ووجدناه قد قتل وقد مثل به المشركون ، فما عرفه أحد إلا أخته بيناته ، قال أنس كنا نرى ، أو نظن أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه: (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا وَكَفَى لَكُمْ صِدْقُهُمْ) - رضي الله عنهم جميعاً - كذلك وهم تربية النبي - - عاهدوا الله عليه). صلى الله عليه وسلم -؟! ولقد كان أشجعهم وأقواهم! عن علي رضي الله عنه قال: "لقد رأيتنا يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو أقربنا إلى العدو ، وكان من أشد الناس يومئذ بأساً" (رواه أحمد وابن أبي شيبة). وجود إسناده العراقي في (تخريج الإحياء) ، وصحح إسناده أحمد شاكر في (تخريج المسند). - وقال رجل للبراء رضي الله عنه: يا أبا عمارة ، أفررت يوم حنين؟ قال: لا والله ، ما ولئى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكنه خرج شبان أصحابه وأخفاؤهم حسراً ليس عليهم سلاح أو كثير سلاح ، فلقوا قوماً رماة لا يكاد يسقط لهم سهم ، جمع هوازن ، وبني نصر ، فرشقوهم رشقاً ما يكادون يخطنون ، فأقبلوا هناك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته البيضاء ، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب يقود به ، فنزل فاستنصر وقال: «أنا النبي لا كذب ، أنا ابن عبد المطلب» ، ثم صَفَّهُم (رواه البخاري ومسلم). - وعن عباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال: شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين ، فلزمت أنا وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم نفارقه ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلة له بيضاء أهداها له فروة بن نفاثة الجذامي، فلما التقى المسلمون والكفار ، ولئى المسلمون مدبرين ، فطُفِق رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض بغلته قبل الكفار ، قال عباس: وأنا أخذ بلجام بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم أكفها ؛ إرادة أن لا تسرع ،

وأبو سفيان أخذ بركاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أي عباس ، ناد أصحاب السمره». فقال عباس: - وكان رجلاً صيئاً - فقلت بأعلى صوتي: أين أصحاب السمره؟ قال: فوالله لكان عطفتهم حين سمعوا صوتي ، عطفة البقر على أولادها. فقالوا: يا لبيك يا لبيك ، قال: فاقتتلوا والكفار ، والدعوة في الأنصار يقولون: يا معشر الأنصار يا معشر الأنصار ، قال: ثم قصرت الدعوة على بني الحارث بن الخزرج ، فقالوا: يا بني الحارث بن الخزرج ، يا بني الحارث بن الخزرج ، فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على بغلته كالمتطاول عليها إلى قتالهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا حين حمي الوطيس (رواه مسلم). - وعن أنس رضي الله عنه قال: "كان النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الناس ، وأجود الناس ، وأشجع الناس ، ولقد فرغ أهل المدينة ذات ليلة فانطلق الناس قبل الصوت ، فاستقبلهم النبي صلى الله عليه وسلم ، قد سبق الناس إلى الصوت وهو يقول: «لن تراعوا لن تراعوا» ، وهو على فرس لأبي طلحة عري ، ما عليه سرج ، في عنقه سيف ، فقال: لقد وجدته بحرًا" (بحر: أي واسع الجري) (شرح النووي على مسلم). "أو إنه لبحر" (رواه البخاري). روى مسلم في صحيحه عن أنس - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أخذ سيفاً يوم أحد فقال: "من يأخذ مني هذا؟ فبسطوا أيديهم، كل إنسان منهم يقول: أنا ، أنا ، قال: فمن يأخذه بحقه؟ قال فأحجم القوم. فقال سمالك بن خريشة أبو نجاة: أنا أخذه بحقه. قال: فأخذه فلق به هام المشركين" [مسلم] أي شق به رؤوسهم. لقد أثبت الصحابة - رضي الله عنهم - في كل المعارك والغزوات التي خاضوها شجاعة عجيبة ، أذهلت عدوهم وأرعبت خصومهم ، ففي غزوة بدر واجه المسلمون المشركين بلا استعداد مسبق ، ودون أن يكون معهم سلاح غير سلاح الراكب ، وكان عدد المشركين يفوق عدد المسلمين بثلاثة أضعاف ، مدججين بكل أنواع الأسلحة ، ومع ذلك هزمهم وانتصروا عليهم بإذن الله ، (ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعنكم تشكرون). لقد استشار النبي صلى الله عليه وسلم - أصحابه في خوض هذه المعركة مع العدو ، فقام أبو بكر فتكلم فأحسن ، ثم قام عمر فقال وأحسن ، ثم قام المقداد بن عمرو فقال: "يا رسول الله ، امض لما أراك الله فنحن معك ، والله لن نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربك فقاتل إنا هاهنا قاعدون ، ولكن نقول لك: اذهب أنت وربك فقاتل إنا معكما مقاتلون! ثم قام سعد بن معاذ قائد الأنصار وحامل لوائهم ، فقال - رضي الله عنه - : "يا رسول الله ، قد آمانا بك وصدقناك ، وشهدنا أن ما جنت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهدنا ومواثيقنا ، فامض بنا لما أردت ، وأظعن بنا حيث شئت ، وصل حبل من شئت ، واقطع حبل من شئت ، وخذ من أموالنا ما شئت ، وأعطنا ما شئت ، وما أخذت منا أحب إلينا مما تركت ، فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغمام لسرنا معك ، ولو خضت بنا هذا البحر لخضناه معك ، وما أمرت فيه من أمر فنحن تبع لأمرك ، ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك ، فسر بنا على بركة الله ، فسر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بقول سعد ونشطه ذلك ، ثم قال: سيروا وابشروا فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين ، والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم". وإذ يدعكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين * ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون * إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين * وما جعله الله إلا بشري ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم). ومن المواقف الشجاعة التي سطرها الصحابة - رضي الله عنهم - في غزواتهم ومعاركهم: المواقف العجيبة التي سطرها أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - في معركة أحد ، حيث جعل - صلى الله عليه وسلم - على الميمنة المنذر بن عمرو ، وعلى الميسرة

الزبير بن العوام ، يسانده المقداد بن الأسود! وحرص أصحابه على القتال وحثهم على المصابرة والجلد ، وأخذ ينفث روح الحماسة والبسالة فيهم. وكان أول وقود المعركة حامل لواء المشركين طلحة العبدري ، كان من أشجع فرسان قريش ، يسميه المسلمون كبش الكتبية ، خرج طلحة العبدري وهو راكب على جملة يدعو إلى المبارزة ، فأحجم الناس عن مبارزته لفرط شجاعته ، فتقدم إليه الزبير بن العوام فوثب عليه وثبة الليث ، وقفز إليه قفزة الأسد ، حتى صار معه على جملة ، فألقاه على الجمل فأقتحم به الأرض فذبحة بالسيف ، فلما رأى النبي - صلى الله عليه وسلم - هذا المصرع الرائع كبر ، وكبر المسلمون وراءه ، وأثنى على الزبير وقال في حقه: "إن لكل نبي حوارياً وحواري الزبير". فحمل لواء المشركين بعد طلحة العبدري أخوه عثمان العبدري ، فتقدم إليه حمزة بن عبد المطلب فضربه على عاتقه ضربة بترت يده مع كتفه حتى وصلت إلى سرتة فبانته رنته فمات ، فحمل اللواء بعده أخوه أبو سعد العبدري ، فرماه سعد بن أبي وقاص بسهم في حنجرته فمات لحينه ، فحمل اللواء بعده أخوه مسافع العبدري ، فرماه عاصم بن ثابت بسهم فقتله مرة واحدة ، فحمل اللواء بعده أخوه كلاب العبدري ، فانقض عليه الزبير فقاتله حتى قتله ، فحمل اللواء بعده أخوه الجلاس العبدري ، فطعنه طلحة بن عبد الله طعنة قضت عليه. وفي تلك المعركة وقع المسلمون في خطأ فادح ومخالفة واضحة لأمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في توجيهه لهم بعدم النزول من الجبل حتى يأمرهم بالخروج ، فانعكست الأمور ، وتحول النصر إلى هزيمة ، والتف المشركون على المسلمين ، وأشيع بين المسلمين أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قتل ، فمر أنس بن النضر فقال لهم: ما تنتظرون؟ فقالوا: قتل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، قال: فما تصنعون بالحياة بعده؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، ثم قال: اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء - يعني المسلمين - ، وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء - يعني المشركين - ، ثم تقدم فلقى سعد بن معاذ فقال: إلى أين يا أبا عمر؟ فقال أنس: واهماً لريح الجنة يا سعد ، إني لأجد ريح الجنة من دون أحد! ثم مضى فقاتل المشركين حتى قتل ، فما عرف من بين الشهداء حتى عرفته أخته بعد نهاية المعركة وبه بضع وثمانون ما بين طعنة برمح وضربة بسيف ورمية بسهم. وبمثل هذا الاستبسال وهذا التشجيع عادت إلى المسلمين روحهم المعنوية ، ورجع إليهم رشدهم وصوابهم ، فأخذوا أسلحتهم ، وتركوا القعود والاستسلام ، وهاجموا المشركين من جديد. ويقول الأستاذ المحترم هاني ضوّه مشيداً ببسالة الصحابة وشجاعتهم ما نصه: (لقد ضرب صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أروع الأمثلة في البطولة والشجاعة والإقدام في المعارك والحروب وكافة مناحي الحياة ، ومن هؤلاء صحابي كريم كان مثلاً في الشجاعة وقاد الكثير من المعارك ولقب هذا الصحابي بـ "المرقال". لأنه كان يركل في الحرب أي يسرع. من الإرقال وهو ضرب من العدو. وكان صالحاً زاهداً وهو أخو مصعب بن عمير لأمه ، ويعد من التابعين الكبار وكثير من العلماء عدوه في الصحابة باعتبار إدراكه لزمن النبوة. وذكر الإمام الطبري والإمام ابن كثير قصة عجيبة لهذا الصحابي الشجاع في إحدى المعارك مع الفرس ، حيث تجمعت كتائب كثيرة لكسرى ملك الفرس تسمى "بوران" وأخذوا على أنفسهم عهداً ألا يزول ملك فارس ما عاشوا ، وقد أعدوا معهم أسداً ضخماً وشرساً يقال له "المقرط" لكي يرهبوا به المسلمين في المعركة. وكان الفرس قد دربوا هذا الأسد على القتال ونهش أعدائهم ، وأطلقوه على المسلمين في منطقة "ساباط" فذب الرعب في الصفوف ، وحينها تقدم هذا الصحابي المقدم بقلب ثابت وواثق من نصر الله ، وتصارع مع الأسد حتى قتله بعدة طعنات وأرداه قتيلاً ، وسط ذهول جنود الفرس. وحينها كبر المسلمون تكبيرة زلزلت جيش الفرس إلا أنهم ثبتوا في القتال فتقدم

هذا الصحابي الجليل على رأس جيش المسلمين ، وظلوا يقاتلون حتى فנית كتيبة بوران عن آخرها ، وكانوا يعتقدون أنه لن يستطيع أحد هزيمتهم ، فتقدم هذا الصحابي وهو يتلو قول الله تعالى: (أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلِ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ). وبعد انتصار جيش المسلمين على كتيبة بوران وقتل الأسد أرسل سيدنا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه إلى هذا الصحابي الشجاع وقبّل رأسه تكريماً له ، فأنحني هو الآخر وقبّل قدم سيدنا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنهما وهو يقول له : ما لمثلك أن يقبل رأسي! إنه الصحابي الشجاع الباسل هاشم بن عتبة ، المعروف بالمرقال ، ابن أخي سعد بن أبي وقاص ، وكان قد أسلم يوم الفتح وشاركت في كثير من المعارك حتى ذهبت عينه يوم اليرموك ، وكان من أمراء أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوم صفين واستشهد يومئذ ، فبكاه الإمام علي بن أبي طالب ، وبكى عمار بن ياسر أيضاً الذي استشهد معه ، ودفنهما إلى جنب بعض ، في الموضع الذي استشهدا فيه ، وقبرهما اليوم في محافظة الرقة في سوريا). هـ. نعم لقد ذكرنا البطل سليمان الحلبي – رحمه الله – بالصحابة الأجلاء في شجاعتهم وبسالتهم وإقدامهم وثباتهم على الحق! ولعلي أسله سلاً بقصيدي هذي من أقلام العملاء والخونة والجهلة والمغالطين الذين يحرفون التاريخ ويزورون الحقائق – عليهم من الله الجبار المنتقم – ما يستحقون! نعم إن ما يذكره المؤرخون الفرنسيون عن أن سليمان الحلبي قتل كليبر طمعاً برفع الضرائب عن والده لا صحة له ، فسليمان الحلبي إنما قتل كليبر بدافع الجهاد ومقاومة الفرنسيين ، وليس بدفع من العثمانيين! والحقيقة أن سليمان الحلبي كان يخطط لقتل نابليون بونابارت وليس كليبر ، ولكن الأقدار جعلت نابليون يسافر فكان كليبر هو الضحية حيث تكونت فكرة مقاومة الفرنسيين في رأس سليمان الحلبي بعدما ارتكبوا من مجازر بحق مصر وأهلها وهو كما تروي الروايات واجه الموت بكل شجاعة مردداً الشهادتين وآيات من القران الكريم بالرغم من التعذيب الفظيع الذي تعرض له وإعدامه بطرق همجية (الخازوق). فرحم الله سليمان فلقد قضى مجاهداً فيما يبدو لنا ولا نركيه على الله ، والله حسيبه ووكيله! جاء في فتاوى الشبكة: (إنه لا يجوز للمسلم أن يعتز بشخصية كافرة كهتلر وأن يفخر بها ، فإن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين ، وفي رسول الله صلى الله عليه وسلم القدوة الحسنة ، قال الله تعالى: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) وقد كان عليه الصلاة والسلام أشجع الناس وسيد رجال التاريخ وسيد ولد آدم! وفي المسلمين الرجال الأبطال الذين قاتلوا أعداء الله من المشركين واليهود ونشروا دين الله في بقاع الأرض ما يكفي المسلم أن يعتز بهم ويفخر كعلي بن أبي طالب الذي بارز العج اليهودي مرحب ، وقضى عليه! والله إن أمتنا اليوم بحاجة ماسة ، إلى جيل من أمثال البطل سليمان الحلبي!)

وسمت البطولة يُغلي مَن - لها - سبقوا	ويستحث خطا مَن نياها استبقوا
ويستميل قلوباً تستنظّل بها	ويستجيش أحاسيس الألى صدقوا
ويستثير - إلى أوج العُلا - همماً	بما اشتتهت من سُمُو الصيّد تنطلق
وليس يعيشه عبيدُ درهمهم	مِن الذين - بدين الخالق - ارتزقوا
ولا يُحبّذه مَن - عنه - قد صُرفوا	ومَن إذا ذكرت آياته صُعبوا

مَنْ يَشْرَقُونَ إِذَا نَوَدُوا لِمَكْرَمَةٍ
مَنْ يَأْلَمُونَ إِذَا قَلَّتْ مَطَاعِمُهُمْ
وَلَا يُدَانُونَ فِي الْأَخْلَاقِ قَدْ سَفَلَتْ!
سَمَتْ الْبَطُولَةُ فِي شَرِيَانِ عَاشِقِهِ
هَذَا (سَلِيمَانُ) وَافَانَا بِمَخْبَرِهِ!
وَعِنْدَهُ وَقِفُ التَّارِيخِ مِنْدَهْشَاءً
وَكُلُّ رَاوٍ لَيْسَ فَحْوَى وَفَلَسَفَةٌ
طَالَعَتْ قِصَّتَهُ فِي أَصْلِ مَصْدَرِهَا
فَطِيبُ أَصْلِ الْفَتَى أَعْطَاهُ مَنْزِلَةً
وَحُسْنُ سِيرَتِهِ وَعِزُّ مَحْتَدِهِ
وَفَرَطُ غَيْرَتِهِ عَلَى عَقِيدَتِهِ
وَعَذْبُ نَشَاتِهِ فِي بَيْئَةِ طَهْرَتِ
هَذَا (سَلِيمَانُ) وَالْقَرَّانُ يَغْبِطُهُ
وَفِي الْجَنَانِ حَدِيثُ الْمَصْطَفَى عِبْقَاءً
تَعْلَمُ الْعُلَمُ يَرْجُو وَخَيْرُ أُمَّتِهِ
أَتَى إِلَى مَصْرٍ تَحْدُوهُ مَطَامِحُهُ
وَطَالِبُ الْعَالَمِ لَا تَخْبُو مَنَاقِبُهُ
أَرْخَى الْعَنَانَ لِأَمَالٍ يَدُلُّ بِهَا
لَمْ تُغْرِهِ مَتَعُ الدُّنْيَا وَزَخْرَفَهَا
لَمَّا يَرِ الْعِلْمَ نَصَاءً فِي صَحَائِفِهِ

وَلَا تَرَاهُمْ إِذَا مَا اسْتَعْبَدُوا شَرَقُوا!
وَلِلْمَشَارِبِ هَمٌّ - فِي غِيهِمْ - غَرَقُوا
قَوَامُهَا الْهَزْلُ وَالتَّهْرِيجُ وَالنَّزْقُ
دَمٌّ - بِأَخْلَاصِ مَا فِي النَفْسِ - يَنْدَفِقُ
فِيهِ التَّوَاتُرُ يَجْعَلُنَا بِهِ نَثِقُ
حَيْثُ الرِّوَاةُ - عَلَى تَصَدِيقِهِ - اتَّفَقُوا
لَيْسَتْ - عَنِ النُّورِ وَالتَّبْيِينِ - تَفْتَرِقُ
وَكُلُّ سَطْرٍ لَهُ - فِي خَاطِرِي - نَسَقُ
لَمْ تَتَسَّغْ - لِمَدَاهَا - الْأَرْضُ وَالْأَفْقُ
أَمْرٌ يُشْرَفُ مَنْ أَخْلَاقِهِ اعْتَنَقُوا
أَغْرَى الْأَعَادِي وَالنُّوَكَى ، لَذَا حَنْقُوا
وَعَاشَ فِيهَا - كَمَثَلِ النُّجْمِ - يَأْتَلِقُ
وَالْآيِ - فِي صَدْرِهِ بِالْحُسْنِ - تَتَسَّقُ
كَذَاكَ تَطْبِيقُ مَا فِي نَصِّهِ عَبَقُ
حَتَّى يَرَى أَهْلَهَا الْخَيْرَاتِ تَسْتَبِقُ
إِنَّ الْأَفَاضِلَ - لِلْأَمْجَادِ - قَدْ خَلَقُوا
وَالْعَالِمُونَ تَقَى الرَّحْمَنَ قَدْ رَزَقُوا
لَأَنَّهُ - فِي سَمَا تَحْقِيقِهَا - حَنْقُ
كَمَا يُغْرَبُ بِهَا مَنْ سَمَّتَهُ الْخَرْقُ
دُونَ التَّحْلِي بِأَعْمَالِ لَهَا أَلْقُ

لم يبتغ المال بالعلوم حصّالها
ما قيمة العلم إن دُكت قواعده
ما قيمة العلم نجزي من يحققه
ما قيمة العلم إن أسفاره طبعث
ما قيمة العلم إن سيقت مشايخه
هذا (سليمان) لم يبخل بأضحية
لم تُجد نفعاً مقالات ولا خطب
لما تفيذ الاعتراضات التي بُذلت
وما النواح إذا احتلت مدائننا؟
والشجب هل يردع الباغين في زمن
وما الحروف إذا المدافع استعرت
في غابة نحن ، لا حسنى لساكنها
هو البقاء لأقوى الناس ، تحسبهم
فمنطق القوة المختل يحكمهم
شريعة الغاب - بين الناس - منهجهم
والبطش بالخلق - رغم الأنف - ذيدنهم
وبعضهم سحلوا ، وبعضهم سجنوا
وبعضهم حرموا أرجى مطالبهم
وبعضهم - في البيادي المقفرات - نفوا
وبعضهم مزقوا أجسامهم مزقاً

وهل سيرجع علم العالم الورق؟!
في واقع - لغياب العلم - يختق؟
ومن يطبقه يُزوى وينسحق؟!
دون امتثال؟ وماذا ينفغ الورق؟
إلى السجون ، وما اعتدوا ولا سرقوا؟
لهادم - في ثرى تسكابه - غدق!
ولم يجد أذنأ مدافع لبق
وما الكلام إذا طغى الألى فسقوا؟
وهل يرد العدا الإنكار والحنق؟
فيه الغزاة سيوف النعمة امتشقوا؟!
ومن قذائفها الأصقاع تحترق؟
ولا يسود بها عدل ولا خلق
عن الأوابد والنؤبان ما افترقوا
وكل عُرف وقانون هم خرقوا
وقوسهم - في التحدي - ليس تنشرق!
فبعضهم ضربوا ، وبعضهم شنقوا
وبعضهم قتلوا ، وبعضهم حرقوا
وبعضهم عزلوا ، وبعضهم صَعقوا
وعنهم التهم المكذوبة اختلقوا
ووزعت - للضواري - هذه المِزق!

وثارَ إذْ سُدتِ الآفاقُ والطَّرقُ
فسالَ بعضُ دمٍ ، واشـحوب العلق
وغمّدتـه - عن الخلائق - الخرق!
وأجـم الجثـة المغتالـة العرق
إذْ أغرق الرأسُ - بالدماء - والعنق
والعينُ شاخصـة ، ولونها يقق
إذْ لم يُعدْ - في حياة المُفتري - رمق
ولن يُعيد له حياته الملق
أعطى الأوامرَ أجناداً لهم خذق
والجنـدُ - حول الضحايا الأبريا - حلق!
والناسُ تنظـر للأمعاء تنـدلق!
ظلماً - من الحقد والإجرام - ينبثق
ومَن يعبـه فقد أودى به الخُمق
ومَن يعبـه تلي أطرافه الوثـق!
هو البرئ ، عليه الدمعُ ينسحق
وبالمـدافع بات الصحنُ يحترق
هو المُدانُ ، له في الشر منطلق
فقاتل الله قاضـيهم ومَن حرقوا!
فلغـة الله أرجوها لمن شـنقوا
والله يعلم ما أهل الفسوق لقوا

هَذَا (سـليمان) جلى قبح باطلهم
واغتـال أفجـرهم بمـديـةٍ نحـرت
وأصبح الجسم صخراً لا حراك به
وعَبَّ ما منه الأبرياء سقى
أمسى (كليبـر) في أجناده خبراً
ومُدّد الجسم محمولاً على نصب
والطب قال - أمام الكل - كلمته
طوى صباه الردى ، والموت جندله
هو الذي قتل الآلاف معتسفاً
وكم أراق دمـاء الصـيد مُخصـنة
وكم بطون - بنار البغي - قد بقـرت
وأزهقتْ أنفـسُ الأعلام من شـجبوا
مَن كان أزهق أرواح الـورى بطـل
مَن كان يتم أطفال الألى رشـدوا
من كان رمل خير المؤمنين ضحى
مَن بالخيل غزا - في التو - أزهـرنا
أما الذي قتل الطاغوت في مـلأ
يمينه خرقـت حياءً لينتصـفوا
وبعدُ يُشـنقُ ، هل هـذي حضارتكم
وحاسبَ الله مَن - بليثـنا - غدروا

مَن عاش منهم ومَن في عصره نفقوا
يدين كل الألى من دينهم مرقوا
حرقته كف الذي الإسلام يعتق
فاضرع لمينو القضا قاضي الذين شقوا
أو ليت من بحثوا كأسَ الخمر سقوا!
أن الشهيد - عن الأوغاد - يفترق
وعشت ما عشت يغشى أرضك الأرق
في متحفٍ منه أصحابُ الحجا أبقوا
والعاقل الفذ - في الأوباش - لا يثق!
وتحت كلِّ شعاعٍ ليس يتفق
وتلك ما زارها شذئ ولا عبق!
شفاهه ، وبآي الذكر تأتلق
عن البلاد ، وأهل الملة انعتقوا
ما أشرق البدر ، أو عمّ الدنا الغسق!

وعاقب الله من - في شهنا - شمتوا
هذا (سليمان) بدرٌ في دياجرنا
يا (بارتليمي) رزقت النار موقدة
(ساري العساكر) هل تحميك حرقتها؟
ليت الحديقة ما انجابت مخابنها!
واليوم جمجمة الشهيد شاهدة
(تل العقارب) لا نقت الهنا أبداً!
إن (الفرنسيس) قد زاغت بصائرهم
لأنهم خاطوا الأوراق مائنة
أو أن جمجتين اليوم بُدلتا
فإن جمجمة الشهيد عابقة
هذا (سليمان) بالتوحيد قد نطقت
أنهيت حملتهم ، وانزاح باطلهم
عليك من ربك اللطيف رحمته

للبيت حُرْمته ، ولصاحبه قدره

(إنه ليُفترض في أخوين جاءا إلى بيت أختٍ لهما اختلفت مع زوجها ، وكان هناك تراشق بالألفاظ وإشارات بالأيدي ، وباتت هنالك مشكلة تحتاج إلى حل ، يُفترض في حال كهذا أن أخوينها هذين - الذين أتيا إلى بيتها - أن يتخليا بالحكمة والمروعة وتقدير العواقب ، والتزام الأدب والحيطة والخلق الحسن. وعليهما كذلك اختيار الوقت المناسب واللفظ المناسب والمكان المناسب والطريقة المناسبة. وعليهما أن يحققا في الأمر ولا يُغلبا جانب أختهما حتى لو كان الحق لها! ريثما تضع الحرب أوزارها ، ويهدأ الجميع ويوافق كل ذي حق بحقه! فلا يجب أن يتجردا من الإخلاص والقيم والأدب بداعي أنهما يصلحان ويتصران لأختهما. أما أن يكون الأمر على خلاف ما ذكرت ، فإن النتائج لا بد من أن تكون وخيمة ، والعواقب ستكون أليمة ، والدروس ستكون قاسية. وتنقطع العلاقات والعرى من جرّاء الطيش والنزق والتهور. والحقيقة أنه يكون زوجاً تعيساً كل زوج مُبتلى بزوجته المتسرعة الطائشة ، التي لطالما حذرنا أن لا تلعب بالنار. حتى كانت مشادة بينها وبين زوجها ، فاستعانت بأخوين فأخذوا يسبان زوج أختها المحترمة بأحق السباب ، ويشتمانه بأخزي الشتائم ، ويكيلان له اللغات له ولأهله كبيرهم وصغيرهم ، حيهم وميتهم جميعاً بلا استثناء. ناهيك عن الاستفزاز المقيت ليجهل عليهما. لكنه راعى حُرْمته الذي هو صاحبه وقدر نفسه ، إذ ليس بوبش ولا سافل ولا حقير ولا سفيه ، ولا هو بوغد ليس يرعى الذمار مثلها. وراح الرجل يقابل هذا كله بالابتسام والاسترجاع والهدوء. إذ لا طاقة له بالألفاظ السوقية التي إن دلت على شيء ، فإنما تدل على سفالة ورتالة صاحبيها ، عليهما من الله ما يستحقان. وزوج أختها قد بنى لهما ولغيرهما من سائر إخوتها المجد ، وإن هم جميعاً أنكروا. فجاج الرجل ليشبعوا ، وعطش ليرتوا وشقي ليسعدوا ، وسخر بيته وماله وأصدقائه لهم ليلبي طلباتهم. وعندما تمكنوا جعلوا جزء الإحسان الشتائم واللعانن والسباب. فهل بهذا حُلّت المشكلة؟ أم تفاقمت وازدادت واتسعت؟ إنني أناشد كل أخت مسلمة مؤمنة موحدة عند خلافها مع زوجها أن لا تستعين بالحثالة ولا بالأراذل من معارفها أو من أقربانها. لأن هؤلاء لا حكمة عندهم ولا قيم ولا أدب ولا أخلاق. إنما خراب البيوت وسفك الدماء وهتك الأعراض وطلاق الزوجات ديدنهم ، لا كثرهم الله في العالمين ، ولا بارك فيهم أبداً ، وسلط الله عليهم سيف انتقامه ، وعذبهم في الدنيا ، وفضحهم على رؤوس الأشهاد وشردهم ومزقهم كل ممزق ليكونوا عبرة لكل الناس. عن أبي الدرداء - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟» قالوا: بلى يا رسول الله ، قال: «إصلاح ذات البين ، فإن فساد ذات البين هي الحالقة». (صحيح الترغيب). قال الله تعالى: {وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا}. وقال تعالى: {وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ}. ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلح نفسه بين المتخاصمين ، عن سهل بن سعد - رضي الله عنه - أن أهل قباء اقتتلوا حتى تراموا بالحجارة ، فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ، فقال: «أذهبوا بنا نصلح بينهم». (البخاري). وعن عمرة بنت عبد الرحمن قالت: سمعت عائشة تقول: "سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صوت خصوم بالباب ، عالية أصوتهما ، وإذا أحدهما يستوضع الآخر ويسترفقه في

شيء ، وهو يقول: والله لا أفعل ، فخرج عليهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «أين المتألي على الله ، لا يفعل المعروف؟» فقال: أنا يا رسول الله ، فله أي ذلك أحب". (متفق عليه). عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كل سلامي من الناس عليه صدقة ، كل يوم تطلع فيه الشمس ، يعدل بين الاثنين صدقة ، ويعين الرجل على دابته ، فيحمل عليها ، أو يرفع عليها متاعه صدقة ، والكلمة الطيبة صدقة ، وكل خطوة يخطوها إلى الصلاة صدقة ، ويميط الأذى عن الطريق صدقة». (متفق عليه). وتخيلت نفسي في مكان الزوج المبتلى وهو يدافع عن نفسه ، وقد أوشكت السفينة على الغرق في خضم الهجوم المخزي لهذين السفهين! في هذا الموقف الذي زوال الدنيا بأسرها أهون منه. ورحت أنشد هذه القصيدة التي أوصي بها كل موحد عندما يُستفز ويُجهل عليه من أرذل وضعاء ، فعليه بالصبر والحلم والأناة!

تشبثاً بجبال الكيـد ، وانـدحرا	وفي الجحيم - الذي أوقدتما - استعرا
واستبسلا في نزال ما أريد به	وجاه المليك ، وللضغائن انتصرا
واستعذبا السبب ، إن السبب ديدنكم	من بعد ما صرتم في ذي الدنا غجرا
واستصحبا الشتم ، إن الشتم طابعكم	واستحضرا اللوم والأحقاد والدبرا
واستجمعا للذي قصدتماه قوياً	وخلياً عنكما الإرجاف والحذرا
وأظهرا الغل - في الهيجاء - يشعلها!	وذرياً حمماً - في ذي الوغى - أخرا
وسعرا فتنة شبت ضراروتها	وأججا - في الذي جنتم له - سغرا
ثم البسا - في البراز - السابغات ضحياً	إذ لا مفر من اللقيما ، ولا وزرا
ثم انزلا ساحة تاوي لخدمته	إن المدى بيننا - في المحنة - اختصرا
إنني بصرت بما أضمرتما حسداً	وحقد قلبيكما ما عاد مُستترا
وقد فطنت لما بيئتماه معاً	من مصدر لم يفه يوماً بأي فري
فيم التوجس من وبشين ، ما احترما	دينياً ولا خلقاً ، كلا ، ولا عُمرأ؟
فيم التراشق بالألفاظ جارحة	بلا اكتراتٍ لفعال يُعقب الضررا؟
فيم اقتحام بيوت الناس يسبقه	سيل من السب - في أركانها - انتشرا؟
فيم اغتصاب حقوق دونما سبب	إذ فقتما - في الذي أتيتما - التترا؟

هل بات ردّ الجميل الغدرَ والضرراً؟
بين الأنام؟ أيُمسي شكره كدراً؟
من بعد ما نلتما - من جوده - الوطراً؟
خلقَ كلامُهُم - بالواقع - انتزراً؟
رأيتُ مَنْ رفعوا أصواتهم حُمراً
إن الذي قاله الخصمان محضُ هُرا
من الشتائم لَمَّا زایلَ النذرا
لعنني أدركُ التمكنَ والظفراً
ثوبَ المذلة ، والتحقير والقترا
وسوف ألقمُ رأسَ المعتدي حَجراً
وكيف أبدي لمن قد أجرما الخوراً؟
هما الكذوبان ، لَمَّا يصدقاً خبراً
كيلا يكون مساءً داكناً وعِراً
فالنصرُ عقبى الذي - في بأسه - صَبِرا
لأن لي - في الذي احتدَا له - عِبرا
حتى أردّ على ذنبيين ، ما اعتذرا؟
هل بين ذنبيين يلقى عاقلاً ذُرراً؟
من أجل وَغدين ، كلُّ أيقظ الغِيرا؟
لَمَّا أهين أبّ والخاطرُ انكسرا؟
يرثي لحالتها كل الذي نظرا؟

فيم التعدي على من شاد مجدكما؟
فيم التجني على من صاغ عزكما
فيم التطاول في سر وفي علن
فيم التعامي عن العطاء شاد به
لن أرفع الصوت ، إذ للبيت حُرْمته
لن أجعل الخصم يُغريني بباطله
لن أهدرَ الحق ، مهما كال شأنه
لن أرخصَ الخير ، مهما كاد مُرخصه
لن أحنِي الرأسَ للوبشين مُلتحفاً
لن أقبل الضيم يُؤذيني ويقهرني
لن أظهر العجز يسقي الأردلِين هوىً
لن أستسيغ الذي ساقاه من شُبّه
لن أقضي الليلَ مشغولاً بما اقترفا
لن أستفز ، ولن تشورَ ثائرتي
لن أستعير - من النذلين - طبعهما
وكيف أخربُ بيتاً عامراً بيدي
وكيف أبذل نفسي في شجارهما؟
وكيف أجني على أهلي ، وأكبّتهم
وأسأل الآن ما ذنب الصغار بَكُوا
ما ذنب (راوية) في المهد ثاوية

حتى يشاطر في آلامه (عُمرًا)؟
حتى نداعب - بعد الأزيمة - السمر
منكم جميعاً ، وممن غاب أو حضرا
وبالسباب قطعتم حبل كل عُرى
على الأديم ، فلا نلقى به حُفرا
إذ الإخاء ثوى ، من بعد ما انتحرا
حتى المزاج - من الدغاول - اعتكرا
في ظلمة ليلها لم يشهد القمر
والحسّ والنبض بل والسمع والبصرا!
فخاب ظن الألى لم يعرفوا البشر
ثم احتسبنا الضنا والجهدّ والسهرا
حتى ابتلينا بما يستأفث النظر!
وكم رحلنا ، ولم نستهن السفرا!
لتلبسوا الوشي والديباج والحبرا!
واليوم نحرم حتى الطل والمطرا
إذ ليس يُثقل - في الميزان بعض ثرى!
والجرخ بات - إلى التضميد - مُفتقرا
إننا لندعو لرأب الصدع مُقتدرا
أن لا يُجمّعنا يوماً بأي قرى

ما نذب (أمجد) والأحزان تلجمه
لتخرُجا - من حياة الأهل - أجمعهم
ولتعلننا أن هذي الدار قد برئت
لن تدخلوها ، فقد بانّت عداوتكم
لا تستحقون كأس الماء نسكبه
ولا يليق بنا أن نستكين لكم
بكم جنينا الشقا ، والبؤس سربلنا
بكم طوانا الأذى ، والكرب داهمنا
وكم حسبناكم البانين وحدتنا
وكم ظننا بكم خيراً ومرحمة!
وكم سهرنا لترتاحوا ، وتبتشروا!
وكم بذلنا الذي لا تحلمون به
وكم طرقتنا على الأبواب في شغف!
وكم لبسنا - من الأثواب - أردأها
وكم ظمئنا بلا جبر لنرويكم!
إننا نسبيناكم ، فانسوا وشانجنا
لا تنكأوا الجرح ، إننا لن نصلحكم
ليرحم الله رباً كان يجمعنا
هو ابتلانا بكم ، واليوم نسأله

وهل بعد عيني شئ؟

(عاق لأمه شقي ابتلاه الله بحادث سيارة ، أسفر عن فقدانه لإحدى عينيه. فقدمت الأم إحدى عينيهما في سرية تامة من أجله. حيث خضعت لعملية جراحية تم فيها خلع إحدى عينيهما ، لتزرع في وجه ولدها أثناء غيبوبته عن الوعي. فلما أفاق أصرت الأم على أن لا يعلم. ولكن كيف أصبحت عوراء شوهاً؟ سؤال كان ينبغي أن يحيره كثيراً. لكن لأنه أناني حقير انصرف عن مجرد الانشغال به. وراح يستحيي من أمه كلما التقاها في مكان عمله أو في جمع من الناس. وسئل غير مرة: هل هذه أمك؟ فأجاب بالنفي. والحقيقة أن تضحيات الأم لا حدود لها ، وكم سمعت بتضحيات للأمهات في شتى بقاع الأرض ، وطالعت قصصاً كثيرة في القديم والحديث ، وفي أدب العرب وغير العرب ونقدت قصصاً عديدة بلغة العرب وبغير لغة العرب ، ولكنني توقفت طويلاً عند هذه الأم موضوع قصيدتنا هذي ، حيث كانت تضحيتها من نوع آخر ، وكأنها من عالم الخيال المحض. ذلك أن التبرع بالمال أو الأشياء العينية أو المقتنيات الشخصية أو العقارات بأنواعها ، أو الممتلكات التي في أغلب الأحيان تعوض وتنمى وتعود أكثر وأكبر مما كانت عليه (اللهم أعط منفقاً خلفاً). لكن التبرع بعضو من أعضاء الجسم أمر آخر ، وأي عضو هذا؟ هل هو عضو داخلي غير ظاهر أو باد للعيان؟ هل عضو ثانوي له وظيفة ثانوية بالتعاون مع أعضاء أخرى؟ هل هو التبرع بالدم الذي غالباً ما ينصح به لتجدد الخلايا وتقوى؟ هل هو التبرع بكلىة أو بفص من فصوص الكبد التي سريعاً ما تنمو وتكبر من جديد ، شئ ربما لا يشوه الإنسان ولا يعيبه في الناس؟ لا ، ليس شئ من ذلك ، بل هو الجود بالعين والتضحية بها ، الأمر الذي يدل دلالة قاطعة على مدى الحب لابنها من جهة ، ويدل على مدى الكرم الذي تمتعت به هذه الشخصية العظيمة القدر. وليس يعرف قيمة العين إلا من فقدتها أو أودى فيها بمصيبة تقارب الفقد ، كما أنه لا يقدر الكرم حق قدره مثل الكرماء والأسخياء. ولقد سمى الله تعالى العين بالحبيبة في الحديث القدسي الجليل: (أخذتم حبيبتيه) أي (عينيه) ، ذلك أن كل الجوارح لها طريق إلى القلب ، وأشد هذه الجوارح وصولاً إلى القلب العين لقوة تأثيرها! ولقد ضرب لنا السلف الصالح صوراً جميلة في برهم بأمهاتهم ، ومن ذلك ما روي أن أنس بن النضر الأشجعي قال: استقت - أي طلبت - أم ابن مسعود ماء في بعض الليالي ، فجاءها بالماء فوجدتها قد ذهب بها النوم ، فثبت بالماء عند رأسها حتى أصبح. وعن محمد بن النكدر أنه كان يضع خده على الأرض ثم يقول لأمه: قومي ضعي قدمك على خدي. وقال الخنسي: سمعت أبا بكر يقول: كنت مع منصور بن المعتمر جالساً في منزله فتصيح به أمه ، وكانت فظة عليه ، فتقول: يا منصور يريدك ابن هبيرة على القضاء فيأبى! وهو واضح لحيته على صدره ما يرفع إليها. وأراد ابن الحسن التميمي قتل عقرب ، فدخلت في جحر فأدخل أصابعه خلفها ، فلدغته ، فقيل له ! قال: خفت أن تخرج فتجئ إلى أمي تلدغها. وكان زين العابدين كثير البر بأمه ، حتى قيل له :إنك أبر الناس بأمك ، ولسنا نراك تأكل معها في صحفة! فقال: أخاف أن تسبق يدي إلى ما سبقت إليه عينيها ، فأكون قد عققتها. وكان طلق بن حبيب يقبل رأس أمه ، وكان لا يمشي فوق ظهر بيت هي تحته إجلالاً لها. وكان لمسعر بن كدام له أم عابدة ، كان يحمل لها اللبذ إلى المسجد ، فيدخله ، ويبسطه ، ويصلي عليه ، ثم يتقدم هو لمقدمة المسجد يصلي ، ثم يقعد ويجتمع الناس فيحدثهم ، وهو شيخ عالم معروف ، ثم بعد ذلك ينتهي مجلس الحديث ، فيقوم فيطوي لبدته أمه ويرافقها إلى

البيت. وها هو حيوة بن شريح من كبار العلماء ، كان يقعد في حلقة الدرس يعلم الناس ، وعند مضي بعض الوقت تأتي أمه وتقول: يا حيوة! قم ألق الشعر للدجاج ، فيقوم ويقطع الدرس! ليضع الشعر للدجاج ، ثم يرجع يكمل الدرس ، وهكذا. ومن هنا تأثرت بقصة قصيدي هذه للأم التي ضحت بإحدى عينيها ، فأنشدت من شعري حكاية الأم ، ورحت أتخيل عتابها القاسي لابنها العاق ، ولهجتها في التعامل مع هذا الموقف العاتي وقد ضحت بأعلى ما تملك بعد دينها!)

بالمال كم جاد الغنيُّ على الفقيرُ
ويشدد أزر مَنْ استكان لحاجةٍ
ويُعينَ أرملةً ببعض عطائه
ويسد حاجةً مَنْ أتى متسولاً
ويعول أيتاماً يلوكون الشقا
ويغيثُ مهوفاً ، ويكرم سانلاً
وسواه جاد بميرةٍ لمن اشتهى
وسواه أعطى عارياً ما يرتدي
وسواه يفرشُ بالطنافس بيت مَنْ
وسواه قد يهدي الحجاب لغادةٍ
وسواه ألمه الألى افترشوا الثرى
وسواه جاد - على المريض - بكايةٍ
وسواه - بالدم - جاد يُنقذ نازفاً
وجمَّعُهم يرجو من الله الجزا
أما أنا فبذلت عيني للذي
قالوا: أصيب ، ولا خلول لعينه!
فسألت: أين العين؟ قالوا: جُندلت

لُعين مسكيناً يئن ويسـتـجـيزُ
ويُزلزل العقباتِ والحال العسير
حتى تُعالج مُدلهماتِ الأمور
دفعته للتجوال أوضاع تمور
في عالم فقد التراحم والشعور
ويفك - إما شاء - بالمال الأسير
وبنفسه يسقي ، وأحياناً يميز
من أفخم الأصواف ، أو أغلى الحرير
من فقره لم يفتش غير الحصير
لم تلق أموالاً تُجنبها السفور
فأعارهم من غرفة النوم السرير
ليعيش في كنف الخُبور
أضحى يُعاني من أذى الجرح البقير
ويبيتُ يحلم بالمتوبة والأجور
طوعاً وكرهاً كم جنى مني الكثير!
سيعيشُ أعورَ بعد ما كان البصير!
فبكيتُ - من قلبي - عذابات المصير

عن وعيه إذ لا يُزار ، ولا يزور
كيلا يكون ابني شبيهاً بالضرير
حتى نراجع ما نقول ، ونستشير
وقرارُ جمع - بالعيون هنا - خبير
وترفقوا - يا ناس - بالقلب الكسير
والدمع - مذ وافى بعلمته - بحور
وأظلل ثكلى تحت تأنيب الضمير
لأراه بـدرأ ساطعاً بين البـدور
حتى نباشرَ ما نجهز من أمور
وسلي - لنا - التوفيقَ من رب قدير
مولئٍ سواه ، ولا معين ولا نصير
بل - والذي رفع السما - أمرٌ خطير
جاؤوا بها ، وقرأتُ من بين السطور
أغلى من الدنيا ، وليس لها نظير!
ويُضيرني - بين المخاليق - الظهور
ويسيرَ مرفوعَ الجبين ، كما الأمير
فاتوا إليّ ، وأشفقوا مما يصير
ثوباً من الإقدام يغمره السرور
والقلبُ فيه - من الجوى - نذرٌ يسير
من زرع عيني في الفراغ المستدير؟

فطلبت رؤيته ، فقالوا: غائبٌ
قلت: اخلعوا عيني ، وأهدوها له
قالوا: اهدني نفساً ، ولا تستعجلي
ويقودنا التحليلُ وفوق شروطه
قلت: ارحموني من مكابدة الأسي
بابني فجعتُ ، ألا ترون مصيبيتي؟
والآهه الثكلى تُحطم خاطرِي
هيا خذوا عيني تُجَمَل وجهه
قالوا: على الإقرار هذا وقِعي
وتذرعني بالصبر في هذا البلا
فهو اللطيفُ لما يشاء ، وما لنا
ليس الذي نأتي بأمر هين
ونقشُ الاسم على القراطيس التي
أنى ساءفقد بعد ذاك حبيبة
وأعيش شوهاه الجبين كئيبه
لكن ليحيا الابن في أوج الهنا
فزجرتُ أهل الطب ، قلت: ألا ابدأوا
وأنا التفتأولُ لفني ، وأعارني
حتى إذا فرغوا طرحتُ تسأولاً
ماذا إذا الأقوام لم يتمكنوا

هذا هو الضنك المضمخ بالثبور
حتى أتاني - يحمل السلوى - بشير
والفضل فضل الله مولانا الخير
وغرقت في مرح غزا الدمع الغزير
وكشفت عن عيني الضمادة والستور
فطفقت أوسع به بلوم كالعبير
لما تربح - في جوانبها - الذرور
ما حيلتي؟ والأمر لله البصير
ودع البلاء المُستبد المستطير
كـيلاً يُفاجأ ، أو يُجادل ، أو يَحور
ليعيشَ تحذوه السعادة والخبور
قاموا بخلع العين هذي من شهرور
ومذيع سري ليس - بالتقوى - الجدير
ويسبني ، بنس الفتى الوغد الحقير!
وكأنها كذبٌ وتلفيقٌ وزور
لكنه استعلى ، وشط به الغرور
يسعى مريض القلب مُختالاً فخور
فهو المجيب لمن دعا ، وهو المجير!

ماذا إذا التقدير خان دُعاه؟
وبقيت أهذي دون أي إجابةٍ
قد زف لي بشري نجاح جراحةٍ
ففرحت بالبشري ، وسالت أدمعي
وخرجت ، وابني ليس يعرف عِلي
فإذا به استحيا ، وأبدي نفرة
وأقول: عيني يا بني تقرحت
حتى تقرّر خلعتها لسلامتي
فانظر بعينيك الخلاق والدنا
أنا لم أشأ أن أعلم ابني قصتي
لكنني أخفيت كل حقيقتي
ولذاك أوصيت الأطباء الألى
أن يكتموا أمري ، وربّي شاهدٌ
ورأيت الابن يسومني سوء الجزا
ويسوق أفاظاً نأى عنها الحيا
ووعظته حتى يعود لرشده
وسعى - على الأرض - اختيالاً مثلما
حسبي مليك الناس منك مُعذبي

عزاء من القلب

(تزوجها وعاش معها سنة وشهرين ، وسافر عنها وتركها وحيدة غريبة ، تعاني ما تعاني من أثر الفراق وعذاب الوحدة ولوعة الحنين ومرار الشوق. واعتاد أن ينصح من حوله ويخلص في النصيحة ويجد في الوعظ ، وكانت الآيات والأحاديث تجري على لسانه جريان الماء في النهر ، وقد آتاه الله ذاكرة قوية تستحضر ما تحفظ وتعي على الفور. وكان كثير ذكر مناقب زوجته وذكرياته ، حتى لكأنه ليس في دنياه غيرها. وتعجبتُ إذا كان ذلك كذلك فلماذا فارقها؟ وكلما قابلته وسألته عنها قرأت في وجهه وكلامه زفرات جميل بثينة وتوله كُثِيرَ عزة وخفقان قلب قيس العامري واضطراب جوانح عنتره بن شداد ونحول جسم روميو وانعقاد لسان عمر بن أبي ربيعة ، فإذا قرأت هذه المعاني قلت له في وجد شديد وانكسار عميق: (إن لله ما أخذ ، وله ما أعطى ، وكل شئ عنده بمقدار ولأجل مسمى ، فاصبر واحتسب. فيقول معقباً: إن هذا دعاء نقوله لمن فقد عزيزاً لن يلقاه! فأقول: بل يلتقيان يوم القيامة. فيقول: وزوجتي ألتقي بها في العطلة. فأقول: إلى أن يجمعكما بيت واحد وبأي إمكانيات كان ، أكف عن دعائي هذا وتعزيتي تلك! وتعلق الأستاذة نجاة دمني على حديث: (أحبيب من شئت فإنك مفارقه) فتقول ما نصه: (يحدث أن يتعلق المرء أحياناً بشخص - أيا كان - تعلقاً شديداً ، فيحبه ويتفانى في خدمته والتودد إليه لدرجة يعتقد معها استحالة الحياة من دونه ، وهو في ذلك صادق! وفجأة ، وعلى غير موعد ، يقدم هادم اللذات ومفرق الجماعات ، فينتزع المحبوب من محبيه انتزاعاً ، ويترك الواله من حرقة الفراق يتألم. سنة الله الكريم في خلقه: كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام. سنة الله العادل التي لا تجامل أحداً ، ولو كانت تجامل لجاملت حبيب الحق محمد صلى الله عليه وسلم ، فعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: أتاني جبريل فقال: (يا محمد ، عش ما شئت فإنك ميت ، وأحبب من شئت فإنك مفارقه ، واعمل ما شئت فإنك مجزي به ، واعلم أن شرف المؤمن قيامه بالليل ، وعزه استغناؤه عن الناس). سنة الله الرحيم بخلقته الذي إذا أراد شيئاً يقول له كن فيكون ، فأحبيب من شئت ، وتعلق بمن شئت ، فإنك مفارقه..... لا إله إلا الله. لنا أحبة ، وما ظننا يوماً أن الموت سيأخذهم ومنهم من هم في ريعان شبابهم - بالرغم من إيماننا أن الموت لا يفرق بين صغير وكبير ، سقيم ومعافى ، غني وفقير - غادرونا إلى الرفيق الأعلى تبعاً ، واحترقت قلوبنا لفراقهم - ونحن راضون بقضاء الله مؤمنون بأن ما يريده المولى لنا خير مما نريده لأنفسنا - . فاللهم يا واسع الرحمة ، اشملمهم بعنايتك ، وأدخلهم فسيح جناتك ، وتقبلهم قبولك للأبرار ، ولا تحرمنا أجرهم ولا تفتنا بعدهم واغفر لنا ولهم. كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام كل من عليها فان كل من على الأرض فان ، زائل ، فأت لا محالة ميت ، وكل من تحبه ومن تراه عينك قبور تمشي على الأرض ، على حد قول عبد القادر الجيلاني رحمه الله. والفاء ليس مقتصرأ على البشر ولمن على الأرض ، يقول عز وجل: كل شيء هالك إلا وجهه. كل شيء هالك... نهاية يتساوى عندها كل مخلوق. وقد يطرح السؤال التالي: هل قدر الإنسان أن يعيش حياته كلها يتجرع ألم فقدان الأحبة؟ أليس ثمة من حبيب لا يموت؟ يقول سبحانه: إلا وجهه ويقول أيضاً: ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام أي ويبقى ذات الله الواحد الأحد ، ذو العظمة والكبرياء والإنعام والإكرام). الكل فان والله باق ، حي لا يموت ، فبشرى- من صميم القلب - لمن

كان المولى جل وعلا محبوبه ، هنيئاً لمن غلب حب ذو الجلال والإكرام ، حبه لمن سواه ، فاستعجل الموت سبيلاً للقاء المحبوب. وكانت إحدى العابدات تقول: والله لقد سئمت الحياة حتى لو وجدت الموت يباع لاشتريته شوقاً إلى الله وحبا للقائه ، فقيل لها: على ثقة أنت من عمك قالت: لا والله! لحيي إياه وحسن ظني به ، أفتراه يعذبني وأنا أحبه وأعبده وأظن به خيراً؟).هـ. ورحت أنشد هذي القصيدة له ولكل من ابتلي هذا الابتلاء بفقد غال أو غالية يلتقي به أو بها يوم القيامة أو في العطلة على حد تعبيره. وأجعلها عزاء من القلب لتصل إلى القلب ، وأخصصها أكثر في مناسبتها التي هي غياب الحبيب عن حبيبته. وليس يدرك قيمة هذه الأبيات إلا الذين عانوا عذاب الحب ومرار الغرام وألم الفراق طبعاً على كتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - فقط.)

أعزيك في الغادة النائية إذ اسـتقبلت ضـربة قاضية
وباتت تعاني أنينَ الجوى وتوغلُ في المحنة الجاسية
وتشـفَعُ بالـدمع آهاتها فيا للمحطمة الباكية!
ويلفحها - في المصاب - الأسى بنار المكابدة الحامية
عروس نأى الإلف عن دارها وخلفها - في الورى - سالية
تجرعها الذكريات اللظى بلوعتها المـرّة القاسية
وتفتأ تذكر محبوبها بطلعته الغضة الضاوية
وتسلب أطيافه لبها وثقف ذها الحيرة العافية
ويطعنها الوجد في قلبها فتسكنُ ملتاوعة ساجية
فهلارحمت عذباتها وأنات صدمتها الثاوية؟
فعدت لتطفئ نار النوى وتعذرُ غادتك النائية
وتخمدُ شوقاً عليها اعتدى فأودى بهمتها العالوية
حنانك أد الحقوق التي أتتك بها الشرعة الهادية
ولا تك - في الأمر - مستتكفاً عن الملة السامة
وراجع ضميرك في شأن من تزوجتها بـرّة راضية

ودعك من الصحبة الغاوية
ولا تلقها اليوم في الهاوية
تبدت أضاليلها الضارية؟
ألا إنها فتنة عاتية!
وربك ذي سُننة جارية
ونصغ بأذاننا الواعية
ونقصد بأعمالنا الباقية
ونهلك في هذه الفانية
وسرنا كما الثور في الساقية
كما يفعل الناصح الداعية؟
وتنذر كاضبع العاوية
وعظمت به الأنفس الغاوية
لحال إلى المنتهى ماضية!
بما جاء في السنة الغالية
وكفني على أختها الثانية
أذكرك الله والغاشية
وتلك هي المنية الحانية
فما لفتني قط بالخواوية

فأحسن ، ولا تتبغ من غوى
وأخلص لصاحبة أخلصت
ألسنت ترى الناس في فتنة
ففي (النبت) و(البدش) أسّ البلا
وهل تجهل الآن ما أحدثت؟
إذا لم نعظّم هدى ربنا
إلى أمره ، ثم نعمل به!
فسوف نعاني صنوف الردى
ونندم أننا لفظنا الهدى
ألم تك تأمرنا بالتقى
وكنيت تندد مسـتنكراً
ألا إنك اليوم أولى بما
هداديك ، وارف بزواج رثت
وإنني أعزيك مسترشداً
أحوقل - بالدمع - مسـترجعاً
وانقش - بالشعر - مرثيتي
فإن أثمر الوعظ هذا الرجا
وإن أخفق النصح ما ضرني

في موتها حياة

(في موقع (صيد الفوائد) كثير من القصص المؤثرة ، منها هذه القصة التي يرويها بطلها ، يقول صاحب القصة: كنت شاباً غافلاً عن الله بعيداً عنه ، غارقاً في لجاج المعاصي والآثام. فلما أراد لي الهداية ، قدر لي حادثاً أعادني إلى رشدي ، وردني إلى صوابي. وإليك القصة: في يوم من الأيام ، وبعد أن قضينا أياماً جميلة في نزهة عائلية في مدينة الدمام ، انطلقت بسيارتي نحو الطريق السريع بين الدمام والرياض ومعى أخواتي الثلاث ، وبدلاً من أن أدعو بدعاء السفر المأثور ، استفزني الشيطان بصوته ، وأجلب عليّ بخيله ورجله ، وزين لي سماع لهو الحديث المحرم لأظل سادراً غافلاً عن الله. لم أكن حينذاك أحرص على سماع إذاعة القرآن الكريم أو الأشرطة الإسلامية النافعة للمشايخ والعلماء ، لأن الحق والباطل لا يجتمعان في قلب واحد أبداً. وإحدى إخواتي كانت سالحة مؤمنة ذاكرة لله ، حافظة لحدوده...طلبت مني أن أسكت صوت الباطل ، وأستمع إلى صوت الحق ولكن أنى لي أن أستجيب لذلك ، وقد استحوذ عليّ الشيطان ، وملك عليّ جوارحي وفؤادي ، فأخذتني العزة بالإثم ورفضت طلبها ، وقد شاركني في ذلك الاختيارأختاي الأخرى. وكررت أختي المؤمنة طلبها ، فازددت عناداً وإصراراً ، وأخذنا نسخر منها ونحتقرها ، بل إنني قلت لها ساخراً: إن أعجبك الحال وإلا أنزلتك على قارعة الطريق. فصمتت أختي على مضض ، وقد كرهت هذا العمل بقلبها ، وأدت ما عليها ، والله - سبحانه - لا يكلف نفساً إلا وسعها. وفجأة وبقدر من الله سبق ، انفجرت إحدى عجلات السيارة ونحن نسير بسرعة شديدة ، فانحرفت السيارة عن الطريق ، وهوت في منحدر جانبي ، وأصبحنا في حال لا يعلمها إلا الله العلي العظيم ، فاجتمع الناس حول سيارتنا المنكوبة ، وقام أهل الخير بإخراجنا من بين الحطام ، والزجاج المتناثر ، ولكن ما الذي حدث؟ لقد خرجنا جميعاً سالمين إلا - من بعض الإصابات البسيطة - ما عدا أختي المؤمنة ، أختي الصابرة ، أختي الطيبة. فقد لفظت أنفاسها الأخيرة تحت الركاب. نعم لقد ماتت أختي الحبيبة التي كنا نستعزى بها ، واختارها الله إلى جواره ، وإنني لأرجو أن تكون في عداد الشهداء والأبرار ، وأسأل الله - عز وجل - أن يرفع منزلتها ويعطي مكانتها في جنات النعيم. أما أنا فقد بكيث على نفسي قبل أن أبكي على أختي ، وانكشف عني الغطاء ، فأبصرت حقيقة نفسي وما كنت فيه من الغفلة والضياع ، وعلمت أن الله - جل وعلا - قد أراد بي خيراً وكتب لي عمراً جديداً ، لأبدأ حياة جديدة ملؤها الإيمان والعمل الصالح!). إن هذه الأخت التي لا نذكها على الله ، بل الله حسيبها ووكيلها ، أراها عاشت حياة مع الأحياء الحقيقيين في هذه الدنيا ، الذين يحيون الحياة المؤقتة التي عما قريب تنتهي لتعقبها حياة الخلود: (يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم)! فما هي اليوم ماتت لتحيها مع الأحياء ، تلك الحياة الأبدية الخالدة التي لا موت بعدها ، وإنما كان الموت فقط أول مراتبها (القبر أول منزل من منازل الآخرة). أما أخوها فقد كان ميتاً في الدنيا مع الموتى الأحياء (أومن كان ميتاً فأحييناه) حتى إذا ماتت أخته أحياء الله تعالى بموتها ، وبهذه المعادلة لم يخسر هذا البيت أو تلك العائلة ابنتها فهي حية في عالم الخلود إن شاء الله ، والابن عادت له الحياة ليحيا مع الأحياء تلك الحياة المؤقتة في الحياة الدنيا ، ثم إن لقي الله على الاستقامة على صراطه المستقيم بغير تحريف ولاتبديل

فسوف يحيا مع الأحياء حياة الخلود ، ويلتقي هناك بأخته في جنات النعيم. فتخيلتُ هذا الشاب يرسل رسالة عزاء يُهديها لأخته التي ماتت لتهديه الحياة فأشدت من شعري أقول:

رحيلكِ كان أقربَ ذكرياتي
وأغربُ ما رأَت عيناى ، إنى
وتسقينى الهواجسُ كأسَ وهَم
وتأسرنى الوسواسُ كل حين
أسائلُ عنكِ جيراناً وأهلاً
وأبحثُ عنكِ فى أركانِ بيتِ
وألتمسُ الطريقَ إليكِ وحدي
وأدخلُ غرفتيكِ أسوقُ دمعى
واذكرُ من شؤونكِ ما أواسى
وأمسكُ باليراعِ أصوغُ شعراً
وقرطاسى اشتكى من فرطِ وجدي!
وأزنتى الهمومُ ، فطال حزنى
أحقاً غيّبتُ - فى الترب - فضلى
أحقاً ودعتنا دون عودِ
أحقاً ضمّما - بالرغم - قبرِ
لئن ماتت - وإن الموت حق -
وأيقظتِ الضمائرَ من ركودِ
فماذا كنتُ قبل رحيلِ أختى
وأعذبُ ما به ابتدأتُ حياتى
أكادُ أضيقُ ذرعاً بالثبات
فأشربُ ، ثم أمعن فى السكات
لتتركنى أسيرَ الترهات
وأسالُ عنكِ خيرَ صاحبات
بكاكِ ، وذاعَ ألقى الذكريات
فيحزنننى ألىمُ توجعائى
وأجزعُ من عذابِ النائبات
به نفسى ، وأغرقُ فى شكائى
يُعبّر عن مُعانائى وذاتى
وغيضَ الحبرُ فى جوفِ الدواة!
فبتُ أننّ من نبالِ الوفاة
وأبتهاضحى جمعُ النعاة؟
إلى الدنيا وداعِ الراحلات؟
لتصبح قصة بين الرواة؟
فقد أحييتُ أساطينَ الغفاة
وكان التوبُ إحدى المعجزات
سوى عبدٍ قلا كل العظاات؟

بلا خجل ، وحب المغريات
وأطربَه عَزِيفُ الأَغْنِيَاتِ
وأوغلَ في أذى المسـتنقعات
وقطع عامداً حبل النجاة
وسامرَه سرابُ المعصيات
ولم يجنح لذكرٍ أو صلاة
ولم ينصتْ لأية بينات
ولم يكُ - في الورى - ذا تضحيات
ولم يأخذ بأراء الثقاة
ولكن عاش يهوى الأمنيات
وأدرك بعدَ لأي والتفـات
يرجّع سالفاتِ المكـرمات
وعدّد في الشواهد والصفات
وضم إلى الأدلة بينات!
كمثل النجم بين النيرات
وأمعنَ في الفعال الطيبات
وأوغلَ في التقى والصالحات
شديدَ الوقع معتدل الوصاة
وإن الله مولى المؤمنات

وعربدَ مؤثراً حُب التـدني
وزايل ما يقابلُ من رشادٍ
وأفسدَ لم يخفَ رب البرايا
وناوأ من يُنصحه اغتراراً
ومارسَ كل معصيةٍ وسُوأى
وعاندَ مسـتجيباً للمخازي
ولم يُسلم لرب الناس وجهاً
ولم يعمل بتقوى الله يوماً
ولم يصحبُ تقياً مستنيراً
ولم يقبل نصائح أي فـذٍ
إلى أن ماتتِ الفضلى تغلى
وشيعها ، ودمغ العين جارٍ
وقلدها المناقبَ والتحايا
وناولها المكارمَ والتحايا
وأيقن أنها كانت مناراً
ولازم دربهـا خُـراً طليقاً
وتاب يريـدُ غفرانَ الخطايا
وكان الموتُ - للأحياء - درساً
فرحمة ربنا أبداً عليها

أمانة صاحب الحانوت

(ص 29 من (حدث في المحكمة) لسلمان العمري ، قصة الحفيد مع جدته لأمه ، حيث عاش معها صغيراً. ثم كتبت له بيتها كاملاً. ووضعت الورق عند صاحب حانوت يماني. فلما ماتت دخل صاحب السبعين خريفاً على القاضي يقبض بيمينه شاباً صغيراً ، وتقدمهم حضرمي كريم أمين فقال هذا الصبي الباكي الحزين: ردوا عليّ جدتي ولا أريد شيئاً ، وقال جده لأبيه: إن حفيدي هذا كان عند جدته لأمه ، وكان يرعاها ويعولها ويخدمها حين مرضت في المستشفى ، ولأن أم الطفل زوجة ولدي وهو على خلاف شديد معها فقد فارقتها ولدي ، ثم تزوجت برجل آخر وهي عاقلة لأمها ظالمة لها ، وابني أيضاً ضائع وتائه لا كرامة عندي له ، ولهذا فإن هذا الحفيد سيكون في قبضتي والله يعينني عليه ، ولكن جدته خلفت عقاراً لا تملك سواه ، وقد وهبته في حياتها لهذا الحفيد ولا يزال قاصراً ، وخشيت إن أعطته أوراق الدار أو نحوها أن تخون أمه الأمانة فتسرق منه الأوراق وتزورها أو تأخذ البيت منه قصراً ولا يستطيع له نصراً ولا منها انتصاراً ، فولت وجهة هذا الحضرمي الكريم الأمين وأعطته هذه الأوراق التي لا ندري ما فيها ، وجاءت بنتها كشيطن تلبس لباس امرأة تزمجر وتولول وتسب وتسخط وتشتم أمها ورائحة العقوق تفوح كريهة مؤذية ، وبالفعل تقدّم الحضرمي بخطوات واثقة وقال للقاضي: أيها الشيخ الجليل هذه المرأة في حال عافيتها قبل سنين أتت إليّ في بقالتي وهي تسكن قريباً منها ، وقالت: إنني أستودعك هذه الأمانة بسرارها ووكائنها ، وأنشدك الله أن لا تطلع عليها وعلى ما فيها ، وأن لا تسلمها لكانن من كان من أقاربي ، وأن تعطيتها للقاضي في يده تأمره أن يحافظ على ابني وعليها ، فإذا وصلت إلى القاضي فقد وصلت إلى الأمان ، لأنني لا أثق في أولادي ولا أثق في ابنتي ولا في أقاربي ، ولم يكن لها غير ابنتها يومئذ وبني عم هم أبعد الناس عنها وأشدّهم غضباً عليها ، فأخذ القاضي تلك الأوراق بوكائنها وسرارها وعفاصها ، وفكها وقلها ، ورأى الحرص الشديد من تلك العجوز ، فإذا فيها كلام يسيل الدموع الجارحة ، كلام تهتز له القلوب المؤمنة تقول فيها نصياً: أيها القاضي سلام الله عليك! أما بعد: فإن ابنتي بجرة مؤذية لم تعرفني منذ عشر سنين ، وقد فارقتها زوجها بعد أن أنجبت له هذا الطفل الذي ألقوه في داري طفلاً صغيراً فرببته وأكرمته وعلمته التوحيد وأمور الدين وحسن الأخلاق ، ولأنني أعلم أن والد هذا الطفل أيضاً تائه كأمه ، ولأن هذا الطفل قد أحسن إليّ وأكرمني بحسن خلقه وخدمته لي ، فقد وهبته بيتي الذي أقطنه ، وجعلته ملكاً له يسكن فيه إذا احتاجه أو يوجره ، واعلم أيها القاضي أن بيتي هذا أمانة وأنا لا أملك من الدنيا شيئاً سواه ، وقد سددت الديون التي عليّ ، وما يقوله صاحب البقالة من ديون عليّ فإنه صادق فتعطي إياه من هذه النقود التي هي ميراثي ، ثم نظر القاضي إلى مجموعة قليلة من النقود ، وعدّها بيده وسأل هذا الحضرمي ألك عليها دين؟ قال: نعم ، ولكنه قليل وقد سامحتها فيه الدنيا والآخرة فلا أريده ، وسلم القاضي المبلغ للورثة على قسمة الله تعالى ورسوله ﷺ وخرجوا يسبون ويشتمون هذه المرأة الميتة ، وأما الطفل الصغير فقد سلم أوراقه بعد أن وثقها التوثيق الشرعي وسلمها لجده ، وأخذ القاضي عليه العهود والمواثيق أن يحافظ عليه ، فكان الجد نعم الأب حافظ على ابنه وعلمه ووجهه ابتغاء وجه الله).هـ. والحقيقة أنني كلما تذكرت موقف هذه العجوز بطلاة قستنا الثانية

أكبرتها ، (إذ بطلها الأول هو اليمني صاحب الحانوت) ، فعلى رغم كبر سنها لم تخرف ولم تظلم كما قد يتصور البعض ، بل كان تصرفها هذا يروي شجرة الفضيلة والقيم ، ذلك أنها أكرمت اليتيم ولم تقهره. ولما طالعت القصة احترت بمن أعجب وكيف أكتب؟ وكانت هناك تساؤلات كثيرة في نفسي: فلقد احتوت القصة على مجموعة من الأحاسيس والمنطلقات العجيبة. العجوز الحكيمة في اتخاذ القرار الصائب المناسب وفي الوقت المناسب ، وأدب الصبي وأخلاقه التي حملتها على منحه بيتها ابتغاء وجه الله ، وأمانة اليمني صاحب الحانوت (الحكمة يمانية والفقہ يماني والإيمان يماني) ، وعدالة القاضي ونزاهته في تنفيذ وصيتها بحذافيرها ، والجد الصادق في شهادته. وفي نهاية المطاف انتصرت أمانة صاحب الحانوت لأنها كانت المرتكز والمنطلق والأساس لكل ما تلاها من الأشياء. ومن هنا رُحِتُ أحيي صاحب الحانوت وأقول له من شعري:

أحييك ، أنت الصدوق الأمين	وأدعوك المسرع المتين
وأطريك بالشعر ، أشدو به	بوزن شجي ولفظ رصين
وأصبع - بالحب - أنشودتي	وأتحفها بالكلام الرزين
لأن الأمانة روعي التي	بها في الحياة - لربي - أدين
وأكبر - بين الوري - أهلها	وأبغض من يعتدي ، أو يخون
عجبت لهذي العجوز انتقت	من الناس شهماً قوي اليقين!
رعي الحق مستعظماً قدره	وما خيب العبقري الظنون
وأخلص يرجو الثواب الذي	يبوء به كل عفاً أمين
وأرجع ذكرى قلت دارنا	تعود إلى السادة الأولين
ووفى يـذكرنا بالألى	بأمر المليك قضوا أجمعين
وصان الأمانة مستحضراً	مصير الخؤون الذي لا يصون
وأعطى القضاة قراطيسه	رضي الفؤاد ، وضئ الجبين
ليبرئ ذممة مستأمن	على خلق واحترام ودين
وقام القضاة بأمر الفتى	وعاد له حقه بعد حين

صيحة صدق لا صرخة مرتزق

(الفرق بين صدق العالم العامل العابد وبين نفاق العالم المرتزق المتكسب بالقرآن ، كالفرق بين السماء والأرض. فإن صرخة العالم الصادق تصل إلى القلوب ، بينما صياح المرتزق لا يبلغ الأذان ، مهما تأنق واختار أعذب الكلمات. ومناسبة هذه القصيدة قصة طالعتها في الموسوعة للأستاذ محمد رشاد الخولي ص 102 عن شاب غافل تأثر بموعظة عالم صادق لا نزكبه على الله ، فتاب على أنفاس الصدق. ولم أشأ أن أورد القصة ، وإنما أكتفي هنا بالإشارة إليها وإلى مصدرها من باب الأمانة العلمية ، وحتى أعطي الفرصة لمن أراد أن يصل إليها ويقرأها كاملة بتفاصيلها وظلالها. ورحت أطري صيحة الصدق من فم صادق وحجرة صادقة ، وأستهجن صرخة المرتزق التي تخرج من فم كاذب وحجرة مأجورة ، وأبين الفرق بينهما وأثر كل منهما في الناس. يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: (وتحت قوله: (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة) ؛ كنز عظيم من وفق لمظنته وأحسن استخراجه واقتناؤه وأنفق منه فقد غنم ؛ ومن حُرِّمه فقد حرم ، وذلك أن العبد لا يستغني عن تثبيت الله له طرفة عين ؛ فإن لم يثبتها وإلا زالت سماء إيمانه وأرضه عن مكانهما ، وقد قال تعالى لأكرم خلقه عليه عبده ورسوله: (ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً) ؛ وقال تعالى لرسوله: (وكللاً نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك) ؛ فالخلق كلهم قسمان: موفق بالتثبيت ؛ ومخذول بترك التثبيت ؛ ومادة التثبيت أصله ومنشأه من القول الثابت وفعل ما أمر به العبد ، فبهما يثبت الله عبده ، فكلُّ من كان أثبت قولاً وأحسن فعلاً ؛ كان أعظم تثبيتاً ، قال الله تعالى: (ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيراً لهم وأشد تثبيتاً) ؛ فأثبت الناس قلباً أثبتهم قولاً ، والقول الثابت هو القول الحق والصدق ، وهو ضد القول الباطل الكذب ، وأثبت القول كلمة التوحيد ولو أزمها ، فهي أعظم ما يثبت الله بها عبده في الدنيا والآخرة ؛ ولهذا ترى الصادق من أثبت الناس وأشجعهم قلباً ، والكاذب من أمهن الناس وأخبثهم وأكثرهم تلوثاً وأقلهم ثباتاً ، وأهل الفراسة يعرفون صدق الصادق من ثبات قلبه وقت الإخبار وشجاعته ومهابته ؛ ويعرفون كذب الكاذب بضد ذلك ؛ ولا يخفى ذلك إلا على ضعيف البصيرة. وسئل بعضهم عن كلام سمعه من متكلم به ، فقال: والله ما فهمت منه شيئاً إلا أي رأيت لكلامه صولة ليست بصولة مبطل ، فما منح العبد منحة أفضل من منحة القول الثابت ، ويجد أهل القول الثابت ثمرته أحوج ما يكونون إليه في قبورهم ويوم معادهم ؛ كما في حديث البراء بن عازب أن هذه الآية نزلت في عذاب القبر). هـ. إعلام الموقعين. الصدق عزيز ، حث عليه ربنا بقوله (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) والصدق كما قال حبيبنا محمد - صلى الله عليه وسلم - يهدي إلى البر ، والبر يهدي إلى الجنة". وللصالحين والفضلاء في الصدق أقوال جميلة وعبارات سديدة كقول عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - : (عليك بالصدق وإن قتلك) وقوله أيضاً: (لأن يضغني الصدق - وقلماً يفعل - أحب إليّ أن من أن يرفعني الكذب وقلماً يفعل). وقوله: (قد يبلغ الصادق بصدقه ما لا يبلغه الكاذب باحتياله). وقال ابن عباس رضي الله عنهما: (أربع من كن فيه فقد ربح: الصدق والحياء وحسن الخلق والشكر). وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: "ما كذبت مذ علمت أن الكذب يشين صاحبه". وقال الإمام الأوزاعي رحمه الله: "والله لو نادى مناد من السماء أن الكذب حلال ما كذبت". وقال يوسف بن أسباط رحمه الله: "لأن أبيت ليلة أعامل الله

بالصدق أحب إلى من أن أضرب بسيفي في سبيل الله". وقال الشعبي رحمه الله: "عليك بالصدق حيث ترى أنه يضرك فإنه ينفعك. واجتنب الكذب حيث ترى أنه ينفعك فإنه يضرك". وقال عبد الملك بن مروان لمعلم أولاده: "علمهم الصدق كما تعلمهم القرآن". ويقول الإمام ابن القيم: الصدق ثلاثة أقسام: صدق في الأقوال. وصدق في الأعمال. وصدق في الأحوال.

صِيحَةٌ فِيهَا الدَّلِيلُ الوَافِي
تُحْرِفُ الأَلْبَابَ ، تَمَحَوُ جَهْلَهَا
وَتُسَلِّي القَلْبَ فِي آلامِهِ
وَتُعْزِي النَفْسَ فِي غَصَّاتِهَا
صِيحَةٌ لَيْسَتْ تُحَابِي مَنْ طَغَى
تَحْمَلُ القَوْمَ عَلَى حُبِ الهُدَى
ثَوْرَةٌ هَذِي عَلَى أَهْلِ الشَّقَا
تُحْرِسُ الحَقَّ ، وَتُعْلِي شَأْنَهُ
صِيحَةٌ يُصْغِي لَهَا أَهْلَ الحِجَا
جَرَسُهَا مُسْتَبِشْرٌ مُسْتَيْقِنٌ
تَشْتَهِي نَصْرَ المَعَالِي حِسْبَةَ
تَنْشُدُ الخَيْرَ ، وَتَرْجُو عِزَّهُ
حُورَةٌ تَرْجُو تَسَامِي مَنْ دَعَا
صِيحَةٌ تَجْتَاخُ أَرْبَابَ الهَوَى
صَاحِبِهَا لَيْسَتْ نَوَى إِعْلَانِهَا
صَادِقًا فِيمَا ادَّعَى مُسْتَبْسِلًا
رَاضِيًا عَنِ رَبِّهِ كَلِّ الرِّضَا
رَافِضًا لِلسُّوءِ وَالسُّوَايِ مَعَا

ترشُدُ الصَّرْعَى ، وَتَهْدِي الغَافِي
ثُمَّ تَحْبُوهَا الجَلَالَ الضَّافِي
وَتُزَكِّي وَازِعَ الإِيصَالَفِ
إِذ تُرِيهَا مَنَهِجَ الأَسَالَفِ
بِزَّرَةِ الشَّارَاتِ وَالأَوْصَالَفِ
فِي تَقْيِّ سَامٍ وَفِي اسْتَشْرَافِ
عَفَاةِ الأَسْلُوبِ وَالأَهْدَادِ
كَمِي يَرَاهُ النَّاسُ بِاسْتَشْفَافِ
كَمِي يَكُونُوا عَلَيْهِ الأَشْرَافِ
يَزْدَهِي بِالتَّائِبِ الوَقَافِ
رَغْمَ أنْفِ الكَيْدِ وَالإِرْجَافِ
دُونَمَا نَلَّ وَلا اسْتَضْعَافِ
مُخْلِصًا بِالمَدَمَعِ الذَّرَافِ
وَالجِفَا وَالظَلَمِ وَالإِجْحَافِ
فِي جَمِيعِ الدُّورِ وَالأَكْنَافِ
مُسْتَعِينًا بِالمَلِيكَ الكَافِي
سَاعِيًا لِلعَدْلِ وَالإِنصَافِ
ثَانِرًا فِي وَجْهِه الاسْتِخْفَافِ

أي شئ فأت ، يا للعافي!
مُثْهِراً فحوى الدليل الوافي
مُثْمِراً كالروضَة المِنَاف
ثم عند الله بآقي الخافي
وجميع الخلق كالأضياف
ثم تبقى صورة الأضياف
ليس من نقض ، ولا استئناف
وارتضى (اليورات) بالآلاف!
دونما عز ، ولا استعفاف
بالهدايا غاية الإتحاف
برياض حوله ألفاف
مذعن للمنطق الهتاف
واتل عن (بلعام) في (الأعراف)!
وانكساراً ثنائياً الأعطاف
ضامناً دعماً من الأحلاف
بالذي ينقاد خلف (النواف)!
كالمُدَى قيست على الأسياف
عند شط البحر بالأصداف!

طيب الأفعال ، لا يأسى على
واثقاً من نصر خلاق الورى
مُذْعِناً للحق إيماناً به
مُفْصِحاً عن بعض ما ينتابه
عالمأ بالموت يأتى بعتة!
قانعاً أن التناهي سُننة
إن حكم الله فينا قاطع
لكن الخراس قد باع الهدى
قال ما يرضي الغنا أسياده
ولهذا أتحنوا (بها ولهم)
أعطي المأجور بيتاً واسعاً
ذل نفس ، فارتزاق مقرف
وانحراف كم طوى من أرذل
وانطلاق نحو أبواب اللظى
كي يضل الناس عن دين الهدى
ما تساوى العبد يخشى ربه
إنما الفرق الذي يعنوننا
أو كمثل الرمل إن قارنته

أوفوا بالعقود

(في بحث (حدث في المحكمة) للأستاذ سلمان العمري ص 14. تأتي قصة الابن الذي يشارك أباه في تجارة وعمل ، واجتهد دون أن يدون أو يوثق عقد شراكة. وعندها ورث في المال كإخوته وآلت أمواله إلى أموال أبيه ليرث فيها الجميع. كان ابناً باراً بأبيه ، يُحسن إليه ، ويقوم برعايته ، وكان أبوه يزكّيه ويثني عليه ، فما شعر الجميع إلا وقد غيب الموت هذا الأب ، فجاء الابن الأكبر لإخوانه وأخواته أشقاء وغير أشقاء زاعماً أنه شريك بالنصف فلفظوه لفظ النوى ، ثم تنازل ليكون أجيراً عند أبيهم يريد أجرته فعبسوا في وجهه واكفهروا وأنكروا ، فبحث في دليل أو وسيلة لأنه كان يتعامل بالثقة التامة مع أبيه ، ولم يوثق شيئاً من هذه الجهود التي بذلها ، فإنه لم يسمح لأحد قط أن يتدخل ليشهد بينه وبين أبيه ، وسرعان ما بحث عن شهود أو بيانات أو وثائق فلم يجد دليلاً فضاعت آماله سدىً ، وبقيت العداوة بينه وبين إخوته ناراً تلتهب سنين عديدة ، كل ذلك بسبب عدم انضباطية ما يجرى بين الناس من معاملات وربطها بالشرع ، وبعدهم عن قول الله تعالى: "يا أيها الذين ءامنوا أوفوا بالعقود"! وفي صحيفة اليوم ، وتحت عنوان: (أهمية العقود وتوثيقها) يبين الأستاذ عمر عامري الحدادي أهمية كتابة بل وتوثيق العقود حتى يتم إلزام الأطراف بالوفاء بها فيقول ما نصه: (تعد العقود من أهم مصادر الالتزام في التعاملات اليومية بين أفراد المجتمع فيما بينهم أو بين أفراد المجتمع ومؤسساته العامة أو الخاصة أو بين مؤسسات المجتمع العامة والخاصة فيما بينها ، وحيث إن الفرد منا في حياته اليومية يبرم العديد من العقود (دون وعي منه بأهميتها والآثار المترتبة عليها) لذا ينبغي عليه المعرفة والعلم بشروط العقود التي أبرمها والالتزامات المترتبة عليها. وللعقد تعريفات كثيرة سواء في الفقه الإسلامي أو عند القانونيين ومنها العقد وهو الربط ويعرف أيضاً بالعهد والميثاق وقد عرفه الفقه الإسلامي: بأنه تلاقي إرادتين أو أكثر على أحداث التزام محدد والوفاء به ، كما عرفه القانونيون بأنه توافق إرادتين أو أكثر على إحداث أثر قانوني أو نقله. وقد جاءت الآيات القرآنية الدالة على أهمية العقود وتوثيقها قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ) ، وقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ) ، وكما قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (المسلمون عند شروطهم...)). وهناك نوعان من العقود وهما العقود التجارية والعقود المدنية ولا تختلف في جوهرها ، فأركان العقد فيها مشتركة وهي (الرضا والمحل والسبب). وأن تطور الحياة التجارية وطبيعتها التي من سماتها السرعة والإنجاز أوجدت قواعد خاصة بالعقود التجارية ، ومسميات لم تكن موجودة من قبل مثل عقود الوكالات التجارية ، وعقود التجارة الدولية ، وعقود التوزيع ، وعقود الامتياز التجاري ، وعقود (بناء - تشغيل - تحويل). وتبرز أهمية العقد في حفظ الحقوق والالتزامات وتوثيقها بين المتعاقدين ، والتوثيق لا ينافي الثقة وهو سبيل للتقليل من منع نشوب نزاع بين أطراف العقد ، وضبط العلاقة بينهما ويسهل على القاضي في حال نشوب نزاع بين أطرافه الرجوع إلى أحكامه وشروطه وتفسيرها فيما يتفق مع الشرع والنظام والحكم بموجبهما. كما أنه ينبغي التركيز على حسن صياغة العقد ، فالصياغة هي التعبير عما يريد أطراف العقد ، ويجب على من يقوم بعملية صياغة العقد أن يراعي عدة أمور من أهمها المقدمة في العقد ، بحيث يجب أن تشمل المقدمة على تاريخ إنشاء العقد ، أسماء الأطراف وبياناتهم ، وعناوينهم ، وجميع

معلوماتهم الضرورية ، والهدف من العقد ، وطريقة حل المنازعات وتحديد الجهة المختصة عند نشوب النزاع والقانون الواجب التطبيق والسرية وعدم الإفشاء تفاصيل وبنود العقد ، والإشارة إلى مرفقات العقد ومستنداته (إن وجدت) وأن يقوم أطراف العقد بالتأشير على جميع أوراق العقد والتوقيع في الصفحة الختامية للعقد. ومن خلال التجارب اليومية أجد أن أغلب المنازعات الموجودة بالمحاكم تكون إما بسبب عدم وجود عقود بين أطراف النزاع مكتوبة أصلاً ، أو افتقاده للشروط المتوافقة مع الشرع والنظام في تحديد التزامات الأطراف المتعاقدة).هـ.

البيع والـدكان والمبتـاع	مـك - لـكـل الـوارثين - مشاع
والريخ آل إلى الجميع بقضه	وقضيضه! والخمس والأرباع
وتجارة دمهـا تفرق في الملا	والكل - في تقسيمها - أشياع
وشراكة تبكي العقود نصوصها	لم تحم حقاً غاله الطماع
وجهود من أعطى ، وبالغ في العطا	وغدا يحوز ثمارها الأشياع
والوارثون بلا اجتهاد أمـلوا	إرثاً به تتحسّن الأوضاع
قبلوه يمنح دون أي تحرج	وكأنهم - في نهبه - (الإقطاع)
ماسر هذا المال يسلب جهرة	حتى تهيج بسلبه الأوجاع؟
أين العقود تصون حق مضيع!	أسراره - بين الجناة - تذاع؟
أين العقود نصوصها وبنودها	وشهودها كيلا يكون خداع؟
أين العقود الله عظم شأنها	وعلى الوفاء بنصها إجماع؟
أين العقود الآي تأمرنا بها	كيلا يمجـر - في القلوب - نزاع؟
أين العقود لتخرص القوم الألى	كم أهدروا من ثورة وأضاعوا؟
أين العقود لها دوي حقيقة	يُصغي لها مستبصر رجـاع؟
يا قومي منذ هجرت أوامر ديننا	وحياتنا أضحوكة وصراع!
لا شيء مثل الشرع يصلح شأننا	وبه يعز الناس والأصقاع

حفظت القرآن بعد الثمانين!

(وتلك امرأة ذات همة عالية وعزم قوي ، أورد قصتها الخولي في موسوعته ص 415. أم صالح ، امرأة بلغت الثمانين من عمرها تتفرغ لحفظ الأحاديث ، إنها نموذج فريد من أعاجيب النساء ، أجرت مجلة الدعوة حواراً معهما ، فقالت هذه المرأة: بأنها بدأت في حفظ القرآن في السبعين من عمرها. قالت هذه الحافظة الصابرة: (كانت أمنيته أن أحفظ القرآن الكريم من صغري! وكان أبي يدعو لي دائماً بأن أحفظ القرآن كإخوتي الكبار ، فحفظت ثلاثة أجزاء ، ثم تزوجت وأنا في الثالثة عشر من عمري ، وانشغلت بالزوج والأولاد ، ثم توفي زوجي ولي سبعة من الأولاد كانوا صغاراً ، فانشغلت بهم وبتربيتهم وتعليمهم والقيام بشؤونهم ، وحين رببتهم وتقدمت بهم الأعمار ، وتزوج أكثرهم ، تفرغت لنفسي ، وأول ما سعت إليه أنني بدأت أحفظ القرآن. واعتادت ابنتي التي تدرس في الثانوية على أن تعينني ، وكانت المعلمات يشجعن البنت على حفظ القرآن! عجباً لهذه الطالبة! إذ بدأت مع أمها كل يوم تحفظ عشر آيات. أما طريقة الحفظ: فكانت ابنتها تقرأ لها كل يوم بعد العصر عشر آيات ، ثم ترددها الأم ثلاث مرات ، ثم تشرح لها البنت بعض المعاني ، ثم تردد هذه الأم الآيات العشر ثلاث مرات أخرى ، وفي صباح اليوم الثاني تُعيدها البنت لأمها قبل أن تذهب إلى المدرسة ، وكانت هذه المرأة الكبيرة في السن تستمتع بقراءة الحصري كثيراً ، وتكرر الآيات أغلب الوقت حتى تحفظ ، فإن حفظت أكملت ، وإن لم تحفظ فإنها تعاقب نفسها وتعيد حفظ الأمس ، تُعيده في اليوم التالي مع ابنتها. وبعد أربع سنوات ونصف حفظت الأم اثنا عشر جزءاً ، ثم تزوجت البنت ، ولما علم الزوج بشأن زوجته مع أمها وطريقة الحفظ ، استأجر بيتاً بالقرب من منزل حماته ، وكان يشجع البنت وأمها ، وكان يحضر معهما أحياناً ويفسر لهما الآيات ويستمع لحفظهما ، واستمرت هذه البنت مع أمها ثلاثة أعوام أيضاً ، ثم انشغلت البنية بأولادها ، فبحثت عن مدرسة تكمل المشوار مع أمها ، فأنت لها بمدرسة ، فأتمت حفظ القرآن الكريم. ومازالت ابنتها تواصل الحفظ حتى تلحق بالأم الكبيرة في السن ، وقد حفظت القرآن بعد أكثر من عشر سنوات ، أما النساء حولها فتأثرن بها ، فبناتها وزوجات أبنائها تحمسن كثيراً وكن دائماً يضربن المثل بهذه الأم العجيبة ، وبدأن بحفلة أسبوعية في منزل الأم للحفظ ، فصارت هي العالمة الحافظة بينهن. وقد أثرت هذه المراه في حفيداتها ، فكانت تُشجعهن على الالتحاق بحلقات التحفيظ وتقدم لهن الهدايا المتنوعة ، أما جاراتها فأول الأمر كُن يحبطن عزيמתها ، ولما رأين استمرارها وصبرها ، بدان يشجعنها. تقول هذه الأم المربية العجيبة التي حفظت القرآن بعد الثمانين: حينما علمت هؤلاء النسوة أنني حفظت القرآن رأيت دموع الفرح في عيونهن ، وهذه المرأة تستمع كثيراً إلى إذاعة القرآن الكريم ، وتقرأ في صلاتها السور الطويلة. ثم لم تكتف هذه المرأة بحفظ القرآن فقط ، بل انتقلت إلى حفظ الأحاديث النبوية ، فهي تحفظ حتى إجراء الحوار تسعين حديثاً ، وتحفظ مع إحدى بناتها وتعتمد على الأشرطة ، وتسمع لها ابنتها كل اسبوع ثلاثة أحاديث ، استمرت هذه المرأة أكثر من عشر سنوات في الحفظ ، تقول: أحسست بارتياح عجيب بعد حفظ القرآن ، وغابت عني الهموم والأفكار ، وملأت وقت فراغي بطاعة ربي ، اقترحت عليها بعض النسوة أن تدخل في دور تحفيظ القرآن ، فقالت: إني امرأة تعودت على الجلوس في البيت ولا أتحمل الخروج ، وتدعو كثيراً لابنتها التي بذلت معها الكثير والكثير. تقول: وهذا من أعظم البر والإحسان ، خاصة أن

البنيت كانت فى مرحلة المراهقة ، التى يشكو منها الكثيرون ، فكانت البنيت تضغط على نفسها وعلى دراستها لتفرغ نفسها لتعليم أمها بصبر وحكمة ، ثم ختمت هذه المرأة الصالحة وقالت: لا يأس مع العزيمة الصادقة ، ولا يأس مع قوة الإرادة والدعاء ، والله ما رزقت الأم بنعمة أحب إليها من ولد صالح يعينها على التقرب إلى الله عز وجل).هـ. فأنشدت فى ذلك عن (أم صالح) مثلياً على عزميتها ورباطة جأشها وهي تتحدى الهرم والشيخوخة والكبر لتتم حفظ القرآن الكريم كاملاً فى سن الثمانين ، إنها آية من آيات الله فى الخلق ومعجزة من معجزاته - عز وجل - . وإنها لمنقبة عظيمة أن يتحقق هذا المجد العظيم وهذا السبق الجليل لامرأة فى هذا السن. والحقيقة أن قصتنا هذه قد احتوت على عبقرى وعبقريتين فأما العبقرى فهو زوج البنية ، ذلك الشهم المخلص الذى لم يرضَ بخدمة زوجته لأمرها فى مساعدتها على الحفظ ، بل شارك بنفسه فى تحفيظ حماته القرآن. وأما العبقرية الأولى فهي الحاجة (أم صالح) ذات الثمانين ربيعاً ، وتقدم على هذا المجد متحديّة الشيخوخة والهرم. وأما العبقرية الثانية فهي الابنة المخلصة الوفية البارّة بأمرها ، التى ما اكتفت بتحفيظ أمها والمراجعة معها ، بل بدأت هي الأخرى تحفظ معها القرآن الكريم).

حفظك القرآن نعم المطلب!	ونيل الخلد من أرجى القرب
إنه الخير استمى فى نفعه	والذي يهواه نهجاً يحاسب
همّة بعد الثمانين اعتلت	صهوة المجد اعتزازاً عن رغب
لم تسوّف ، أو تؤجّل لحظة	إنما سارت على درب النخب
لم يعقها الشيب عن مقصودها	إنما الشيب اعتلالاً ولغّب
لم تقل: أوهت شبابي حالة	من أسى الضعف إليها المنقلب
لم تقل: عقلي خبت أفكاره	أين لي عقل به بعض اللب؟
لم تقل: وحدي ، ومالي رفقة	تبذلّ العون إذا ما تصطب
لم تقل: أعوام عمري جُندلت	وانقضت ، يا قومنا عز الطلب
إنما التقوى أعارتها المضا	فانتفى الشك بتاتاً والريب
ذلك العز ، وهذي أهله	وأراها - بالسجيا - تختضب
ربّ أكرمها ، وثبت حفظها	وارعها بالذكر ، يارب استجب!

ولكن بعد فوات الأوان

(هناك في مجلة الأمة 1413/6/3 هـ ، قصة عجيبة كانت الباعث على هذه القصيدة. وخلصتها توبة شاب عن عقوق والديه ، ولكن بعد موت أمه وطلاق زوجته ، التي لطالما احتقرت أبويه وحبستهما. وقرر ذلك التائب أن يعيش لابنه الوحيد ولأبيه. بدأ هذا التائب حديثه بقوله: (كم تحملا مني الكثير ، وسمعتهما أكثر من مرة وهم يُطيبان خاطر بعضهما البعض فيقولان: إنه شاب طائش ، وعندما يتزوج ، ويرزقه الله بأولاد سوف يدرك ما قدمناه له! قال ذلك بصعوبة ، ودموعه تكاد تخنقه ، ثم واصل حديثه قائلاً: والداي اللذان فعلا الكثير من أجلي ومن أجل سعادتي ، وعندما كبرت ، وكبرا ، لم أكن أطيق نظرة لوم أو عتاب منهما. وظللت علي عقوقي لهما ، وظلا متعلقين بالأمل في أن أتغير بعد الزواج ، وفعلاً تغيرت ، ولكن إلى الأسوأ ، فقد ابتليت بزوجة مغرورة متعجرفة ، كانت تتعالى على لغتنا العربية ، فنادراً ما كانت تنطق بكلمة منها ، إذ كان يحلو لها أن تتحدث بالإنجليزية ، وبلهجة أمريكية! تغاضيت عنها كثيراً وأنا أراها تحتقر أمي وأبي ، وأتذكر الآن كيف كانت تحبسهما في إحدى غرف المنزل بعيدا عن أعين الأهل والأصدقاء! ومع ذلك لم يبدوا أي اعتراض أو شكوى. وأُتِرفُ أنني كنت أخاف غضب زوجتي ، مما شجعها على التماذي في إذلال أبي وأمي ، والتفرد بي. وفي إحدى ليالي العام المنصرم ، خرجت أنا وزوجتي وطفلي الوحيد للنزهة ، وأظنكم تدركون من سياق كلامي أنني لا أجروُ على اقتراح أخذ أبي وأمي معنا ، وهما من جانبهما قد اعتادا على هذا الإهمال المتعمد من قبلنا. وفي تلك الليلة ، عدت إلى المنزل لأجد أبي بمفرده ، ولما سألته عن والدتي عرفت التفاصيل المخزية. لقد شعرتُ والدتي - في تلك الليلة - بأن أحشائها تنقطع ، فطرق أبي باب أحد الجيران فقام بحملها إلى أقرب مستشفى ، وهناك قرر الطبيب أن حالتها خطيرة ، ولا بد من إبقائها في غرفة العناية المركزة. لم أستمع إلى باقي القصة من فم أبي فقد جذبتني زوجتي من ثوبي ، وأغلقت باب غرفتنا في وجه أبي ، وقالت: لتسترح الآن ، وفي الصباح نذهب إليها! وفي الصباح كان الموت أسبق ، صُدمتُ إذ علمتُ أن والدتي قد فارقت الحياة ، استدرت إلى زوجتي ، وطلقتها. والآن أكرس ما بقي من عمري لخدمة أبي وولدي الصغير ، وأدعو الله من كل قلبي أن يرحم أمي ، ويغفر لي زلتي. نعم أنا نادم أشد الندم ولكن هل يعيد الندم والدتي إلى قيد الحياة كي أصحح غلطتي ، وأعوض ما فات؟). هـ. فلما طالعت هذه القصة أعطيتها هذا العنوان ، ورحت أنقش هذه الأبيات على خلفية أحداثها المبكية المؤسفة ، وقلتُ من شعري حكاية عن ذلك الابن العاق التائب ، أسأل الله أن يتوب عليه! وجعلتُ العنوان هكذا ليكون كالناقوس الذي يدق في عالم النسيان والغفلة للعاقين للوالدين! فعسى الله أن يتوب كل عاق لوالديه ، وليتمثل كل مسلم مؤمن موحد وعيد الله من تعجيله سبحانه عقوبة عقوق الوالدين في الدنيا! والأمر واضح جداً ، والأمثلة أكثر من أن تعد أو تحصى كثيرة!)

قولوا لمن علم الوقائع ، أو شهّد
أن البكاء قـرِينُ قلبي للأبـذ
ذهبَ العقوق بشـؤمه ووبالـه
إن العقوق لـه سـعيرٌ يَنقـد

حتى ابتليت من المَرارة بالكَمَد!
وظللت أدأب في الكفاح ، وأجتهد
وخرمت توفيق المهيمن ، والسدد!
والظلم كبتني بأشطان السُّهد
ولكي أعيشَ العمرَ في أحلى الرغد
ومضيت أرقى النفس من أدنى حسد
وتقول لي بتلطفٍ: اطلب تجد
وتفنت في الكيد يسقيها الكبَد
فأوامرُ العصماء عندي لا تُرد!
أمي الحياة ، وفي الثرى دُفنَ الجسد
أبكي على الماضي ، وأخشى بأسَ غد
فرثا لحالي من رأني ، أو شهد
وتحولَ الحَمَلُ الوديعُ إلى أسد
وهما السبيلُ لطاعة الفرد الصمد
لن أستجيبَ لما يقول به أحد
كلا ، ولم تك لي - على البلوى - السند
واغفرْ ذنوباً - يا مهيمن - كالزبد

كم ذقت من بلوائه ومَراره
وظفقت ألتمسُ السعادة في الشقا
كم بالعقوق جنيت أنقال الضنا
وأطعت زوجاً جرّعتني ظمها
وظننتها تسعى لأدرك راحتني
وبنيت أحلاماً ، وطرزتُ المنى
والزوج راضية بما أحرزته
وتعقت أمي بأشرس كيدها
فعقت أمي طاعة لحليتي
ومضت بي الأيام حتى فارقت
ورجعت - من هذي الجأزة - تائباً
وعمدت للإصلاح دون ترددٍ
وحليتي كسرَ الطلاقُ غرورها
سأعيش لابنِي والمكرم والدي
أنالن أرد حليتي مهما جرى
هي لم تكن يوماً ظهيراً مخلصاً
للهم ببارك في الذي قررتَه

فهل من مقتدية؟

(إحدى الصالحات أورد قصتها الخولي في موسوعته ص 408 ، وكيف أهلكت عمرها في الخير ، وأنفقت ذهبها في الصدقات ، وحرصت على هداية من حولها. حدثني أحد إخوانها بخبرها فقد ماتت رحمها الله قبل مدة ليست بالطويلة ، فهي مدرسة في الأخلاق العالية ، في المناسبات يجتمع عليها الصغار والكبار ، تتصل على القريب والبعيد ، وتسأل عن الأحوال ، ولا تترك الهدايا للأقارب ، هي امرأة زاهدة ، ثيابها قليلة ورثة ، أصيبت هذه المرأة بمرض السرطان ، نسأل الله عز وجل أن يجعلها في الفردوس الأعلى! وبصبرها وثباتها بقيت سنة ونصف لم تخبر أحداً إلا زوجها ، وأخذت عليه العهد والميثاق والأيمان المغلظة أن لا يخبر أحداً مهما كانت الظروف. ومن صبرها وثباتها - رحمة الله عليها - أنها لا تُظهر لأحد شيئاً من التعب والمرض ، فلم يعلم بها حتى أولادها وابنتها الكبيرة التي تخرج معها إذا خرجت ، إذا جاءها أحد محارمها أو أحد إخوانها أو ضيوفها من النساء ، فإنها تستعد وتلبس الملابس وتظهر بأنها طبيعية. وكان أحد إخوانها أحس بأنها مريضة ، فقد انتفخ بطنها وظهرت عليها علامات المرض ، ولما ألحوا عليها إلحاحاً عظيماً ، أخبرتهم بشرط أن لا تذهب إلى المستشفى ، تُريد الاكتفاء بالقرآن والعسل وماء زمزم ، ولما ألحوا عليها ، وأخبروها بأن هذا الأمر والعلاج والدواء لا ينافي التوكل ، وافقت وشرطت أن تذهب إلى مكة المكرمة للعمرة قبل أن تذهب للمستشفى ، ثم ذهبت في الصيف الماضي مع أهلها ، وبقيت قرابة الأسبوعين ، ولما رجعت من العمرة ، وذهبت إلى الطبيب ، شرطت أن لا يدخل عليها أحد سوى الطبيب وزوجها ، وكانت متحجبة ومغطية لوجهها ولابسة القفازين ، ولم تكشف إلا موضع الألم المحدد في جزء من البطن حتى لا يرى شيئاً آخر منها ، فرأى هذا الطبيب وتعجب واستغرب من وضعها ومن صبرها ، إذ رأى أن الماء السام بسبب الورم في بطنها قد وصل إلى ثلاثة عشر لتراً. تقول: إني أبغض الشارع الذي فيه المستشفى ، لأنها لا تريد الذهاب إلى الرجال ولا الخروج من البيت ، تحسنت أحوالها في رمضان الماضي ، ثم عرض عليها أخوها الحج فلم توافق وحصل لها شيء من التردد ، ولما أصر عليها وافقت ، حج بها أخوها فيقول: قد حججت كثيراً مع الشباب ، وجربت عدة رحلات وسفريات مع الشباب ، لكن والله ما رأيت أسهل من هذه الحجة مع أختي المريضة ، والنبى ﷺ يقول: "إنما تنصرون وترزقون بضعفانكم". يقول هذا الأخ: وقد سخر الله عز وجل لنا أشخاصاً خدمونا بدون سبب ، سواء في الرمي أو في الممرات أو في النزول من درج الجمرات ، وكل المناسك قد يسرت لنا ، وكانت هذه المرأة تهتم بالدعوة. فقلما تذهب إلى مجلس إلا وتذكر بالله عز وجل ، أو تدعو إلى الله تعالى ، أو تعلم أو تُخرج كتاباً من شنتتها وتقرأ أو تأمر إحدى النساء بالقراءة وهي التي تشرح ، وقد كفلت يتيماً على حسابها ، ولا تذهب إلى قصور الأفراح ، وهي قليلة الاختلاط بالنساء ، إن اجتمعت مع النساء لا تحضر إلا للعلم أو الدعوة إلى الله عز وجل ، وليس عندها ذهب فقد باعتته كله قبل مرضها وتصدقت به ، كانت تركز على البرامج الدعوية ، وهي تركز على الخدامات بالأخص ، وتعلمهن وتعطينهن بعض السور للحفظ. كانت منذ فترة طويلة تتواصل مع أخيها على قيام الليل ، فالذي يقوم الأول هو الذي يتصل على الآخر قبل الفجر بنصف ساعة ، ثم بدأت تتواصى مع نساء الجيران ، وفي شدة مرضها في

سكرات الموت ، لما كانت في المستشفى قبل وفاتها وفي أثناء المرض ما تدمرت ولا تأففت ولا جَزعت ، بل كانت صابرة محتسبة ، يقول أخوها: أشد ما سمعت منها من الكلمات قولها: يا رب فرِّجْ عني ، وكانت في أثناء السكرات يقرأ عليها إحدى الأخوات الداعيات ، فماتت وهو يقرأ عليها رحمها الله. أما بالنسبة للتغسيل: لما أحضرت لمغسلة الأموات يقول أخوها: قد أصر الصغار والكبار حتى الأطفال من العائلة على حضور التغسيل ، فحضرنا جميعاً مغسلة الأموات وصلوا عليها ، أما أخوها الذي كان يلازمها فقال: لقد رأيتها لما أخرجت من الثلجة قد تغير الشحوب الذي كان فيها والتعب انقلب إلى نور وبياض. وكانت هذه المرأة الصابرة المحتسبة - رحمها الله - قد رأت رؤيا قبل وفاتها بشهر ونصف ، رأت كأنها جاءت لدار تريد أن تدخلها ، فسمعت رجالاً يقولون عند الدار: ليس هذا بيتك اذهبي إلى بيت آخر ، ثم رأت قصرأ أعلى من الأول وله درج رفيع أو سلالم رفيعة ، فلما أرادت أن تصعد ناداها رجلان من أعلى القصر - وهذا كله في الرؤيا ، وكان أعلى القصر رجلان قد عرضا عليها المساعدة لتصعد الدرج ، فتحملت وتصبرت ثم صعدت بنفسها بعد تعب. تقول: لما صعدت إلى القصر أحسست براحة وسعادة وسرور ، ثم قالت لمن حولها: لا تفسروا هذه الرؤيا ، فأنا إن شاء الله عز وجل أستبشر بخير. فرحمة الله عليها ، وجمَعها وأهلها في الفردوس الأعلى. والشيخ المنجد يقول: (من بشائر حسن الخاتمة أنه قد يستأنس بما قد يظهر أحياناً على الميت من ابيضاض وجهه ، أو إشراقه بابتسامة رقيقة ، ونحو ذلك إذا كان معروفاً في حياته بالصلاح ، إلا أن مثل ذلك لا يكون على سبيل القطع والجزم. فإذا كان العبد معروفاً بالصلاح والتقوى في حياته ، ثم أشرق وجهه وابيض بعد موته كان ذلك مما يستبشر به ويستأنس. كما أن حسن ثناء الناس عليه بعد موته ودعائهم له من علامات صلاحه ، وكذا حسن الصحبة التي كان عليها في حياته هي من علامات صلاحه). هـ. والشيخ عبد الله بن محمد المطلق أستاذ الفقه المقارن بالمعهد العالي للقضاء بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض يقول في بشائر حسن الخاتمة ما نصه: (نَبَّه النبي - صلى الله عليه وسلم - على بشائر تدل على حسن الخاتمة ، إذا كانت وفاة العبد مع واحدة منها كان ذلك فألاً طيباً وبشارةً حسنة ، منها: 1 - نُطقه بكلمة التوحيد عند الموت ، فقد روى الحاكم عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «من كان آخر كلامه: لا إله إلا الله دخل الجنة». 2- أن يموت شهيداً من أجل إعلاء كلمة الله، قال تعالى: {وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَزِّقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ}. 3 - أن يموت غازياً في سبيل الله ، أو مُحَرِّمًا بحج ، قال: «من قُتِلَ في سبيلِ الله فهو شهيد ، ومن مات في سبيلِ الله فهو شهيد». وقال - صلى الله عليه وسلم - في المُحَرِّمِ الذي وَقَصَّتْه نَاقَتُه: «اغسلوه بماءٍ وسِدْرٍ ، وكفّنوه في ثوبيه ولا تُخَمِّرُوا رأسه ، فإنه يُبعثُ يوم القيامة مُلَبَّيًّا». 4 - روى حذيفة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله: «مَنْ قال: لا إله إلا الله ابتغاء وجه الله ختم له بها دخل الجنة ، ومن صام صوماً ابتغاء وجه الله ختم له به دخل الجنة ، ومن تصدق بصدقة ابتغاء وجه الله ختم له بها دخل الجنة». 5 - الموت في سبيل الدفاع عن الخمس التي حفظتها الشريعة وهي: الدين ، والنفس ، والمال ، والعرض ، والعقل. عن سعيد بن زيد قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «من قُتِلَ دون ماله فهو شهيد ، ومن قُتِلَ دون أهله فهو شهيد ، ومن قُتِلَ دون دينه فهو شهيد ، ومن قُتِلَ دون

دمه فهو شهيد». 6 - أن يموت صابراً مُحْتَسِباً بسبب أحد الأمراض الوبائية ، وقد نَبَّه النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى بعضها ، فمنها: أ- الطاعون: روى أنس بن مالك قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «الطاعون شهادة لكل مسلم». ب- السُّلُّ: روى راشد بن حبيش قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «قتل المسلم شهادة ، والطاعون شهادة ، والمرأة يقتلها ولدها جمعاء شهادة ، والسُّلُّ شهادة». ج- داء البطن: روى أبو هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «ومن مات في البطن فهو شهيد». د- ذات الجنب: روى جابر بن عتيك عن النبي - صلى الله عليه وسلم -: «وصاحب ذات الجنب شهيد». 7 - موت المرأة في نَفَاسِها بسبب ولدها: روى عُبادة بن الصامت عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «والمرأة يقتلها ولدها جمعاء شهادة ، يجرُّها ولدها بسرره إلى الجنة». 8 - الموت بالغرق والحرق والهدم: عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «الشهداء خمسة: المطعون والمبطون ، والغرق ، وصاحب الهدم ، والشهيد في سبيل الله - عز وجل -». وعن جابر بن عتيك قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «الشهداء سبعة سوى المقاتل في سبيل الله: المطعون شهيد ، والغرق شهيد ، وصاحب ذات الجنب شهيد ، والمبطون شهيد ، والحرق شهيد ، والذي يموت تحت الهدم شهيد ، والمرأة تموت بجمع شهيدة». 9 - الموت ليلة الجمعة أو نهارها: روى عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «ما من مسلم يموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة إلا وقَّاه الله فتنة القبر». 10 - عَرَقُ الجبين عند الموت: فقد روى بريدة بن الحصين - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «المؤمن يموت بعرق الجبين». هـ. وعن التبسم عند الموت واعتباره من بشائر حسن الخاتمة فيقول الأستاذ أبو رقية الذهبي ما نصه: (أما بالنسبة للبسمات والضحكات التي تُشَاهِدُ على العصاة المفسدين ؛ فلا تعدو كونها: إما هلاوس بصرية ، أو فتنة الشيطان لهؤلاء الموتى قبل مماتهم ، ليفتن الأحياء بذلك! فقد يحدث مثل هذا الحال للكفار. لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يذكر لنا هذا الحال - من التبسم بعد الموت - في علامات حسن الخاتمة! فَمَنْ عَدَّهُ مِنْ علاماتِ حُسْنِ الخاتمة فقد افترى على الله - والنبي - الكذب ولا بد! ويكفي أنه لم ينقل أحدٌ من الصحابة أن نبينا صلى الله عليه وسلم مات مبتسماً ، ولم يُعَرَفْ عن نبي قط! أنه مات مبتسماً! كما أن ذلك الحال - من التبسم بعد الموت - لم نعرفه في موتى وقتلى السلف الصالح من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم ، ولا يشك عاقل في أنهم كانوا أولياء الله المتقين المجاهدين حقاً وصدقاً ، ولا يُقَارَنُونَ بَمَنْ جاء بعدهم أصلاً ، فقد سبقت لهم من ربهم الحسنَى وزيادة! ثم مع الاحتمال الكبير لحدوث هذا الحال - من التبسم بعد الموت - في موتى وقتلى السلف على كثرتهم!- إلا أنهم أهملوا ذِكْرَ ذلك الحال! فلم يلتفتوا إليه ولا عُدَّوه مِنْ علاماتِ حُسْنِ الخاتمة. فإهمال السلفِ ذِكْرَ ذلك - مع احتمال حدوثه -: لَهُوَ أكبرُ دليلٍ على أن مثل ذلك الحال لا يُعَوَّلُ عليه كعلامةٍ من علاماتِ حُسْنِ الخاتمة ؛ لما ذكرتُه آنفاً من عدم ثبوت ذلك شرعاً. وهنا تنشأ شبهة: إن قيل: إن تبسم الموتى له أصل يدل عليه من السنة ، وهو قول النبي صلى الله عليه وسلم: «إِنِّي لِأَعْلَمُ كَلِمَةً لَا يَقُولُهَا عَبْدٌ عِنْدَ مَوْتِهِ إِلَّا أَشْرَقَ لَهَا لَوْنُهُ وَنَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَتَهُ [وفي رواية: وَإِنَّ رُوحَهُ وَجَسَدَهُ لَيَجِدَانِ لَهَا رَاحَةً عِنْدَ الْمَوْتِ] ، وَرَأَى مَا يَسِرُّهُ! قال عمر بن الخطاب: أَنَا أَعْلَمُهَا ، هِيَ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» وَهِيَ الْكَلِمَةُ الَّتِي أَرَادَ عَلَيْهَا عَمَّهُ عِنْدَ الْمَوْتِ ، وَلَوْ عَلِمَ أَنَّ شَيْئًا أَنْجَى لَهُ مِنْهَا لِأَمْرِهِ بِهَا». أخرجه أحمد وأبو يعلى والنسائي

وغيرهم ، وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين» ، ووافقه الذهبي. فالجواب عن ذلك من وجوه: * أولاً : أن إشراق اللون ليس معناه التبسم! وإنما معناه الإسفار والإضاءة ، كما قال ابن سيده في «المحکم»: «أشرق لونه: أسفر وأضاء»-اهـ. * ثانياً : أن «إشراق اللون» المذكور: إنما هو في الآخرة وليس في الدنيا ، بدليل تأخر ذكر «إشراق اللون» و«السرور» عقب ذكر خروج الروح من الجسد! كما في الرواية الأخرى - عند أبي يعلى والنسائي وغيرهما -؛ قال: «إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَاتٍ لَا يَقُولُهُنَّ عَبْدٌ عِنْدَ الْمَوْتِ إِلَّا نَفْسَ عَنَّهُ ، وَأَشْرَقَ لَوْنُهُ ، وَرَأَى مَا يَسْرُهُ». ويتأكد ذلك بالوجه التالي: * ثالثاً: أن «إشراق اللون» المذكور يعني حصول النور للمُتَوَفِّي (يوم القيامة) ، وذكرُ الوجه من باب التعبير عن الكل بِذِكْرِ الجزء وهو الوجه - كما في قوله تعالى: {كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ} ، وقوله: {كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ} - . وقد ورد «إشراق اللون» مُفسِّراً في الروايات الأخرى بقوله: «إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَا يَقُولُهَا رَجُلٌ عِنْدَ مَوْتِهِ إِلَّا (كَانَتْ لَهُ نُورًا فِي صَحِيفَتِهِ) ، وَإِنَّ رُوحَهُ وَجَسَدَهُ لَيَجِدَانِ لَهَا رَاحَةً عِنْدَ الْمَوْتِ» ، وفي رواية: «إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَا يَقُولُهَا رَجُلٌ يَحْضُرُهُ الْمَوْتُ إِلَّا وَجَدَ رُوحَهُ لَهَا رُوحًا حِينَ تَخْرُجُ مِنْ جَسَدِهِ ، (وَكَانَتْ لَهُ نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ)». □ الوجه الرابع: ثم لو سلمنا - جدلاً - أن تبسم الموتى من علامات حسن الخاتمة! كما حكاها الغزالي! في «الدرة الآخرة» والقرطبي في «التذكرة». من فتنة الموت ، وذكر الحديث الذي فيه: «أن إبليس لعنه الله وكل أعوانه يأتون الميت على صفة أبويه على صفة اليهودية ، فيقولان له: مت يهودياً ، فإن انصرف عنهم جاء أقوام آخرون على صفة النصارى حتى يعرض عليه عقائد كل ملة ، فمن أراد الله هدايته أرسل إليه جبريل فيطرد الشيطان وجنده ، فيبتسم الميت» وهو حديث لا أصل له! فهذا التبسم: 1 - إما أن يكون للسبب المذكور في ذلك الحديث - الذي لا أصل له! - 2 - أو قد يكون سببه : أن ذلك الإنسان تاب وندم قبل موته ، أو أن يكون الله غفر له ذنبه الذي مات عليه ، فغمره في بحور حسناته ، فأراه من البشريات ما جعله على تلك الحال -التبسم-. وأكبر دليل على ذلك: أن هذا لا يتكرر مع سائر الذين يُقْتَلُونَ في هذا السبيل! ولا يُمكنُ أن يكون سببُ ذلك التبسم - بحال - : أن ذلك الإنسان على طريق الحق! ولا يصحُّ أن يُستَدَلَّ بحاله على كونه مات في سبيل الحق ؛ إذ كيف يكون على الحق وقد مات عاصياً لإمامه ، مستحلاً لدمانه ودماء المسلمين ، وإن كانوا مَرَدَّةً فاسقين! قلوبُهُم قلوب الشياطين!)-هـ. وإذن فالتبسم قد يكون من بشائر حسن الخاتمة في حالة واحدة هي أن يكون المتبسم عند موته من أهل الصلاح والتقوى! ثم يأتي الابتسام خاتمة له! ومن هنا كتبتُ أهني هذه المؤمنة الفذة شعراً).

وُفقت - بين الورى - لخير أعمال
ومنك كم سمعوا جواهر القال!

وعشت ما عشت في عز وفي رشد
وفني ظلال مباحاة وإدلال

وكم تفضلت في سر وفي علن
بكف ذات العطا والطول والنال!

وكم بذات من المعروف أطيبه!
فعيشت - بين البرايا - ذات أفضال

وكم حلمت على الجهال مشفقة!
وقد يضيق ذوو حلم بجهال

كما تجذُن به ذوات أموال
والنصح يفتأ عين الحاسد القالي
يُهدي التفاؤل نفس اليأس السالي!
والذكر يُسعد قلب العابد التالي
في البَرْد ، في الحَر ، في حِل وتِرْحال!
وحل مال لم يكن يوماً على البال
والحُسنُ أمسى تِباعاً بعضَ أطلال
واحدوبَ الظهرُ من غصّات أهوال
وللمشيب - يقيناً - أتعسُ الحال
تمضي على نسق فينا ، ومنوال
وما الحمام سوى ختام آجال
تؤبِنُ الجسدَ المعطرَ الغالي
طليقة دون أصفادٍ وأغلال
من يا ترى تهتدي لخير أعمال؟!
في خير ما فعلت وخير أقوال؟!
وبرّة تأتسي بدون إخلال

وكم بمالكِ جادت كفتَ مُنفقة!
وكم نصحت لمن في غيهم سَدروا!
وكم زرعت بذورَ الخير منبتهاً
وكم قرأت كتابَ الله خاشعة!
وكم أقمت صلاة الليل قانتة
حتى دهتك - من الأمراض - قارعة
وللصرع - مع الأمراض - محنته
تمرق الشعرُ من رأس يُزيئها
وللشباب - مع البلوى - مقاومة
وتلك سنة رب الناس أجمعهم
والموتُ خط لها نهاية كتبت
ماتت وأدمغنا سخاءً هاطلة
تشيع الروحَ للرحمن قد صدت
وتسأل الأخواتِ اليوم حائرة
من يا ترى تقتدي بمثل غادتنا
ليرحم الله من ماتت مؤخدة

جهد يعجز المربين

(أم أمريكية تدعى (كاتي) تزوجت من ضابط مشاة بحرية أمريكي. كان قد قضى نحبه في إحدى الحروب الأمريكية وما أكثرها! وقبّلت كاتي الشابة الجميلة أن تعيش من أجل ابنتها ذات الأعوام الثلاثة (سيليا) مفضلة الأيومة على الزواج من زوج أم يُسببها سوء البلاء والاضطهاد. وتقدم إليها الخطاب من أصدقاء زوجها ، طمعاً في جمالها ودمائة خلقها ، حيث إنها مُحصنة عفيفة لا تتخذ الأخدان ولا تلعب بالرجال ، فعندها معايير إنسانية راقية! ونحن هنا لا نشك في كفرها وشركها ولا نصح مذهبها معاذ الله! بل نعتزف للمرأة بما هي عليه من خلق فقط! وطمع فيها رجال آخرون ، رغبة في مالها حيث إنها غنية. وطمع فيها فريق آخر من الرجال للجمع بين الجمال والمال! ولكنها أبت وأصرت أن تعيش عزباء من أجل ابنتها. واعتادت كل ليلة أن تحكي لها قصة تناسب عقلها وتصورها. وكلما كررت عليها قصة ، قالت سيليا: إنني أعرف هذه القصة من قبل. فتطلب منها أمها أن تحكيها لها ، فتحكيها لا تنقص من أحداثها حدثاً واحداً وبنفس أسلوبية أمها في السرد القصصي. فكان هذه البنت أوتيت ذاكرة حديدية! ومرّت السنة الأولى بأمان وسلام ، وكان لزاماً على الأم أن تبحث عن مصدر للقصص. ذلك أن جميع القصص التي تعرفها حكيتها لابنتها! والبنت لا ترغب في التكرار أبداً ، بل تعشق الجديد! فاضطرت الأم إلى الرجوع للمصادر ودواوين القصص والروايات ، وتنتقي منها ما يناسب عمر وعقلية وحاجة ابنتها! الأمر الذي دعاها إلى الاجتهاد والبحث والدراسة أكثر! وراحت تسجّل في أجدات لها جميع ما تحكي من قصص وعلى كل قصة تاريخ محدد ، وذلك رغبة منها في عدم تكرار أي قصة من القصص. وإذا بها تجد أن كل يوم له قصة بعدد أيام السنة. وراحت تتدرج في القصص على حسب عمر الفتاه. فما يناسب الفتاة في الرابعة ليس يناسبها في سن العاشرة. ومن هنا عرضت ما تسجله من القصص على دور نشر. وذلك بعد أن قام أحد أصدقاء زوجها – ويعمل رساماً – برسم صورة إيضاحية لمحتوى كل قصة. واقترح عليها بعد ذلك أن تنفع الناس بهذا الجهد العظيم! حتى لا تبدأ الأمهات ولا الآباء ولا المربون من حيث بدأت ، بل يبدأون بالجهاز المعد سلفاً من قصصها وحكاياتها لابنتها! وقامت كاتي بنشر القصص تحت عنوان: (ثلاثمائة وست وستون قصة سريرية قصيرة). ذلك أنها كانت تحكيها لابنتها في السرير عند النوم كل ليلة. وعلى هذا كان الرقم يوازي أيام السنة! وأخرجت للنديا عشرة مجلدات تحمل ذات العنوان على عشر سنوات. إلى أن صار عمر الفتاه ثلاثة عشر عاماً. فألفيتُ ما قامت به هذه الأم جهداً يعجز عنه كثير من المربين والمربيات. فرحْتُ أقدر الجهد والقصص التي وقفتُ منها على سبعة من مجلداتها بألوانها وأسلوبها وحلاوتها وطلاوتها. ولست أصحّ مذهب الكفار ولا أشك في كفرهم. ولكنه مدخ الجهد والجد بصرف النظر عن دين صاحبه فهي وإن كانت أمّاً نصرانية ، ولكنها اجتهدت في تعليم ابنتها وتزويدها بقبصص رجعتُ فيها كما تقول في المقدمات إلى دوائر المعارف والتراجم والسير من مختلف أنحاء العالم. ولم تكن تثبت قصة إلا وهي تستقصي عن مصدرها. وابتعدت عن قصص الخيال العلمي والخرافات. وتخيّرت القصص الواقعية الهادفة وسردتها بأسلوبها لطفلتها. فكان جهداً عظيماً يُخجل أمهات لا تروي قصة ، ولا تعلم درساً ولا تلقن قيمة ، ولا ترسخ تصوراً ، ولا تدل تجربة ولا توجه توجيهها ، ولا تمنح فكرة. فرحت أحيي الجهد والأسلوبية في التربية ، بقطع النظر عن

دين وعقيدة الراوية للقصص والمروي لها ، إنه حقاً جهد يعجز عنه اليوم كثير من المربين والمربيات في شتى بقاع الأرض! وكان من ثمرات جهد (كاتي) أن تخرج من مشربية كونها أم عادية ، كمليين الأمهات في الأرض ، لتدخل عالم الكتابة والتأليف ، وتصبح بذلك كاتبة لا يشق لها غبار! كاتبة مجيدة تسهم برصيد ضخم في عالم القصة وملكوت الأدب! والأم المسلمة ليست بحاجة لمن يمدّها بالقصص الحق! فقصص القرآن وقصص السنة أكثر من أيام السنوات السبع التي قرأت قصصها عند الأم الأمريكية! ويبقى فرق كبير هو أن الأم المسلمة ساعة تقص قصة قرآنية أو نبوية تفعل ذلك تعبداً فتؤجّز مرتين: الأولى لتربية من تعول بالقصة ، والثانية أنها تعطي درساً قرآنياً أو نبوياً من خلال القصة! فيا للعجب من جلد وصبر واجتهاد الأم غير المسلمة تلك في حين نجد الأم المسلمة التي عندها آلاف من القصص الحق المبين ثم لا يكون لها عشر معشار ذلك الاجتهاد! وإنني لأطلب من الأمهات المسلمات الأخذ من كتب (كاتي) وقد اطلعتُ عليها جميعاً! فلنأخذ منها ونحكي من باب: (الحكمة ضالة المؤمن). ومن هنا أنشدتُ أحيي اجتهاد الأم الأمريكية تلك من الوافر – لأن تحية الشعراء ينبغي أن تكون بالشعر!

أسوقُ تحيتي شعراً لـ (كاتي)	وأمسكُ باليراع وبالـدواةِ
لأسطر ما تيسر من قريض	يعطُرُه رطيبُ تـأمَلاتي
على جهدٍ توشّح بالمعالي	وسعي مُفعم بالمكرُمات
وأفكارٍ تساعدُ من يُربّي!	جنتها من دَهاليز الحياة
وآياتٍ من الفكر المُصَفّي	تحضّ على الفِعال الطيبات
وأسنلةٍ تزكي كل عقل	وأجوبةٍ تزيلُ المُبهمات
وأسفارٍ حَوّتْ أندى الحكايا	وبين سطورها أحلى النكات
تزخرفها يواقيتُ الروايا	وتزخُرُ بالمبـادىء والعِظـات
بأسلوب يُسامرُ كل قاري	كان صداه دندنة الخُداة
وتصوير له أرَجّ وشوق	وصوتٌ يسـتجيشُ الذكريات
ولم تخلُ العبارة من جمال	فواعجباً لَمّا صاغته (كاتي)
لو اشتهرتُ ككاتبةٍ لقلنا	لها قلمٌ يذرُ المعجزات
ولكن حبها (سبايا) حباها	من التبيان ألوانَ الهبات

فهل باتت تبليغ عن رُواة؟
تجافي النص يعضل بالفتاة
كما تحتاط بعضُ الأمهات
وتمعنُ في سراب الإنفلات
إذا افتقرت إلى سَمَت الأناة؟
وزايلت الهُرا والترهات
بضاعتها من الخطأ المُواتي
بعيداً عن أغاليط النحاة
وجاوز - في الروى - خبط الهواة
سيهتف: تلك إحدى الكاتبات
من السنوات مرّت مُسرعات
وخطت ما حكته بلا افتتات
كمثّل الأمهات الأوليات
لتصبح من خيار الواليدات
وربّي ، تلك خيرُ الأعطيات
وسُنة (أحمد) خير الهداة
كما يوصي بذأ خيرُ الدعاة
يُقيم - على الجواز - البيّنات
يقدمُ حكمة ، لو من غفاة
لذا قلت أقرأوا ديوان (كاتي)

فصاغت كل ما ترويه نثراً
وراعتُ عُمرَ طفلتها ، فكانت
ونوعت المربية الأحاجي
لأن البنات إن ملت ستأتى
فما نفغ الموعظ والحكايا
ودققت الحقائق باتتاد
وراجعت المصادر كي تُصفي
فجاء النص مُنضبطاً بليغاً
وخلواً من خرافات الروايا
فمن يقرأ لكاتي باهتمام
ألا في ذمة التاريخ عشر
وكاتي في السني روث وجادت
لتقرأ كل أم ، ثم تروي
على نهج الرسول بلا انحراف
وتأخذ حكمة سيقت إليها
موافقة كتاب الله قطعاً
ولا تغنى بمصنودها كثيراً
وفي قول النبي الحكْمُ فصل
ليلتقط الموحد كل قول
هو الأولى بهامن أي فرد

خَابِتْ وَخَسِرَتْ

(إحدى الجاهليات المفتونات بالدنيا استأجرت بيتاً ، وبعد حين انتقلت منه إلى سواه. فإذا بها تلقي بنسختين من القرآن الكريم وسط الزبالات والقمامات. فهل فعلت الشيء ذاته بأي إكسسوار نسائي أو اسطوانة حاسوبية غنائية أو شريط فيديو أو علبة مكياج وأصباغ وحناء؟ وهل نسخة القرآن التي في حجم كف اليد من الصغر تُلقى به في الزبالات فلا تراها العين لتُعذر؟ سبحانك ربي هذا بهتان عظيم. وصدق الله: (ومن يعظم حُرُمات الله فهو خير له عند ربه) ، (ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب). وتحت عنوان: (الأداب مع الكتاب) يقول الأستاذ عبد الرحمن بن عبد الله السحيم في أدبه السادس تحديداً ما نصه: (* احترام المصحف: ويندرج تحته: أ – أن لا يُوضَعَ شيء على المصحف ، فإنه يعلو ولا يُعلَى عليه. ونَقَلَ البيهقي عن الحليمي قوله: لا يُحْمَلُ عَلَى الْمُصْحَفِ كِتَابٌ آخَرَ وَلَا ثَوْبٌ وَلَا شَيْءٌ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مُصْحَفَانِ فَيُوضَعُ أَحَدُهُمَا فَوْقَ الْآخَرَ فَيُجُوزُ. ب – أن لا يُتناول باليد اليسرى تكريماً للمصحف ، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يُعجبه التيمن في تَنَعُّله ، وترجِّله ، وطُهوره ، وفي شأنه كلُّه. رواه البخاري ومسلم. قالت حفصة رضي الله عنها: كان النبي صلى الله عليه وآله يَجْعَلُ يَمِينَهُ لِأَكْلِهِ وَشَرْبِهِ ، وَوُضُوءِهِ وَتِيَابِهِ ، وَأَخْذِهِ وَعَطَانِهِ ، وَكَانَ يَجْعَلُ شِمَالَهُ لِمَا سِوَى ذَلِكَ. رواه أحمد وأبو داود. وصححه الألباني والأرنؤوط. وأولى وأعلى شأن الإنسان ما يتعلَّق بكتاب الله عَزَّ وَجَلَّ. ج – أن لا تُمدَّ الأقدام باتجاه المصاحف. قال شيخنا ابن عثيمين: لا شك أن تعظيم كتاب الله عز وجل من كمال الإيمان ، وكمال تعظيم الإنسان لربِّه تبارك وتعالى. ومدَّ الرجل إلى المصحف أو إلى الحوامل التي فيها المصاحف أو الجلوس على كرسي أو ماصة تحتها مصحف يُنافي كمال التعظيم لكلام الله عز وجل ، ولهذا قال أهل العلم: إنه يُكره للإنسان أن يمدَّ رجله إلى المصحف هذا مع سلامة النية والقصد. أما لو أراد الإنسان إهانة كلام الله فإنه يكفر ؛ لأن القرآن الكريم كلام الله تعالى. وإذا رأيت أحداً قد مدَّ رجله إلى المصحف سواء كان على حامل أو على الأرض ، أو رأيت أحداً جالساً على شيء وتحتة مصحف ، فأزِيلوا المصحف عن أمام رجله أو عن الكرسي الذي هو جالس عليه ، أو قولوا له: لا تمدَّ رجلك إلى المصحف. احترم كلام الله عز وجل. والدليل ما ذكرته لك من أن ذلك يُنافي كمال التعظيم لكلام الله ، ولهذا لو أن رجلاً مُحترماً عندك أمامك ما استطعت أن تمدَّ رجلك إليه تعظيماً له ، فكتاب الله أولى بالتعظيم. هـ. د – أن لا يُنظَّف الأنف حال القراءة من المصحف ، خشية أن يُصيب المصحف شيئاً منه ، ولو لم يُخَشَ من ذلك فإنه يجب احترام المصحف ، فإن من الناس من يضع المصحف بين يديه مفتوحاً ، ثم يأخذ المناديل ويُنظِّف أنفه فوق المصحف ، وهذا في حقيقته سوء أدب مع كتاب الله. هـ. - أن لا يضع المصحف مقلوباً عند السجود ، فقد رأيت أحدهم مرة أراد أن يسجد للتلاوة ، فوضع المصحف – وهو مفتوح – مقلوباً على الرف ، فأغلقت المصحف وَوَضَعْتُهُ عَلَى الرِّفِ فغضب مني ، وسألني لِمَ فعلت ذلك؟ فقلت: هذا امتهان وخلاف احترام المصحف. قال: هل عندك دليل؟ قلت: نعم ، قول الله عَزَّ وَجَلَّ: (وَمَنْ يُعْظِمِ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ) والمصحف من أعظم شعائر الله تعالى. وبعض الناس إذا انتهى من القراءة ألقى بالمصحف على الرف إلقاءً ، وربما أحدث صوتاً ، وهذا خلاف الأدب مع كتاب ربنا تبارك وتعالى. و – أن لا يُسْتَدْبِر المصحف ولا يُجْتَاز من فوقه. فإنك ترى في بعض المساجد من يجتاز من فوق المصاحف ، خاصة إذا ضاق عليه الأمر ، وأراد الخروج ، أو التقدُّم إلى الصف المُقَدَّم. وترى من يتقدَّم أمام المصاحف ويصلي ويستدبر المصاحف بحيث تكون خلفه أو عند قدميه عند السجود). هـ. إن هذا الصنيع من امرأة قصيدتنا - التي

وضعت المصحفين في الزبالة - ليدل على هزال الصلة التي تربط هذه الساقطة بالقرآن الكريم ، وإن بررت وتشدقت ، وزعمت لنفسها أنها مسلمة.)

أعماكِ عنه الذي أتيتِ من جُرمِ
حتى استهنتِ بما للذكر من حُرْمِ
أعماكِ عنه من الدنيا زخارفها
حتى انشغلتِ عن القرآن بالرَّممِ
أعماكِ عنه جلابيبٌ مزركشة
تُزري بما عندنا - والله - من قيمِ
أعماكِ عنه خضابٌ تزدهين به
في كل كَفٍ رسوماتٌ من الكَتَمِ
تلك التي رَوَّجتها أخبث الأممِ
إن الشراهة أعيثتُ كل ذي نهمِ
أعماكِ عنه - من المطعوم - أطيئيه
كم شربةٍ أغمضتُ عيونَ كل ظمي!
أعماكِ عنه من المشروبِ أَعذُبُه
والمالُ يُوهنُ ما بالنفسِ من هممِ
أعمتكِ عنه نقودٌ كم شغفتِ بها!
يقودهن إلى الإفلاس والعدمِ
أعمتكِ عنه صديقاتٌ لهن هوى
وأغنياتٌ بها من أصخب النعمِ
أعمتكِ عنه (تويوتا) تحففين بها
فقد مضى زمن الرواحل الرُسم!
أهنتِ - عمداً - كتابَ الله دون حيا
إهانة فوق حدِّ الوصف والقلمِ
ولو عملتِ به لما جرأتِ على
ذنب يبوءُ ببذل الدمع والندمِ
لكن هجرتِ كتابَ الله صُبحِ مسا
حتى بليتِ من الهجران بالنقمِ
وما اعتبرتِ لأن القلب في عمه
والنفسُ تُوحلُ في الإفلاس والجُرمِ
والجاهلية - في الأصقاع - مُطبقة
وأنتِ - فيها كمثل - الشاء والنعمِ
حلا لمن أصبحوا كالمغز والغنم!
أكلٌ وشُربٌ ، ونومٌ عبره رَفَثُ
وتستبدُّ بكم في كل مصطدم!
أعوذ بالله من دنيا تُسرِبلكم

وصية محتضر

(من عليّة القوم رجل يدعى (عزام) ، فإذا بأحد العامة يصدمه بسيارته التي ساقها بسرعة تجاوز الحد والمعقول. ونقل الجريح إلى المستشفى ، وبقي السائق في السجن. وبعد أن قضى الجريح في الإنعاش بضعة أيام أيقن بعدها أنه مودع هذه الحياة ومفارق عالم الأحياء بعد أيام ، أرسل في طلب السائق. فجيئ به وقد أخذت به الحسرة مأخذها. حيث إن تأمين سيارته قد انتهى منذ أيام. ولذا يتعين عليه دفع دية مقدارها (200 ألف درهم) إن مات ذلك المحتضر. وما عليه أن يفعل هذا المعلم أبو الأبناء التسعة وزوج المرأتين وعائل البيتين. وأخذ يتوسل لكل من هب ودب ولكن دون جدوى. فإذا بالمحتضر يأمر ويوصى ويقول: إن أبنائي عندهم أضعاف أضعاف الدية. ولا حاجة لهم في مالك يا هذا ، فاذهب إلى أبنائك وزجتك وبيتك. فهم جميعاً أولى بك ، وصم شهرين متتابعين إن استطعت لفتلك الخطأ ، وأنا مُقبِلٌ على رب كريم رحيم ، فادع الله لي أن يرحمني. وأحضر أبنائه وسجل وصيته وأشهد عليها بعض القضاة ، وطالب بإخلاء سبيل الرجل وهو حي ، وحذر أبنائه من أن يخلوا بوصيته بعد رحيله. فكانت نعمت الوصية ونعم الموصي ونعم الأوصياء! ومضى هذا إلى قبره ، وذلك إلى بيته. فأنشدت وصيته شعراً على البحر الكامل أقول:)

إنني عفوت ، فما عليك ملام	لكن عليك - إذا استطعت - صيام
ووصيتي - في الوارثين - بثنتها	وجميع من حضروا الوصاة كرام
أشهدتهم أنني عفوت ليصفحوا	ولكي تسود مَحَبَّة ووَئَام
لما رأيت الموت يسكن غرفتي	والموت حق ثابت وإلزام
أيقنت أنني راحلٌ ومودع	بقيت أمامي - في الدنا - أيام
وأنا الذي ذنبي تسنم هامتي	وتحيط بي الأوزار والآثام
فأبيت - من وخز الذنوب - مسربلاً!	تطغى الذنوب علي والأوهام
إذ إنني أسرفت أيام الصبا	ما للشباب - على الضياع - دوام!
وركبت أهواني ، فذقت شقاوتي	واقترادني - نحو الضلال - طغام
وأبيت أبواب الحرام مرجباً	والنفس تعلم أن ذاك حرام
وأصبت من أعتى الكبانر هازلاً	ما ردني خلق ولا إسلام!
وغشيت - من أخزى الفواحش - مؤثراً	حب الهوى ، إن الهوى هدام

وأفقت ، لكن بعد موت عزيزتي
والصحب جاؤوا ينكرون إفاقتي
خابوا ، لقد أفلست يوم أطعتهم
ما ضرني لو أنني فارقتهم
قيل: انتبه ، وذر الأراذل والغثا
ودع الحثالة ، والتمس درب الهدى
لن ينفعوك لأنهم همج الورى
لكنني غلبت أهوائي ، لذا
وحلالي الغي الذي هو موبق
ثم اهتديت وعدت أنشد صحتي
وظللت أعواماً تسيل مدامعي
واليوم جاء الموت يُعلن أنه
ليضمه قبر كل مجنون
لا شئ مثل الموت يهدم لذة
عمر ، ويوماً سوف يحصدك الردى
هذي الحياة إلى زوال ، فالتمس
أنا راحل ، فاذهب لأهلك والنسا

ما المرء إن شطت به الأفهام؟
من بعد ما زلت بي الأقدام
وخسرت ، إذ أودى بي استدام
وساكتُ رباً ليس فيه لئام!
وامهد لنفسك ، سوف يأتي السام
إن التمسك بالغثا إجرام
وهم لكل رذيلة خدام
طاشت موازيني ، وحل ظلام
جداً ، وبين العير طاب مقام
وهجرت قوماً - في الفضائح - هاموا
ندماً ، فطالت هذه الأعوام!
عما قليل ينتهي (عزام)!
ولكم تضم جنادل ورجام!
والمرء حتماً يجتنيه جمام
لا ينفخ الإديباز والإحجام
خير الرشاد ، وإن قلتك فنام
ولهم من الرجل المصاب سلام!

(فأعضوه ، ولا تكنوا)

(في زماننا كثرة من الناس كاثرة تروج للقوميات الجاهلية في بقاع الأرض ، وأصبحنا بكل أسف نرى كثيراً منهم يرفعون الطين والأرض والوحل فوق التوحيد والعقيدة. ومن هذه الجاهليات عودة البعض إلى الفرعونية ، والبعض إلى الأشورية ، والبعض إلى البابلية ، والبعض إلى السومرية ، والبعض إلى الجاهلية الأولى ، وكتبوا بأيديهم شعارات منها: (الله والوطن – عونك ومددك يا وطن – حسبي الوطن – الوطن قبل أي شيء وبعد أي شيء – لا حول لنا إلا بالوطن – بلادك قدمها على كل ملة! ومن أجلها أظفر ومن أجلها صم) والأصل أن ولاء المسلم وانتماؤه الأصل لعقيدته وتوحيده ، لا إلى هذه الأشياء الزائلة. في سنن الترمذي وصحيح ابن حبان وصحيح ابن خزيمة ومستدرک الحاكم وتفسير النسائي بسند صحيح ، عن الحارث الأشعري - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (من ادعى بدعوى الجاهلية فهو من جثى جهنم. فقال رجل: وإن صلى وصام يا رسول الله؟ فقال: وإن صلى وصام ، فادعوا بدعوى الله الذي سماكم المسلمين المؤمنين عباد الله). ولما فتحت مكة ، قال النبي - صلى الله عليه وسلم - لأبي سفيان: أسلم. قال: كيف أفعال باللات؟ قال له عمر: تخراً عليها! قول حذيفة - رضي الله عنه -: علمنا رسول الله كل شيء حتى الخراءة. (والشيء بالشيء يُعرف). من فيض القدير للمناوي أنه قال: إن من تعزى بعزاء الجاهلية أنه لا مانع إطلاقاً من أن نقول له: أعضض بظر أمك ، وعضض ذكر أبيك: (يعنى هكذا بالتصريح دون التلميح). وقد كان أبو بكر - رضي الله عنه - في صلح الحديبية لما جاء عروة ابن مسعود الثقفي ليفاوض النبي - صلى الله عليه وسلم - بعد أن جاء عدد من المفاوضين ولم يفلحوا ، فقال عروة: يا محمد جئت بأوباش لتستاصل بيضة قومك ، والله إنني أرى أن الحرب إذا قامت أن يولوا عنك منصرفين ، وأن يسلموك إلى القتل وإلى الإهانة. فالتفت أبو بكر إلى عروة ، وقال: امصص بظر اللات ، أنحن ننكشف عن النبي - صلى الله عليه وسلم -؟ أنحن نتخلى عنه؟ فقال عروة: من هذا يا محمد. فقال : هذا ابن أبي قحافة. وفي مسند أحمد بسند صحيح أن رجلاً تعزى بعزاء الجاهلية (أي أعرض عن التفاخر بالرابطة الإيمانية ، وتفاخر بالجاهلية) ، فقال له أبي بن كعب: أعضض هن أبيك. ثم نظر إليهم (أي نظر أبي إلى أصحابه) ، وقال: إنني أعلم ما في نفوسكم ، والله ما كنت لأن أقول له غير ذلك إلا أنني سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول: من تعزى بعزاء الجاهلية فأعضوه ولا تكنوا. وفي رواية أنهم قالوا: يا أبي ، ما كنت فاحشاً. فقال: إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أمرنا أن من تعزى بعزاء الجاهلية أن نقول له هذا. وفي كتاب: (مظاهر التشبه بالكفار في العصر الحديث) للدكتور / أشرف عبد الحميد بن محمد بارقعان ، ورد عن عبد الله بن عباس - رضي الله عنه - مرفوعاً: (أبغض الناس إلى الله ثلاثة: مُلحد في الحرام ، ومُبتغ في الإسلام سنة الجاهلية ، ومطلب دم امرئ بغير حق ليهريق دمه). أخرجه البخاري في صحيحه ، قال شيخ الإسلام - رحمه الله - الابتغاء هو الطلب والإرادة ، فكل من أرد في الإسلام أن يعمل بشيء من سنن الجاهلية دخل في هذا الحديث. والسنة الجاهلية: كل عادة كانوا عليها ، فإن السنة هي العادة) اقتضاء الصراط المستقيم. فمن أبغض الناس إلى الله: المتشبه بالكفار ، لأنه طلب العودة إلى الجهل والظلم الذي كان عليه أهل الجاهلية ، فاتصف بالجهل الذي كانوا عليه ، فاستحق أن يكون من أبغض الناس إلى الله. فتأمل كيف وصف - رسول

الله - صلى الله عليه وسلم - المتشبه بالكفار بالجهل الذي هو ضد العلم - ثم ترتب على ذلك بغض الله له ، فصار من أبغض الناس له. ومن ذلك أيضاً ما ورد عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: (من تعزى بعزاء الجاهلية فأعضوه ولا تكنوا). رواه الإمام أحمد في مسنده ، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة. قال المناوي - رحمه الله: (إذا رأيتم رجلاً يتعزى أي: ينتسب بعزاء الجاهلية ، أي: بنسبها والانتماء إليها ، يقال: اعتزى إليه أي انتسب وانتمى وتعزى. فأعضوه ، أي: اشتموه بهن أبيه ، أي: قولوا له: اعضض بهن أبيك ، أو بذكره ، وصرحوا بلفظ الذكر ولا تكنوا عنه بالهن تنكيراً وزجرأ). فيض القدير. وهذه الطريقة من الشتم - في مقابل الإساءة - لم نعهدها من الشارع - صلى الله عليه وسلم - في كثير من المواضع ، وإنما جاءت هنا بهذا الأسلوب ، لأن المسمى في هذه الحالة يجمع بين أمور ، منها: أنه تبجح بذكر مآثر الجاهلية ، وأنه استعلى على غيره من المسلمين ، والأمر الأعظم: أنه تشبه بأهل الجاهلية ، وذلك بافتخاره بهم أمام المسلمين ، فهو لم يتشبه بهم فحسب ، بل استعلى بهم ، وفي ذلك محبة للكفار وتفضيل لهم على إخوانه المسلمين. ومن ذلك أيضاً ما ورد صحيحاً عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "إن الله عز وجل قد أذهب عنكم عبية الجاهلية ، وفخرها بالآباء ، مؤمنٌ تقى ، وفاجرٌ شقي ، أنتم بنو آدم ، وآدم من تراب ، ليدعن رجال فخرهم بأقوام إنما هم فحم من فحم جهنم ، أو ليكونن أهون على الله من الجعلان التي تدفع بأنفها النتن". رواه أبو داود في سننه ، والترمذي في سننه ، وصححه الألباني ، انظر صحيح الجامع الصغير وزيادته. فهنا نهى النبي - صلى الله عليه وسلم - عن التشبه بالكفار الذين في زمن الجاهلية ، حيث كانوا يتفاخرون بالآباء والأجداد ، ووصف هذه الصفة الذميمة بأنها من صفات أهل الجاهلية ، ونسبها إلى الجهل ، فمن تشبه بهم في هذه الصفة أو في غيرها من صفات أهل الجاهلية فقد وقع في المحذور الذي هو التشبه بالكفار ، مع اتصافه بصفاتهم التي هي الجهل. ثم بين رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المقياس الصحيح للتفاضل بين الناس ، ألا وهو التقوى. ومن ذلك ما ورد عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية". رواه البخاري ، ورواه مسلم في صحيحه. وهذا الحديث فيه براءة ممن فعل شيئاً من هذه الأفعال. قال ابن حجر - رحمه الله -: (كأنه توعدّه بأن لا يدخله في شفاعته أصلاً). انظر: فتح الباري. وهذا وإن كان ليس إخراجاً من الدين بالكليّة ، ولكنه خطير. وقيل المقصود: "ليس على ديننا الكامل". انظر فتح الباري. ففي هذا الحديث وصف التشبه بالكفار - في النياحة على الميت -: بأنه من أفعال الجاهلية وتبرأ من فاعله ، فجمع بين البراءة من الفاعل وذم الفعل بأنه من أفعال الجاهلية. وفي ذلك ما جاء عن أبي مالك الأشعري أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "أربع في أمّتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن ، الفخر في الأحساب والطعن في الأنساب والاستسقاء بالنجوم والنياحة". رواه مسلم في صحيحه ، فهذه الصفات لم يقل النبي - صلى الله عليه وسلم - أنها من صفات الكفر ، وكان يكفي ذلك لبيان أنها من التشبه بالكفار ، المحرم في الشريعة الإسلامية ، ولكنه نسبها إلى الجاهلية التي عند الكفار قبل الإسلام ، ولم ينسب هذه الأفعال إلى أوصاف محرمة كالكفر أو الفسق ، بل إلى أشخاص لهم صفة الكفر والجهل ، وفي ذلك إضافة وصف المتلبس بها أي وصفه بالتشبه بالكفار ، فهو موصوف بالجهل الذي هو ضد العلم ، وهذا الوصف مما يزرع عن التشبه بالكفار ، فكل من اتصف بشئ من

صفات أهل الجاهلية فله نصيبه من ذلك الجهل الذي اتصفوا به ، بقدر الصفات التي شاركهم فيها. قال شيخ الإسلام رحمه الله: (وهذا كله يقتضي أن ما كان من أمر الجاهلية وفعلهم فهو مذموم في دين الإسلام ، وإلا لم يكن في إضافة هذه المنكرات إلى الجاهلية ذم لها ، ومعلوم أن إضافتها إلى الجاهلية خرج مخرج الذم ، وهذا كقوله - سبحانه - : "ولا تبرج تبرج الجاهلية الأولى" فإن ذلك ذم للتبرج و ذم لحال الجاهلية الأولى ، وذلك يقتضي المنع من مشابهتهم في الجملة". اقتضاء الصراط المستقيم. وأما ما ورد من الأحاديث وفيه الترهيب من التشبه بهم ، فلأن ذلك موجب لكون حكم المتشبه بهم كحكمهم ، بما يقتضي خروجه عن دائرة المسلمين: فمن ذلك ما ورد عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنه - مرفوعاً: (بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يُعبد الله وحده لا شريك له ، وجُعِل رزقي تحت ظل رمحي). قال ابن حجر: وفي قول: "تحت ظل رمحي" ، إشارة إلى أن ظله ممدود إلى أبد الآباد ، والحكمة في الاقتصار على ذكر الرمح دون غيره من آلات الحرب كالسيف ، أن عاداتهم جرت بجعل الرايات في أطراف الرمح). فتح الباري. (وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري ، ومن تشبه بقوم فهو منهم). قال المناوي: (ومن تشبه بقوم فهو منهم: أي حكمه حكمهم ، وذلك لأن كل معصية من المعاصي ميراث أمة من الأمم التي أهلكها الله! فاللوطية ميراث قوم لوط ، وأخذ الحق بالزائد ودفعه بالناقص ميراث قوم شعيب ، والعلو في الأرض ميراث قوم فرعون ، والتكبر والتجبر ميراث قوم هود ، فكل من لابس من هؤلاء شيئاً فهو منهم وهكذا). فيض القدير. وهذا أشهر حديث في باب التشبه بالكفار ، قال شيخ الإسلام - رحمه الله - : (وهذا الحديث أقل أحواله أنه يقتضي تحريم التشبه بهم تحريماً قطعياً ، وإن كان ظاهره يقتضي طبعاً كفر المتشبه بهم ، كما في قوله تعالى: {ومن يتولهم منكم فإنه منهم} ، فقد يحمل هذا على التشبه المطلق أي التشبه الكامل بهم ، فإنه يوجب الكفر ، ويقتضي تحريم أبعاض ذلك ، وقد يحمل على أنه صار منهم في القدر المشترك الذي شابههم فيه ، فإن كفرأ أو معصية أو شعاراً للكفر أو المعصية كان حكمه كذلك). اقتضاء الصراط المستقيم. وعلى كلا الاحتمالين فإن التشبه بهم - تشبهأ كاملاً أو تشبهأ في بعض أفعالهم - منهي عنه بنص الحديث ، فهو إما معصية أو شعاراً للكفر أو يؤدي إلى معصية أو كفر. ولو تأملنا الحديث لوجدناه قد سيق في معرض ذكر من خالف أمره - صلى الله عليه وسلم - ، ووصفه له بالذلة والصغار ، فجعل أمره - صلى الله عليه وسلم - في مقابل التشبه بغيره - وهم جميع أصناف الكفار - وفي هذا يبين لنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : أن شأنه مبينٌ لشأن الكفار كل المبينة ، فمن خالف أمره - صلى الله عليه وسلم - فهو متشبه بغيره - وهم الكفار - ومن تشبه بهم فهو منهم ، وليس منه - صلى الله عليه وسلم - وليس فعل التشبه في دينه - صلى الله عليه وسلم - ، فإذا كان التشبه بالكفار مخالفة له - صلى الله عليه وسلم - فإن الاستقامة على دينه - صلى الله عليه وسلم - لا تكون إلا بمخالفة الكفار ، وبهذا تكون مخالفتهم من مقاصد دينه عليه وعلى آله أفضل الصلاة والسلام. ولقد يتعلل البعض بأننا نتنكر للقومية وللوطن. نقول: لا. بل ننزلهما منزلتهما الصحيحة من حياتنا ، وعموماً القومية كما يعرفها صاحب كتاب (مذاهب فكرية معاصرة) هي: (أن أبناء الأصل الواحد واللغة الواحدة ينبغي أن يكون ولاؤهم واحداً وإن تعددت أرضهم وتفرقت أوطانهم ، وإن كان معناه أيضاً السعي في النهاية إلى توحيد الوطن بحيث تجتمع القومية الواحدة في وطن شامل ، فيكون الولاء للقومية مصحوباً بالولاء للأرض. ولكن الولاء للقومية يظل هو الأصل ولو لم تتحقق وحدة الأرض).هـ.

والوطنية كما يراها ذات المؤلف هي: (أن يشعر جميع أبناء الوطن الواحد بالولاء لذلك الوطن ، والتعصب له ، أيا كانت أصولهم التي ينتمون إليها ، وأجناسهم التي انحدروا منها. أي أن الولاء فيها للأرض بصرف النظر عن القوم أو اللغة أو الجنس).هـ. ولقد جاء الإسلام بإلغاء كل هذه التفرقة العنصرية والنعرات الفجة القبلية التي كانت موجودة في الجاهلية. والجاهلية كما تعرفها الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة تعني : (فكراً وأوضاعاً وحالاتٍ للفرد والمجتمع التي تشمل عقيدته وفكره ونظمة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والخلقية ، وكل ما ينظم أمور حياته غير المنبثقة من كتاب الله وسنة نبيه - ص- ، وبذلك فهي في حالة ووصفٍ يُقابل وصف الإسلام ، وقد انقطعت الجاهلية العامة بمبعث النبي - صلى الله عليه وسلم - . والجاهلية بمعناها الخاص غير مرتبطة بعصر من العصور أو بحقبة تاريخية معينة أو بلد ما ، وإنما هي حالة تنسحب على كل من تلبس بها سواء كان فرداً أو مجتمعاً).هـ. وتحت عنوان: (التفاخر بالأنساب) يقول الأستاذ الشيخ عبد الرحيم الطحان ما نصه: (جاء الإسلام فقضى على التفاخر بالأحساب والأنساب ، وصار الناس ينتسبون إلى الإسلام ولا يتميرون فيما بينهم إلا بالتقوى ، ولا يتفاضلون إلا بالعلم والعمل الصالح ، وقد أمرنا النبي صلى الله عليه وسلم إذا سمعنا أحداً يتشدد بنسبه ويتعزى بعزاء الجاهلية أن نقول له: اعضض هن أبيك تصریحاً لا كناية لما في ذكر الهن من التذكير لهذا المتكبر بدعوى الجاهلية بالعضو الذي خرج منه وهو هن أبيه ، فلا ينبغي أن يتعدى طوره. لقد ورد في الأحاديث الجياد المختارة ، والحديث إسناده حسن ، عن أبي بن كعب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من تعزى بعزاء الجاهلية فأعضوه بهن أبيه ولا تكنوه). هل طبق هذا أبي؟ كان أبي - كما في المسند - في مجلس ، فبدأ بعض الناس يفتخر بالأحساب والأنساب ويشيد بقدره ، فقال له أبي: اعضض أير أبيك. وفي المجلس أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام. فقالوا: يا أبا المنذر! ما كنت فحاشاً. أي: هذه الكلمة أنت تتكلم بها وأنت إمام القراء؟! فقال: سمعت النبي عليه الصلاة والسلام يقول: (من تعزى بعزاء الجاهلية) ، جاء بنغمة الجاهلية يريد أن يحيها في الإسلام (فأعضوه بهن أبيه) ، والهن هو العضو. (ولا تكنوه) ، ليس هناك داعٍ للكناية ، قل له باللفظ الصريح: اعضض كذا ، ولا داعي للكناية. لماذا؟ لأن هذا لفظ جاهلي لا بد من إزالته بهذا المظهر القوي لنلا يعود ، وليستحي هو من نفسه بعد ذلك. والآخر رواه ابن أبي شيبة في مصنفه عن عمر بن عبد العزيز أنه قال: (من تعزى بعزاء الجاهلية فأعضوه وأمصوه) ، قل له: اعضض وامصص متاع أبيك ومتاع أمك ، واكفنا من شر الجاهلية ومن خصالها ، ولا تجلس بين المسلمين ولا زلت وثنياً جاهلياً. لا إله إلا الله! هؤلاء الصحابة الكرام طهروا أنفسهم بهذا المطهر! ولعل بعض الدعاة في هذه الأيام ذهنه ممتلئ بمثل هذه الأمور ، ولا زال يحمل أفكار الجاهلية والوطنية والقومية وما شاكل هذا ، وكل إنسان يجلس يمجّد في نفسه وفي دولته ، وكأن ذلك المسلمين الذين هم في بلاد أخرى قطيع من الغنم ، أو لعلهم فوج من الحمير. سبحان ربي العظيم! هذا لا يوجد في شريعة الله المطهرة ، فلا بد من الحذر من خصال الجاهلية ، والعرب كم كان عندهم من التفاخر بالأحساب والأنساب قبل مجيء الإسلام؟! كل هذا قضى عليه عندما جاء الإسلام ، وصار الناس ينتسبون إلى الإسلام ولا يتميرون فيما بينهم إلا بالتقوى ، ولا يتفاضلون إلا بالعلم النافع والعمل الصالح ، والنبي عليه الصلاة والسلام كان يوجههم صباح مساء بهذا الأمر ؛ لنلا يعودوا إلى شيء من خصال الجاهلية).هـ. قال تعالى: "إذ

جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية" ، قال الطبرى في تفسيره: (يعنى تعالى ذكره بقوله: "إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية": حين جعل سهيل بن عمرو في قلبه الحمية ، فامتنع من أن يكتب في كتاب المقاضاة الذي كتب بين يدي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والمشركين: بسم الله الرحمن الرحيم ، وأن يكتب فيه: محمد رسول الله ، وامتنع هو وقومه من دخول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عامه ذلك). وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : "ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية" ، قال شيخ الإسلام - رحمه الله - (وتكون دعوى الجاهلية في العصبية). كما أثر عنه - صلى الله عليه وسلم - قوله لأبي ذر - رضي الله عنه - لما عير رجلاً بأمه: "إنك امرؤ فيك جاهلية" رواه البخارى ومسلم ، فتقييم الإنسان بنسبة أو قرابته: من صفات أهل الجاهلية ، فليس فى الإسلام فخر بالآباء والأجداد! لا فرق بين عربى أو أعجمى إلا بالتقوى ، وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أيضاً عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات ، مات ميتة جاهلية ، ومن قاتل تحت راية عمية ، يغضب لعصبية أو يدعو إلى عصبية أو ينصر عصبية فقتل فقتله جاهلية". أخرج مسلم. فمن قاتل من أجل أي عنصرية صغيرة كانت أو كبيرة يدخل تحت هذا الوعيد منه - صلى الله عليه وسلم - ، لا فرق بين من قاتل من أجل عصبية قبلية أو عصبية وطنية أو عصبية قومية. ويستوي في ذلك كل من عمل أي عمل من أجل وطنية أو قومية لم يخلص ذلك العمل لوجه الله ، فلا يختص هذا النهي الوارد في الحديث بجانب القتال فقط ، بل كل من عمل أي عمل لوطنه أو قومه ولم يستحضر الإخلاص لله ، ولم يطلب المثوبة من الله - جل جلاله - فإن فعله هذا منسوب إلى الجاهلية. ولكن قد يقول قائل: إن الوطن الذي أسعى لرفعته هو وطن شرعي ، عندها سيكون الجواب: إنما الأعمال بالنيات ، فهذا الذي عمل خيراً من أجل وطنه وقومه فحسب: لم يستحضر الإخلاص لله تعالى في عمله من أجل غيره ، فهو من حيث المبدأ للوطن ، والنتيجة لا بد وأن توافق المبدأ والمقصد. وإن كان هنا مسألة دقيقة: حيث من عمل عملاً ، وقصد بذلك وطنه ولم يقصد الوطن إلا من أجل أنه وطن شرعي ، نصره من نصر الإسلام وعزه من عز الإسلام بحق فإن هذا مأجور ولا شك ، ولكن من يكون هذا هو وطنه؟! ومن تكون هذه هي نيته؟! إلا من رحم ربه. ولذلك فحتى في حال كون الوطن وطناً شرعياً بحق ، فلا ينبغي أن يُدعى فيه إلى الوطنية والعمل من أجل الوطن بهذا الإطلاق ، لأن ذلك يشتمل على محذورين:- الأول: أن هذه الدعوى إذا أطلقت بدون تقييد فهي دعوى جاهلية ، وفيها تشبه بأهل الجاهلية الأولى ، فلا بد عند الدعوة إلى ذلك أن يكون مقيداً بما إذا كان الوطن وطناً شرعياً: بحق ، فيقال: اعمل من أجل وطنك مادام وطنك ينصر الدين ، وهذا فيه تطويل ، فكان الأولى للذي يدعو إلى خير: أن يرغب فيه من أجل الدين ، ثم يتبع ذلك الوطن الذي يخدم الدين وينصره ، وأن لا يطيل الطريق على نفسه وعلى الناس. والثاني: أن هذه الدعوى حادثة لا أساس لها من الدين! وإذن فإن كان الوطن مقيماً للدين ومطبقاً للشرع ، ومجاهداً في سبيل جعل كلمة الله عليا في أرض الله ودينيا للناس وجعل كلمة الكفر سفلى في أرض الله ودينيا للناس ، ومعزراً لأولياء الله من المؤمنين الموحدين ، ومذلاً لأعداء الله المحاربين المجاهدين بالمعاصي المفخرين بها علناً ، وداعياً إلى دين الله ، وأمرأ بالمعروف وأوله المعروف الأكبر وجوب الإيمان بالله تعالى ، ونهاياً عن المنكر وأوله المنكر الأكبر الذي هو الشرك بالله والكفر به في جميع صورته ، يأمن فيه المسلمون على أنفسهم ودمانهم وأموالهم وأعراضهم

وذرايهم ، على حين لا يأمن فيه الكفار إلا بجوار من المسلمين فقط ، كما أن هذا الوطن يزلزل سبل العيش الكريم للمسلمين ، ولا تظهر فيه الخصال الكفرية المناقضة للإسلام والمسيئة لأهل الإيمان ، فمثل هذا الوطن يُحِبُّ ويُوَالِي ويُدافعُ عنه بالروح وبالدم وبالمال وبالأهل وبالولد ويتغنى بأمجاده لا لترابه وطينه ووحله وزروعه وثماره ومانه وأنهاره ، بل بسبب ما قام به من الأعمال السابقة في حق الإسلام وأهله ، وتكون الوطنية في هذه الحالة منبثقة من التوحيد والعقيدة. وأما إن كان الوطن على غير ما سبق من سمات وأوصاف ومعايير الوطن المسلم ، فإنه ستكون هناك رقعة من الأرض جاهلية لا تقيم الإسلام وإن كان جُلُّ أهلها مسلمين ، فلا ولاء ولا نصرة ولا اعتبار ولا قيمة ولكن (فأعضوه ولا تكنوا) لأن المسألة كلها جاهلية ومحسومة لحساب الجاهلية! ومن أراد الاستزادة والتفصيل والتوسع فليرجع إلى الأحاديث التي صدرنا بها هذا الديوان والتي تدم الجاهلية والاعتزاز بها والدعوة إليها والسير في ركابها! وأيضاً ليرجع إلى الإهداء والافتتاحية والخاتمة ففي هذه الأبواب فسحة لطالب العلم! والآن لنطالع قصيدتنا: فأعضوه ، ولا تكنوا!

يا من تسلحت بالأوهام والظلم	فبؤت منها بفهم سيئ سقم
وجئت زوراً من الأقوال تطلقها	على عواهنها في كل مُصْطدم
ثم افتريت على رب السما كذباً	فكنت أبشع أفاكٍ ومُجْترم
واحتلت يا نذل في سر وفي علن	لكي تشوّه ما في الناس من قيم
وما احترمت كتاب الله يا لكعاً	ومن يخض - في كلام - الله ينهزم
وما ارعويت لأقوال النبي ، فهل	غرقت في حماة التشكيك والتهم؟
وما استمعت لمن يهديك حُجَّتَه	فهل أصابتك لوثات من الصمم؟
وما نطقت سوى بالسخف مُرتضياً	بما تقول ، وذا من أفضع الجُرم
وما استحيت من الألفاظ جارحة	وكم كلام يسوق المرء للندم!
كأن فاك عن الأخلاق مُحْتجب	عساه يُرزق مما قال باليكم!
وما استجبت لنصح من ذوي رشدٍ	قالوه - في الله - أو خطوه بالقلم
وما اتعظت بما جرى لمُجْتري	أدى به كيذه للخسر والنقم
وما اعتبرت من الآيات أرسلها	رب السماء على الكفار من إرم

فيها الوعيدُ لأهل الفسق والغشم
إذ استهنت بشرع الله والخُرْم
تقوُّدُ صاحبها لهوّة العدم
والهزلُ يحقُّ ما في النفس من شيم
وهل يُفأخِر بالأرجاس والرّمم؟
وكم سحرت الغشا بالصوت والكلم!
لكي يراها الورى بالمظهر السنم
كالبند في ساحة الهيجاء والعلم
على عبادة ما صاغته من صنم
بين الخلائق من عُربٍ ومن عجم
مستمرناً خلط أعتى السم بالدم
وليس من سادةٍ فيها ولا قِمم
تُفأخِرُ الناس بالأبطال والبُهْم
سُلومها ، وغدت كالشياء والغنم
من المصائب والأرزاء والإزم؟
ومن يكن مؤمناً بالله يلتزم
به الشريعة وفق المنهج اللقم
تصُبُّهُ مُترعاً بالظلم والقحم
طوعاً ، وما يمتُّ للبيت والحرام
من بعد ما فقدت ريادة الأمم!

وما احتفلت بما في الذكر من نذر
وما استميت عن البُهتان تنشره
وما تورّعت عن سُوءٍ ، ومخبِثَةٍ
وما تنزهت عن هزل بُليت به
فاخرت بالجاهلية الرّعاء في صلفٍ
مازلت تنفخ فيها ، يا صريع هوى
مازلت تُوسِعُها مدحاً وتزكِيّة
مازلت ترفعها في كل مُعتركٍ
مازلت تفرضها فرضاً ، وتحملنا
مازلت تدأبُ من ترويح باظها
مازلت تذكرُ من تاريخها نتفاً
مازلت تذكرُ من أخبار ساداتها
تقول: أهلي وأبائي وعائلي
تُفأخِرُ الناس بالقبائل اعتقت
تقول داري ، أما عاينت ما ارتكبت
لم تلتزم شريعة الله قد فرضت
ولم تقم من حدود الله ما أمرت
ولم تذُر داعياً لله دون أدنى
إذ يمتُّ وجهها للغرب مذعنة
وأنت تنسج من فخر عباعتها

مُستصحباً ترهات الظالم الغلام؟
يا صاح أقصر عن الأهواء ، واستقم!
والجاهلية ألوانٌ من الظلم
إن الذي قلته يفوق سَفك دم
من المغاوير ، في سعيه التتم
بل نرسل اللفظ كالنيران والخِذم
بكل لفظٍ صريحٍ غير منبهم
عُجِب وفأخر بالأسباب واللُحْم
لأنه جاء جُرماً بالغ العظم
واستحضروا سيئ الأسماء والسيِّم
فليس ما قال هناتٍ من اللمم!
بلفظ مجتري بالفحش متسم
وسوف يُنقذه من مرتعٍ وخِم
فخارنا بالهُدى والحق والقِيم
يا رحمة أرسلت للعرب والعجم
وإن مَدحي لكم من عذب مُختمي

وكيف تنكرُ عمداً جاهليتها
هل يدعي صالحٌ بما ادّعت به؟
شريعة الله نورٌ ساطعٌ أبداً
فتب إلى الله عما قلت من سَفهٍ
عساك تنجو من التجريح ، تسمعه
لا ، لن نكني في الألفاظ نطقها
إذ إنها رخصة من النبي لنا
من ادعى بدعاء الجاهلية في
فإنه من جُثى نار السعير غداً
لذا أعضوه ، ما في القول تورية
ولا تُكنوا بألفاظٍ مُغايرةٍ
إن الذي قاله سُوأى وفاحشة
إن شاء تاب ، وربى سوف يقبله
نبيّاً جنتنا بشرعةٍ جعلت
صلى عليك مليك الناس أجمعهم
بذي الصلاة ختمت الشعرَ مُكتفياً

جيل الشعير لا الشعر

(هناك مقولة للوزير البريطاني الشهير (بلدوين) تقول: "إن الشعراء الكبار نادرون جداً. بل هم أندر جداً من العلماء الكبار ، الذين يخلق علمهم المواد التي تبديد الإنسانية. فلذا أسألكم أيها السادة: هل بين نتاج جامعاتكم عدد من الشعراء الذين ينفخون في العالم أجمع روح السلام والأمان؟" وأرى أن الجواب: لا يوجد! ولقد صدقت الدكتورة موزة عبيد غباش عندما تناولت الشعر والشعراء فقالت ما نصه: (حين تقول العرب: (وللحديث شجون) فإنها تقصد أنه متشعب متفرع ، يستدعي بعضه بعضاً ، وأبدأ بحكاية كان طرفاها سيد الخلق النبي محمد صلى الله عليه وسلم وشاعر له القدر المعلى في الشعر ، تقول الحكاية: إن كفار قريش حاولوا إغراء الشاعر حسان بن ثابت بالمال كي يهجو النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان ذلك قبل إسلامه وهو شاعر فحلّ وذو مكاتبة بين شعراء عصره ، فوقف على ربوة ينتظر قدومه وينظر إلى صفة من صفاته ليهجوه بها ، ومرّ الحبيب المصطفى ، مرّ جميل الشيم ، مرّ كمصباح الظلام ، فلما رآه حسان رجع إلى قريش فردّ لهم المال ، وقال: «هذا مالكم ليس لي فيه حاجة ، وأما هذا الذي أردتم أن أهجوه ، فاللهم إنني أشهدك أي أشهد أنه رسول الله» ، فقالوا: ما دهاك؟ ما لهذا أرسلناك ، فأجابهم بقصيدة مدح فيها النبي – صلى الله عليه وسلم -! وقادتني هذه الحكاية إلى مكانة الشاعر في قومه ، وإدراكهم لقيمة هذا الدور وأثره على الناس ، فالشاعر يحمل رسالة وهو لسان حال قومه ، ولا نعني بالطبع أي شاعر ، بل الشاعر المقتدر والمؤثر. ولعل الشاعر أوسيب ماندلستام ، وهو من كبار شعراء القرن العشرين ، توفي في أحد معتقلات ستالين عام 1939م ، قال شيئاً جميلاً: «الشاعر هو صديق كل حي على الأرض ، وأن الثقافة من ملحقات الروح ، والشعر هو اليد الممدودة للأخرين». وما أحرانا اليوم أن نلتفت لدور الشاعر بيننا ، خاصة ونحن أمة الحضارة والقيم والقلم ، قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "لن تترك أمتي الشعر حتى تترك الإبل الحنين". فهل تركنا الشعر؟ لا ، لم نترك الشعر ، فهو جزء من حياتنا ، وطالما استشهدنا بما قاله الشعراء ، ومكتباتنا خزائن لإبداعات الشعراء ، وصحافتنا تزدهو بقصائد الشعراء ، وعند كل مناسبة لا نملك منصة روحية لها أروع وأسمى من قصائد الشعراء ، وحين تواجهنا التحديات أياً كانت ، أول ما ينبري لها هم الشعراء ، أفراحنا وأحزاننا العامة والخاصة لا نستغني فيها عن الشعر ، وما يوجد به الشعراء ، ولكن هل أخذ الشاعر العربي نصيبه من اهتمامنا؟ أقول: كلنا يعلم أن الشعر وظيفة لا يأخذ عليها الشاعر أجراً ، لكن الشاعر إنسان ، له شؤونته الحياتية واشتراطاتها المادية ، وهي في عصرنا المادي الحالي ضاغطة وبشدة ، والشاعر المبدع المتجرد من كل غروض الدنيا ، الشغوف بشعره وتجربته يصبح غريباً في هذا العالم ، وهو حيٌّ وذو نفس عالية وإباء لا يمد يده لأحد إلا إذا التفتنا له ولشؤونته الحياتية قبل أن نلتفت لشعره ، فهل تحسنا هذا الجانب في حياته؟ ما دعاني لهذه الإشارة هو ما تعرّض له الشعراء العرب في السنوات الأخيرة ، بسبب الحروب والأزمات السياسية ، فمنهم من مات خارج وطنه بعد معاناة شديدة مع المرض ، ومنهم من هاجر تاركاً وطنه وبيته وأهله ليبدأ من الصفر في بلد آخر ، ومنهم من يعيش الآن في الغرب على المساعدات الإنسانية. ولم نلتفت إلا لشعرهم). هـ. وأعود للجمهور الذي هجر الشعر والشعراء!)

أشربوا - في العيش - الضلال المحضاً فاستساغوا ما عاينوا من فوضى

ليس يسمو - بالعز - قوم مرضى
يتقنون - نحو الشعير - الركضا
بعضه عادى - في الحشيش - البعض
شن حرباً حُسامها الخرى يضى
صاح صدق: سوق المعالي انفضا
طرحته الأهواء والسخف أرضا
من ضياع ، يختال طولاً وعرضاً
والسافية - بالأباطيل - يرضى
عن حياة تؤولي الرشاد المحضا
مثل هذا عليه بالشر يقضى
هل يذوق هذا أماناً وغمضاً؟
ثم باتوا - لما يُعانون - جرضى
حيث فاض القريض - بالهزل - فيضا
نهضوا للإفساد - بالشعر - نهضاً
وكان الإفلاس أضحى فرضاً
وبقايا التكريم غاضت غيضا
كيف غصّوا - عن وازع الخير - غصاً؟
في قلوب التقاة يبعث نبضا
كي يعضوا دوماً - على الحق - عضاً!

واستهانوا بكل غال نفيس
للشعير يخيون أخزى حياة
إن شعري لا يحتفي بقطيع
إن يفته - من العليفة - قسط
أي علم يا (بلدوين) وشعر؟
إن هذا الجيل ارتضى ثوب جهل
مستريحاً لما رماه الأعداى
راضياً بالتغريب يغشى قرأه
قانعاً - بالعيش الذليل - بديلاً
مستكيناً - للموبقات - دهوراً
ليت شعري ، أليس يُبصرُ درباً؟
شعراء الأخلاق عانوا كثيراً
والألى باعوا شِعْرهم حطوناً
تاجروا في أشعارهم ، ثم هاهم
للمعالي لم ينشدوا أي بيت
والسجيا - في عالم الظهر - ولت
ينفخون - في الناس - قبح التدني
كنت أرجو منهم قريضاً شريفاً
يرفعُ الناس من حضيض المخازي

كيف وقد أنقذني الله به؟

(مسلمة فرنسية شابة تدعى (لامى) تعيش في عقدها الثالث ، أجرى لها طبيب مسلم مصري عملية جراحية في باريس ، بعد أن ينست من الشفاء بعد محاولات ومناورات. وقد أخبرها الأطباء في فرنسا بأنه لا أمل في شفائها أبداً ، وأنها تعد أياما فقط ، وسوف تودع الحياة عما قريب. المهم نجحت عملية زرع القلب التي قام بها الطبيب المسلم المصري. وبعد حين جاءت تشتكي ألماً بعيداً في القلب ، فعجب الطبيب من شكاواها. حيث إن الجسم تقبل القلب الجديد وتأقلم معه ، فأجريت لها الفحوصات والتحاليل والأشعة ، فإذا بالطبيب يكتشف جسم غريباً وراء القلب. تبين له أن هذا الجسم هو مقص معدني صغير جداً كان في جملة المعدات الطبية التي أجريت الجراحة بها. فأجريت عملية استخراجها ، وألح عليها المغرضون أن ترفع دعوة قضائية ضد الطبيب ، تتهمه فيها بالإهمال ، وتطالب بالتعويض ، وأنها قضية مضمونة ولصالحها من أول جلسة. فقالت: كيف أفعّل هذا وقد أنقذني الله على يديه؟ فأنشدت على لسانها هذه القصيدة في الرد على هؤلاء المغرضين!)

لا تنكأوا - بهـرانكم - الأامى	وكفى الذى عايشت من أوهام
أنا كنت أتمس السلامة والشفا	بل كنت بين معيشة وجمام
أنا كنت أحلم بالحياة هنيئة	إذ أصبحت خلماً من الأحلام
أنا كنت أبحث عن دروب سعادتى	بين الهواجس والضمير الدامى
أنا كنت أجتزر البلاء مقتظراً	فيزيد من شجنى ، ومن إيلامى
أنا أهل طبي جرّعوني حسرتى	فرضخت في ضعة ، وفي استسلام
وخضعت للىأس المسبّط همّتى	وتجلدي بعبارة استتدام
أنا قد ينست من الشفاء ، كأنه	شبح يهدد عزمتى ومرامى
وسئمت ممن فيّ باعوا ، واشتروا	كبضاعه ، والبيع بيع سوام
حتى أتاني من رثا لمصيبتى	وبكى لماً - في القلب - من آلام
ومضى يزف البشرى عطيرة	شأن الطبيب الحاذق المقدام
وغدا يسوق الأمنيات تشوقنى	من بعد يأس - في الفؤاد - عقام
والكل أطرق - للكلام - مُردداً	هذا ورب الناس خير كلام!

إذ إنه حقاً دقيقٌ سامي
س يقوم بالتطبيب خير قيام
كانت تعدّ دقائق الأيام
عانيثٌ من وجع ، ومن أسقام
سبحان ربي الخالق العلام!
ولذا فعن خطأ أتاه أحامي
أنا بنتٌ ناس أوفياءٍ كرام
لكن أذرتُ تحيتي وسلامي
وسخا وأكرم غاية الإكرام!
وأزال - من دنياي - كل ظلام؟
ولقد يكون الموتُ بعض ختام
أقوى على وصفٍ بلا إبهام
يتقربون متى تودّع (لامي)
وقلا الرضا والصبر بعض فنام
وكان رأساً جندلت بحسام
بدمي بلا سفكٍ ، ولا إجرام
هدت قواي على مدى أعوام
في ظل عيش طيب وونام
يا رب أنعم غاية الإنعام!

إننا لنكبرُ كنا تشخيصه
ونكادُ نجزمُ واثقين بأنه
يا قوم هذا الشهم أنقذ عادة
وأراه أطلعته المليك على الذي
والله أنقذني بفضل جهوده
وأنا المدينة للطبيب حقيقة
وأوددُ عنه ، ولا أشوشُ لحظة
لا أشتكيه ، وليس ذا من شيمتي
وأشتكى من حاطني بعطائه
من لم يكن - في خدمتي - مُتردداً
هذه الجراحة صعبة وخطيرة
وقد استمرت نصف يوم ، ليتني
وهناك - عند الباب - تجثو أسرتي
كلّ تغالبه الدموع رخيصة
وأمام عالمنا - من الدم - بركة
ورفاقه وأكفهم قد خُصبت
كي يزرعوا قلباً ، ويُنهوا علة
فجزاهم ربي الخيورَ كثيرة
وجزا الطبيب العف خيراً ، إنه

ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء

(شاعر القيم والفضائل في زمننا هو شاعر بائس. يتعارضُ شراؤه لقوته وقوت من يعول مع إنفاقه على شعره ليُنشر في العالمين. فيؤثر قوته وقوت من يعول ، لنلا يكون قد ضيعهم. وليس هناك جهة تتبنى شعره وتسعى في نشره. على حين يجد شعراء الرذيلة والدعارة والفجور وعبد الطواغيت جهاتٍ شتى تتبنى فجورهم وعهرهم وانحرافهم وتألّيههم لغير الله الذي يسمى زوراً وبهتاناً بالشعر. وذات يوم جلس أحد شعراء القيم والمبادئ واضعاً خده على كفه ومستغرقاً في التفكير: ما هل عساه يفعل بمنات القصائد العذبة التي تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، وبينما هو كذلك في المسجد جاءه رجل رق لحاله ورثا لانكساره ، فسأله أن يصدقه في الذي يُعانيه فحكي له بصدق. وكان السائل من الأثرياء الكرماء محبي شعر القيم وقليل ما هم. فما هو إلا أن ساعد الشاعر ونشر على حسابه ما كتب الشاعر من قصائد ابتغاء وجه الله تعالى ، ووعداه المزيد إن هو كتب في المستقبل وطلب منه الدعاء. وصدق الأستاذ حميد مصطفى النجم الذي رثا للشعر القيمي ولشعرائه في مقالة طويلة نستشهد منها بقوله بتصريف بسيط: (كلنا يعلم أن الشعر قد بدأ بخطى متزنة حتى بلغ أوج قوته ؛ لكنه بدأ يتعثّر في أيامنا هذه فتراجع مستواه وخف تأثيره فصار له يوم عالمي شأنه شأن المعثرين في الأرض ، فالأيام والأعياد لم تأت إلا للضعيف المغلوب على أمره ؛ فهل سمعتم بيوم لغني مالك أو لحاكم متنفذاً؟ وقد يتساءل الكثيرون عن منزلة الشعر وعن ترتيبيه في سلم الثقافة والحضارة في عصرنا الراهن ، وقد يتساءلون أيضاً عن سر تراجع بعد أن كان له عظيم الأثر في النفوس ، فقد كان الجميع يخشون لسان الشاعر ، ويُغدقون له العطاء ويحسبون له ألف حساب وحساباً. وكان الشاعر ببيتٍ واحدٍ يرفع قبيلة أو يحط أخرى ، فببيتٍ واحدٍ صارت قبيلة بني نمير مضرب المثل في الهوان ، فما الذي فعله جرير عندما قال:

فغض الطرف إنك من نمير) فلاكعباً بلغوت ، ولا كلاباً

فكانه قال له: لم يبلغ جدك نمير شأن كعب أو كلاب. فكان في هذه العبارة ما يحط من شأن قبيلة نمير) بكل مآثرها وأمجادها. وأيضاً ببيتٍ واحدٍ جعل الحطيئة بني أنف الناقة يفتخرون باسمهم ، بعد أن كانوا يتوارون من الناس من العار الذي ألحقه بهم هذا الاسم ، عندما قال فيهم:

قوم هم الأنف ، والأذنب غيرهم فمن يساوي بـ (أنف الناقة) الذنبا؟!!

لقد أثر الشعر على النبي محمد – عليه السلام –: فمما يُروى في تأثير الشعر قول قتيلة بنت الحارث (قال السهيلي أنها بنت النضر لا أخته) تبكي أخاها النضر بعد أن قتل أسيراً في بدر:

يا راكباً إن الأثيل مظنة من صبح خامسة ، وأنت موفق

أبلغ بهما ميتاً بأن تحية ما إن تزال بهما النجائب تخفق

فيقال والله أعلم: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغه الشعر قال: لو بلغني هذا قبل قتله لمننتُ عليه أو لعفوتُ عنه. ورواية أخرى أنها عندما أنشدت البيتين بين يدي النبي – صلى الله

عليه وسلم - رق لها وبكى. وقال: "لو جنتني من قبل لعفوت عنه" ، ثم قال: "لا يقتل قرشي بعد هذا صبراً". والشعر كان سبباً في حلف الفضول ؛ لأنهم تحالفوا على أن ترد الفضول إلى أهلها ، وأن لا يغزو ظالم مظلوماً! وأول من تكلم به الزبير بن عبد المطلب. وكان سببه أن رجلاً من زبيد قدم مكة ببضاعة ، فاشتراها منه العاصي بن وائل ، وكان ذا قدر بمكة وشرف ، فحبس عنه حقه فاستعدى عليه الأحلاف ؛ عبد الدار ، ومخزوماً ، وجمح ، وسهماً ، وعدي بن كعب ، فأبوا أن يعينوه على العاصي وزبروه (أي انتهروه). فلما رأى الزبيدي المظلوم الشرّ أوفى على أبي قبيس عند طلوع الشمس ، وقريش في أنديتها حول الكعبة ، فصاح فيهم بأعلى صوته:

يا آل فهر لمظلوم بضاعته ببطن مكة نائي الدار والنفـر
ومُحرمٍ أشعث لم يقض عُمرته يا للرجال وبين الحجر والحجر!
إن الحرام لمن تمت كرامته ولا حرام لثوب الفاجر الغدر

فقام في ذلك الزبير بن عبد المطلب وقال: ما لهذا مترك. فاجتمع وجهاء بني هاشم ، وزهرة ، وتيم بن مرة في دار ابن جدعان ، فصنع لهم طعاماً وتعاقدوا ، ومن تلك الساعة كان حلف الفضول نصرة للمظلوم! وكان بعدها أن أنصفوا الزبيدي من العاصي. (عن الروض الأنف). ولقد أتت ثمار هذا الحلف يانعة جليلة عندما أخذ على عاتقه حماية العرض أيضاً. وقد تجلى ذلك عندما تعرض نبيه بن الحجاج لابنة رجل من خثعم تدعى القتول ، فقصد أبوها الحلف واستعداهم عليه فأجابوه. وقد شرف النبي - عليه السلام - هذا الحلف بقوله: (لو دُعيت إليه في الإسلام لأجبت). ومن ذلك أيضاً قصة المأمون والمرأة المتظلمة! فإنه يروى أن المأمون جلس يوماً للمظالم ، فدخلت عليه امرأة عليها هيئة السفر ، وكانت آخر من تقدم إليه في ذلك اليوم ، فسلمت ثم أنشأت تقول:

يا خيرَ منتصفٍ يُهدى له الرشدُ ويا إماماً - به - قد أشرق البلدُ
تشكو إليك عميدَ القومِ أرملة أعدي عليها ، فلم يترك لها سبـد

فأطرق المأمون وكأته قد أخذ بتصويرها العذب الجميل وكلامها الحلو ، ثم رفع رأسه وقال لها:

في دون ما قلت زال الصبرُ والجلدُ عني ، وأقرح مني القلب والكبدُ
هذا أوْنُ صلاةِ العصر ، فانصرفي وأحضري خصمك الظلوم يوم غد!

ولما كان الغد دخلت عليه ، فقال لها: أين خصمك؟ فأومأت إلى العباس ابنه! فقال المأمون: يا أحمد بن أبي خالد خذ بيده وأجلسه معها مجلس الخصوم ؛ فلما جلسا صار كلام المرأة يعلو وكلام العباس ينخفض ، فقال لها أحمد بن خالد اخفضي من صوتك يا أمة الله ، إنك في حضرة أمير المؤمنين فقال المأمون: دعها يا أحمد ، فإن الحق أنطقها ، والباطل أخرسه ، ثم قضى لها برد ضيعتها وإحسان معونتها وأمر لها بنفقة. لقد كان الشعر يرفع شأن صاحبه بين الناس! وقد أورد

الدكتور علي الشعيبي في كتابه القيم الإيجابية والسلبية في الشعر العربي بين الجاهلية والإسلام
حكاية حادثة مأخوذة من العمدة لابن رشيقي قول: (وقف أعرابي على علي بن أبي طالب فقال: إن
لي إليك حاجة رفعتها إلى الله قبل أن أرفعها إليك ، فإن أنت قضيتها حمدت الله وشكرتك ، وإن لم
تقضها حمدت الله وعذرتك! فقال له علي: خط في الأرض ، فإني أرى الضر عليك! فكتب الأعرابي
على الأرض (إني فقير)! فقال علي: يا قنبر ادفع إليه خلتي الفلانية. فلما أخذها مثل بين يديه فقال:

كسوتني خلة تباي محاسنها فسوف أكسوك من حسن الثا خلا

إن الثناء ليحيي ذكرك صاحبه كالغيث يحيي نداء السهل والجبل

لا تزهد الدهر في عُرفٍ بدأت به فكل عبدٍ سيُجزى بالذي فعلا

فقال علي: يا قنبر أعطه خمسين ديناراً ، أما الحلة فلمسألتك ، وأما الدنانير فلأدبك! سمعت رسول
الله يقول: أنزلوا الناس منازلهم. أما الحطينة وهو أحد شعراء صدر الإسلام فقد غضب مرة على
زوجته ، وأراد أن يهجرها ويسافر ، فقال يخاطبها من على صهوة جواده:

عُدِّي السنين لغيبتني وتصبري ودعي الشهور ، فإنهن قصار

فأجابته على الفور ودمعها يتحدر على خدّها ، وعلى ذات بحره ورويه وقافيته:

أذكر صبابتنا إليك وشوقنا وارحم بنا تيك ، إنهن صغار

فنزل عن جواده وعدل عن السفر ، وما جعله يغدل - كما أظن - إلا الشعر ، لأنه كان على علم بما
سيحل ببنايته إن هو هجرهن. ولعل المنتبي خير شاهد على مسألة التضحية بالنفس للالتزام بما قال
يوماً! فقد كانت قصيدته الميمية وبالأشؤماً عليه والسبب في ذلك أنه عندما خرج عليه بعض
قطاع الطرق بالقرب من بغداد ، ورأى أنه مغلوب فرّ هرباً ، فقال له غلامه: لا يتحدث الناس عنك
بالفرار - خوف الموت - وأنت القائل:

الخيّل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم

فكرّ راجعاً ، وظلّ يقاتل حتى قتل. وهي القصيدة ذاتها التي رماه بسببها سيف الدولة بدواة الحبر.
وفي العصر الحديث: ألم يكن للفراتي تأثير على جماهير دير الزور إبان الاحتلال الفرنسي؟ ألم يجنّ
جنون القائد الفرنسي ويمتعض أشد الامتعاض بعد أن أنشد الفراتي محرّضاً على النضال والثورة
وحاتاً على الجهاد في سبيل الله تعالى -؟ وكانت قصيدته قد استهلها بالمطلع:

انهض ورو العوالي من عداك دما واستنهض السيف والقرطاس والقلم

ماذا على أمة قامت تدافع عن حق لها كان - قبل اليوم - مهتضما؟

وانتشرت القصيدة انتشار النار في الهشيم فراح يرددها الإنسان البسيط قبل المثقف والصغير قبل الكبير. وختاماً: لم يستطع الشعر - وتلك حقيقة - في هذا العصر - عصر الأغنية والرقص والمسلسلات والأفلام - أن يحافظ على القمة التي تبوأها ربحاً من الزمن ، فقد خفت وطأته واشتعلت المفارقات في رأسه فمن تراجع أعداد جمهور الأماسي الشعرية أمام الحفلات الغنائية إلى شهرة الممثل والمطرب والراقص التي تفوق شهرة أعظم شاعر(هـ). وهذا الكلام من الأخ نجم كلام متزن وواقعي! فاليوم لا رابطة تجمع شعراء القيم المؤمنين! ولا هينات تتبنى تراثهم! ولا منظمات تنظر في إنتاجهم الأدبي وتراثهم الضخم! ولا أحد يساعدهم في النشر ولا التوزيع! وحدث ولا حرج عن دور النشر والتوزيع التي تسرق الكتاب وتستأثر بثمنه! حيث تأخذ الكتاب ليدخل في سردايب التوزيع ، ويقول لك أحدهم: والله الكتاب لا سوق له وماذا أصنع ، عليك بالانتظار يا أستاذ! وإن أنت أخذت كتابك لتوزعه بنفسك فقد فتحت على نفسك الناس من أوسع أبوابها! حيث لا رخصة لك ولست مخلولاً! وإن فما الحل؟ إنه لا حل إلا بالصبر والتصبر ، ريثما تنقش هذه الحقبة الرديئة من حقب التاريخ ، تلك التي يمر بها الشعر العربي المعاصر! تذهب هذه الحقبة التي لا قراءة فيها ولا علم ولا اطلاع ولا بحث ولا دراسة ولا نقد بناء! تذهب بكل قيودها وعقابيلها وعراقيلها وطواغيتها! تذهب غير مأسوفٍ عليها ، ولا على أغلب أهلها من الذين تصنع بهم الراقصة ما لا يصنعه ألف كتاب وكتاب! من الذين تأخذهم الأغنية مأخذ شتى ، ولا يأخذهم ألف ديوان شعر وديوان! وعسى الله أن يكون ذلك قريباً! ومن هنا فيكون دور الشاعر المحافظة على شعره وتنقيحه وتحقيقه وعرضه على أولي الاختصاص ، حتى إذا ما أتت حِقبة القراءة والقراء ، وجدوا ذلك الرصيد التراثي الضخم جاهزاً للقراءة واستلهاهم الدروس والعبر والمواعظ! أما أن يُهمل الشاعر ، فلا يفعل شيئاً من ذلك فهذا اعتبره من الإجمام في حق شعره! ذلك أنه كتب لجمهوره من القراء ، ومن هنا صار الشعر في عهدتهم! وذلك حتى يعملوا بما احتواه من الخير وليجتنبوا ما احتواه من الشر! إنني أقول ذلك للشعراء المخلصين من باب الدين النصيحة! وخلاصة القول أنني أخذت بصنيع المسلم الغيور الميسور الذي ساعد الشاعر في نشر قصائده ابتغاء وجه الله تعالى! فكانت فاتحة خير ، وذلك فضل يؤتيه من يشاء ، فسبحان من يقول للشيء كن فيكون وإذا أراد شيئاً هيا أسبابه.)

وقاك ربك عين الحاسد القالي	حتى تَمَتَعْنَا بشعرِكَ الغالي
وقيض الله من يجود محتسباً	وبارك الرب في ذي الطول والنال
لمأراك كسير القلب مبتسباً	تلوك حزنك مثل اليانس السالي
أو كالذي عظمته بأواه في زمن	فيه القريض يُعاني شر إهمال
أتاك ببسط كفّ العون باذلة	مالاً يعين على تحقيق آمال
وإن - للخير - مغواراً يجود به	جوداً سما عن مباحاة وإدلال
واستبشر الشعرُ ، إذ لاح الحبور له	وبات - رغم العنا - في أحسن الحال

واسـتـقبـلـوه بـتـقـدـير وإجـلال
ومـنـه صـاغـوا له رطـيب أمـثال
تـزـين الشـعر فـي حـل وتـرحـال
ما أجـمل القـول - إن وافـى - بأعـمال!
ولـيس يـسـعد - بالأشـعار - كالتـالي
تـعـقـبـتـه بأصـفـادٍ وأغـلال
رـهـيـن عـين الحـقـود الحـاسـد القـالي
يـمـينـه مـن قـريـض طـيب غـالي
مـن البـيـان زهـتٌ فـي كـف لآل!
وبـيـن الدـرب وضاـحا لأجـيال!
وعـومـلت مثـل آثـار وأطـلال
لكـي يـحـسـن مـن وضح وأحـوال!
والبـاخـلون بـنـصـح شـرر بـخال
ويـسـتـمـر لآمـيـادٍ وأجـال
وعـنـه يـرفـع تـهـويـلات أثـقال
فـإن يـطـالع يـزـل عـتـي أهـوال
وبـالمـزاج سـعـيداً هـائـي البـال
مـن الـذـين لـهـم جـزـيـل أفضـال
فـي حـين شـخ الـورى ببـذل أهـوال

رأى الخلائق مَن غابوا ومن حضروا
ورددوه ، ومما ملوا قصائده
وألبسوه - مـن التـكـريم - أسـورة
وترجموه لأعمال تمثلها
يا فرحة الشعر بالقراء مذقرأوا
وعنه زالت عقابيل مقتطرة
فظل - خلف ستار الوهم - منجدلاً
والشاعرُ الفذ يبكي حظ ما كتبت
كم عاش ينقش في ديوانه ذرراً
كم بالقريض دعا لله محتسباً
وذاد عن قيم غابت معالمها
كم من فضائل بين الناس روجها
وناصح الكل ، لم يبخل بعارفة
وقال بالشعر ما يجل سيرته
وجاء ذو الفضل كي يُقيل عثرته
يستعذب الشعر غضاً من منابعه
ومنه يرجع - بالفؤاد - منشرحاً
فجاد بالفضل ، إذ للفضل ساداته
تقبل الله منه المال جاد به

ليلى بنت لكيز

(لا يعنى ضيق ذات اليد أو الأسر أو الفقر أو التضيق أو السجن عند ذوي المروعة والقيم التنازل عن هذه القيم وتلك المروعة . ويكون الأمر أشد عجباً إن صدر مثل ذلك عن امرأه لا عن رجل . هذه المرأة لا ترجو من الله جنة ولا تخاف ناراً ، بل عاشت تعبد الصنم وتحكم أعراف القبيلة وتقاليدها ، واحتفظت بما لدى العرب من قيم وأخلاق ومعايير في زمان الجاهلية. إنها قصة ليلى بنت لكيز ، هذه الشاعرة الجاهلية العفيفة أوردها هنا كما وقعت عليها في كتب التراجم ، وأعلم أن سطور قصتها - كما أوردها أصحاب المغازي والسير والتراجم - أعظم من شعري فيها . لكنني أصِر في كل مرة على وصف شعوري شعراً. فمن هي ليلى بنت لكيز أو ليلى العفيفة كما يلقبونها ، وكأنما قصرت العفة عليها؟ أورد الأستاذ / عبد مهنا في كتابه البديع : (معجم شواعر العرب) أنها ليلى بنت لكيز بن مرة بن أسد من ربيعة بن نزار. وكانت أصغر أولاد لكيز ، فنشأت في حجره ، وبرعت بحكمتها وبفضلها ، وكانت تامة الحُسن كثيرة الأدب ، خطبها كثيرون من سراة العرب منهم عمرو بن ذي صهبان من أبناء ملوك اليمن. وكانت ليلى تكره أن تخرج من قومها ، وتود لو أن أباهم زوجه بالبراق بن روحان ابن عمها وهي تدين بدينه. إلا أنها لم تعص أمر أبيها ، وصانت نفسها عن البراق تعففاً فلقيت بالعفيفة . وكانت في أثناء ذلك حروب بين بني ربيعة وقبائل طيء وقضاعة أبلى فيها البراق بلاء حسناء ، ثم خمدت الحرب ، وأن وقت زفاف ليلى ، فسمع بخبرها ابن لكسرى ملك العجم ، فأراد أن يخطبها لنفسه ، فكمن لقومها في الطريق ، ونقلها إلى فارس ، فبقيت هناك أسيرة ، لا ترضى بزواج إلى أن انتزعها البراق من يد غاصبيها ، واستحق بجدارة أن يتزوج بها. وكانت وفاة ليلى نحو سنة 483هـ. وللليلى العفيفة شعرٌ وجدنا منه لمعاً في كتاب خط ومجموع شعر قديم ، فمنها قولها تودع البراق بأسى وشجن وقد عصفتُ بها لواعج الجوى:

تزوّد بنا زاداً فلّيس براجع إلينا وصالٌ بعد هذا التقاطع
وكفكف بأطراف الوداع تمتعا جفونك من فيض الدموع الهوامع
ألا فاجزني صاعا بصاع كما ترى تصوب عيني حسرة بالمدماع

ولها في مدح البراق وهي ترد على أم الأغر أخت كليب وكان لامتها على جزعها:

أم الأغر دعي ملامك ، واسمعي قولاً يقيناً ، لست عنه بمعزل
براق سيدنا ، وفارس خيلنا وهو المطاعن في مضيق الجحفل
وعماد هذا الحى في مكروهه ومؤملٌ يرجوه كل مؤمل

ولما ضيق عليها العجم ، وضربوها لتقتع بمراد ملكهم ، جعلت تستصرخ بالبراق وبإخوتها الأبطال وتهدد بني أنمار وأياد ، وكانوا وافقوا العجم على سببها أنشدت في ذلك تقول:-

ليبت للبراق عيناً فتري ما أقاسي من بلاءٍ وعنا
يا كليباً يا عُقيلاً إخوتي يا جُنيداً ساعدوني بالبكا
عُذبتُ أختكم يا ويلكم بعذاب النكر صباحاً ومساءً!

إلى أن قالت تحذر قومها العار الذي سوف يلحقهم ، إن لم يهبوا لنجدتها وإنقاذها من الأسر:-

واحدروا العار على أعقابكم وعلّيكم ما بقيتم في السورى

وقيل إن بني ربيعة لما بلغهم قول ليلى هذا ، استفزتهم الحمية وخنقتهم العبرة ، وساروا جميعاً لنصر ليلى ، إلى أن أظفرهم الله بمطوبهم. ومن قول ليلى أيضاً مرثية في ابن عمها غرسان أخي البراق ، وقد بلغها قتله في الحرب:

قد كان بي ما كفى من حزن غرسان والآن قد زاد في همي وأحزاني
ما حال براق من بعدي ومعشرنا ووالدي وأعمامي وإخواني
قد حال دوني - يا براق - مجتهداً من النوائب جهد ليس بالفاني
كيف الدخول وكيف الوصل؟ وأسفا هيهات ما خلّت هذا وقت إمكان

ولو علمتُ حقاً أن ليلى بنت لكيز كانت مسلمة لترحمتُ عليها. لقد عاشت عفيفة وماتت عام 483م عفيفة محصنة. ولست أمدح الجاهلية ولا الجاهليين من الذين فسدت عقيدتهم قديماً ولا حديثاً. ولا أشك في كفرهم وقد عبدوا غير الله ولا أصح مذهبهم ، ولكن أمدح الخلق الذي كانوا عليه والذي يوافق الإسلام. كما قال نبينا لسفانة بنت حاتم الطائي عن أبيها: لو كان أبوك مسلماً لترحمنا عليه. هذا على فرض صحة الحديث طبعاً! حيث قال يخاطب صحابته عن الأسيرة سفانة ابنة حاتم الطائي وذلك قبل إسلامها: إن رأيتم أن تعتقوها ، فإن أباهما كان يحب مكارم الأخلاق. أقول بأن المانع من ترحمي على ليلى بنت لكيز هو ذات المانع الذي منع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من أن يترحم على حاتم الطائي. وإن فنبينا - صلى الله عليه وسلم - يوم مدح أخلاق حاتم الطائي لم يكن يشك في تكفير حاتم ولم يكن - صلوات ربي وسلامه عليه - يصحح مذهب حاتم ، وحاشاه - صلى الله عليه وسلم - أن يفعل مثل هذا! لكنني هنا أقدم الدليل على أننا يجب أن نعدل ، ولو كنا نتحدث عن الكفار الذين يخالفوننا في المذهب والعقيدة. فلا يعني كفرهم عندنا أن نهضمهم حقهم في الثناء على حكمة قالوها أو أخلاق تخلقوا بها يُقرها دين الله الإسلام كتاباً وسنة. فرق بين استحسان ما عند الكفار والثناء عليه رغم مخالفته الصريحة للإسلام ، وبين الذي أقول به في ثنائي على ليلى بنت لكيز بوصفها عفيفة محصنة من عفيفات العرب في الجاهلية ، ترفض مخدع ابن كسر ملك فارس بما يحتوي من مجوهرات وماشابه ، وترفض أن تكون محظية كسروية يكون لها قولها الفصل في أمر المملكة ، وتظل على قيم العرب وأخلاقها حتى تعود إلى ديار قومها شريفة عفيفة

محصنة لم يمسهها سوء لأنها ليست بغياً مسافحة! إن الكرامة تأبى لذوي القيم أن يتنازلوا عن مبادئهم وقيمهم وكرامتهم من أجل عرض من الدنيا قليل أو كثير! وكم يساوم أصحاب البطش والجبروت وأصحاب الأموال والثروات أصحاب القيم والمبادئ ، فلا يتنازلون لهم عن أي قيمة أو مبدأ! إن أصحاب القيم والمبادئ يعلمون علم اليقين أن قيمهم ومبادئهم سوف تعيش بعدهم! وإنما هي في حياتهم كما قال صاحب الظلال أشبه ما تكون بعرائس من الشمع لا حياة فيها ولا نبض يحركها يمناً أو يسرة! حتى إذا ما مات أهل القيم والمبادئ في سبيل قيمهم ومبادئهم دبت الروح في قيمهم ومبادئهم لتستأنف الحياة بعد موت أصحابها! لقد كان موت الأحرار في سبيل حريتهم - حياة نابضة لتك الحريات! ووالله لقد كان! ماذا كانت المعالم والظلال والخصائص والمقومات في حياة صاحبها؟ مجرد قراءات واعية يقرأها البعض ويخاف أن يقرأها البعض! ولكن عندما رواها كاتبها بدمه دبت فيها الحياة! وها هي اليوم تترجم لشتى لغات أهل الأرض ، وتنتشر في كل مكان انتشار النار في الهشيم كما تقول العرب ، ويستمتع بقراءتها والعمل بمقتضاها جمهور غفير!

قلب العفيفة قد غلا كالمرجل	لما أراد العليج وطء العُطْبُلِ
هي لا تحب العار يستبق الخطا	يوماً إليها ، بالمصير الأردل
إن التحلل والسقوط مذمومة	تأباه ذات الأصل والقدر العلي
هي لا تسافح ، فالعفاف سبيلها	هي لا تخادن ، شأن من لم تنبل
عرفت - بكل فضيلة - في قومها	وبأي خل عاشق لا تختلي
عفت ، فألبست العفاف عباءة	مثل النساء المحصنات الكمل
والله آتاهما الجمال تكرمها	سبحان من بعبائة كم بيتلي!
وترعرعت في حِضن والدها الذي	ربى الفتاة على الإباء الأمثل
وتفردت - في الشعر - حربتها التي	كم تسعين بها لطعن العذل!
وتحسث أقواماً على أن ينهضوا	كيلاً يُصابوا عاجلاً في مقتل
وتذود عن عرض ، وتنشر قيمة	وتوجه الأشعار نحو الأفضل
لم تتخذ شعر التبذل منهجاً	كلا ، ولم تتغن بالحب الخلي
بل سخرت أشعارها لقضية	شهباء تنظر في سنا المستقبل

(إيلى) حايأته بأسعد منزل
منها موافقة بكل تبتل
يقبل ، وبالبراق لا لم يقبل
وهي التي - بحبيها - لم تعدل
بين القبائل في اليباب الممحل
جاءت (قضاة) تزدهي في جفيل
وبما أعد خصومه لم يحفل
حتى النهاية صائلاً لم يرحل
كي يطلبوا (إيلى) من العم الولي
وأتى ابن كسرى هامساً في معزل
تختال في أعلى الجواهر والخلي
ويقول: (إيلى) للخبيب الأول
فيم التخرص بالهراء المبطل؟
حتى يفوز بغادة وبمامل
بالسيف يبرق في عجاج القسطل
ونليلة في جنح ليل أيل
بين الجنادل والقرى والأجبل
ويبيت بالنار الرهيبة يصطل
أسرت ، وطعم ورحيلها كالحنظل؟
بين الأعاجم ، مثل كم مهمل

وتقدم السادات كل يشتهي
حتى (ابن ذي صهبان) جاء مؤملاً
لكن (لكيز) رد من خطبوا ، ولم
وتعفت (إيلى) ، وصانت نفسها
وتوهجت نار الحروب ، وسُمرت
فبنو ربيعة أشعلوا الهيجا ، لذا
واستبسل (البراق) في ساح الوغى
حتى إذا رحلوا استمر منافحاً
وتقدم (البراق) في أهل له
واليوم وافق ، والشروط تحددت
ويريد (إيلى) زوجة ومليكة
أما (لكيز) فاستشاط مزجراً
هي لابن عم نعله بغريمه
فاغتاظ (كسرى) لانذاً بمكيدة
فبغى عليهم ، واستباح أسيره
واقادها نحو الدير كسيرة
ومدامع البراق تبكي من سرت
وفواده لفراقها يشكو الجوى
ماذا سيفعل يا ترى لحبيبة
في (فارس) تجتر ألوان الشقا

كمدأ ، وقلبُ الصب مثلُ المرجل
يا ويح قلب بالدغاول مثقل!
وسط الغلوج ، وماله من مؤئل!
والعذر - يا بنت العمومة - فاقبلي!
ولسوف يأتي النصر ، لا تتعجلي
أنشدت من شعر كشودو البابل
ومروعة في قلب كل مُبجل
قبل التفوق في الحضيض الأسفل
من أن تُجر على الحصى والجِرول
ممن بأيديهم سلال الجندل
فتقول: لا ، وتسوق لفظ توسل
فيعيد كرتيه بكل تجمل
فارجع عن العزلى ، ولا تنذل
أو أن أرد إلى الديار ، فأجمل
من كل منطلق العزيمة مكمل
في دارها ، محبورة في محفل
ليرد فضلى دون أي تبذل
وبرغم أنف المجرم المتقول
باؤوا بحال مُكفهر مُحثّل!

ويموت في أرض (الجزيرة) عاشق
قلبان: قلب مثقل بهمومه
وسواه يزدرد العنا في غربة
(ليلى) افتدك من القبائل سادة
هذا هو (البراق) يشحد سيفه
وقبائل الأعراب ألماها الذي
يستتشد الهمم العلية نحوه
لتخلص العرض المنيع من الغثا
لتمد كَف العون ، تنتشل ابنة
وترد عنها الرجم قد وُعدت به
وتصد عنه من يراود عامداً
(كسرى) يراود ، والعفيفة تشتكي
فتقول (ليلى): القتل أهون عندنا
أنت المخير بين قتلي عيلة
(ليلى) أتشك من الديار كتائب
لثغيث أنسة لتكمل عرسها
والفارس (البراق) يختصر المدى
وأعدك الأبطال بعد معارك
وتزوج (البراق) (ليلى) ، والعدا

تقريظ كتاب (الحكمة في الشعر العربي)

للفنان السوري الأستاذ / عبد اللطيف هاشم

(أطلعنى الفنان التشكيلي اليمني الأستاذ عبد اللطيف الحكيمي على كتاب (الحكمة في الشعر العربي) لصاحبه الفنان التشكيلي السوري المشهور الأستاذ عبد اللطيف هاشم. فألفيتُ الكتاب مجموعة من القصائد والمختارات الشعرية لمختلف الشعراء ، بما فيهم بعض قصائد للأستاذ / عبد اللطيف هاشم في مختلف الموضوعات. وكانت قد رسمتُ ونقشتُ بريشة الفنان ذاته ، فما أن أتممتُ دراسة وقراءة الكتاب ، حتى ألهمت مطلع هذه القصيدة إلهاماً ، في تقريظ الكتاب ومدح صاحبه ، على اختياراته وإبداعاته ورسمه للأبيات الشعرية بهذا النسق الجميل. وذلك على البحر البسيط وقافية القاف المرفوعة كما يهوى هو ويصف نفسه بأبيات حلوة صاغها في وصف ذاته وخطوطه ورسوماته ، وهذه الأبيات الأربعة من شعر الخطاط المبدع الفنان عبد اللطيف هاشم نفسه يقول مادحاً نفسه ومثيلاً عليها يذكرنا بالبحثري عندما كان يفتقد من يمتدح شعره:

الفن أنت ، ومن كفيك ينبثقُ لَمَّا تَمَثَّلَ فِيكَ الحُسْنُ والألْقُ
مازلت أبحث عن ذاتي وفي وطني حتى تفتح زهرُ الفل والحبق
يا صاحب الفن ، نعم الفن تبذعة أنت الجواهر ، والدانات ، والورق
أعتق فؤادي من زنانيةٍ أسرتُ كل المشاعر في صدري لمن سرقوا!

وكان خطاطنا الشاعر أو شاعرنا الخطاط قد أورد هذه الأبيات الظريفة في كتابه (الحكمة في الشعر العربي) ص (264) ، مؤثراً قافية الحاء والبحر البسيط ، فاخترتُ قصيدة التقريظ على ذات القافية وذات البحر مؤثراً ما أثره الأستاذ. والحقيقة أن كتاب الأستاذ عبد اللطيف هاشم يستحق الكثير ، لما حوى من حكم ومواعظ ومختارات من هنا وهناك ومن القديم والحديث ، وقد عزا الأستاذ أغلب الأشعار والحكم إلى أصحابها ، وقام بدور ريادي كبير في تقديم الحكم والمواعظ النثرية والشعرية في قالب خطي بديع ، وكأنه يقول لنا: إن كان أصحاب هذه الحكم والمواعظ النثرية والشعرية قد أبدعوا في تأليفها ونظمها والتغني بها ، فقد أبدعتُ في رسمها بهذا الخط وبهذا النسق الجميل ، وبهذا أكون قد أضفتُ إلى إبداعها الفذ - الكامن فيما تحتويه من جمال فني في الصياغة والمعنى والإيحاء - إبداعاً آخر في النقش والرسم والزخرفة ، فأحاط بها الجمال من كل جانب إحاطة السوار بالمعصم كما يقولون! وأنا بدوري شكرتُ للأستاذ / عبد اللطيف الحكيمي الفنان التشكيلي اليمني إهدائي كتاب الأستاذ / عبد اللطيف هاشم الفنان التشكيلي والخطاط المبدع. وكان هذا التقريظ الذي صغته شعراً ترجمة شعرية على مدى إعجابي بالكتاب وشخص من كتبه وخطه بيمينه. ألا إن ذلك الخط ليفوق في نسقه وجماله حواسيب الأرض ومطابع الدنيا ما علمنا منها وما لم نعلم ، فسبحان من وهب الهاشم هذه النعم الإبداعية ، سواء نعمة الخط والرسم والزخرفة ، أو نعمة التذوق الفني للنصوص التي اختارها نظماً أو شعراً ، أو نعمة كتابة الشعر والمشاركة في

رصيد الإنسانية من الكتابة والتأليف. وفي حوار أجري مع الأستاذ عبد اللطيف هاشم بعنوان: "عبد اللطيف هاشم" مؤرخاً للحرف العربي. أجرى ذلك الحوار معه روشاك أحمد في يوم الثلاثاء 8 أيلول 2009م ، جاء فيه: (طالما حمل الفن التشكيلي قضايا الإنسان والأمة. وما أكثر التجارب الصادقة التي تثبت هذه الحقيقة! في قرية "بقين" بريف دمشق التقينا ابنها المغترب "عبد اللطيف هاشم" فنان تشكيلي وباحث في شكل الحرف العربي. خلال زيارته لقرية "بقين" التقى الفنان التشكيلي "عبد اللطيف هاشم" ، ليأخذنا بذاكرته في جولة سريعة كانت بدايتها عقب تخرجه مباشرة: يقول هاشم: «درستُ الفنون الجميلة عن هواية ورغبة ، تخرجت عام 1982م. على نظام الخمس سنوات من قسم "الإعلان والفنون الزخرفية". وكنتُ من الطلبة الأوائل ، وعملت في سلك التدريس وكنت مسؤول الفنون على مستوى المحافظة ، وانتُدبت لتغيير المناهج في سورية ، كما كنت عضواً في لجنة تدريس البرامج التعليمية ببرنامج بث مباشر على التلفزيون السوري ، واشتركتُ في برنامج عن رحلة الكتابة العربية ، من ثم سافرت إلى "الكويت" عام 1989م ، وصممت برنامج الخط العربي على كمبيوتر "صخر" بكل أشكال الخطوط العربية». وفي "دبي" نشرت بعض المقالات الرائعة والأبحاث الفنية عن الفن العربي "الأبستراكت آرت" الفن التجريدي. وقد وصلت بالفن العربي والتجريدي إلى مرحلة جيدة ومتطورة عن بدايتي ، فالفنان عليه أن يكون باحثاً. وكنت قد قدمت خلال عام 2005-2006م كتاباً اسمه "الحكمة في الشعر العربي" ، وهو يضم أربعة آلاف بيت من الشعر حفظتهم وكتبتهم بخطي حسب ما صممته من أحرف وعملت لهم "موتيف"». عرض لنا "عبد اللطيف" بعضاً من أعماله الموجودة في منزله المهجور إلا صيفاً ، وأثناء ذلك حدثنا مشيراً إليها: «لديّ عدد هائل من اللوحات ، وفي كل أعماله أروح بأني مؤمن بفكرة الرومانسية أو الذاتية ، فكل شيء أعزوه إلى داخلي ، وأرى أن الفن نوع من أنواع العذاب ، فالفن عطاء وهناك ربط بين الفن والعذاب! "عبد اللطيف" يحمل همه وأبحاثه ويخبرنا: «بحثي موجه إلى كل إنسان يتكلم العربية ، وسيدنا "محمد" - صلى الله عليه وسلم - كان عربياً ، ولغة أهل الجنة هي العربية ، والقرآن الكريم قرئ وكُتب بالعربية ، أنا اعتر بعروبي بعد إسلامي ، وأتمنى أن أوصل هذا الحرف العربي إلى العالم ، وأملني كبير في أن أشعل عود ثقاب في ليلة ظلماء»). هـ. نفع الله بك وبفنك وبخطوطك يا ابن الهاشم! وجعل الله ذلك كله في طاعته!

أبدعت - في الرسم - إبداعاً له ألقُ	ويلمسُ الفنَّ إنسانٌ له أفقُ
واختارت ترجملةً لما تحبُّرُه	مِن الخطوط لها - في رسمها - عبق
بريشةٍ سمقت عن كل سفسطةٍ	حتى استكان لها العلوّ والسَّمق
وللمداد - على القرطاس - رونقه	ورسمُ خطك يخبو ، ثم يتألق
سبا العيون جمال اللون في وضج!	بُنْي حَرْفٍ زها وأبيض يقق
صحائفٌ تحتوي فناً وفلسفة	يشع - من نورها - السرور والأنق

فيها - من الدر - ما اهتاج البريق به
رَقِمَتْ فِيهَا الْقَرِيضَ الْعَذْبَ مَزْدَهِيًّا
سَبَانُكَ الْمَاسَ ، أَوْ عَقِيَانُ غَانِيَةً
أَرَعَفْتَ يَا صَاحِ أَقْلَامًا عَلَى وَرَقٍ
فِيهَا الزَّخَارِفُ كَالْخِيْلَانِ إِذْ غَمَرْتَ
(عَبْدَ اللَّطِيفِ) مَشَقَّتِ الْخَطَّ مُحْتَرَفًا
وَقَدْ تُقْرَمَطُهُ حِينَئِذَا لَتَدْمِجُهُ
كَأَنَّمَا اخْتَرْتَ عَنْ عِلْمِ مَرَاقِمِهِ
أَجَدْتَ كُلَّ فَنُونِ الْخَطِّ قَاطِبَةً
الْفَنِ أَنْتَ ، وَجَلَّ النَّاسُ قَدْ شَهَدُوا
وَفِي الْكِتَابِ دَلِيلٌ لَيْسَ يُنْكَرُهُ
أَيُّ مَنْ الْحِكْمَ الْعَصْمَاءُ قَدْ رُصِدَتْ
تَزِينُهُنَّ خَطُّوهُ لَا تُضَارِعُهَا
فَسِيفِ سَاءَ يَسِرُّ الْقَلْبَ مِنْظَرُهَا
وَلَوْ تَرَى الْخَطَّ: هَذَا (رُقْعَةٌ) رُقِمَتْ
وَذَاكَ (نَسَخٌ) لَهُ حُسْنٌ يَدُلُّ بِهِ
وَالظِّلُّ وَالضُّوْعُ قَدْ زَانَا طَلَاوَتَهُ
وَذَاكَ (أَنْدَلَسِيٌّ) طَبَابِ رَوْنَقِهِ
وَلَوْ تَرَى خَطَّهُ (الْكَوْفِيَّ) مُسْتَطْرًّا
وَقَدْ يَمْتَعِنَا بِبَاقِيَةِ (ثَلَاثِ)

والدُرُّ إِنْ سَطَعَ الضَّحَى لَهُ أَلْقُ
يَفْوُحُ مِنْهُ السُّنَا وَالسُّعْدُ وَالشُّمُقُ
أَوْ عَقْدُ حَسَنَاءَ يُبْدِي حُسْنَ الْغُنُقِ
فَاسْتَشْرَبَ الْفَنَّ مِنْ سَلْسَالِهَا الْوَرَقِ
وَجَوْهَ غَيْدٍ عَنَتٍ لَمَنْ بِهِ شَبِقُ
وَكَمْ تُسَرُّ بِمَا مَشَقَّتَهُ الْحِدَقُ!
دَمِجَ الَّذِي يُسْرِعُ الْخَطَّ ، وَيَسْتَبِقُ
فَأَصْبَحَتْ وَلَهَا فِي النَّسَخِ مُنْطَلَقُ
بِدَقَّةٍ ضَمَّتْهَا فِي سِفْرِكُمْ نَسَقُ
وَلِلشُّهَادَةِ قَوْمٌ - بَيْنَنَا - صُدُقُ
إِلَّا الَّذِينَ - بِمَا صَوَّرْتَهُ - شَرِقُوا
مَعِينَهَا الْقِيَمُ الزَّهْرَاءُ وَالْخَالِقُ
خَطُّوهُ قَوْمٌ ، وَإِنْ سَطَّوْا وَإِنْ سَرِقُوا
أَوْ الْيَوَاقِيْتُ يَحْسُو ضَوْعَهَا الْوَرَقُ
حُرُوفِهِ ، وَعَلَيْهَا الْوَرْدُ وَالْحَبَقُ
فِي رُقْعَةٍ عَذْبَتْ ، كَأَنَّهَا السَّرَقُ
حَرْفٌ سَوَادٌ ، وَحَرْفٌ أَبْيَضٌ يَلِقُ
أَضْحَى يُعِيدُ لَنَا ذِكْرِي الْأَلَى سَبَقُوا
كَالْبَدْرِ يَظْهَرُ فِي السَّمَاءِ ، وَيَتَسَقُ
فَلَا يَزْهَدُنَا ضَيْقٌ وَلَا قَلَقُ

(والفارسيّ) على الأطراس شمس ضحى
هذي الخطوط رياضٌ يُستلذ بها
(عبد اللطيف) له في الخط مدرسة
كتابه يُخرسُ العذال أجمعهم
مَحَجَّة سَطَعَتْ فِي وَجْهِهِ مُنْتَفِع
وَحُجَّة نَشَرَتْ نُوراً أَدْلَتْهَا
يا جاهلون بما للخط من أسس
لم تدرسوا الخط كي تُفتوا ، فذا خبل
(عبد اللطيف) إلى الأمام يا بطلاً
الفن أنت ، فَعْتَقَ عِطْرَ جُؤنْتِه
مازلت تبحث عن ذاتٍ وعن وطن
يا صاحب الفن ، طَوْعَ فَنٍ ذِي قِيمٍ
بخطك العذب أطرب كل مبتس
أطلق فؤاداً أسيراً رهناً كربتته
أهديك شعري أغاريداً أجودُ بها
من الفؤاد - إلى الفؤاد - خالصة
وصفتُ بالشعر ما قد دار في خلدي
كتابك الفذ أغراني بزخرفةٍ
لذاك دونتُ تقريظي على عجل
يا رب بارك كتاباً كم حوى حكماً!

يفرّ - من ضوئها - الديدجور والغسق
فيها الزهور ، سرى - من بينها - الغدق
عن كل من خط - باليراع - تفترق
ويستهين بمن عليه كم حقاوا!
طغى - على فكره - الإفلاسُ والخرق
أمام خب غوى ، في عقلة نزق!
خط (ابن هاشم) - وايمُ الله - مؤتلق
يُجيدُه - اليومَ - من هواهم - اعتقوا
ولا يصدك من - بالباطل - احترقوا
كما يفوخ الشذى في الجوّ والعَبَق
الفن دارٌ لكم ، ونعم مرتفق!
لنصرة الحق أنت الواعظ الذلق
إن الحبور - من اللوحات - ينبثق
حتى غدا من لظى الأصفاد يحترق
بكل صدق ، فما من طبعي الملق
إذ ليس مثلي الذي بالشعر يرتزق
شأن الذين إذا ما حدثوا صدقوا
إني - بكل الذي سجّلته - أثق
وليس بالقلب - من تدوينه - أرق
واجعله كالسيف - في الهيجاء - يمتشق

درس لكل ناشئ

(إنها قصة المرأة التي أوردتها صاحب مجالس النساء ص 73 الأستاذ عبد الرحيم عطا الله المحمدي. يحكى أن امرأة كانت تعيش في خلاف تام مع زوجها. فذهبت ذات يوم إلى صديقة لها ، وشرحت لها حالها السيئ مع زوجها ، عندئذ نصحتها الصديقة أن تذهب إلى عراف (ولا يجوز الذهاب إلى العرافين شرعاً ، لعموم قول رسول الله – صلى الله عليه وسلم :- "من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول ، فقد كفر بما أنزل على محمد". وقوله – صلى الله عليه وسلم :- " من أتى عرافاً فسأله عن شيء ، لم تقبل له صلاة أربعين ليلة". زاعمة تلك الجاهلة السفیهة أن هذا العراف يستطيع أن يبعد عن بيتها تلك الخلافات ، ويعيد العلاقات مع زوجها على ما يرام. فذهبت المرأة إلى العراف ، وعرضت عليه مشكلتها ، و(لعب بها ووصف الوصفات وادعى علم الغيب ونهب المال وسلب العقل!) ووعدها أن يساعدها أكثر على شرط ، أن تحضر له ثلاث شعرات من جسد أسد. وخرجت المرأة من عنده ، وهي تفكر في وسيلة تحضر بها الثلاث شعرات من جسم الأسد ، فأخذت حَمَلاً ، وراحت إلى الغابة ، وعندما هجم عليها الأسد ، رمت بالحمل فأخذ يلتهمه ، وانصرف عنها. وأخذت المرأة تفعل هذا الفعل كل يوم ، حتى ألفها الأسد ، وأصبح يقترب منها في ود. وذات يوم ربت المرأة على ظهر الأسد ، فوجدت نفسها قابضة على ثلاث شعرات من لبدته ، فأخذتها على الفور ، وذهبت إلى العراف ، فلما رأى العراف الشعرات الثلاث ، قال لها: إذا كنت استطعت أن تروّضي الأسد ، ألا تستطيعين أن تروّضي زوجك؟ والله أعلم بمدى صحة هذه القصة ، والأصل أنه لا يهمننا إن كانت قد حدثت أم لا ، فلنا العبرة منها. ولعل النساء الناشئ يستفدن منها. وجاء في كشف الشبهات لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب محققاً تعليقاً على هذين الحديثين ما نصه: (قال الخطابي: "الكاهن هو الذي يدعي مطالعة علم الغيب ويخبر الناس عن الكوائن...وكان منهم من يسمّى عرافاً ، وهو الذي يزعم أنه يعرف الأمور بمقدمات أسباب يستدل بها على مواقعها! كالشيء يسرق فيعرف المظنون به السرقة"[معالم السنن]. وقال عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ: "وأكثر ما يقع في هذه الأمة ما يخبر به الجن أولياءهم من الإنس عن الأشياء الغائبة بما يقع في الأرض من الأخبار فيظنّه الجاهل كشافاً وكرامة ، وقد اغترّ بذلك كثير من الناس، يظنون المخبر لهم بذلك عن الجن ولياً لله ، وهو من أولياء الشيطان"[فتح المجيد]. قال الشيخ سليمان آل الشيخ: "وظاهر الحديث[من أتى عرافاً..] أنّ هذا الوعيد مرتّب على مجيبه وسؤاله ، سواء صدّقه أو شكّ في خبره ، لأن إتيان الكهان منهي عنه كما في حديث معاوية بن الحكم السلمي قلت: يا رسول الله إن منا رجالاً يأتون الكهان. قال: (فلا تأتهم) [أخرجه مسلم في كتاب المساجد] ، ولأنه إذا شكّ في خبره فقد شكّ في أنّه لا يعلم الغيب ، وذلك موجب للوعيد ، بل يجب عليه أن يقطع ويعتقد أنه لا يعلم الغيب إلا الله". [تيسير العزيز الحميد]. وقال الشيخ أيضاً: "وظاهر الحديث أنه يكفر متى اعتقد صدقه بأي وجه كان لا اعتقاده أنه يعلم الغيب ، وسواء كان ذلك من قبل الشياطين ، أو من قبل الإلهام ، لا سيما وغالب الكهان في وقت النبوة إنما كانوا يأخذون عن الشياطين". [تيسير العزيز الحميد]. وقال عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ: "وهل الكفر في هذا الموضوع كفر دون كفر ، فلا ينقل عن الملة ، أم يتوقف فيه ، فلا يقال: يخرج عن الملة ولا يخرج؟ وهذا أشهر الروايتين عن أحمد رحمه الله تعالى." [فتح المجيد]. وقال ابن قاسم: "الأحاديث التي

فيها الكفر مقبلة بتصديقه" [حاشية كتاب التوحيد]. وقال ابن عثيمين: "وظاهر الحديث أن مجرد سؤاله يوجب عدم قبول صلاته أربعين يوماً ، ولكنه ليس على إطلاقه ، فسؤال العراف ونحوه ينقسم إلى أقسام: * القسم الأول: أن يسأله سؤالاً مجرداً فهذا حرام ، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (من أتى عرافاً...) إلخ ، فإثبات العقوبة على سؤاله يدل على تحريمه ، إذ لا عقوبة إلا على محرّم. * القسم الثاني: أن يسأله فيصدق ، ويعتبر قوله ، فهذا كفر ، لأن تصديقه في علم الغيب تكذيب للقرآن. * القسم الثالث: أن يسأله ليختبره: هل هو صادق أو كاذب؟ لا لأجل أن يأخذ بقوله ، فهذا لا بأس به ، ولا يدخل في الحديث. * القسم الرابع: أن يسأله ليظهر عجزه وكذبه ، فيمتحنه في أمور ، وهذا قد يكون واجباً أو مطلوباً". [القول المفيد]. وقال ابن عثيمين أيضاً: "قوله: (كفر بما أنزل على محمد) معناه: أن ما أنزل على محمد قال الله تعالى فيه: {قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ} ، وهذا من أقوى طرق الحصر ، لأن فيه النفي والإثبات ، فالذي يصدق الكاهن في علم الغيب ، وهو يعلم أنه لا يعلم الغيب إلا الله ، فهو كافر ككفر أكبر مخرجاً عن الملة ، وإن كان جاهلاً ولا يعتقد أن القرآن فيه كذب فكفره كفر دون كفر". هـ. على أن عراف قصيدتنا زكي! وأراه صدق وهو الكذوب! وبهذه المناسبة أنشدت من شعري في هذا الخصوص أقول:

أعجبتهما نصيحة العراف	فاستجابت بكل قلب صاف
واستكانت - له - بكل انكسار	واستعزت بالاحترام الضافي
واستساغت أقواله دون شك	إذ أتت بالإنقاذ والإسعاف
وارتأت - في تخريفه - ما تمننت	من قبيل الفتوى بالاستخفاف
سألتها عما تُعاني ، وتلقى	من حليل في غاية الإجحاف
لا يُقيم وزناً لـدين بتاتاً	بل يضيق ذرعاً به ، ويُجافي
واللسان - من كل خير - برىء	فالسباب واللعن كالأسياف
واليدان - في البطش بالأهل ظلماً -	حربتا غازٍ واضح الأهداف
والحياة - يا ويلتاه - جحيم	والمعاش مثل النقيع الزعاف
فأجاب العراف: لؤذي بليث	وانتفي الشعر دونما إسراف
لا تزيدي عن الثلاث ، وغودي	كى تري أسرار الدواع الشافي
وأبيت الضرغام دون احتراز	من لقاء من شأنه أن تخافي

كيف تُهدَى الآسأدُ بعضَ خِرافٍ؟
واحتفلتِ - في المُلتقى - بالتصافي
ونتفتِ الشِعراتِ دون ارتجاف
إذ - لديه - الخُلوُ بالآلاف
عقبِريّ الألفاظِ والأوصاف
كي تعود للمستعان الكافي
كاسراً يحيى في بعيد فياف
كم حليل ينقادُ باستعطاف!
نافضاً كفاً من سلوكِ جاف!
عاش يرجو بعضَ الحنانِ الدافي!
ثم أضحي كالروضَةِ المناف!
ويُزَكّي نارَ العَدا والتجافي
واقصدتِ في غير ما إسراف
وامتثلتِ الطاعاتِ باستغاف
واقفيتِ - حُباً - خطا الأسلاف
واحترافُ النشوزِ أخزى احتراف
مُنتهاهِ الإتيانُ للعراف
هاتفاً بالتدجيلِ أعتى هتاف
مَن يُداوي الأمراضِ غيرُ الكافي؟

واشتريتِ لليثِ أصبى خروفي
واحتملتِ اللقَاءَ فيه المنايا
ثم راودتِ الليثِ ، يا للتحدي!
ثم جئتِ العرَافَ دون اصطبار
فإذا بالعرَافِ يرمي بصخر
علّ بلها تُلقى الهوى خلفَ ظهر
إن تكوني روضتِ ليثاً هصوراً
فالحليلُ المسكينِ أولى بعطفِ
كم يلينُ بالرفقِ زوجَ شقيّ
كم يرقّ باللينِ زوجَ عتيّ
كم بُييتِ أقامه حبِ فضلي
والنشوزِ يغتالِ أحلى صفاءِ
لو أطعتِ وانصعتِ للزوجِ حُباً
لو تبعتِ الإسلامَ هدياً وسَمَتاً
لو عملتِ بالشرعِ في كلِ أمر
ما احترفتِ النشوزِ يُودي ببيتِ
ولمّا أغراكِ الغرورُ بكيدِ
يدّعي علمَ الغيبِ في كلِ شأن
مَن سِوى ربي يعلمُ الغيبُ؟ قولي!

وصية أب حكيم

(أوصى أب حكيم ابنه مجموعة من الوصايا ، فصغتها شعراً من البحر المتقارب وقافية الراء الساكنة ، وقد قام المنشد الإماراتي المحترم الأستاذ / إبراهيم بن صالح الهاجري – حفظه الله – بإنشادها ضمن مجموعته الإنشادية الأولى: (رسول الله) ، والتي صدرت أخيراً في دبي. وقد أعلمني بإعجابه بالقصيدتين: (الوصايا – رسول الله) واللتين هما من شعري ، كما أنه استأذني في إنشادهما بدون استخدام الموسيقى. وقام بإجزال العطاء لي ، فأكرمه الله كما أكرمني. وإنني أشكر له صنيعه هذا. وأسأل الله أن يُخلف عليه. وأشير هنا إلى أن الرجل التزم النص فلم يُغير ولم يبدل كما أنه سجل اسم الشاعر كاملاً على الأسطوانة. ولم يكن كالمنشدين الناحلين الذين يسطون على الأشعار فلا يستأذنون أصحابها. ويغيرون النص على غير مراد صاحبه. كما أنهم يزيدون حبات الطين بلة عندما لا يكتبون اسم الشاعر على غلاف الشريط أو يكتبونه مُحرفاً مَبْتوراً. كما حدث لقصدتنا (عطر الجوى) التي أنشدها أحمد أبو خاطر فغيّر العنوان إلى: (نسيم الشوق) ليس هذا فقط! بل قدّم وأخر في الأبيات على هواه أو على هوى الناقل الذي أعدّها له إعداداً مختلفاً تماماً! ليس هذا فقط ، بل كتب على الغلاف هناك في أسطوانة (دعني) اسم الشاعر مُحرفاً لدرجة أنه يتبادر إلى الأذهان أنه يختلف عن اسم شاعرها الأصلي! فبدلاً من أن يكتب اسم الشاعر: (أحمد علي سليمان عبد الرحيم) وهذا حقي الأدبي والأخلاقي والشرعي! مادمت قد كتبتها فعلاً ، وصدرت لي في ديوان اسمه: (نهاية الطريق) برقم إيداع بفسح طباعي وإفراج بالتداول صادر من وزارة الإعلام بدبي! وعندما علمتُ بذلك اتصلتُ به مباشرة ، وأخذ يمتدح القصيدة وشاعرها! فقلتُ له: ما لهذا اتصلتُ بك! إنما أردتُ حقي! فإذا به يقول: أنا أعطي أي شاعر ألف درهم على أي قصيدة! فقلتُ له مُستهجناً ألفه ثمناً لإنشاد القصيدة: حظك أنك منشد إسلامي ، وأقسمتُ له أنه لو كان من المُغنيين الجاهليين المعاصرين لما تركتُ الأمر هكذا أبداً! وقلتُ له مُشفقاً حيث بدا لي أنني أخرجته: لا بأس اعتبر هذا أول عمل بيننا واجعله على سبيل الهدية أو عربون التعامل - بهذا التعبير - بشرط أن تأخذ غيرها من القصائد وتنشد ، وساعتها نتفق كما أتفق مع الهاجري! فوعدني وأشهد الله أنه سيفعل ومن يومها من عام 2006م إلى يومنا هذا وأبو خاطر لم يسمع لي صوتاً ولم أسمع له صوتاً! هل هذا هو التعامل؟ وهل هذه هي الأخلاق؟ وليس الأمر من حاجة وعوز! فالرجل ميسور وذو غنى لا أطمع فيه بل أريد حقي منه! وإذن فالأمر على علته ، بمعنى أنه مادام لم يأخذ من شعري ما يعوّض به (نسيم الشوق) فيكون قد سلب حق سماحي له في إنشادها! وعند الله يا عم أبو خاطر تجتمع الخصوم! والحق بين الناس لا يسقط بالتقادم ولا يكون فلان ذا وجهة عن علان! ولقائي بك عند الله! وقد أسأت لي ولشعري ، ومن أراد أن يدرك ذلك فليعد إلى نص القصيدة الأصلي في: (نهاية الطريق)! لكن إبراهيم الهاجري جزاه الله خيراً أنه لم يقع في هذه المنعطفات السيئة المسيئة! بل استأذن وأعطى الذي عليه بالتراضي! وأما قصيدة الوصايا والتي هي مجموعة من الأوامر والإرشادات من أب ينصح لولده ، فقلتُ فيها:

بُنِيَ اسْتَمِعْ لِلْكَلامِ العَطْرِ

وَأَنْصِتْ لِسِحْرِ البَيانِ النَّضْرِ

وصايا تزيّدك بين الوورى

سُموأ ، فتمسّي بها تفتخر

وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَهَاوِي الضَّرَرِ
عَلَيْهِ ، فَتَحِيَارُهُ يَنْ الْخَطَرَ
بِحَبْلِ الشَّرِيعَةِ ، كَيْ تَنْتَصِرَ
وَدُونَكَ سُؤْنَتُهُ وَالْأَثَرُ
كَمَا يَفْعَلُ الْيَوْمَ أَشَقَى الْبَشَرِ
إِذَا رُمْتَ مَا تَشْتَهِي فَاسْتَشِرْ
إِذَا مَا ادْلَهَمْتَ صُنُوفَ الْغَيْرِ
حَيْثُ الْمَسِيرِ غَضِيضَ الْبَصَرِ
لِيَحْمَلَ - عَنْكَ - الْأَسَى وَالضَّجْرَ
وَإِذَا اعْتَرَاكَ الْخَطَا ، فَاَعْتَذِرْ
فَأَنْتَ - إِلَيَّ رَدْعَهَا - مَفْتَقِرْ
بِأَفْظِ بَذِيءٍ وَلَفْظِ قَذِرْ
وَعِلْمَ الْمَغَاوِيرِ لَا تَحْتَقِرْ
تَحِبُّ الْغُرُورَ ، وَتَهْوَى الْبَطْرَ
فَإِنَّ الْحَقَّ وَدَعْدِيمَ النَّظَرِ
وَلَا زِمَ - مِنَ الْخَائِنِينَ - الْخَذِرْ
فَالْيَسَّ الْبَيْبُ بِهِ يَنْبَهَرْ
فَأَهْلُ التَّزْلِيفِ بِئْسَ الزَّمْرُ!
وَهَلْ مَبْطَلٌ لَكَ يَقْضِي الْوَطْرُ؟

وَنُوراً يُضِيئُ دُرُوبَ الْفَتَى
بِنَبِيِّ اتَّقِ اللَّهَ ، لَا تَجْتَرِئُ
وَأَخْلَصْ - لَهُ الدِّينَ - مُسْتَعَصِماً
وَأَذْعَنْ لِمَا قَالَهُ الْمَصْطَفَى
وَلَا تَنْتَهَجْ غَيْرَ مِنْهَا جَاهَهُ
وَكُنْ - فِي حَيَاتِكَ - مُسْتَرَشِداً
وَكُنْ رَجُلاً يُسْتَدَلُّ بِهِ
وَسِرْ فِي الطَّرِيقِ نَقِي الْخَطَا
وَصَاحِبِ تَقِيّاً لَهُ هِمَّةُ
وَأَحْسَنْ إِلَى النَّاسِ ، وَاعْصِ الْهَوَى
وَلَا تَطْغَعْ النَّفْسَ إِنْ أُسْرِفَتْ
وَلَا تَطْعَنْ الصَّيِّدَ أَهْلَ التَّقَى
وَلَا تَنْتَقِصْ جُهْدَ مَنْ أَحْسَنُوا
وَلَا تَكُ - فِي النَّاسِ - مُسْتَكْبِراً
وَلَا تَحْقِدَنَّ عَلَى مُوسَى
وَلَا تَلْتَمِسْ - مِنْ خَوَّونَ - وَفَا
وَلَا تَلْبَسَنَّ ثِيَابَ الْمِرَا
وَلَا تَنْزَلِفْ لِمَنْ عَرَبَدُوا
وَلَا تَرْجُ - مِنْ مُبْطَلٍ - خَدْمَةَ

تحيط بك - بالعار - طول العُمر
ومما يُصيبُ القطيعَ اعتبر
فجُرمُ الغوايية لا يُغتفر
فبالكذب كـم غايية تتدحر!
ألا وتقبّلن صنيع القدر
فنفذ وصاتي ، لكي تبتشر
إذا أظلم العيشُ كنت القمر
وجمراً على من بغى ينصهر
يُرَجِّعُ - في الليل - عذب السور
ويبكي إذا ألمته العبر
ليحتسب الأجر ، أو يدخر
ء ، وإن يُبتلى بالغشا والغجر
ويؤتي الزكاة برُبوع العُشُر
يصوم كما الله ربي أمر
إذا ما استطاع ، وإلا اعتمر
سَطَرْتُ بدمعي لكي تفتكر
ورد الجميل الدعاء العطر
وزخزخت - يومَ الجزا - عن سقر!

ولا تقترن جهرة زلّة
ولا تمتدح مفسداً ساقطاً
ولا تُطرر عبداً رقيقاً غوى
ولا تكذبن ، ولو مازحاً
وسلم لربك أمر القضا
بُنِي نصحتك ، كُنْ واعياً
أريدك سداً لآحبابنا
وناراً على المعتدي سُعْرَتْ
أريدك بالحق مستمسكاً
ويشكو عذابات إفراطه
ويُعطي المساكين أمواله
ويغفو ويصفح عن أسا
يقبض الصلاة على وقتها
وشهر الصيام له شاهداً
ويحرص دوماً على حجّه
بُنِي أطلت الوصاة التي
فلا تنسني من جميل الدعاء
جـزاك المهـيمن جناتـه

ولا يوم الطين؟

(ص 75 : ص 77 من كتاب: (مجالس النساء) يتحدث الكاتب عن كفران النعمة أو كفران العشير ، الذي تمارسه النسوة إن أساء إليهن أزواجهن يوماً. فعن ابن عباس - رضي الله عنه - قال: قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : "أريث النار ، فإذا أكثر أهلها النساء ، يكفرن. قيل: أيكفرن بالله؟ قال: يكفرن العشير ، ويكفرن الإحسان ، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر ، ثم رأت منك شيئاً ، قالت: ما رأيت منك خيراً قط". متفق عليه. وعن أسماء بنت يزيد - رضي الله عنها - قالت: مرّ بنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ونحن نسوة ، فسلم علينا ، وقال: "إياكن وكفر المنعمين" ، فقلنا يا رسول الله ، وما كفر المنعمين؟ قال: "لعل إحدانك تطول أيمتها بين أبويها ، وتعس ، فيرزقها الله عز وجل زوجاً ، ويرزقها منه مالاً وولداً فتغضب الغضبة ، فراحت تقول: ما رأيت منه يوماً خيراً قط". حديث حسن رواه الإمام أحمد والترمذي وأبو داود وابن ماجه. فكفران العشير هو نفسه كفران النعمة ، وهو نفسه سخط نفقة الزوج. وقد بينه النبي - صلى الله عليه وسلم - أفضل بيان ، ووضحه أحسن إيضاح ، لنلا يكون لإحدانك - معشر النساء - يوم القيامة عذر بين يدي الله تعالى ، عندما يسألها عن معاملتها لزوجها؟ أحسنت إليه ، أم كفرت نعمته ، وتسخطت نفقته؟! ولنستمع إلى المقرئ حيث يقول في خطبه نقلاً عن الكتاب ذاته ص 77 ما نصه: (كان المعتمد آخر ملوك بني أمية في الأندلس ، وكان متزوجاً من جارية اسمها (اعتماد) ، وكان يحبها حباً جماً ، ويُعلمها برفق ولين ، ويحرص على إرضائها وتلبية جميع رغباتها. وذات يوم أطلت من شرفة القصر ، فرأت القرويات يمشين في الطين فاشتتهت أن تمشي هي في الطين أيضاً! وحدثت زوجها بذلك ، فخاف على قدميها أن يمسخها الطين! فألحت عليه ، فأمر الملك بأن يوتى بالمسك والعنبر وأنواع الطيب والزعفران ، فطحن جميعاً وصُبت في صالة القصر ، ثم أمر بأن يأتوا بماء الورد والزهر ويصبوه على الطيب! وعجنوها بالأيدي حتى أصبحت كالطين! ذلك الطين الذي بلغت أثمانه آلاف الدنانير ، وحققت رغبتها ، ومشيت في الطين ، وذات يوم سمعت من زوجها كلمة أغضبتها ، فنظرت إليه وقالت له مستهجنة كلمته: والله ما رأيت منك خيراً! فقال لها المعتمد: (ولا يوم الطين؟!)-ه. وإنني أجعل من هذا الموقف من (المعتمد) وزوجه (اعتماد) مُستهلاً لهذه القصيدة ، وأعنون لها بسؤاله لها:- (ولا يوم الطين؟). والسبب في ذلك أن كفران العشير من جانب نساء عصري قد فاق الحدود. وأعجب ما في الأمر أنهم يصرون على ذات الكلمات: (ما رأيت منك خيراً) بدون إضافة حرف أو إنقاص حرف! أتواصين به؟! وكم من بيوت خربت ، وكم من أسر شردت ، وكم من عوائل مزقت ، ومن من وشانج قطعت ، وكم من أواصر مزقت بسبب كفران المنعمين! وإن كنت أنسى فلا أنسى قول إحداهن لزوجها: ما رأيت من أمك خيراً قط ، وإلا فأخبرني ماذا استفدت منها؟ وأنا أقول لها ولأمثالها من اللاتي يكفرن العشير: إن لم تستفد الواحدة منكن إلا زوجها فقط ، فقد أدت أمه الجميل وأجزلت العطاء لها ، في شخص هذا الزوج الذي كفاها مؤنة أشياء كثيرة ودفع عنها شروراً لا يعلم إلا الله تعالى مداها. والحقيقة أن كفران النعمة من جانب النساء عاند إلى أسباب كثيرة ، منها سوء التربية والتنشئة ، وضعف الوازع الإيماني في القلوب ، ورعونة النفس التي لا تدفع إلا بالتأديب والزجر ، وعدم تعليم هؤلاء النسوة حقوقهن على الأزواج وحقوق الأزواج عليهن ، وتساهل الزوج المفرط الذي لم يضع من أول يوم الخطوط

الحمراء التي لا يجوز تخطيها أبداً ، والتي منها حقوقه من الاحترام والتعامل بالمعروف ، وخاصة إن كان هو ابتداء قد أحسن بالمعروف وتخلق بأخلاق الإسلام والإيمان ، ورغبة بعض النساء في معاقبة أزواجهن بمثل هذه الكلمات ، التي اعتبرها الشارع بشعة لدرجة أنه قد خلع عليه لفظ (كفران - كفر - يكفرن) ، ومعلوم أن الشارع الحكيم لا يخلع على كبيرة ما لفظ الكفر ومشتقاته إلا إذا كانت تلك الكبيرة بشعة وشنيعة. وإنني لأنصح كل امرأة مسلمة في الأرض اليوم بدراسة دينها ومعرفة الذي لها عند الزوج من الحقوق والذي عليها من الواجبات ، لأن المسألة مسألة حلال وحرام! والنهاية: (فريق في الجنة وفريق في السعير) ، وإذا كان ذلك كذلك فالأمر يحتاج إلى مزيد اهتمام ، والعاقلة من وعظت بغيرها وانتبهت فأصلحت من شأنها ومن أحوالها ، قبل أن تلقى الله عز وجل ، وإلا فإنها سوف تعض أصابع الندم يوماً ، وهيهات أن تنفعها الدموع أو الندم. ومن هنا فإنني أنشدت من شعري هذه القصيدة في التنفير من كفران العشير أقول:

كفرُ العشير يضاعفُ الأوجاعا	وبشؤمه صرُخُ الإخا يتداعى
والأمرُ مُطرِدٌ على طولِ المَدَى	وحوادثُ التاريخِ أطولُ باعَا
كم من حليلٍ مُخلصٍ مُتفضلٍ	أعطى وأبدع - في العطا - إبداعا!
لم يألُ جهداً في السخاءِ يسوقه	لحليلةٍ عكستُ له الأوضاعا
قلبتُ له ظهرَ المَجَنِّ جهالة	ثم استباحت كيدها الخداعا
وسقته من كأسِ الهوانِ على الطوى	ثم استمالت - في الوغى - أشياعا
ورمئةً بالألفاظِ يجرحُ بعضها	والبعضُ يكسرُ - في الشجار - ذراعَا
وتناستِ المعروفَ ، ما اعترفتُ به	حتى تلاشى في الخلاف ، وضاعا
ودلينا شكوى (اعتماد) زوجها	تلك التي ملأت بها الأصقاعا
كم (لا بن عبّاد) عليها من يدٍ	خط الرواة بسَردها الإجماعا!
بذل الكثيرِ لكي تعيشَ عزيزة	بين النساء ، وطبّب الأوجاعا
وكم اشترى قبضيةً وعباءة	وأساوراً تضوي ، وساقَ متاعا!
وكم ابتنى قصرًا منيفاً سامقاً	يساتفئ الأنظارَ والأسماعا!
وكم استجاب لزوجيةٍ فيما ترى!	وكم استكان لغيها ، وانصاعا!

ولكم أطاع مُلبياً ما تشتهي
حتى إذا وجدته ليس يُطِغها
نكرتُ جميلاً ظالمًا جادت به
ومضتُ تشوّه سمعة وتكرماً
وتعقبته بما تيسّر من أذى
وكان كفران العشير جبلة
صدمته لما صرحت ، وتبجّحت
أنالِم أعاينُ منك خيراً لحظة
ويح (اعتماد) تستطيلُ على الذي
فغفا (ابنُ عبّاد) ، وأردف قانلاً
والطينُ فوق الأرض فواخ الشذى
والمسكُ في الأركان يُتحِف زائراً
ألأنه أعطاك لم يكُ مُسكاً؟
ألأنه لم يعص أمر حبيبة؟
ألأنه لما يُذَقك تعذتاً؟
صدق النبي فقد أبان حقيقة
يكفّرُن والله العشير تدللاً
والله مُنجي العبد من كيد النساء

مستأجراً لمُرادها الصُّناعا!
فاستهجتُ - بين النساء - طباعا
كفّ عطاها - في الممالك - ذاعا
وسببأها - وسط العقائل - شاعا
وقد استحلّت - في النقاش - خِداعا
رفعتُ شِعار جُودها اللّماعا
وتخرّصتُ ، كي تفتن الأتباعا
إلا عذاباً مُهاكماً وضّاعا
أمسى لأمر ترتجي مُنصاعا
أنسيت (يوم الطين) يغمُر قاعاً؟!
وأريجُه يمحّو أذى صّداعا
والطيبُ يُرسلُ للأثوف شعاعاً؟
وأراه دافع عن هواك دِفاعاً؟!
بل كان أمرك يا (اعتماد) مُطاعاً؟!
يفري الحياة مَرارة ونزاعاً؟!
وأماط عن طبع النساء قناعا
ويصغن في كيل الهجا الأسجاعا
ليصير في ردع النساء شجاعاً!

الحقيقة لا يحدها قبر

(ص 90 من (حدث في المحكمة) للعمري ، قصة عن رجل خرج مع عامله لتحصيل نقود كثيرة ووضعها في كيس ، وذهب بها إلى بيت في مزرعته البعيدة عن المدينة ، فلما ذهب بها إلى البنك ليودعها وجده مغلقاً ، فقرّر أن يودعها في اليوم التالي ، وكان هو والعامل في المزرعة وحيدين ليس معهما أحد إلا الله تعالى. فما كان من العامل إلا أن طمع في المال الوفير ، فقام بقتل هذا الكفيل أثناء نومه ، وحفر له حفرة في مزرعته ودفنه فيها ، لكنه وبسبب العجلة نسي بعض آثاره ، ثم غير الكثير من ملامحه ، فحلق لحيته فقد كان له لحية ، ثم هرب إلى مدينة أخرى يريد تمهيداً لهروبها إلى الخارج ، وعمد إلى بعض الأصباغ أو الأشكال في وجهه حتى لا يعرف ، وزور جوازاً واسماً مزوراً ، وانطلق يريد أن يهرب عبر أقرب رحلة توصله إلى خارج هذه البلاد. فقد الأهل أباهم في ليلة ، إذ كان من عادته أن لا يبيت إلا عندهم ، ثم غدوا على حراثهم مصبحين يريدون أباهم ، فلم يجدوا سوى آثار له ، فحفروا حول هذه الآثار فوجدوا جثته ، فعلموا أن العامل هو الذي فعلها ، وأدركوا أنه كان قد تحصل على نقود من بعض رفاقه المدنيين له ، فانطلقوا يهرعون في البحث عن العامل ، ولجأوا بعد الله عز وجل إلى الشرطة التي باشرت دورها وبذلت جهدها وانطلقت تراقب المطارات ، وبينما هو في المطار قد غير جوارحه وغير شكله ، وظن أنه لن يُعرف. وبينما هو في الطابور يريد أن يركب الطائرة إذ قيض الله - جل وعلا - رجال شرطة أذكيا مع أحد ورثة القتيل الذي شك في الصوت فقط حين طلب من كل شخص أن يتكلم باسمه ، فميزه لهم من صوته ، فأخذ وأودع على ذمّة التحقيق شيئاً فشيئاً حتى ظهرت الحقيقة ، واعترف بكل شيء وتبين أنه القاتل ، وجاء وأخرج النقود التي كان قد أودعها عند أحد رفاقه وطلب منه أن يبعثها إليه بعد فراقه لهذه البلاد).هـ. ومن هنا عنونت لهذه القصيدة بهذا العنوان لأثبت أن الحقيقة لا تموت وأنها لا بد وأن تظهر ذات يوم مهما طال الزمن. فإلى كل من يحاول جاهداً أن يطمس معالم الحقيقة ، ويخفي منارها أنشدت أقول من شعري مبيناً أن الحقيقة لا يحها قبر:

خادع الدنيا ، وخطط ، واستتر	واهجر الخوف ملياً والحدز
واختبئ إن شئت في جوف الثرى	وامش تحت الرمل ، أو خلف الحجر
واركب الموج إذا البحر سجا	أو إلى القاع ، إذا شئت انحدر
أو تترس - بالذروع - جنة	ثم حاول جاهداً أن تنتصر
والبس الزيف ، وسر نحو الخفا	وامخ - من قاموسك اليوم - الخطر
واغتنم عذب السجايا والمنى	إنما الآمال تودي بالضر
وامض - في الليل - وحيداً زاده	هدأة الليل - بها - يخلو السهر

غَرّه الرِيشُ ، فغالى في السفر
إن تغشته البلاوي والغير؟!
قلّب الأمر ، وناظر ، وافتكر
رافعاً عنك الرزايا والضرر
وأسال الناس تُوافي بالسير
وأسال العُمال ، واستقص الخبر
لم يُقبَح ، أو يُثْر ، أو ينتهر
واترك اللوم ، ودع عنك الدبر
مثمما يفعل أوباشُ العجر؟
شذفي الإجرام ، عن أعتى البشر
جنت من أمر رهيب مُحقِر
هل تتلمذت على أيدي التتر؟!
ودع الدنيا ، فقد وافى العُمر!
وي كأنّ الوغد - بالمال - انبهر!
مهرب أو ملجأ ، كي يستتر
وقضاء الله وافى بالقدر
فأجأ الكل بحكم يُنظر
سَنها ربّ مليك مُقتدر!

أو ترنم - في السماء - طائراً
هل تظن الحق يطويه الفنا
واهّم أنت يُناغيك الهوى
صاحبُ الأموال أعطى راضياً
ضارباً - في الجود - أسمى مثل
باذلاً ما تشتهي من أنعم
لم يقصّر في الذي أوليته
لم يُذقك الويل ، فاشهد ، واعترف
فلماذا اليوم أهدرت الدما
مُوغلاً - في الظلم - إيغال الذي
عالم الغابات لا يرضى بما
تزهقُ الروح ، وتُردي جسمها
وتُوارى جُثة إنسانها
ظافراً بالمال مُختالاً به
ثم جاب الأرض تواقاً إلى
لكن الحق تجلّى فجأة
والقصاصُ العدلُ في ساح القضا
يقتل القاتل ، هذي شريعة

بين هارون والبرمكية

(ص 95 من مجالس النساء للأستاذ / عبد الرحمن عطا المحمدي خبر يثبت عبقرية هارون الرشيد ، في فهم ألغاز هذه المرأة البرمكية عندما دخلت عليه وعنده جماعة من وجوه أصحابه ، فقالت: يا أمير المؤمنين أقر الله عينيك ، وأتم سعدك ، لقد حكمت فقسطت). فقال لها هارون: من تكونين أيتها المرأة؟ فأجابت المرأة: أنا امرأة من آل برمك ، ممن قتلت رجالهم وأخذت أموالهم وسلبت نوالهم! فقال هارون: أما الرجال فقد مضى أمر الله ونفذ فيهم قدره ، وأما المال فمردود إليك. ثم التفت إلى الحاضرين فقال: أتدرون ما قالت هذه المرأة؟ فقالوا له: ما نراها قالت إلا خيراً. فقال هارون: ما أظنكم فهمتم ذلك ، أما قولها: أقر الله عينيك ، أي أسكنها عن الحركة ، وإذا سكنت العين عن الحركة عميت! أما قولها: وفرحك بما آتاك ، فأخذته من قول الله: (حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة) ، وأما قولها: وأتم سعدك ، فأخذته من قول الشاعر:

إذا تم أمرٌ بدأ نقصُهُ ترقبُ زوالاً إذا قيلَ تمُّ

وأما قولها: لقد حكمت فقسطت ، فأخذته من قوله تعالى: (وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً). فتعجب الحاضرون من ذكائه وذكائها. وأنا أيضاً أخذني الذهول وذهب بي العجب مذاهب شتى ، ورحت أترجم إعجابي بفطنة الخليفة الرشيد – رحمه الله – شعراً يتلى في سمع الزمان بأجرنا الله عليه. ولو كان هارون حياً لأنشدناه بين يديه حباً وكرامة ، لا طمعا في نوال ولا رغبة في عطاء ، إذ لو كنا نطمع في نوال من أخذوا مكان هارون اليوم ونرغب في أعطيائهم لأنشدنا فيهم!

ذكاءً ما رأيتُ له مثالا فقد فاق الحقيقة والخيالاً
وحكمة نابيه حين السجايأ وفلسفة تخالفت المقالاً
وفقه في الجدال يصد خصماً ويرتجل الردود - له - ارتجالاً
وعلمٌ يمتطي سُرج المعالي ليتمشق الإجابة والسؤالاً
وتلك فِراسة ليست تُبارى ويعجز - عن تفهمها - الكسالى
(وهارون الرشيد) بها تحلى وحاز بها المهابة والجلالاً
ونال بها المكانة والمراقى وحقق - في الرعيّة - الاعتدالاً
وكان خليفة عدلاً تقياً وهذي منة المولى تعالى
ولم يعضلْ به لغز خفي به أصحابه اشتغلوا اشتغالا
وبصره المهيم بالخفايا فأعجز - بالمفاجأة - الرجالا

تسوقُ اللغز فخرأً واختيالاً؟
كما اتخذتُ على الوجه الحجالاً
فقد أقلت - على القول - الظلالاً
وللرحمن تبتهلُ ابتهاً
وتشرخُ ما تكابذه الثكالي
فكم حصدتُ معاركه الشبالاً!
وتشكو - للأمير الشهم - حالاً
وداراً والأقارب والعجالاً
سأقته - به - الترفع والدلالاً
تلقته المحببة والوصالاً
وكم هي جندتُ عمأً وخالاً!
فتاة حُسنها اكتملُ اكتمالاً
على دين ، وكم حازت جمالاً!
فقد كانوا له قومأً وآلاً
وسامحها ، وقال: أرد مالاً
بحكم لم يكن قاضيه غالي
وإن عليّ أعباءً ثقالاً
وسببتِ الدغولَ والوبالاً
بذات البين ، يُورثنا الخبالاً!

فكيف به إذا لقيته أنثى
وقد طمست معالمه تمامأً
وهذي (البرمكية) ذات شأن
وبين يديه تدعو دون خوفٍ
وتذكرُ كيف رملها شباباً
وتمتحنُ الخليفة في بنيتها
وتبكي المال صودرَ دون بأس
وتعلمه بضنك مس أهلاً
وترجعُ - بالرشيد - إلى زمان
وكانت - للرشيد - أبر أم
فكم ربّت! وكم حنّت وأنّت!
وزوجت (الرشيد) بمن تمنى
وبادلها المحببة حيث كانت
وكانت - للبرامكة - التحايا
فهش لها وبش ، وحل لغزأً
وأما الزوج والأبنا فماتوا
فلا تدعي عليّ ، أنا برىء
ألا هذي المقولة أزعجتني
وقانا الله شر اللفظ يودي

ابن مماتي مؤرخ صعيدي

(إن الأستاذ / يسري عبد الغني عبد الله قد أثرى المكتبة الإسلامية بكتابه الفذ (معجم المؤرخين المسلمين حتى القرن الثاني عشر الهجري). وكنت أظنه لن يذكر ابن مماتي ذلك الصعيدي المؤرخ. إلا أنه ذكره ص 181 ، وأفاض عن سيرته ، ونشير إلى ما أورد: (هو الأسعد بن المهذب. صاحب كتاب: "قوانين الدواوين" الذي نشره عزيز سوربيل عطية بالقاهرة عام 1943م. وينتمي ابن مماتي إلى أسرة من نصارى أسيوط ، ولي أفراد منها مناصب هامة في الإدارة المصرية زمن الفاطميين والأيوبيين. وتولى أبوه ديوان الجيش في أواخر عهد الدولة الفاطمية وأوائل عهد الدولة الأيوبية ، واعتنق الإسلام هو وأولاده ، وخلفه ابنه الأسعد - مؤلف هذا الكتاب - على ديوان الجيش ، وأضاف إليه صلاح الدين وابنه العزيز ، ديوان المال. واختص بصحبة القاضي الفاضل. على أن تقرر عزله ومصادرة أملاكه ، فلجأ إلى حلب فحباه بفضلها صاحبها غازي بن صلاح الدين ، وبقي بها حتى مات سنة 606هـ 1210م. ولابن مماتي تصانيف عديدة لها فائدة علمية. ولعل أهم كتبه قوانين الدواوين ، الذي صنّفه للعزيز بن صلاح الدين ، تناول فيه كل ما يتعلق بدواوين مصر ورسومها وأصولها وأحوالها وما يجري فيها. وكان يقع في أربعة أجزاء ضخمة ، ثم جرى اختصاره ، في هذا المؤلف ذكر أربعة آلاف ضيعة من أعمال مصر ومساحتها وقانون ريبها ومتحصلها من عين وعلّة. والموضوعات التي يعرض لها المؤلف تشتمل وصف جغرافية مصر زمن الدولة الأيوبية ، حيث أشار إلى حدود مصر والنيل ، والأقاليم والنواحي! وعالج الضياع والكفور والجزائر ، والترع والجسور وكل ما يتصل بالديوان. كما تصدى المؤلف إلى كثير من المسائل المتصلة بنظم الحكومة الأيوبية ، فاستعرض وظائف الدولة واختصاص كل منها ، وشرح موارد البلاد ونفقاتها ، ثم أسهب في ذكر أنواع الأراضي والفصول الزراعية وأنظمة الري ، وتدلل هذه المعلومات على ما بلغت الزراعة والفلاحة من التقدم في العهد الأيوبي ، على أن ابن مماتي اكتفى بالإشارة إلى الوحدات المالية ، ولم يلجأ إلى تفصيل عبرات البلاد ومساحاتها ، لأنها من أسرار الدولة التي لا يجوز إذاعتها بين الناس). وفي موقع: (المعرفة) طالعنا بعض المعلومات عن ابن مماتي ، منها: (هو الأسعد بن المهذب بن مينا بن زكريا بن مماتي وشهرته ابن مماتي (1149 - 1211م) ، هو مؤرخ مسلم ، أديب ، شاعر ، مصري من القرن السادس الهجري ، صاحب مؤلفات حسان. ويعود مماتي بأصوله إلى أسيوط. مماتي لقب جده أبي المليح ، وكان كثير الصدقة والإطعام لصغار المسلمين ، فإذا رأوه نادوه «مماتي» فاشتهر به وغلب عليه. وكان من كتاب الدولة الفاطمية أيام بدر الجمالي ، وقد جمع بين الفضل والنبل حتى حاز محبة الناس، وأثنى عليه الشعراء. [محمد عدنان قيطاز. "ابن مماتي". الموسوعة العربية]. أما أبوه مهذب بن مينا فكان كاتب ديوان الجيش في أواخر العهد الفاطمي وبداية العهد الأيوبي. وقيل كان على ديوان الإقطاعات وهو على دين النصرانية. وفي عهد السلطان صلاح الدين بن يوسف ، جمع المهذب أولاده ودخل على السلطان ، وأسلموا على يديه ، فقبلهم وأحسن إليهم ، وزاد في ولاياتهم ، وبقي أبوه في الديوان حتى وفاته. خلف أسعد أباه على ديوان الجيش ، وتصدر فيه مدة طويلة ، وأضيف إليه في الأيام الصلاحية والعزيرية ديوان المال ، وهو أجل ديوان في مصر. وكانت تربطه بالقاضي الفاضل مودة وصحبة ، وحظي عنده ، ونبّه على فضله. لم يزل أسعد

مرموقاً في عهد السلطان صلاح الدين إلى أن ملك أخوه العادل أبو بكر الديار المصرية، وكان وزيره صفي الدين بن شكر يضمّر لأسعد السوء بسبب رئاسته عليه ، ولكنه لم يظهر حقدّه عليه إلا بعد أن فوض إليه جميع الدواوين مدة سنة ، ثم حيكّت عليه المؤامرات حتى وقع بين يديه ، ولم يلتفت لأعداره ، ونكبه شرّ نكبة ، وغرّمه أقبح تغريم ، ولكنه تمكن من الهرب من مصر إلى حلب سنة 604هـ ، إبان دولة الظاهر الغازي بن صلاح الدين عليها ، فأكرمه ونعمه حتى وفاته سنة 606هـ وله من العمر اثنتان وستون سنة ، ودفن بظاهر حلب على مقربة من قبر أبي بكر الهروي .

وذكر ياقوت الحموي في معجم البلدان لابن مماتي ثلاثة وعشرين كتاباً ، وقال : «له تصانيف كثيرة يقصد بها التآدب . لم تكن مفيدة إفادة علمية ، غير أن ياقوتاً لم يذكر كتاب «قوانين الدواوين» وهو أشهر كتبه على الإطلاق . ومن هذه التصانيف «سيرة صلاح الدين يوسف بن أيوب» ، «كرم النجار في حفظ الجار» ، «قرقرة الدجاج في أفاظ ابن حجاج» ، «أعلام العصر» . كان الأسعد موسوعة في الأدب والفقه واللغة ، وذكر ياقوت الحموي له أكثر من عشرين مؤلفاً ، من أشهرها : (حجة الحق على الخلق في التحذير من سوء عاقبة الظلم ، وقد قال عنه القاضي الفاضل : إنه والله من أهم ما طالعه الملوك - نظم السيرة الصلاحية في سيرة صلاح الدين الأيوبي - الفاشوش في حكم قراقوش - الشئ بالشئ يذكر - باعث الجلد عند حادث الولد - تلقين اليقين في الكلام على حديث بني الإسلام على خمس - سر الشعر) . وأما أهم مؤلفاته وأشهرها على الإطلاق فهو كتاب قوانين الدواوين الذي يُعتبر موسوعة شاملة لحالة البلاد المصرية في القرن السادس الهجري ، حيث تناول باستفاضة جغرافيتها وشيناً من تاريخها ، وتفصيل نواحيها وقراها وتاصيل أسمائها ، وأنظمة الحكم والدواوين والوظائف ، وشنون الزراعة وغيرها . وله كتاب : لطائف الذخيرة وطرانف الجزيرة ، ولعل أول من أشار إلى كتابه قوانين الدواوين صاحب صبح الأعشى ، فقد ذكره في مواضع عديدة ، وأخذ عنه كثيراً من مادته ، كما ذكره صاحب إيضاح المكنون . ويعد كتاب قوانين الدواوين أثمن ما وصلنا من آثاره ، فهو ثروة علمية جمع فيه بين التراث التاريخي والجغرافي والزراعي . وقد تعرض الأسعد بن المهذب في سفره النفيس إلى جغرافية مصر في العهد الأيوبي ، وذكر أعمالها ونواحيها وأسماء ضياعها وجزائرها ومناخها . وتصدى لكثير من المسائل الخاصة بأنظمة الحكم في عصر بني أيوب . كما استعرض وظائف الدولة المهمة ، وأفاض في شؤون مصر الزراعية ، فذكر أنواع الأراضي والفصول الزراعية وأنظمة الري وأنواع المزروعات وأوقات غرسها وحصادها والأدوات المستخدمة في تقليم الأشجار . والكتاب زاخر بمختلف الأبحاث والموضوعات ، واستطاع أن يجمع فيه إلى جانب فقه المسلمين علم الأقباط في شتى المسائل التي اقتصوا بها دون غيرهم من الطوائف المصرية وطبقاتها . ويتألف الكتاب من مقدمة وعشرة أبواب ، بدأها في فضل الكتابة والكتاب ، وختمها في ذكر السنة الشمسية والقمرية . وجدير بالذكر أن للكتاب عدة طبعات ، وأفضلها ما جاء محققاً بعناية عزيز سوريال عطية . وكتاب قوانين الدواوين هو كتاب علمي صرف يتحدث فيه ابن مماتي عن مصر بصفة عامة ونهر النيل ومساحة الأرض وتحقيق أسماء ضياعها وكفورها وخلجانها ، بالإضافة إلى تناوله الأراضي المختلفة ، والفصول الزراعية ، وأنظمة الري ، وأنواع المزروعات وأوقات غرسها وحصادها وغير ذلك من الأمور الهامة . [نسيم مجلي . "الأسعد بن مماتي - رائد أدب السخرية"] . وكذلك يتصدى الكاتب إلى كثير من المسائل الخاصة بأنظمة الحكم في عصر بني أيوب . مثال ذلك "الباب

الثامن" الذى استعرض فيه المؤلف وظائف الدولة وشرح اختصاص كل منها ، كما أنه أتى في الأجزاء الأخيرة من الكتاب على شذرات كثيرة طريفة عن بعض الدواوين ودور الحكومة وموارد الدولة. ويقول العلامة الكبير الراحل عزيز سوريال الذى حقق الكتاب إن قيمته ليست مقصورة على سعة اطلاع المؤلف وغزارة علمه وحدة ذهنه ، وإنما ترجع كذلك إلى مكانته الخاصة في المجتمع المصرى ومركزه السامى في حكومة البلاد ، فابن ممتى - كما يظهر من تاريخ حياته فيما بعد - تقلب في كثير من دواوين الحكومة ، وانتهى به الأمر إلى تقلد الوزارة نفسها ، وبذلك أصبح كل ما يكتبه ذا صبغة تجعله وثيقة رسمية صدرت عن قلم أحد وزراء الدولة المسؤولين. كذلك يخبرنا الدكتور عزيز سوريال أن ابن ممتى اعتذر عن تقديم بعض المعلومات لأنه اعتبرها من أسرار الأمن القومى أو من أسرار الدولة التى لا يجوز إذاعتها - هذه الشخصية التى تجمع بين الخيال الأدبى الساخر والدقة العلمية المفرطة إلى جانب الحس الوطنى اليقظ كيف نراها؟ لقد تساءل المستشرق الفرنسى الكبير كازانوف ، الذى حقق كتاب "الفاشوش" ، وعلق عليه قائلاً: "كيف نوفق بين صورة هذا المؤلف الذى يخوض في كتابات الفكاهاة ويكتب فيها كتاباً بالعامية ، ثم يكتب كتاباً آخر بالفصحى عن الأرض ومساحة المدن ويعزف عن إباحة أسرار الدولة ، فيرتفع إحساسه بالمسئولية إلى هذا الحد المتعقل؟" إن الصورتين تتكاملان لو علمنا أن ابن ممتى كان غاضباً حائقاً بلا شك على القائد قراقوش الذى يقربه صلاح الدين إليه. وهو حائق من وجهة نظر مذهبية كما يذهب كازانوف ، وهو حائق كذلك لأن أمور مصر ساءت على الرغم من الإنجازات التى حققها صلاح الدين في الخارج من صفحات وضاءة في الفتوحات وصد الصليبيين ، ولكن هذه الصفحات كانت مصابة ببقع الحكم الاستبدادى في الداخل وإطلاق الشهوة "القراقوشية". ولعل هذا الوضع يبرر من جانب الحكام عادة باسم المصلحة العامة (باستخدام أسلوب العصر) ولكنه لا يبرر من زاوية المحكومين أبداً. كما أننا نتصور أن حنق هذا الاقتصادى أو هذا المالى ابن ممتى على قراقوش هو حنق له ما يبرره لأن الاقتصادى ينظر للأمور نظرة مخالفة لنظرة القائد العسكرى، مما يثير الفرقة في النظر دون شك. وقد علق الدكتور عزيز سوريال على ما جاء في كتب المؤرخين بملاحظات عدة نذكر منها: أن مؤلف كتاب "قوانين الدواوين" لم يكن أول شخص عظم شأنه في دواوين الحكومة من بين أفراد أسرته، إذ نجد أن جده أبا المليح الذى عاش بمصر في العصر الفاطمى عمل في خدمة الوزير بدر الجمالى والخليفة المستنصر بالله حتى بلغ في سلم الترقى إلى وظيفة "مستوفى الديوان" وهى من الوظائف الرئيسية في الدولة الفاطمية ، وبعد موته تولى ابنه واسمه المهذب بن أبى المليح رئاسة "ديوان الجيش" والدولة الفاطمية تحتضر في وزارة أسد الدين شيركوه السنى ، وفى عهده أسلم هو وأولاده لكى يفلت من التضييق الذى وقع على النصارى وقتئذ ، ويحتفظ بمكانته السامية في دواوين الحكومة ، وأما ابنه وهو حفيد أبى المليح واسمه الأسعد فقد قضى الجزء الأول من حياته في عصر الانتقال من الفاطميين للأيوبيين ، وورث في بداية الأمر عن أبيه وجده "ديوان الجيش" الذى احتفظ به في عهد صلاح الدين الأيوبى (564 - 589 هـ / 1169 - 1193 م) وفى سلطنة ابنه العزيز عماد الدين عثمان (589 - 595 هـ / 1193 - 1198 م) ، ويظهر مما ورد في رواية ياقوت الرومى أنه أضيف إليه أيضاً "ديوان المال" الذى يعتبر في كل العصور أهم الدواوين والوزارات ، ويلوح أنه ظل محتفظاً بوزارته ودواوينه أيضاً خلال سلطنة المنصور محمد (595 - 596 هـ / 1198 - 1199م) وشطر

من سلطنة العادل سيف الدين أبى بكر (596 - 615 هـ / 1199 - 1218م) ، ولكن كثرت عليه المؤامرات في عهد هذا الأخير وأودت بمركزه وماله، وأدت إلى هروبه فقيراً ذليلاً إلى ما وراء الحدود المصرية في الشام حيث قضى بقية أيامه بمدينة حلب ومات بها في جمادى الأولى عام 606 هـ (نوفمبر 1209م) وعمره إذ ذاك اثنتان وستون عاماً. ثانياً: يلاحظ أن الوزارة لم تشغل الأسعد عن الأدب والتأليف ، ونظرة واحدة في أسماء الكتب التى صنفها والتي ذكر أكبر عدد منها ياقوت الرومى تكفى لإيضاح هذه الحقيقة ، ولكن الغريب في ذلك هو أنه لم يتحدث عن "كتاب" قوانين الدواوين" من بين قدماء المؤرخين سوى المقرئى هو الوحيد الذى اهتم بمثل ما ورد في ذلك الكتاب من المحتويات ، بينما اقتصر الآخرون على الناحية الأدبية البحثية من تأليفه ، ورواية المقرئى في هذا الصدد عظيمة الشأن ، ويفهم منها أن ابن ممتى ألف الكتاب للملك العزيز ، ثم يزيد على ذلك أن الكتاب المتداول في أيدينا إنما هو نسخة مختصرة من الكتاب الأصيل الذى كان يقع في أربعة مجلدات ضخمة". فإذا صحت نظرية المقرئى ، وضح لنا السبب في الاختلافات الكبيرة بين مجموعة المخطوطات الصغرى التى اعتمد عليها ناشر نسخة مطبعة الوطن والمجموعة الكبرى التى اعتمدنا عليها فيما ننشره اليوم في المجلد الحاضر ، وبالرغم من أن "كتاب قوانين الدواوين" الذى يظهر في هذه الصفحات من أروع الوثائق التاريخية في عصر الدولة الأيوبية ، فإنه لا يسعنا إلا إبداء أسفنا الشديد على ضياع الأصل المطول ذى المجلدات الأربعة والتي لم نعثر عليها في أى مكان توجد فيه مخطوطات عربية في أوروبا من لندن وباريس إلى استانبول والقاهرة وغيرها من العواصم. ولابن ممتى أيضاً كتاب: الفاشوش في حكم قراقوش وهو ينتمي إلى أدب الفكاهة والسخرية والهجاء ويمثل بحق أسلوباً فنياً بارعاً في تصوير الغرابة والشذوذ وإحداث المفارقة. وهذا الكتاب الذى أضحك أجيالاً ولازال يضحكنا ، كتبه صاحبه باللغة العامية المصرية ، ووصل به إلى عرض الجماهير حتى صار قراقوش في المخيلة الجماعية للشعب مثلاً لكل حاكم أخرق ينحرف عن طريق العقل والمنطق في سلوكه وتصرفاته. ولقد تعرض ابن ممتى في هذا الكتاب للأمير بهاء الدين قراقوش بن عبد الله الأسدي وكان نائب السلطان صلاح الدين في مصر وموضع ثقته. فقد ذكر ابن تغري بردي في «النجوم الزاهرة» أن في الكتاب أشياء يبعد وقوع مثلها منه ، ويرى أنها موضوعة لأن السلطان صلاح الدين كان يعتمد في أحوال المملكة عليه ، ولولا وثوقه بمعرفته وكفايته ما فوضها إليه. كما ذكر ابن خلكان في وفياته أنه نظم كتاب كليلة ودمنة ، وقال: وله ديوان شعر. ويتأكد التكامل في شخصية المؤلف بصورة أوضح حين نقرأ تقديمه لكتاب الفاشوش في أحكام قراقوش بقوله: «إننى لما رأيت عقل بهاء الدين قراقوش محزماً فاشوش ، قد أتلّف الأمة ، والله يكشف عنهم كل غمة ، لا يقتدى بعالم ، ولا يعرف المظلوم من الظالم. الشكية عنده لمن سبق ، ولا يهتدى لمن صدق. ولا يقدر أحد من عظم منزلته على أن يرد كلمته ، ويشتط اشتياط الشيطان ، ويحكم حكماً ما أنزل الله به من سلطان ، صنفت هذا الكتاب لصلاح الدين ، عسى أن يريح منه المسلمين.» فغرضه من هذا الكتاب هو تحرير الشعب المصرى وتخليصه من تسلط قراقوش وقهره له. لأنه سخر الشعب المصرى لبناء أمجاد صلاح الدين وتأكيد سلطانه ، دون مراعاة لحقوق الفقراء ومشاعرهم ، فإذا تفكرنا أيضاً أن كتاب "قوانين الدواوين" قدم لصلاح الدين أو أحد أبنائه من أجل تحرى الواقعية والعدل في تقدير الجزية والضرائب على أفراد الشعب بجميع فئاته. فإننا نكتشف البعد الآخر أو الدافع الرئيسى لابن ممتى ، وهو مصلحة

مصر والشعب المصري عموماً. فإذا عرفنا أن صلاح الدين كان كردياً وأن قراقوش قائد جيشه كان صقلبياً من مماليك الفوقاز في حين كان ابن مماتى مصرياً أباً عن جد. لمحننا أثر الصراع بين المصريين والحكام الأجانب. ولعل هذا ما جعل كازنزفا يقول: "إن ابن مماتى كان يسعى إلى هز الثقة بقراقوش ، وهو قائد صلاح الدين الأيوبي ومن أقرب المقربين إليه ، لأنه كان يعهد إليه بأمانة الإشراف على شئون مصر نيابة عنه عندما كان يضطر إلى السفر إلى سوريا للقاء الصليبيين". فصلاح الدين لا ينب عنده مصرياً مهما كان قدره أبداً ، وقد كان ابن مماتى مثلاً رئيساً لديوان الجيش وديوان المال في ذلك الوقت ، ويذكر الدكتور عبد الطيف حمزة إن قراقوش كان كثير اللجاجة والخصومة ، فلا يقر مبدأ المنافسة في الأمور ، ولا يحتمل الاصغاء الى جدل من كبير أو صغير ، وله رأى في معاملة السوق والعامية ، هو أخذهم جميعاً بالقهر والقسوة ، وهكذا فعل بالأسرى وبالعامية الذين سخرهم في بناء الأسوار والحصون. وكان هذا سبباً في كراهية ابن مماتى وسخريته منه." ولعل أقدم سيرة نعرفها لابن مماتى، كتبها ياقوت الحموي في الفترة الأولى من القرن الثالث عشر الميلادي ، إذ توفي سنة 1229م أي أنه كان معاصراً لابن مماتى المتوفى سنة 1209م. ويلاحظ الدكتور عزيز سوريال أن ياقوت لم يعتمد فقط على رواية الرواة من أهل العلم وإنما اطلع أيضاً على شئ مما كتبه ابن مماتى بخطه ، ولذلك يجوز لنا أن نعتبرها وبلا تردد وثيقة من أهم الوثائق عن مؤلف كتاب "قوانين الدواوين" ، وهي وإن كانت في ذاتها واضحة لا تحتاج إلى إفاضة أو تفسير ، إلا أنه يدهشنا فيها سقوط الكتاب المذكور من بين محتويات القائمة التي جمع فيها ياقوت عدداً كبيراً من مؤلفات ابن مماتى ، كما يلاحظ أيضاً أن كاتب هذه السيرة اهتم بالناحية الأدبية من حياة ابن مماتى أكثر من بقية النواحي الأخرى التي أجملها إجمالاً. يتلو ذلك في الترتيب الزمني ما ذكره ابن خلكان المتوفى 1282م في كتابه المشهور "وفيات الأعيان" حيث يقول: "القاضي الأسعد أبو المكارم أسعد بن الخطير أبي سعيد مهذب بن مينا ابن زكريا أبي قدامة بن أبي مليح مماتى المصرى الكاتب الشاعر ، كان ناظر الدواوين بالديار المصرية ، وفيه فضائل ، وله مصنفات عديدة ، ونظم سيرة السلطان صلاح الدين رحمه الله تعالى ، ونظم كتاب كليله ودمنة ، وله ديوان شعر رأيت به خط ولده ونقلت عنه مقاطع. "وكان الأسعد المذكور قد خاف على نفسه من الوزير صفى الدين ابن شكر ، فهرب من مصر مستخفياً وقصد مدينة حلب لائذاً بجناب السلطان الملك الظاهر رحمه الله تعالى ، وأقام بها حتى توفي في سلخ جمادى الأولى سنة ست وستمئة يوم الأحد وعمره اثنتان وستون رحمه الله تعالى ، ودفن في المقبرة المعروفة بالمقام على جانب الطريق بالقرب من مشهد الشيخ الهروى ، وتوفى أبوه الخطير في يوم الأربعاء سادس شهر رمضان من سنة سبع وسبعين وخمسة مائة. "ومينا بكسر الميم وسكون الياء المثناه من تحتها وفتح النون وبعدها ألف ، ومماتى بفتح الميمين والثانية منهما مشددة وبعد الألف تاء مثناه من فةقها وهي مكسورة وبعدها ياء مثناه من تحتها ، وهو لقب أبي مليح المذكور وكان نصرانياً ، وإنما قيل له مماتى لأنه وقع في مصر غلاء عظيم وكان كثير الصدقة والإطعام وخصوصاً لصغار المسلمين فكانوا إذا رأوه نادى كل واحد منهم مماتى فاشتهر به ، هكذا أخبرنى الشيخ الحافظ زكى الدين أبو محمد عبد العظيم المنذرى نفع الله به. "وأما ابن مماتى فإنه (أسعد) بن مهذب بن زكريا بن (مينا) شرف الدين مماتى أبي المكارم بن سعيد بن أبي مليح الكاتب المصرى ، أصله من نصارى أسيوط من صعيد مصر ، واتصل جده أبو المليح بأمر الجيوش بدر

الجمالى وزير مصر في أيام الخليفة المستنصر بالله ، وكتب ديوان مصر ، وولى استيفاء الديوان ، وكان جواداً ممدوحاً انقطع إليه أبو الطاهر إسماعيل بن محمد المعروف بابن مكيسة (مكنسه!) الشاعر. توفى في سنة ست وستمائة (606هـ) ، وعمره اثنتان وستون سنة).هـ. ويطيب لنا بعد هذه المقدمة أن نشيد بابن مماتي ذلك المؤرخ الصعيدي ، ذلك النصراني الذي أسلم وحسن إسلامه. وكتب عنه لنضيفه إلى قائمة فضلاء الصعيد وجهابذته وعماليقه وعباقرته الذين لنا شرف الانتساب إليهم بحكم كون والدي وأجدادي لوالدي وأعمامي من أهل صعيد مصر. ومن هنا امتدحت تلك الديار المصرية المباركة! حتى أنني أفردت ديواناً شعرياً بأكمله عن الصعيد ومناقب الصعيد! واسم الديوان لمن أحب القراءة فيه والوقوف على حقيقة أهل صعيد مصر هو: (الصعايدة وصلوا) ، ويقع في ما يزيد على 300 صفحة من القطع الوسط! وإنما أردت أن أخص ابن مماتي كمؤرخ مسلم من صعيد مصر لأنني كنت قد انتهيت من صف وإخراج ديوان: (الصعايدة وصلوا)! وإن لا يكن ذلك كذلك لكانت هذه القصيدة إحدى قصائده!

كم أنبتت فذاً دياراً صعيدي!	ومراجع التاريخ بعض شهودي
كم قدمت - للعالمين - خيورها	وعطاءها ، ولكم أتت بجديدا!
في كل حقل كم لهم من نخبة	ظهرت بجهد طيب محمود!
وتفردت في علمها وجهودها	أرأيت أفضل من علوم الصيد؟!
في الطب والتطبيب أبدع بعضهم	فانكرو لهم - في الطب - خير جهود
والبعض أبدع في البناء ورصه	من كل قصر - في البلاد - مشيد
والبعض في الصحراء أنفق عمره	وأقام صرح علومه في البيد
والبعض في الآداب صاغ فنونها	من كل مشكور العطا صنيدي
ومن الصعيد أشاوس وأماجد	وكان ذا الأمجاد كل صعيدي
وارجع إلى التاريخ ، واسير غوره	لتراهم للحق خير جنود
لتراهم أهلاً لكل فضيلة	سادت ، ورأي في الأمور سديد
لم يقبلوا ضيماً يسربل همة	لا يستسيغ الضيم غير عبيد
لم يخضعوا لمن استباح إباءهم	وغزا الديار بجحفل وقيود

من كل نذل ساقطٍ رعديد
وسواهم يهفون لبعض مزيد
ونصوصها تأتيك بالتوكيد
وافى بعلم في البيان رشيد
ومضى يدين لربه المعبود
من علمه وجماله المشهود
وأبوه تابعه وكل وليد
قد أسلموا ، فالיום يوم العيد
وبحوثه كالعالمين الصيدين
تمحو الدجى من درب كل مُريد
أهديه عذب مفاخري وقصدي
وحباه كل دعائم التأييد
أعطاه كل مكاسب ونقود
وعلى الأمير أتت جميع وفود
بالحق لا بتفضل أو جُود
وفى بجهد - في الحياة - جهيد
ليبوء منه الشعب بالتعبيد
ليبوء منه الخلق بالتشريد
فأرحم مليك الناس خير فقيد!

لم يركنوا يوماً لمن ظلم الورى
لم يرتضوا التغريب يُخرب دارهم
ومعاجم التاريخ أصدق شاهدٍ
(وابن المماتي) جهبذ ومؤرخ
تبع الهدى من بعد نصرانيةٍ
وأتى إلى الإسلام ينهل راغباً
ترك الصليب ومن يدين بدينه
وتبخترت (أسيوط) فخراً بالألى
(وابن المهذب) خص مصر بعلمه
صاغ (القوانين) التي هي دُرّة
ولذا كتبت قصيدي متفاخراً
هذا (صلاح الدين) قلده العلاء
ثقة بما عند الهمام من الوفا
(ديوان أموال) يكون أميره
كلُّ له في مال (أسعد) حصة
لله درّ (ابن المماتي) ، إنه
لم يتخذ هذي الوظيفة مغماً
لم ينهب الثروات تملأ خزنة
لكنه أدى الأمانة مُصفاً

من شابه أباه فما ظلم

(تقول العرب: إن العصا من العصية ، ومن شابه أباه فما ظلم. وعندما يأتي المولود شبيهاً بأبيه تقول العرب: لقد أدت أمه الأمانة ، عانين بذلك أنها لم تشارك بشيء يجعل ابنها يُشبهها! إن الأب الذي أعني هنا في قصيدتي تلك هو المعتضد بالله عميد أسرة بني عبّاد (بالأندلس). وأما الابن فهو المعتمد على الله محمد بن المعتضد بالله بن عبّاد. إن الله - تعالى - لما ذكر الأنبياء من لدن آدم ونوح وإبراهيم عطف عليهم آل عمران المؤمنين الصالحين تشريفاً لمكانتهم. وأنهم سوف يشرفون بالنبوة ، فمن ابنتهم مريم الطاهرة العفيفة البتول سيكون المسيح عيسى بن مريم (وروح منه) ، وستلحقهم من طرف زكريا ويحيى - عليه السلام - فقال الله: "إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين). ثم قال الله بعد هذه الآية: (ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم) تكريماً وتشريفاً. فكما أن هذه ذرية بعضها من بعض في طاعة الله والعمل بما أمر والاجتناب عما نهى عنه وزجر ، فهناك ذرية بعضها من بعض على النقيض من ذلك ، فهي تعصي الله وتعمل بغير ما أمر وليست تجتنب ما نهى عنه وزجر ، بل تفسد في الأرض ، وتنهب أموال الناس ، وتسفك الدماء وتتآمر على الإسلام وأهله. وتحت عنوان: (محنة المعتمد أروع المآسي الملوكية في التاريخ) كتب الأستاذ أحمد عبد الحافظ محمد ما نصه بتصريف: (لا تكاد تجد في تاريخنا الإسلامي صورة واضحة عن تبدل السلطان ، وجريان سنة الله التي لا تتبدل في خلقه ، من القوة إلى الضعف ، ومن العز إلى الذل ، ومن الغنى إلى الفقر ، ومن الكرامة إلى الهوان ، مثلما تجدها في قصتنا هذه. فهناك وعلى مقربة من العاصمة المغربية مراكش ، وجد الملك نفسه ، بعدما أطيح به من عرش إشبيلية ، أسيراً غريباً في قلعة أغمات ، يقاسي الاعتقال والأغلال والذل. ولم يكن صاحب نكبته سوى أمير المرابطين يوسف بن تاشفين. قضى الملك أربع سنوات أسيراً ، في محنة خلّدها بشعره ، وتناقلتها الأجيال جيلاً بعد آخر. إنها محنة المعتمد بن عبّاد إحدى أروع المآسي الملوكية في التاريخ. فهذا هو أبو القاسم المعتمد على الله محمد بن عبّاد بن محمد بن إسماعيل اللخمي ، صاحب إشبيلية وقرطبة وما حولهما من ممالك الطوائف ، وأحد أفراد الدهر شجاعة وحزماً وضبطاً للأمر. ولد في باجة الأندلس سنة 431هـ / 1040م ، ووُلِّي إشبيلية بعد وفاة أبيه المعتضد سنة 461هـ / 1069م ، وامتلك قرطبة ، واتسع سلطانه إلى أن بلغ مدينة مُرسية ، وأصبح محط الرّحال ، يقصده العلماء والشعراء والأمراء ، وما اجتمع في باب أحد من ملوك عصره من طوائف الأندلس ما كان يجتمع في بابيه من أعيان الأدب. وكان فصيحاً شاعراً وكاتباً مترسلاً ، بديع التوقيع ، ولم يزل في صفاء ودعة إلى سنة 478هـ / 1085م ، وفيها استولى ملك الروم ألفونس السادس على طليطلة ، وكانت ملوك الطوائف وكبيرهم المعتمد بن عبّاد ، يؤدون لألفونسو ضريبة سنوية ، فلما ردّ ملك طليطلة ضريبة المعتمد ، وأرسل إليه يهدّده ويدعوه إلى النزول له عما في يده من الحصون. فكتب المعتمد إلى أمير المرابطين يوسف بن تاشفين يستنجده ، وإلى ملوك الأندلس يستشير عزائمهم. ولم يكن الاستجداء بالمرابطين هيئاً على المعتمد بن عبّاد. فقد كان الرجل يعلم حقّ العلم ، أنه بهذه الخطوة يغامر بعرشه ومدينته. لكنه حزم أمره ، وواجه معارضة حاشيته بصرامة ، أن: "رعى الجمال خيراً من رعي الخنازير". يقصد بذلك أنه يفضل أن يغدو أسيراً لدى يوسف بن تاشفين ، يرعى جماله ، على أن يغدو أسيراً لدى ألفونسو

يرعى خنازيره. ونشبت سنة 479هـ / 1086م المعركة المعروفة بوقعة الزلاقة ، فانهزم ألفونسو بعد أن أبيد أكثر عساكره. وشُهد للمعتمد فيها بالشجاعة والإقدام. ثم إن ابن تاشفين عبر للأندلس مرة ثانية لنجدة مدن الشرق الأندلسي ، ثم إن ملوك الطوائف عادوا إلى سابق عهدهم ووالوا النصارى من جديد ، فكان هذا العمل بمثابة الانتحار السياسي ، والذي اتخذه العلماء والفقهاء حجةً ودليلاً قوياً لإصدار فتوى تبيح لأmir المسلمين يوسف بن تاشفين القضاء عليهم نهائياً. فكان العبور الثالث للمرابطين سنة 482هـ / 1089م، حيث شرع ابن تاشفين في الإطاحة بهم واحداً تلو الآخر. فقد ثارت فتنة في قرطبة سنة 483هـ / 1090م قُتل فيها المأمون ابن المعتمد ، وفتنة ثانية في إشبيلية ، ظهر من ورائها جيش يقوده سير بن أبي بكر المرابطي من قواد جيش ابن تاشفين. وحوصر المعتمد في إشبيلية ، قال ابن خلكان: "وظهر من مصابرة المعتمد وشدة بأسه وتراميه على الموت بنفسه ما لم يسمع بمثله" ، واستولى الفرع على أهل إشبيلية وتفرقت جموع المعتمد وقبض المرابطون على ولديه الراضي بالله والمعتد بالله وكانا في رُنْدَة ومارتلة ، فقتلوهما غيلة وغدراً ، ففتت في عضد المعتمد ، وأدركته الخيل ، فدخل القصر ، مستسلماً للأسر سنة 484هـ / 1091م ، وحُمِلَ مقيّداً ، مع أهله ، على سفينة. وأدخل على ابن تاشفين في مراكش ، فأمر بإرساله ومن معه إلى أغمات. إن هذه المرحلة الأخيرة من حياة المعتمد ، وهي مرحلة مؤسسية تنفطر لها القلوب الكريمة ، تنتمي إلى الأدب أكثر من انتمائها إلى التاريخ ، بما تحفل به من الآثار الشعرية الرائعة ، التي نظمها المعتمد عن محنته وآلامه في المنفى. وقد شغلت هذه المرحلة على قصرها ، من صحف التاريخ والأدب ، فراغاً كبيراً لم تشغل مثله حياة المعتمد الملوكية كلها. على أنه لم يكن سقوط إشبيلية ، وسقوط المعتمد وآله أسرى في أيدي الظافرين خاتمة المحنة ، بل كان بداية محنة أفظح وأبلغ إيلاماً للنفس ، هي محنة الاعتقال والأسر والأغلال والذل والمنفى المروع. وكان أمير المسلمين قد قرر مصير بني عباد ، كما قرر مصير عبد الله وأخيه تميم صاحبي غرناطة ومالقة ، وقد قتل المرابطون من أبناء المعتمد أربعة ، هم الفتح المأمون ، ويزيد الراضي ، والمعتد بالله ، ومالك ، ولكنهم أبقوا على حياة المعتمد ، وذلك فيما يبدو بإشارة أمير المسلمين ذاته ، ربما أراد بذلك ، أن يتجرع المعتمد كأس الذلة إلى نهايتها ، وأن يمرغ في التراب ، ذلك الذي كان يعتبره قطب الفتنة في الأندلس ، وحليف النصارى الخانع ، المذنب في حق دينه ووطنه. وأن يذيقه من العذاب المعنوي أروع ألوانه. وهكذا انتزع المعتمد بن عباد وآله من قصر إشبيلية المنيف ، وأخذوا جميعاً إلى السفن التي أعدت لنقلهم إلى المنفى ، وسارت السفن من إشبيلية في نهر الوادي الكبير في طريقها إلى الغدوة ، في مناظر تذيب القلب حزناً وأسى ، وضجت جموع الشعب الغفيرة التي احتشدت على ضفتي النهر لوداع المعتمد بالبكاء والنواح حينما شهدت سيدها وراعيها بالأمس تحقيق به وجميع آله ، أغلال الاعتقال والذلة ، ويغادر موطن سلطانه وعزه إلى مصيره المجهول. (وقد قال شعراً في سجنه بأغمات ، وكنت قد عارضت ذلك الشعر بمناظر له فيرجع إليه في مظانه من ديوان السليمانيات) ، وكانت طنجة المحطة الأولى في منفى المعتمد بن عباد. وصلها وقلبه يتفطر حزناً وكمداً ، بعدما ضاع ملكه وتشتت أهله ، وتجرع مرارة التكل في أربعة من أبنائه الذين سقطوا دفاعاً عن حوزتهم. مكث أسيراً مدة يسيرة في طنجة ، تهافت عليه خلالها الشعراء ، كما كانوا يتهافتون على بلاطه في إشبيلية ، وألحوا عليه بالسؤال وهو الأسير المعدم. وكان من بين هؤلاء الشعراء أبو الحسن بن عبد الغني الفهري المعروف بالحصري

الضيرير ، وقد ألحف في طلب الصلّة ، ورفع إليه أبياتاً مدحه فيها ولم يراع في ذلك حرج الموقف. وأبت على المعتمد أريحته الملوكية أن يرده ، فبعث إليه بستة وثلاثين مثقالاً ، وشعراً يعتذر فيه عن ضالة الهبة ، فكانت آخر صلته الملوكية. ومن طنجة انتقل المعتمد إلى قلعة فازار بالأطلس المتوسط ، ولعل ابن تاشفين كان له رأي في ذلك ثم عدل عنه. ثم صدرت الأوامر بتوجهه إلى مكناسة ، وهناك التقوا بعبد الله بن بلقين وأخيه تميم ، وكانا ينتظران أمر السفر إلى مقرهما الأخير! وهناك قضيا بضعة أشهر ، قبل أن يرسلوا إلى مقرهم النهائي. وقد مكث المعتمد في مكناسة عدة شهور كما يقول المراكشي ، ويظهر أن السبب في تأخير تقرير مصير ملوك الطوائف كان يرجع إلى عملية التصفية التي يقوم بها القواد المرابطون في الأندلس. وأخيراً صدر الأمر بتسييرهم جميعاً إلى أغمات ، وهي مدينة صغيرة حصينة تقع على قيد نحو أربعين كيلومتراً من جنوب شرقي مراكش ، على مقربة من جبال الأطلس ، التي تظل آكامها الثلوج. وقد كانت عاصمة المرابطين الأولى. وحل المعتمد وآله في أغمات في أواخر سنة 484هـ أو أوائل سنة 485هـ. وبينما أنزل عبد الله بن بلقين وأسرته داراً حسنة وعوملوا برفق ورعاية ، إذ زج المعتمد وآله إلى قلعة أغمات المنيعة. وهناك قضى المعتمد بضعة أعوام في أغلال الأسر ، يتجرع غصص المهانة والذلة. ولم يكن مقام المعتمد بأغمات معتقلاً عادياً ، بل كان سجنًا شنيعاً بكل معاني الكلمة ، ضيق فيه على المعتمد وآله أشد التضيق ، ولم يكن يطلق لهم ما يكفيهم من النفقة ، فكان المعتمد وزوجه اعتماد الرميكية التي كانت تسطح في الأندلس بجمالها وخلالها البارعة ، وأبناؤه الأمراء وبناته الأقمار يرتدون الثياب الخشنة. وكان بنات المعتمد يشتغلن بالغزل ليعلنن والدهن وأسرتهن. وشعر المعتمد في هذه الحقبة من حياته شعر القلب المكلم المفجوع ، والجد العائر ، والجناح الكسير ، غير أن ذلك لم يكن ليفقده عزة النفس وعلو الهمة. أزكت المحنة شاعرية المعتمد ، وكان القريض عندئذ عزاءه وغذاءه الروحي ، فصدرت عنه في معتقله طائفة كبيرة من القصائد المؤسسية ، وكلها تلهف على سابق مجده ، وبكاء على ماضيه ، وثناء لمحنته ، ووصلته في أسره قسيمة من بنته بثينة تطلب منه الموافقة على زواجها. وكانت بثينة هذه مثل أمها في الجمال والذكاء ونظم الشعر ، فلما سقطت إشبيلية ، بيعت في سوق الرقيق ، فاشتراها تاجر على أنها سبية ، لكنها امتنعت عليه إلا أن يتزوجها زواجاً شرعياً يرتضيه والدها المعتمد. فكتبت إليه شعراً ترجو منه الموافقة على الزواج ، فرد المعتمد موافقاً. ولم يودع المعتمد راجفة ابنته بثينة ، حتى استقبل رادفة زوجته اعتماد الرميكية ، حيث اشتدت وطأة الأسر عليها ، ولم تقو طويلاً على مغالبة المحنة ، فذوت نضارتها بسرعة ثم توفيت ، فدفنت في ظاهر أغمات ، على مقربة من معتقل زوجها وأولادها ، فحزن المعتمد لوفاتها أيماً حزن ، واشتد به الضنى والأسى ، وصار يستعجل الأيام ، ويحث خطاها ، ليأخذ مضجعه في التراب بإزائها ، وقد أسعفه الدهر بهذه الأمانة فنام قرير العين بها. واستطال أسر المعتمد وسجنه حتى سنة 488هـ / 1095م ، بيد أنه استطاع في عمر المحنة والبؤس الطاحن ، أن يحتفظ بكثير من جلاله السابق ، فكان هذا الجلال يشع في ظلمات سجنه ، كما يشع ضوء الشمس إذا أحرق به الغمام. وفي أواخر أيامه صدرت أوامر أمير المسلمين بالتضييق عليه وتصفيده بالأغلال ، بسبب ثورة محلية قام بها ولده عبد الجبار في بعض حصون إشبيلية ، وكان ممن أفلت عند سقوطها. وفي اليوم الحادي عشر من شوال سنة 488هـ / أواخر أكتوبر 1095م ، توفي المعتمد في سجنه بقلعة أغمات بعد اعتقال دام زهاء أربعة أعوام ،

وكان سنه عند وفاته سبعا وخمسين سنة وبضعة أشهر. ودفن بظاهر أغمات إلى جانب زوجه اعتماد. قال ابن خلكان: «ومن النادر الغريب ، أنه نودي في جنازته بالصلاة على الغريب ، بعد عظم سلطانه ، وجلالة شأنه ، فتبارك من له البقاء والعزة والكبرياء.» هكذا اختتم المعتمد بن عباد حياته الباهرة ، في عمر المحنة وظلمات العدم ، وتفرق من بعده ولده وآله في مختلف الأنحاء. ولكن ذكراه لبثت طويلاً حية في المغرب والأندلس ، ولبثت محنته وخاتمته مضرب الأمثال في تقلب الجدود وعبر الدهور. وهكذا ودع المعتمد هذه الحياة بشرها وخيرها ، ولسان حاله يكرر كلمته الشهيرة: "رعي الجمال خير من رعي الخنازير!" وأزكت مأساة بني عباد في الوقت نفسه دولة الشعر في الأندلس ، ونظم أكابر شعراء العصر في رثاء دولتهم ، والتوجع على أيامهم ، طائفة من القصائد المؤثرة ، التي ما زالت تحتفظ حتى اليوم بكل روعتها وحياتها. وكان أغزرهم في ذلك مادة ، أبو بكر بن اللبانة ، شاعر المعتمد ، فقد بقي على صلته ووفائه للمعتمد ، وزاره في سجنه بأغمات ، ونظم في دولته وأيامه وفي محنته وأسرره عدة من قصائده الرنانة ، يضمها كتاب وضعه في تاريخ بني عباد ، وأسماه: "كتاب نظم السلوك في مواعظ الملوك" ، وألف كتاب "سقيط الدرر ولقيط الزهر" في شعر ابن عباد. وبعد وفاة المعتمد بقليل وفد على أغمات أبو بحر بن عبد الصمد ، وقد كان من شعراء دولته وخاصة المتصلين به ، وذهب يوم العيد إلى قبره فخر أمامه ، وغمره بقبلاته وبلله بدموعه ، وأنشد بين الجماهير التي احتشدت من حوله ، مرثيته الغراء في المعتمد. فقد أسبغت هذه البقعة التي يرقد فيها ملك إشبيلية ، وأمير الشعر في عصره ، رقدته الأبدية ، شهرة مؤثرة على مدينة أغمات. ولما ذهبت دولة المرابطين بعد ذلك بنحو خمسين عاماً ، غدا قبر المعتمد بن عباد وزوجه الرميكية في أغمات مزاراً يأتي إليه الوافدون من أنحاء المغرب والأندلس ، واستمر كذلك عصوراً ، وإلى الآن. وفي الختام ، فإن محنة المعتمد بن عباد مأساة من أروع المآسي الملوكية ، وما زالت محنة هذا الأمير ، تحتفظ إلى يومنا ، بالرغم من كر العصور ، بألوانها المشجية ، وقد أثارت عطف الرواية الإسلامية وتأثرها البالغ ، إلا أننا هنا لا نضع ابن تاشفين في ميزان النقد التاريخي ، لنتهمه مع المتهمين ، أو نبرئه مع المبرئين ، أو لنتلمس له الأعداء مع المتلمسين ، فليس هذا مقامه ، وقد قال التاريخ كلمته في الموضوع ، وما أنت في ذلك كله إلا الحَكَم. وهذه تأملات تثيرها في النفس محنة المعتمد بن عباد. ولا ريب أن هذه الخاتمة المؤسسية التي قدر للمعتمد أن يعاني آلامها المروعة المادية والمعنوية ، لحرية بأن تسبغ عليه ثوب شهيد ، يستحق عطف التاريخ ، وصفح الأجيال).هـ. ومن هنا رحتُ أبين أن الابن قد شابه أباه في ظلمه وفجوره وفساده فكانت ذرية بعضها من بعض ، والعرب إن عنت بقولها: من شابه أباه فما ظلم ، الشبه المادي في الخِلقة والشكل ، فإنني أعني الطبع والخلق. (تشابهت قلوبهم)! أكتب من شعري عن المعتضد بن عباد وابنه المعتمد فأقول:

تأ الله لم يعتضد بالله (معتضد)	حيناً ، ولم يعتمد عليه (معتمد)
بل كان كل على - الإسلام - كارثة	حلت ، وعن والدٍ لم يختلف ولد
وأل عباد التاريخ يعرّفهم	كم استباحوا! وكم في الباطل اجتهدوا!

وكم أبادوا حُمَاة الحق ، واضطهدوا!
وخوربت قِيمَ فضلى ومعتقد!
وكم جيوش ثوى قوادها المُجد!
من بعد ما سُلمت للغاصب البلد!
فمالها عندنا حَصْرٌ ولا عَدَد!
منذ اعتلى عرشها - بالقهر - (معتضد)
لأنه - بأمر الحكيم - ينفرد
إذ لم يكن أبداً - في عقله - رَشَد
والدين - للدولة - الأساس والعَمَد
وبات ذكرى - بكل البطش - تنعقد
فلم يُحالفه توفيقٌ ولا سَدَد
الصدقُ يبقى ، ويمضي الزيفُ والفَقْد!
والماء يبقى ، وحتماً يذهب الزَبَد
وخاب عبدٌ - على الكفار - يعتمد
وكان يعزل من يابى ، وينتقد
وفي معاركه جميعاً اتحدوا
وما لصاحبه - على الوغى - جَاد
عُرئ - إليها - عميدُ القوم يفتقد
ولم يُضارعه - في طغيانه - أحد
والشبلُ يأتي به - من لبوةٍ - أسد!

وكم أذلوا بلا حق رعيّتهم!
وكم - بما كسبوا - ضاعت ممالكهم
وكم دماء على البيداء قد سُفكت!
وكم جنود برغم القوة انهزموا
وكم عذاباتِ الدين يعلمها
فتلك دولة ظلم منذ نشأتها
لم يبن ملكاً - على الشورى - ليرفعه
ولم يؤسس - على التوحيد - مرتفعاً
ولم يُقوَّ بشرع الله دولته
حتى قضى ، وانتهت أيام رحلته
وسار الابن على ما خط والذو
إذ لا تدوم - على التنكيل - مملكة!
كالسيل يهبط ، والخباب يغمره
أعطى الولاء لمن دكوا حواضره
باع البلاد لهم يرضي مطامعهم
وعاش يامن أعداءً به مكروا
وحاصروه ، فأضحى القصرُ معتقلاً
وضاع ملك (بني عبّاد) ، إذ وهنت
جارى أباه ، فزالت كل قوته
من العصية هاتيك العصا انبثقت

ثلاثة أسئلة والجواب واحد

(في ص 183 من (الأجوبة المُسكتة) أورد صاحبه الأستاذ / إبراهيم عبد الله الحازمي قصة أحد العلماء مع ثلاثة من الزنادقة سألوه ثلاثة أسئلة إحادية وكان الجواب واحداً. رأى ثلاثة زنادقة شيخاً نائماً تحت شجرة فتعاهدوا أن يُخرجوه ، فاتفقوا على أن يسأله كل واحد سؤالاً يَعجز عن إجابته ، ويثير الشبهة ضده ، فجاءوا إليه وأيقظوه ، فقال الأول: أنا لا أرى الله فكيف أؤمن به؟ والثاني: كيف يكتب عليّ الله أعمالي ثم يحاسبني عليها ويعاقبني؟ والثالث: ألم يُخلق الجنُّ من نار؟ فكيف سيعذب الكفار منهم فيها؟ فما كان من الشيخ إلا أن ضربهم بالطين ، فأخذوه ، وشكوه للوالي. قالوا: سألنا هذا الشيخ ثلاثة أسئلة فلم يُجبنا ، بل ضربنا بالطين. فقال الوالي: لماذا ضربتهم ولم تجبهم على أسئلتهم أيها الشيخ؟ فقال الشيخ: قد أجبتهم. قال الأول بأنه لا يؤمن بوجود الله لأنه لا يراه ، فضربته؟ فقال الأول: نعم وقد آلمتني. فعقب الشيخ: إن كنت قد آلمتك فأين ألمك؟ فما دمت لا أراه فأنت لا تتألم. وقال الثاني: ولكن لم ضربتني؟! فأجاب الشيخ: كنت تسأل كيف يحاسبك الله على أمر قد كتبه عليك ، وقد كتب الله عليك أن أضربك فلماذا شكوتني؟ ثم قال: وسألني الثالث: كيف يعذب الله كفار الجن في النار وقد خلقوا من نار؟ وقد ضربته أيضاً لأجيب على سؤاله. فقال الثالث: لقد آذيتني. فعقب الشيخ: ألسنت مخلوقاً من طين؟ فكيف يؤلمك الطين؟ وكذلك يعذب الله الجان بالنار كما خلقهم من نار). هـ. فأعجبني ذكاء الشيخ العبقرى الذي يختلف كثيراً عن كثير من العملاء المرتزقة الذين بلينا بهم في زماننا هذا ، والذين يهرفون بما لا يعرفون! ليس ذلك فقط ، بل ويتحذلقون ويتفيهقون ويتنطعون كثيراً إذ يُفتنون بغير علم ، فيضلون أنفسهم ويضلون الناس. وصدق الأثر الطيب: (من أفتى بغير علم فقد ضلّ وأضل) ، والمعنى هنا أنه أضل نفسه وأضل غيره ، ويأتي يوم القيامة يحمل وزره ووزر من أضله كاملاً ، إلا أن يتوب إلى الله ويُنصف من ظلم ويبني ما هدم!)

سألوه سؤالاً مشككاً ومُمار	والطين غريباً سأل الأفا
وتوقعوا منه التلعثم والخطا	وتوعده بمحنةٍ وضرار
وتربصوا بالعبقرى جهالة	لقضاء ما يرمون من أوطار
كل له - في الكيد - حربة غادر	وكأنهم - عند اللقاء - ضواري
وتسلحوا بالمكر ، إذ ظفروا به	ويحيقُ مكرُ السوء بالمكار!
وتفلسفوا ، وتحذلقوا ، وتندروا	وتدرّعوا بالغيب الحضار
وتجاهلوا علم التقى وفقهه	وخشعوا للواحد القهار
حسبوه مرتزقاً يتاجر بالهدى	في عالم الصفقات للتجار

وقد اقتدى بنبيه المختار
فكم استساع مصاعب الأسفار!
من داره سسعياً لأبعد دار
من علمه نتفأً من الأخبار
وأثوه عند تبلج الأسحار
مستسخر متكبر رديار
خاب الكفور ، وجل شأن الباري!
أضحى يُعيد مزاعم الكفار
موشية بطلاء الاس تهتار
وإذا فعلت كما رأيت أقداري
هل كان لي في ذاك بعض خيار؟
قولاً عظيم الوقع في الإخبار
كيف العذاب لهم بجمر النار؟
أن العقول تدثرت بدثار
ويرى خزعة ، وبعذ يُماري
ه القادر المتكبر الجبار
طيناً يُطبخ جرأة الفجار
ويزيل ما ذكره من أخطار
زماً تروج كفرها في الدار
يقضي بحكم الراحم الغفار

وهو الذي جعل الشريعة نهجه
لم يأل جهداً في التعلم عمره
هو - في سبيل العلم - أجهد نفسه
حتى أتاه ثلاثة ، لم يُدركوا
تعس الزنادقة الذين تعالموا
إذ قال أولهم مقالة ملحدي
أنا لا أرى رباً فكيف أطيعه؟
الله أكبر من تخرص كافر
وتبجح الثاني ، وقال ضلالة
إذ قال: كيف الله يكتب فعلتي
يأتي الحساب على الذي قارفته
والثالث المعتوه أردف قائلاً:
الجن مخلوقون من نار اللظى
هذي الضلالات الثلاث شواهد
أو أن رهطاً يرعوي لضلاله
أو أن قوماً غرهم حلم الإل
وجواب عالمنا على ما أسلفوا
لا شيء مثل الطين يكتب جهاهم
ويؤدب المتنطعين فلانرى
حتى إذا اندحروا شكوه لحاكم

ويزيل شـ بهة مبطـل سـحـار
من ترهـات دؤنـت بقـرار
كالشمس تسطع في أصيل نهار
والدمع - من أثر الوجيعه - جاري
فأجبت: لا. فأقول: ذا عذاري!
وإجابة بالنفي كالإقرار
إذ قوله - عن كل صدق - عاري
من يربطون الفعل بالأقـدار
إذ يخالط التيسير بالإجـبار
ما كان لي - في الضرب - أي قرار!
أعن القضا أبدي لكم عذاري؟
إذ بقاء مما قاله بحصار
جعلته يخرج لاندأ بفـرار
أم خلقكم من فضة ونضار؟
لما أصـبت بلهـة دؤار؟
ولـه عليـك معالـم الأثـار؟!
باحـت - لنا - بنوادـر الأسـرار!
حتى انتصرت بحجة وفخـار!

فأجاب واعظنا يبرر ما أتى
ويصد فتنتهم ، ويدحض ما افتروا
فأجاب أولهم جواباً مفحماً
أقول: أنت بطينة أوجعتني
وأقول: هل شاهدت من ألم الأذى
إن ادعاءك بالإذايه كاذب
وأجاب ثانیهم بقول فاصل
إذ إنه يحيي دجى قدرية
وسؤاله ينبئك عن مهاجـه
فأجاب إنني قد ضربتك بالقضا
فلم اشتكائي عند والي نجعنا؟
لكنه ترك النقاش محاصراً
وأجاب ثالثهم بطرح قضية
أخلفت من غير الذي ألقيته؟
إن قلت: من طين ، فكيف شكوتني
إذ كيف ألمك الذي ألقيته
الطين يؤذى الطين تلك عجيبة
سبحانك اللهم قد أقدرتني

كانت دعوتك اختباراً

(روي أن الأمير معن بن زائدة اجتمع بزوجته فعاتبته في تفضيله ابن أخيه على ولديه. فقال: اهدي وراقبي. فلما جنَّ الليل أرسل الخادم في دعوة ولديه ، فجاءا إلى مجلسه وقد بدا عليهما أنهما تفاجأ بالدعوة وبدأا فعلا يتتأعبان. وأشار إلى الخادم بدعوة ابن أخيه . فحضر مسرعاً مستعداً بسلاحه للمفاجآت محتاطاً لكل طارئ مشؤوم. ولما سأله عمه عن سبب ما رآه من استعداد ، فأجاب قائلاً: دعوة النصير في الليل لا تكون إلا لأمر خطير. فقال معن: كانت دعوتك اختباراً ، وكنت كما عهدتك من أصحاب المروءات دون ولدي هذين. فأثدثت من شعري إعجاباً بهذا الموقف هذه القصيدة على لسان الأمير معن بن زائدة رحمه الله تعالى. ومشيداً بأخلاق ابن أخيه ومندداً بتقاعس ولديه ، ومُعرجاً على أن المروءة كنز الرجولة. ويقول الشيخ الدكتور / خالد الغامدي في معرض حديثه عن المروءة ما نصه: (إن المروءة هي أصل كل خيرٍ وشرفٍ وفلاحٍ ، وهي في حقيقتها الناصعة: هيئة راسخة في النفس ، وملكة تحمل صاحبها على الاتصاف بصفات الجمال ، والنقاء ، والطهر ، والعفاف ، والكرم ، والبعد عن جوارب النفس التي تجذبها للتخلق بأخلاق العلوِّ والفخر من الكبر والحسد والبغي ، والأذى والفساد ، أو الاتصاف بصفات الهوان والضعة ، من الحرص المذموم ، والشتره ، والطمع ، والتكالب على الخطام والتوافه. فالمروءة خلقٌ فاضلٌ كريمٌ ، وسطٌ بين طرفين ، وهي تدعو النفس إلى التحلي بحلية الإنسانية الرفيعة الشريفة ، واستعمال كل ما يُجمل العبد ويزيئُه من الأخلاق والآداب وجميل العادات ، والبعد عن كل ما يُدنس نفسه ويشينها ، ويجلب لها اللوم والعيب وإراقة ماء الوجه. إن المروءة هي خلق النفس الأبية الكريمة ، وعنوان الشخصية الشريفة العزيرة ، التي لا ترضى بالدنس والذناعة ، وتأنف من الذلِّ والمهانة ، وترفع عن حياة العبتِ واللَّهو والسُخف. فلذلك ترى صاحب المروءة فقيه النفس ، حريصاً على أخلاق الكمال والجمال والطهر في ملبسه ومظهره ومدخله ومخرجه ، وتراه كذلك مع الناس بجميع شرائحهم يستعمل معهم الأدب والحياء والعفة والكرم والنزاهة والصيانة ، وتراه ثالثاً مع ربه - سبحانه وتعالى - يستحي منه أن يراه على معصية ، أو يطلع على قلبه فيرى فيه غيره ، أو تكون علانيته خيراً من سريرته. وقد جمع الله - سبحانه - في عدة آيات مُحكماتٍ خلافاً كثيرةً من خلال المروءة ، كما في قوله - سبحانه - : (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ) ، وكما في قوله: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ). ومن قوله تعالى: (قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً) إلى قوله: (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ). وكذلك المناهي التي في سورة الإسراء بدايةً من قوله: (لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا) إلى قوله: (ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ). وأعظم شخصية تجلَّت فيها خلال المروءة هي شخصية النبي الأعظم - صلى الله عليه وآله وسلم -؛ فقد كانت حياته - عليه الصلاة والسلام - كلها قائمة على المروءة ومعالي الأمور وكرانمها مع كل الناس ، حتى مع أعدائه - صلى الله عليه وسلم - . وما أُندي قوله - صلى الله عليه وآله وسلم - وأروعه حينما قال: «إن الله يُحبُّ معالي الأمور وأشرفها ، ويكرهه سفاسفها» ؛ أخرجه الطبراني في "الكبير" عن الحسين بن عليّ بسندٍ صحيح. وقال - صلى الله عليه وآله وسلم - : «إن الله كريمٌ يُحبُّ الكرماء ، جوادٌ يُحبُّ الجودَةَ ، يُحبُّ معالي

الأخلاق ، ويكره سفسافها» ؛ أخرجه البيهقي في "الشعب" عن طلحة بسند صحيح).هـ. أما شعار الأوباش (أنا ومن بعدي الطوفان – وعش نذلاً تمت مستوراً – إن أدركك الطوفان فضع أولادك تحت رجلك – يا روعي ما بعدك روح) فعار وشنار. فتخيلت معاً يلوم زوجته عندما عتبت عليه! ويبين لها أن ولديها ذهب التدليل بمروءتهما ونخوتهما!

حنانيك إن ابنيك ضاقا بخادمي
ولم يفتننا للأمر أرجوه عاجلاً
سفيهان إن حلا بقوم وضيفة
وناصحت ما انصاعا لنصي ودربتي
ووصيت بالخير الذي هو ديدني
فلم يفعل شيئاً أتى في وصييتي
وكيف يحوز المجد غاف وغافل؟
وهل يبلغ الطفل المدلل عزة؟
وقومي بما يُمليه دينٌ ومبدأ
ولا تعتبي ، إن العتاب متاهة
ولا تطلقي سهماً من اللوم صانِباً
وما ابنُ أخي أغلى على النفس منهما
تربّي على الأخلاق حتى استساغها
وينقذ ملهوفاً ، ويُؤوي مشرداً
وأنست فيه الرشداً طبعاً وطبعاً
وكنت ادخرت الليث للحرب ، إنما
فرقي وصوني الود بيني وبينكم
ولم يفقهها قولي لضيق العزائم
ولا ينقذان الأهل وقت الأوزم
وليثنان إن حان التهام المطاعم
ووجهت للتقوى وخير المكارم
وضاعفت مجهودي لأرجى العظام
فعدت وقلبي غارق في الهماهم
وهل تدرك العلياً بغير الملاحم؟
ألا فاقري إن شئت بعض التراجم
وربّي على نهج أصيل المعالم
ولا تنكبي جرحاً عتي المآزم
فما كنت سماعاً ، ولست بظالم
وما كنت خراصاً ، ولست بواهم
ويحمي الحمى يا زوجتي بالصوارم
وليس بخداع ، وليس بغاشم
ورشد الفتى في الناس أسمى المغانم
تقوؤ حروب القوم أقوى الضياغم
فما اللوم - عن صدق الكلام - بعاصم

صدقت وأنت الكذوب

(في كتاب (العقد الفريد) ج 2 ص 172 ، يورد المؤلف قصة قيصر مع معاوية ، روى زهير بن أبي الجويرية الجرمي قال: كتب قيصر إلى معاوية: أخبرني عما لا قبلة له ، وعن لا عشيرة له ، وعن سار به قبره ، وعن ثلاثة أشياء لم تخلق في رحم ، وعن شئ ونصف شئ ولا شئ ، وابعث إليّ في هذه القارورة ببزر كل شئ. فبعث معاوية بالكتاب والقارورة إلى ابن عباس. فقال ابن عباس: أما ما لا قبلة له فالكعبة ، وأما من لا أب له فعيسى ، وأما من لا عشيرة له فأدم ، وأما من سار به قبره فيونس ، وأما ثلاثة أشياء لم تخلق في رحم: فكبش إبراهيم ، وناقاة ثمود ، وحية موسى ، وأما شئ ، فالرجل له عقل يعمل بعقله ، وأما نصف شئ ، فالرجل ليس عقل ويعمل برأي ذوي العقول ، وأما لا شئ ، فالذي ليس له عقل يعمل به ولا يستعين بعقل غيره ، وملاً القارورة ماء ، وقال: وهذا بزر كل شئ: فبعث به إلى معاوية ، فبعث به معاوية إلى قيصر ، فلما وصل إليه الكتاب والقارورة ، قال: ما خرج هذا إلا من أهل بيت النبوة).هـ. وإجابة على سؤال هو: (ما الذي بوسعنا أن نقدمه للإسلام؟) تقول صفاء رفعت ما نصه: (لا مناص من أن نحمل الرسالة ومن أن نعود لنضياء السراج للبشرية التي ضلت طريقها الى الصلاح فباتت تتخبط في ظلمات البغي والفجور ، فلن يغفر لنا التاريخ أننا أطفئنا السراج في عتمة ليل الانسانية الحالك في الوقت الذي لا يملك فيه غيرنا أن يضيء لها الطريق الى سبيل الخلاص. فإن كنا قد شغلنا بهذا الهم - وها هنا والله بيت القصيد - إن شغلنا بهذا الهم فلا مناص من أن نشد له الهم ، وأن نستحث العزم على السعي نحو إحياء هذا الدين في الأرض ، بدءاً بالقلوب وبدءاً بقلوبنا نحن حتى لا تغفل وتغلبها شقوة الحياة فتضل وتنسى. إن لحظات إضاءة البصيرة لحظات عابرة في الحياة فمن أنس منها نوراً ولم يأت منه بقبس أو جذوة من النار فأنى له أن يرى بعد ذلك الصراط؟ أمران لا بد من التنبه لهما ، فنحن بحاجة إلى همة عالية لا يخالطها اليأس ولا تحط من علوها تصاريف الحياة ، وعلم ينير البصيرة ويهدينا إلى سواء السبيل ، ولا صلاح لنا بغير هاتين ، وما ضيعنا وأدنا وكسر هاماتنا بين الأمم إلا أننا ضيعنا هاتين. فقد أصبح شباب الأمة غثاء كغثاء السيل ، فمنهم من سارت بهم البدع والضلالات في كل مذهب لأنهم ضيعوا العلم بحقيقة دينهم فلم تقم في قلوبهم عقيدة صافية متينة لتحميمهم من دعاوي الضلال والإسفاف ، فهؤلاء أحط القوم قدراً لأنهم في الغالب قد انساقوا وراء سفاسف الحياة والغايات فوهنت عزائمهم ، بل قد تجد منهم من يشمر عن سواعد الجد والعمل في محاربة ثوابت الإسلام ويكد في الكيد بدعائه).هـ. فأنشدت قصيدي أبيين فيها للقيصر ولأذنايه الرطبة اليوم أن أهل الإسلام الربانيين يستطيعون بفضل الله أن يذودوا عن شريعتهم ويبينوا الحق الذي علمهم الله ورسوله - صلى الله عليه وسلم - إياه).

صدقت فيما ترى ، والقول موزونٌ
وكم يساق لمن يُصيبُ تدشينٌ
وكنيت أرسلت للأفـذاذ أسئلة
تفجرت - في مهاويها - الأفانين
أتحسب الصيد - يادهقان - ما عملوا؟
وآية (اقرأ) أتى بدءاً بها الدين

وباعه - في الهدى - والعلم ميمون
ونجمه - بأصول العلم - مقرون
إذ فقهه - بمعين الذكر - موزون
به يذود ، كما زاد الميامين
مقالة تجتني - منها - المضامين
وعلمها اليوم مأواه الدواوين!
والعلم بالعمل المقبول مرهون
لذاك إن سئلوا هم الأساطين
فالقول فصل ، وللايات تبيين
وبعد دانت بما دانوا الملايين!
ولم يبالوا بما حاز الفراعين
ماذا سيفعل كفار ملاعين؟
من الشروط تغشتها الأظنانين
وفي تراجمهم دلت مضامين
وللحروب إذا شئت موازين
كيلا يخونك في التقدير تخمين
برغم أنك كذاب ومافون
جل المليك ، وعقبى المشرك الهون
كما يقول الطواغيت المجانين

واليوم تسأل عن علم (معاوية)
(أبو يزيد) له في الفقه مدرسة
وحبزر أمتنا من ذا يضارعه؟!
أعنى (ابن عباس) والقرآن منهجه
يا قيصر الروم ، فاعلمها مذوية
لا تختبر قمماً - بالعلم - كم شمخت
تعلموا من رسول الله ما جهلوا
إن الصحابة حازوا العلم أجمعه
وفي البلاغ عن المولى جهابذة
وكم بلاد - لهذا الدين - قد فتحو
وفي المعامع ما زلوا ، وما ضعفوا
وما استكانوا لأعداء - بهم - مكروا
وما استجابوا لما سنوا وما شرطوا
لأنهم بالذي تعلموا عملوا
للسلم نص يجلي كل غاشية
يا قيصر الروم فاقرأ عن عباقرة
صدقت إن كلت أمداحاً توقرهم
إذ كيف قلت بتثليث وصاحبة؟
لم يتخذ ربنا الرحمن من ولد

صدقت يا حجاج

(قد ينتسب امرؤ لأسرةٍ بسيطةٍ متواضعةٍ. إذا ذكِرَتْ فلا يعرفها الناس. وإن أهملت فلا يذكرها الناس. ثم بأدبه وعلمه وخلقه يسود ، ويرفع شأن هذه الأسرة وتلك القبيلة التي انحدر منها. حُكي أن الحجاج طاف ليلة ، فظفر برجلين سكرانين ، فقال: من أنتما؟ فقال أحدهما:

أنا ابنُ الذي لا ينزلُ الدهرَ قدرُهُ وإن نزلت يوماً فسوف تعودُ

ترى الناس أفواجاً إلى ضوء ناره فمنهم قيامٌ حولها وقعود

وقال الآخر :

أنا ابنُ من نلتِ الرقابُ له ما بين مخزومها وهاشمها

تأتيه بالرغم ، وهي صاغرة يأخذ من مالها ومن دمها

فسأل الحجاج عن أبويهما ، فإذا أبو الأول باقلاني (بائع الباقلاه) ، وأبو الآخر حجاج (محترف الحِجامة ، وهي امتصاصُ الدم بالمحجم الذي هو عبارة عن قارورة صغيرة معه). فقال الحجاج: أطلقوهما لأديهما لا لنسبهما ، لئن أخطأ النسبُ فما أخطأ الأدب.(الغرر الحسان في أخبار الزمان: ص 125). لقد ألف أمير البيان الجاحظ في ذلك كتاباً سماه: (مدح الشيء وذمّه) ، تناول فيه أشياء بالمدح تارة وبالذم تارة أخرى. ولعل في خبر عمرو بن الأهتم والزبرقان بن بدر خير دليل على هذا ، فقد سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن الأهتم عن الزبرقان بن بدر ، فقال: "إنه لمانعٌ لحوزته ، مُطاع في أدنّيه". قال الزبرقان: إنه يا رسول الله ليعلم مني أكثر مما قال ، ولكنه حسدني شرفي ، فقصر بي ، قال عمرو: "هو والله زمرُ المروعة ، ضيق العطن ، نيم الخال". فنظر النبي صلى الله عليه وسلم في عينيه فقال: "يا رسول الله ، رضيتُ فقلتُ أحسنَ ما علمت ، وغضبتُ فقلتُ أقبحَ ما علمت ، وما كذبتُ في الأولى ، ولقد صدقتُ في الآخرة". فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن من البيان لسحراً". ومما يدخل في هذه الباب ما ألف من مقامات في المفخرات والمناظرات ، حيث يحشد الأديب كل ما أوتي من بلاغة وفصاحة ، وبيان وطلاقة ، في الاستدلال على مدح الشيء ورفعته ، وعلو قدره ومنزلته ، ثم يحشد مثل ذلك للاستدلال على مدح نقيضه فيحار القارئ إلى أيهما ينحاز ، وقد عنيت بأخرة بإخراج كتاب في هذه المقامات لثلة من الأدباء بعنوان: (المفخرات والمناظرات) صدر عن دار البشائر الإسلامية ببيروت ، ضم مفاخرة عذبة بين الليل والنهار ، وأخرى بين الشمس والقمر ، وثالثة بين الغربية والإقامة ، ورابعة بين العلم والجهل ، وخامسة بين الماء والهواء ، وسادسة بين الأرض والسماء. قال هشام بن عبد الملك: إن الله رفع درجة اللسان فأنطقه بين الجوارح. وقال علي بن عبدة: إنما يبين عن الإنسان اللسان ، وعن المودة العيان. وقال آخر: الرجل مخبوءٌ تحت لسانه. وقالوا: المرء بأصغريه قلبه ولسانه. وقيل: تكلموا تُعرفوا. وقد يصغر المرء في عيون من حوله لصغر في سنه ، أو نحول في جسمه ، أو زراية في مظهره ، أو دمامة في وجهه ، فما يعلوبه غير لسانه ،

وما يكبره في عيونهم غير بيانه. روى الجاحظ أن معاوية - رضي الله عنه - نظر إلى النخار بن أوس الغدري ، الخطيب الناسب ، في عباءة في ناحية من مجلسه ، فأكرهه وأنكر مكانه زرايةً منه عليه ، فقال: من هذا؟ فقال النخار: يا أمير المؤمنين ، إن العبادة لا تكلمك ، وإنما يكلمك من فيها! قال: ونظر النعمان بن المنذر إلى ضمرة بن ضمرة ، فلما رأى دمامته وقلته قال: "تسمع بالمُعَيديّ لا أن تراه" هكذا تقوله العرب ، فقال ضمرة: "أبيت اللعن ، إن الرجال لا تُكَل بالفضان ، ولا توزن بالميزان ، وليست بمسوك يُستقى بها ، وإنما المرء بأصغريه: بقلبه ولسانه ، إن صال صال بجنان وإن قال قال ببيان". والحق أنني أخذت بحكمة الحجاج وذكائه في تحليل الكلام! فأخذني الموقف ، وأعجبت بالردود المفحمة الزكية المتألقة ، فقلت من المنسرح من شعري:

تأ الله ظني لم يخطئ الأدب	حتى وإن حيناً أخطأ النسب
ولالأصيل الحياة بأسمة	مهما ذهته الكروب والنوب
وللأديب الجموع واعية	ومنه - رغم البلاء - تقرب
تختال فخرًا بالفذيق دُمها	والغاية العظم ، بعده الأدب
صنائع الخير لا تضيق سدى	مهما اعتراها الهوان والودب
قد قال هذا (الحجاج) من زمن	إن السب جايا الشهباء تُظلب
حيث امتداح الأبناء منقبة	يجتبيها الأكارم النخب
لا يحقرون الأبناء في مالا	إن الفتى - للأبناء - ينتسب
بل وقروهم في الناس قاطبة	وقدموا الاحترام ، واحتسبوا
وراقبوا الله في الذي صنعوا	إذ في المليك الجهود والقرب
كم من فقير سمّت به قيم!	وكم غنيّ وليس يُصطحب!
أطريت سكرانين افتنتت بما	قالاه من شعر زانه اللبب
ألفاظه كالشمس التي طلعت	أما تراكيبُ الشعر فالذهب

غلبت عليه شقوته

(أورد صاحب (مائة قصه في أنيس الصالحين وسمير المتقين) ص 19 قصة أحد الأشقياء ، احتضر بعض العُصاة ، وكان كلما قيل له: قل لا إله إلا الله يقول هذا البيت:

يارب قائله يوماً ، وقد تعبتُ أين الطريق إلى حَمَام منجباب

وسببُ ذلك أن امرأة عفيفة حسناء خرجت إلى حَمَام معروف باسم حَمَام منجباب ، فلم تعرف طريقه وتعبتُ من المشي ، فرأت رجلاً على باب داره ، فسألته عن الحَمَام فقال: هو هذا وأشار إلى باب داره ، وكان باب داره يشبه باب هذا الحمام! فلما دخلتُ أغلق عليها الباب. فلما رأت نفسها في داره ، وعلمتُ أنه قد خدعها أظهرتُ له البشر والفرح باجتماعها معه ، وقالت خدعة منها وتحيلاً لتتخلص مما أوقعها فيه وخوفاً من فعل الفاحشة: يصلح أن يكون معنا ما يطيب به عيشنا اذهب فاشتر لنا شيئاً من الطيب وشيئاً من الطعام ، وعجل العودَة إلينا فقال لها: الساعة آتاك بكل ما تريدين وتشتهين ، وخرج وتركها في الدار ولم يغلقها لأنه كان واثقاً منها ومن رغبتها ، فذهب الرجل إلى السوق المجاور ، واشترى ما يليق ورجع إلى المنزل ، فوجدها قد خرجت وذهبت ، فهام الرجل بها وشغف بها ويذكرها ، وصار يمشي كالمجنون في الطريق والأزقة وهو يقول: -

يارب قائله يوماً ، وقد تعبتُ أين الطريق إلى حَمَام منجباب

فبينما هو يقول ذلك: إذا بجاريتته تقول له:

هلا جعلت سريعا إذ ظفرت بها حرزاً على الدار أو قفلاً على الباب

فازداد هيامه بها ، واشتد هيجانه ولم يزل كذلك حتى كان هذا البيت (...أين الطريق إلى حمام منجباب) هو آخر كلامه من الدنيا ، وكان كلما قيل له: قل لا إله إلا الله ، وهو يحتضر يقول هذا البيت).هـ. وهكذا ندرك أن الأعمال بالخواتيم. فالذكي العبقري من يحرص على المداومة على فعل الخيرات وقول أطيب الكلام ، حتى إذا ما قبض يقبض على عمل صالح وقول حسن حتى يبعث عليه يوم القيامة. والحقيقة أن هذه القصة القصيرة التي احتوت موعظة بليغة كانت قد أعجبتني عندما طالعتها وتأثرتُ بها فكتبتُ من شعري أقول:

أخذت - للقبج والسواى - بأسبابِ فكنيت أسوأ مُحتمال وسآلابِ

وما احترمت معايبيراً ولا قيماً ولا تقاليدَ أو أعراف أعرابِ

وما تمثلت أخلاقاً أتاك بها دينٌ ، كأنك أنت المارقُ الصابي

وما اشترعت بشرع تدعيه ضحىً كم سنّ من سنن مثلى وآداب!

وما رحمت التي جاءئك سائلةً عن الطريق إلى حَمَام (منجباب)

سوى رقيق حقيقر الأصل نصاب
فلا خضوع بقول ساقط نابي
وتحتها بعض أفوافٍ وأثواب؟
وهل تثير الفتى أعطاف جلاب؟
ومالها أبداً في أي تلعب
ومالها زمرة من شر أصحاب
وقلت: هيا ادخلي من ذلك الباب
وأنت أحقر خداع وكذاب
لذاك لذت بشباكٍ وأبواب
فبات يطحن أنياباً بأنياب
أم أنت وحش أتى من عالم الغاب؟
بل جرت بالمخلب المشفور والناب
ضاري الفحولة في الهيجاء غلاب
مثل الذبيحة في دكان قصاب
وقد أخذت تدابيري وأسبابي
وحسنا حاز - إي والله - إعجابي
نفسي ، ولا تحذري مجيئ غياب
ولن أبوح به يوماً لأترابي
عن شهوة جمحت بغير هياب
ما بين أعمدة قامت وأخشاب

وما رعيت جواراً ليس يخفـره
ولم يردك عنها جد لهجتها
هل العباءة تُغري من تأملها
هل الحجاب يثير العين إن نظرت؟
حشيمة تلك ، لم تُبرز مفاتها
ولم تسافح ، ولم تلين لمن عشقوا
ساومتها يا ضعيف النفس دون حيا
أوهمتها بالحياء والصدق في جد
وازدت شوقاً لمرآها ، وقد دخلت
كأنما ضبع حلت فريسته
أين المروعة إن كان الفتى رجلاً؟
صدت الغزاة ، لم ترحم تذللها
وقلت: ذي وحدها في دار مفترس
فلا نجاة لها مني ، وإن جارت
فالباب أوصد ، والجيران في شغل
ذي عادة سلبت عقلي وعاطفتي
أقول: هيت لك انصاعي لما رغبت
وسرك الآن في بئر ، فلا تهني
فيم التردد؟ لا تستكفي أبداً
ولا سبيل إلى هروب من حُبت

أذهب وأحضر - لنا - شهى أرطاب
فإن من تشتهي باءت بأعاب
على الذي تنتوي أمال لعاب
قبحت من رجل - للفحش - وثاب!
تهتاج في عرق يأوي لتسكاب
والقلب يصبو لإبهاج وإطراب
ما أنتما - في بيادينا - بأغراب
إذ خص ضيفته الفضلى بإرهاب
وما به عصب يأوي لأعصاب
لأنها حرة وذات أحساب
وعفة ذات أخلاق وأنساب
يلوئ ما خلفت من ذل أوصاب
كما يدف عبايذ لأنصاب؟!
حتى تحوز بخلف شر ألقاب?
مبادئ سمقت تُزري بمُرتاب
عساك تحظى إذن بعفو تواب!

ففاجأتك بما تنويه قائله
ودونك السوق ، لا ترجع بلا أكل
وقد يعوزك أكل تستعين به
ثم انطلقت تُلبي كل ما طلبت!
أنفقت مالك في لحم وفي رطب
وجئت تطرق باب البيت في لهج
وقد عرفت التي - في البيت - ماكثة
بل عاشق يبتغي مرضاة نزوته
تفقد الدار في شوق وفي شيق
وأفنت هذه العزلاء من يده
وبرة آمنت بالله خالقها
فإذ به وحده - في الدار - مُجدلاً
يقول: أين التي دف الفواد لها
وكيف تخلف ذات الشأن ما وعدت
يا أيها العاشق الولهان تلك لها
فتب - إلى الله - مما كنت تنشده!

ليس هذا من اللوم

(كلما لام زيدٌ عمراً أفحش زيدٌ في القول واللوم. ثم زاد فتناول في العتاب. ألا من عتب أو لام فليتلف. وتكفي على المخاطب أو المَلوم لوعه اللوم ولدوخته. كما أنه يجب إحسان القصد والنية وعدم التجريح بدليل أو بغير دليل! عن ابن عباس - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِيمَا يَرُوهُ عَنِ رَبِّهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - أَنَّهُ قَالَ: (إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ! فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً ، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمَلَهَا كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِمِائَةٍ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ. وَإِنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً ، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمَلَهَا كَتَبَهَا اللهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً). رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ. فليكن اللوم بهذه الأسلوبية المحترمة وبتلك المنهجية حتى يُثمر وتكون نتاجه مقبولة عند الطرفين اللانم والمَلوم!)

وتعتب؟ أم تستجيشُ الشكاية؟

تَلوم؟ أم اللوم أمسى نكاية؟

فتجني على من زجرت جناية

وتزجرُ لست تُراعي حدوداً

فهل لك آلت علينا الوصاية؟

وتطعنُ بالهُزء دون اكتراثٍ

فمن علم الوغد حُسن الرماية؟

وترمي سهامَ العداء انتقاماً

يخط لأهل الملام النهاية؟

وهل أصبح اللوم يا نذل سيفاً

كأن المَلومين أهل غواية؟

لماذا التفحش في اللوم عمداً

لأن الملامة فيها الكفاية!

ألا من يلم فليكن ذا هدوءٍ

فلا يجعل اللوم في العيش غاية

وإن لم يفز بالقبول ابتداءً

له فرصة تستميح البداية

ليُدخِر اللوم حتى تُواتي

ولا يرفع الزجر في اللوم راية

ولا يُكثر اللوم ، هذا لجأج

فبعض الكلام يذر النكاية

ولا ينتق اللفظ يُزهق نفساً

ويحمي العلاقات أحلى حماية

وبعض الكلام يسر البرايا

وشيك مُبِير ، ولا من وقاية

وبعض الكلام يقي من شقاق

ولكن عليه ببعض الكناية

ولا يجعل اللوم ذكر المساوي

الرسامة التائبة

(في إحدى القطاعات راحت هذه الموظفة ترسم نساء عاريات في أوراق أجندتها. فلما رأيتها تفعل هذا ، صممت أن أبين لها حُرمة رسم كل ذي روح من إنسان أو حيوان أو طير ، فضلاً عن العُري. وجادلتها فوجدتها مقبلة على الله غير مدبرة ، محبة للحق غير مجادلة. والحقيقة أنني حريصٌ كل الحرص على هداية الخلق للحق ، لأنني مجبورٌ على أن يتعدي الخير للغير. فصبرتُ على هذه الفتاة وأعطيتها الأدلة والبراهين القاطعة من الكتاب والسنة وأهديتها من الرسم ما هو مباح غير محرّم. فتابت وأخذتُ تستزيد من العلم! وأسأل الله أن يثبتها وإياي على الحق! وفي التمهييد لمحاضراته القيمة: (الثبات على الحق) يقول الأستاذ عبد الله بن محمد الشكره الدوسري ما نصه: (إن المتأمل في واقعنا هذه الأيام يجد أنها أيام عصيبة تموج بها الفتن والمنكرات ، وليست هذه الفتن والمنكرات وليدة عصرنا ، بل من قديم ؛ حيث قَدِم الإسلام على أقوام قد غرقوا في مستنقعات الجهل والضلال ، ثم انتشلتهم الشريعة الإسلامية من هذه المستنقعات الفاسدة حتى أوردتهم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يكرها إلا جاهل ، ولا يحيد عنها إلا هالك ، فلبث هذا البياض ناصعاً في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما مات طفق أهل البدع يمجّون من فساد معتقداتهم المستمدة من تحريف الأديان السابقة ومن عبث الشيطان في أفكارهم ، حتى مزجت نفحات الشيطان نفحات الإيمان ، ثم بدأ يلثم صفاء العقيدة كدر البدع ، وبدأت الفتن منذ أشيع خبر انتقال رسول الله للرفيق الأعلى ، على رأسها ارتداد طائفة من المسلمين - ليس بالهين عددهم - ، ثم توالى الفتن كالزكاة والقرآن والردة والخلافة والخلافات... إلخ وأصبحت الفتن تستحدث مع تغير الجديدين ، واستدارة الفصول ، وكلما تقدم الزمان ازداد الأمر سوءاً ، عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: ألا أحدثكم حديثاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحدثكم أحد بعدي سمعته منه: (إن من أشراط الساعة أن يُرفع العلم ويظهر الجهل ويفشو الزنا ويشرب الخمر ويقل الرجال ويكثر النساء حتى يكون لخمسين امرأة قيمهن رجل واحد). وعن شقيق قال كنت مع عبد الله وأبي موسى فقالا: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن بين يدي الساعة لأياماً ينزل فيها الجهل ويرفع فيها العلم ويكثر فيها الهرج). والهرج: القتل. وعن حذيفة بن اليمان - رضي الله عنهما - قال: "كُنَّا عند عمر ، فقال: أيكم سمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يذكر الفتن؟ فقال قومٌ: نحن سمعناه ، فقال: لعلمك تغنونُ فِتنَةَ الرجل في أهله وجاره؟ قالوا: أجل ، قال: تلك تكفرها الصلاة والصيام والصدقة ؛ ولكن أيكم سمع النبي - صلى الله عليه وسلم - يذكر الفتن التي تموجُ موج البحر؟ قال حذيفة: فأسكت القومُ ، فقلت: أنا ، قال: أنت ، لله أبوك! قال حذيفة: سمعتُ رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: (تُعْرَضُ الفتن على القلوب كالحصير عودًا عودًا ، فأبى قلبٌ أشربها نُكتَ فيه نُكتةٌ سوداء ، وأبى قلبٌ أنكرها نكت فيه نُكتة بيضاء حتى تصير على قلبين ، على أبيض مثل الصفا ، فلا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض ، والآخر أسود مُربادًا ؛ كالقوز مُجَحِّيًا ، لا يعرف معروفًا ، ولا ينكر منكرًا ، إلا ما أُشرب من هواه) ، قال حذيفة: "وحدثته أن بينك وبينها بابًا مغلقًا يوشك أن يكسر ، قال عمر: أكسرًا لا أبًا لك ، فلو فُتح لعله كان يعاد ، قلت: لا ، بل يكسر ، وحدثته أن ذلك الباب يُقتل أو يموت ، حديثًا ليس بالأغليط". فمن تمعن في هذه الآثار ، وجب عليه الحذار ، والأخذ بعين الاعتبار ، لأن كثرة الفتن تورد القلب مشارب

الدمار ، وتجعل الحليم والعاقل في رشده حار ، وتسلك بالمتخبط شعاباً لا تقبل الحوار ، فيبقى متذبذب في المذاهب والديار ، ويكفر الرجل ويسلم بفلس ودينار ، فاللهم نسألك أن نكون للصالحات عمارةً).هـ. فأنشدتُ أحكي على لسانها بعد توبتها:)

زدني ، أراك - بما تُسديه - مأجورا
نبهت غافلة - في الغي - سادرة
إن الحروف لها - من فيك - رونقها
هذا ضميري - لما تُلقيه - مُستمع
هيا اسكب العلم - في أسمع - جاهلة
أدركتُ حقاً ، بأنني كنتُ ساذجة
فكنتُ أرسُم ما استحبيت من صور
وبعداها أنقشُ الألوان زاهية
وكل رسم له رمز وتجربة
والكل يُخبِرُ لوحاتي وأخيلتي
وغرقتي من سنا اللوحات ضاحكة
حتي أتيت بهذا الجزم تقنعني
وإن رسمَ ذوي الأرواح حرمته
يا صاحبي تبث عما كنتُ أرسُمه
ولن أعود لما كنتُ ابتليتُ به
والدمع يُسفرُ في الأحداق عن ندمي
أرجو القبول ، فهل أحيا لأدركه
وأسأل الله محو الذنب أجمعه

بات الفؤاد - بهذا الطرح - محبورا
والوعظ بصّرها - بالحق - تبصيرا
تُهدي - لسامعها - الإرشاد والنورا
ويحتفي - بك - إجلالاً وتقديرا
يُزيدها الجهل والإعراض تخسيرا
يُغررُ الرسمُ بي - والله - تغريرا
تزري بمن تبغني - للرسم - تبريرا
كأنها قصة ، تحكي الأساطيرا
تُحررُ العقل والأفكار تحريرا
وينثرون - على رسمي - الأزاھيرا
فكل شبر بها يحوي تصاويرا
وكان سعيك للإصاح مشكورا
ترجّحتُ بدليل كان مسطورا
لما قرأتُ بعيني المحاذيرا
من الرسوم تزيد القلب تبديرا
والخوف يرسل للقلب التباشيرا
كيلا أعير - بالعصيان - تعييرا؟
وأن يُيسر - لي - المتأب تيسيرا

شعورٌ بات غريباً

(إنه شعور الإنسان بحبه وفرحته الغامرة لنبوغ الآخرين ووصولهم لما وصلوا إليه. خاصة إن كانوا قد نبغوا في مهنته أو صنعته أو علمه. لفت نظري رسالة أرسلها الشيخ / محمد رفعت - رحمه الله - إلى الشيخ / محمد رشاد الشريف - قارئ المسجد الأقصى المبارك. يقول الشيخ رفعت للشريف: إنني أحمد الله أن وفقك للقراءة بنفس أسلوبيتي وطريقتي. وأنا سعيد جداً أنني أستمع إلى شبيهي من إذاعة القدس. وفقك الله وبارك فيك وأمد في عمرك. فلم يحقد الشيخ رفعت ولم يحتقر ، ولم ينل من الشريف لأنه يقلده بنسبة تزيد عن 99% ، كما قال مستمعه وبشهادة رفعت نفسه (شبيهي). والجرائد في هاتيك الأيام تعنون لمقالاتها: (الشيخ رفعت يُولد في فلسطين من جديد). وطبعاً غير خاف تقليد الشيخ رفعت هو والمستحيل صنوان لعملة واحدة! لصعوبته ولمقاماته وطبقاته النادرة العجيبة. ولم أعش هذا الشعور في حياتي إلا قليلاً: عشته مع أستاذي الذي علمني اللغة الإنجليزية الأستاذ الفاضل / رمضان متولي الدنجاوي ، (حيث كان يحب لتلامذته النبوغ). وعشته مع معلم اللغة الفرنسية الأستاذ المحترم / إبراهيم خليل. وعشته كذلك مع معلم اللغة العربية الأستاذ الموقر / عزمي فتحي غليمي. وأخيراً عشته مع الأستاذ الوالد الشاعر الكبير سالم النوبي والدكتور الوالد الشاعر الأديب الكبير وصاحب التصانيف في اللغة والأدب والشريعة والفكر / عدنان النحوي ، والأخيران تفضلا عليّ بمراجعة شعري كله بلا ملل ولا كلل ، وأرشداني إلى عيوبي بكل أمانة وصدق. على حين وجدت أغلب المهن والحرف والصناعات والعلوم يحقد أغلب أهلها على بعض ، ولا يريد الضالعون فيها أن ينافسوا أو أن يصل أحد سواهم إلى ما وصلوا إليه. وإن وصل أحد والتمسوا ذلك وأدركوه فإنهم يثبطونه ويحقرونه. والرشاد عمر إلى ما فوق التسعين! يذكر أن الشيخ الشريف كان مقرناً في إذاعة القدس بالعام 1941م ، قبل أن يصبح مقرناً للمسجد الإبراهيمي في الخليل ، ثم مقرناً للمسجد الأقصى في العام 1966م ، حتى العام 2002م ، حيث انتقل إلى الأردن للعمل إماماً بمسجد الملك عبد الله في عمان حتى وافته المنية هناك. تقول الأستاذة هبة بريس: (توفي ظهر يوم الاثنين 26 سبتمبر عام 2016م بالعاصمة الأردنية عمان ، الشيخ محمد رشاد الشريف. ويعد الشريف عالماً من أعلام الأمة الإسلامية ، وأحد أشهر قرائها ، فقد كان يمتلك خامة صوتية مميزة ، جعلت منه إماماً ومقرناً للمسجد الأقصى المبارك. بدأ الشريف بتعلم الترتيل صغيراً ، فقرأ القرآن الكريم على الشيخ حسين علي أبو سنينة وأجازه بروايتي حفص عن عاصم وورش عن نافع ، حتى أتقن القراءة القرآنية في سن الثامنة عشرة متأثراً بقراءة المقرئ محمد رفعت. وكان يسمعه مفتي الخليل الشيخ عبد الله طهوب في العام 1941م ، والذي عمل على إرساله إلى الإذاعة الفلسطينية في مدينة القدس ، ليستمع إليه "أهل السماح" وكان من بينهم الشاعر الفلسطيني إبراهيم طوقان فوافقوا على قراءته. وفي العام 1943م ، استمع إلى محمد رشاد الشريف شيخ القراء في القرن العشرين ، المقرئ محمد رفعت وكان كفيفاً ، فقال عنه "إنني أستمع إلى محمد رفعت من فلسطين" ، وليرد له برسالة في العام 1944م معتبراً إياه بمثابة "محمد رفعت الثاني". عيّن كقارئ للمسجد الأقصى عام 1966م ، وكان يقرأ فيه جمعة بعد جمعة لأنه كان أيضاً يقرأ في الحرم الإبراهيمي في الخليل. الشيخ رشاد انتقل للعيش في الأردن منذ عام 2002م ، وهو حاصل على شهادة الماجستير في علوم القرآن).هـ. رحم الله الشيخ رفعت وبارك

في الشريف. إنني اليوم أجد أصحاب الصنعة الواحدة يحقد أغلبهم علي بعض. ولا يكاد معلم يبصر تلميذه بخفايا مادته أو صنعته إلا القليل.)

كم نأت عن جُل الورى آداب!
لم هذي الأحقاد عمّت قرانا
كيف تغشى الضغائن الهوج قومي
والنفوس: نفسٌ تدنت فخابت!
كم تجودُ نفسٌ على من يليها
(رفعت) الخير قد بلغت مقاماً
لم تُحَقِّر لَمَّا وجدت شبيهاً
بل مدحت (الشريف) مدحاً يُوافي
إن هذا تواضعٌ لا يُبارى
وشعورٌ - والله - أمسى غريباً
(والشريف) أهلٌ لإطراء شيخ
(يا شريف) غرّد ، ورجّع ، وجود
إن رب الأنعام أعطاك صوتاً
فاعمر الأقصى - بالتراتيل - تشدو
أمتع الخلق بالترانيم طابت
قد مُنحت من (رفعت الخير) عزاً
صاح ، إن الأسماع تهفو إليكم
فاعمر الدار بالقراءات تُشجي

والسؤال: ما السرُّ ، ما الأسباب؟
واعترانا - منها - الشقا والخراب؟
كي يسود المُحتال والكذاب؟
ثم نفسٌ - ببذلها - تُستطاب
ثم يبدو من جودها الإعجاب!
منتهاه الأخلاق والآداب
إن تحقيق الخلق أمرٌ يُعاب
جهده ، حتي زفه الأصحاب
بين قومي وبينه أحقاب
بل وحتى أربابُه أغراب
يحتويه عبرَ البريد كتاب
حبذا الاسـتمتاع والإطراب!
يجتبيهِ الأعجم والأعراب
رُب هلكى أصغوا إليك ، فتابوا
صوتك العذب - ذاك - شهّد مذاب
تصطفيه الأحساب والأنساب
والتـرانيم بالتغني عذاب
رب قوم - لآي تلك - استجابوا!

والأسماك ضيوف الحفلة

(عندما تفيضُ الأرزاق ويصبح المال وسيلة لفعل أي شئٍ وإتيان أي عمل بقطع النظر عن حله أو حرمة ، عندما يكون ذلك كذلك يدفع الناس ثمن انحرافهم ويكون غالباً. وضحية من ضحايا هذه السلوكيات عروساً قصيدتنا. حيث أنهما أصرا على تصوير الحفلة وضيوفها ، ليس هذا فقط! بل التوجه إلى جسر يمتد فوق النيل ، وفي وسط الجسر يأخذ العريس عروسه ويجلسان فوق جدار الجسر لتكون الصورة في وضع نادر لم يسبق له مثيل ، هنا سقط العروسان في النيل! سقطت العروس أولاً ، واندفع العريس يريد إنقاذها لتكون الأسماك ضيوف حفلتهما إذ ما اكتفيا بالضيوف الآدميين ، وحدث ذلك لهما مع علمهما بحرمة التصوير أصلاً! وما اكتفى العريس بالتصوير المزري لها وله في النادي الذي فوق جبل المقطم حيث الرقصات والأنغام والجو المنحل السافل الإباحي المتهتك الصاخب! بل أراد أندر الصور هناك فوق النيل! ولم يستطع أحد إنقاذهما ، وبعد أربعة أيام من البحث والخوض في النيل عُثر على الجثتين. ومن مات على شئٍ حُسر عليه! ولسوف يكملان عُرسهما الفاضح هناك يوم يبعث الله الخلائق! إن الناس عندما يخالفون شريعة الله يدفعون الثمن غالباً: شقوة في الحياة الدنيا ، وذيل الأمم والشعوب والحضارات ، وخزي لا حدود له. ثم عذاب شديد في الآخرة. وأنا أعتذر لعنترة بن شداد فارس بني عيس إذ استعرت اسمه ليطلق على عريس غفلتنا أو حفلتنا ، كما أعتذر للآنسة كحيلية الطرف عبلة بنت مالك ابنة عم عنترة ، كما أعتذر لقبيلة بني عيس إذ نسبت إليها قبيلتي عروسي الغفلة أقصد (الحفلة). ولكن لماذا اعتذاري لعنترة ولعبلة ولبني عيس قبيلتهما؟ والجواب لأن العرب الخالص لا يفعلون هذا تعظيماً لعروبتهم وتقاليد العرب الأصيلة. وأتحدى أن يأتي أحد بدليل يثبت فيه أن عرس عنترة بن شداد العبسي عابد الصنم كان فيه العُري البهيمي الموجود اليوم في أغلب الأفراح التي يزعم أهلها أنهم يدينون بالإسلام! كما أتحدى أن يثبت لنا أحد أن عنترة العبسي يوم عرسه أخذ يراقص عبلة عروسه في فستانها شبه عارية بكامل زينتها ومكياجها! إن أحداً لو حاول أن يثبت ذلك فوالله ما هو مهما بذل بمستطيع ، لأن تقاليد العرب الخالص البدوية الأصيلة التي لم تتدنس بدنس الكفار من حولهم كالفرس والروم والإغريق! أما عروسا حفلتنا فطراز فريد من عالم البشر من أول الخطبة إلى يوم البناء. وقد ضمنن ذلك شعراً لأكون شاهداً على انحطاط وسفالة البعض من أهل زماننا!

غامرَ (عنترُ) بهوى (عبلة) إذ تترك النادي والتلة
ومضى - للموت - على جبل مُصطحباً - في الدرب - الشلة
لم يفتع - بالهزل - تعدى أحكام الشريعة والملة
ما قصة (عنترة) هذي تفصيلاً - في السرد - وجملة؟
صَبَّ عشق فتاة تسبي صَبَّ الحُسن النادي والشلة

ففي قريتها مثل الأباله
مذ كانت - في القرية - طفلة
ولله أوضاع منحاة
قلباً مال صريعاً مياة
والتقليد - لديه - جيلة
لرذيل يسـتروخ ظلـه
إذ عشق المتماق مثابة
في طلعتها ، أو في النزلة
مثل (العنتر) غازل عبلة
ما المرء إذا يفقد عقله؟
إذ للصب العاشق شيلة
من قوم قبـلـوه تجـاة
ليست تعطينا من مهلة
محتفياً في أبهى خلة
والأخرى تحتمل الدبابة
ومن الرفقة جاءت ثلة
ثم تحدد يوم الدخلة
كسحابة صيف أو ظلة
والموعـد مضـروبـه
يصحبه إيقاع الطبابة

وتتبعه ادون حياء
ولله كلمات سخرتها
ولله حركات فنتها
فتمنته عشيقاً يروي
والصعلوك يقلد (روميـو)
أما (جوليت) فقد رضخت
أوقعها في شرك السواي
وتعقبها كالـوان
وتناول - بالمدح - صباها
ومضى يهذي دون رشاد
وانتشرت - فوراً - قصته
وسعي فوراً يطلاب يدها
قالوا: نحمد ناراً شبت
فأتى الخاطب عجلأ غرداً
في كف يحمـل نرجسة
وسط لفيف من أسرته
والخطبة تمت بسلام
والأيام تمر سريعاً
والغرس تحدد موقعه
والموسيقى تعزف لحناً

ويعارضُ منه أهل القبالة
وأراه تُجرّمه المِلّة
إذ - للباطل - فيه الجولة
ما الداعي؟ قولوا: ما العلة؟
في الأرجاء كمثل الفلاة
بئس العُزّي! وبئس البُدّالة!
فالقبالة تتبّعها قبالة
قالوا: تلك رتوش الحفالة
فوق النيل كمثل الحملة
وعقول الجوقة مُختلة
إذ للُغرف السائد صولة
والزلافة تعقبها زلافة
فوق السُور ، وبئس الفعلة!
لتموت الغداة مُبتلة
غرقّت تدفع ثمن الغفلة
من شِقوتها أبأس غسلة
خاطرَ بالنفس المُعتلة
لم يسبّر أغوار القتلة
لم تكن العملية سهلة
والأسماك ضيوف الحفلة!

عرسٌ تبرأ منه التقوى
ليس على هذي شريعتنا
رقصٌ وغناءٌ وفسوقٌ
ورجالٌ - بالغيد - اختلطوا
وعروسٌ زينتها فاحت
في فستان ما أقبحه!
والأضياءُ تُقبّلُ طبعاً
وإذا قلت: حرامٌ هذا
وانتهت الحفلة ، وانطلقوا
والتصويرُ له سَدنته
وعروسُ الغفلة طيعة
في أخزى لقطاتِ عُرفت
رجل فوق الجسر ، وأخرى
حتى ابتلعَ النيلُ صباها
وتزفّ الأسماكُ عروساً
ودواب البحر ستغسلها
وعريسُ الغداة مُختاراً
حاول أن ينقذ غادته
حتى غرقا في ثائيةٍ
والنيلُ احتفل بضيفيه

فداؤكما الصبا

(أدرکت عفراء تلك الشابة الحسنة أباؤها عند الكبر. وكانا قد خرّفا ونكّسا في الخلق! فضحت بالصبا والجمال وأبت أن تتزوج لتستأنف حياتها ، وذلك من أجل المُقام مع والديها والسهر على راحتها. ولبت كل شيء يريدانه منها ، وتحملت خرفهما وذهولهما. وأمرها الكل بالزواج أسوة بإخوانها وأخواتها ، ولكنها أبت من أجل أباؤها. إن كثيراً من البنات في زماننا يؤثرن العنوسة والأيومة من أجل أهداف تتضاعل عند هذا الهدف الجميل السامي ، فأيومة هنا ، وعنوسة هناك ، وإضراب كامل عن الزواج هنالك من أجل الدراسة ، أو من أجل البحث الجاد عن الرجل المناسب ، أو من أجل الانتقام من الحبيب الذي تزوّج من أخرى ، فهل هذا الانتقام منه أم من البنت لنفسها؟ أو من أجل التفرغ للعمل والكسب ومزاحمة الرجال أو من أجل تجهيز العروس قبل مجيء العريس؟! وكانت هناك غايات وأهداف سخيّة. عن ابن عمر: (أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله! إنني أصبت ذنباً عظيماً فهل لي من توبة؟ قال: هل لك من أم؟ قال: لا. قال: فهل لك من خالة؟ قال: نعم. قال: فبرها). أخرجه الترمذي ورجاله ثقات. وكذلك جاء عند البخاري في الأدب المفرد وإسناده صحيح على شرط الشيخين: [أن ابن عباس أتاه رجل ، فقال: إنني خطبت امرأة ، فأبت أن تنكحني ، وخطبتها غيري ، فأحبت أن تنكحه ، فغرت عليها فقتلتها ، فهل لي من توبة؟ قال: أمك حية؟ قال: لا. قال: تب إلى الله عز وجل ، وتقرب إليه ما استطعت ، فذهب الرجل ، فسألت ابن عباس: لم سألته عن حياة أمه؟ فقال: إنني لا أعلم عملاً أقرب إلى الله عز وجل من بر الوالدة! وهذا قاتل. وكذلك جاء عن عائشة في قصة المرأة التي عملت السحر في دومة الجندل ، وقدمت المدينة تسأل عن توبتها ، تقول عائشة: [فرايتها تبكي حين لم تجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيشفئها -أي: بالجواب- حتى إنني لأرحمها تبكي ، فروت قصة السحر وهي تقول لعائشة: إنني لأخاف أن أكون هلكت والله يا أم المؤمنين! ما فعلت شيئاً قط ولا أفعله أبداً! والصحابة هابوا وخافوا أن يفتوها بما لا يعلمون ، إلا أنهم قالوا: لو كان أبواك حيين أو أحدهما لكانا يكفیانك] وجود ابن كثير إسناده عند ابن أبي حاتم. فهذا مسعر بن كدام رحمه الله كانت أمه عابدة ، وكان يحمل لها لداً - شيئاً مثل البساط تصلي عليه - ويمشي معها حتى يدخلها المسجد فيبسط لها اللد ، فتقوم فتصلي ويتقدم إلى مقدمة المسجد فيصلي ثم يجلس ، ويجتمع إليه من يريد فيحدثهم ، كان من العلماء ، لكن هذا العالم كان يأتي بأمه معه إلى المسجد ، فيفرش لها السجادة تصلي ثم ينصرف إلى درسه ، فإذا انتهى حمل لدها وانصرف معها. وكان عروة بن الزبير يقول في سجوده: اللهم اغفر للزبير بن العوام وأسماء بنت أبي بكر. وكان أبو يوسف الفقيه يقول: اللهم اغفر لأبوي ولأبي حنيفة. وكان طلق بن حبيب يقبل رأس أمه ، وكان لا يمشي فوق ظهر بيته وهي تحته إجلالاً لها. ودخل أحدهم مع أبيه السجن ، فاحتاج الأب لماء مسخن ، فمنعه السجن من الحطب ، فقام الولد إلى إناء ، فادناه من المصباح ، فظل واقفاً حتى الصبح ؛ كي يجهز لأبيه ماءً دافئاً. وهذا أويس القرني الذي حبسه اشتغاله بأمه وبره بها عن السفر إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، ففاتته الصحبة ، لكنه كان مقيماً على طاعة أمه وبره بها ، وقد احتبس معها في اليمن قائماً عليها ، وهو الذي مدحه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: (خير التابعين أويس) ، (يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد اليمن من مراد ثم من قرن ، كان به برص فبرئ منه إلا موضع

درهم - الله عز وجل يذكره به حتى لا ينسى نعمة الله عليه - له والدة هو بها بر ، لو أقسم على الله لأبره ، فإن استطعت أن تستغفر لك فافعل) فطلب منه عمر أن يستغفر له ، وطلب منه الناس ، فلما أحس بذلك هرب منهم. وهذا ابن عمر كان باراً بأبيه بعد موته ، أعطى حماره وعمامته لأعرابي كان أبوه صديقاً لعمر. ولكن عندما يكون البر لأبوين كبيرين فهذا عظيم . أنشدتُ محبياً (عفراء) ومطرباً إياها على هذه الشهامة والنبيل ، منشداً على البحر الخفيف مترنماً بهذه القصيدة أقول:

آية أنتِ في العطا والفداء
وانطلاق في عالم الجود سام
ودليل أن الحياة بخير
واعتراف أن البنيات أسمى
إيه (يا عفراء) ، افخري بالتسامي
غردي - في دنيا البرايا - اعتزازاً
علمينا - من نبلك الفن - درسا
توثرين الأيومة اليوم نهجاً
كل هذا في الوالدين احتساباً
رغم بأس الشباب في جسم أنثى
رغم حب - في القلب - ينشد إلفاً
رغم عشق يغزو الفؤاد ، ويأبى
رغم تعيير من عوائل تهذي
كلما زار الدار أهل عريس
ثم قيل: العزباء هذي ستحيا
بارك الله في العطاء لفضلي

أشرفت - دهرأ - في سماء الوفاء
وارتقاء في سلم العلياء
لا تزال فيها دواعي البقاء
في العطا من أكثر الأبناء
ليس أولى - بالفخر - من (عفراء)
وافتحاراً على جميع النساء
كي ينير الدروب في الظلماء
فيه من ألوان الشقا والبلاء
رغم حُسن وصولة وثرء
والصيام يأتي - له - بالوجاء
وفق شرع الرحمن دون التواء
أن يسير في سكة الأشقياء
بكلام الأوباش والسفهاء
يخطبون الفتاة كان التنائي
لأبيها والأُم دون بناء
حيث أعطت - والله - خير عطاء

بائع الكتب

(اضطرته ظروف الحياة وتضييق الطواغيت إلى أن يبيع المساويك والكتب وجلايب النساء وأخمرتهن عند أبواب المساجد. ورزقه الله من هذه الحرفة رزقاً حسناً. غير أن الذي لفت انتباهي في حكايته أنه أتى على العلم الذي ما لبث أن أصبح من أهله وطلبته في أقل من عشر سنوات ، بسبب قراءته الشرهة النهمة للأسفار التي يبيعه للناس. يقول: استثمرت مِلل الحرفة في القراءة والاطلاع ، ثم شرعت في الكتابة بعد عشرة أعوام. فإذا بكتبه لا تقل كثيراً عن مستوى الكتب التي يبيعه إن لم تكن أفضل من بعضها. فمن كان يتوقع من بائع للكتب مكرهاً مضطراً ، ثم هو يتحول إلى قارئ نهم ثم إلى عالم جهبذ نحير. ألا إن المكسب بكونه أضحي عالماً أعظم بكثير من المال الذي ربحه. وهذا لا يعقله إلا العالمون الذين يُقدرون العلم والعلماء. فأنشدتُ أنني عليه أقول:)

حيّـا المهيمـنُ بـائـع الأسـفارِ	ووقاه - في الأخرى - لهيب النار
مازال يقرأ مُعجباً بنصوصها	ومعينها المسترشد المعطار
مازال ينهلُ من أريج وُرودها	كالنحل يعشقُ عاطر الأزهار!
مازال يكسبُ - بالقراءة - وُدّها	ويطابق الأنباء بالآثار
مازال يلتمسُ الطريقَ لحفظها	ويصونُ ما تحوي من الأخبار
مازال ينصحُ مُخلصاً كتابها	متجرداً للواحد القهار
مازال يجعلها السبيلَ إلى الهدى	شأنَ التقاة الصفاة الأخيار
مازال يختصرُ الدروبَ إلى الغلا	بالبحث في مُتبحر الأسفار
وكأنه اللال ينشدُ لؤلؤاً	ليحوزه ، فيجوبُ قاع بحار
عشراً من السنوات يقرأ مُوقناً	أن العلوم رطيبة الأثمار
لم يألُ جهداً في المطالعة التي	من فضلها وعطائها المغوار
جعلته - بين الناس - أسمى رتبة	من كونه في عالم التجار
والبائع المسكين أصبح عالماً	من فضل ربي الواحد القهار
إن المهيمـن يصـطفي من خلقه	رُسلًا تبلغ ما يريد الباري

يتعلمون العلم للدينار
كي يُدركوا ما فيه من أسرار
ما حصّلوه ، ودونما استنثار
ويبوء من سُفهانهم بشنار
والروس تحوي سيئ الأفكار!
بل فاق - في التنظير - أهل الكار
لما يكن يُضنيه أي مَرار
حكموا الورى بحديدهم والنار
قرعوا الطبول ، وطققوا بالطار
مخرّ العباب ، وضجّ بالتيار
والى الكتاب بعزيمة استمرار
للصالحات بأبخس الأسعار
ويُعبى الجنونات كالعطار
بل كان لا يُعنى بربح خمار
يسمو به عن منحة الأبرار
ليعيش يرفل في سنا الإكبار

وكذلك العلماء يصنعهم فلا
بل ينصبون - الدهر - في تحصيله
حتى إذا علموا انبروا ليبلغوا
من بائع للكُتب يحقره الورى
ويفضلون على الكتاب طعامهم
حتى غدا البياغ أعلم جهبذ
وبرغم أحوال تموج مريرة
وبرغم تضيق الطواغيت الألى
قصرروا الوظائف في البلاد على الألى
وبرغم أعباء الحياة وضنكها
وأوى إلى المسواك ينشد مَرجاً
والى جلابيب النساء يبيعها
والى العطور يُهيج جُونتها الشذى
والى الخمار بدون أدنى مكسب
حتى جزاه الله خيراً وافراً
وحباه رب الناس علماً نافعاً

من أجلك يا رسول الله

(كتب صديقٌ شاعرٌ قصيدة أهداها للنبي - صلى الله عليه وسلم - وكانت نونية من الكامل. وندبني إلى مطالعتها ومراجعتها معه ، وهنا في الشارقة وتحديداً في مطعم (حاتم الطائي) كان قد قرأها عليّ قراءة نقدية متأنية فألفيتها قصيدة جميلة ، تستحق القراءة أكثر من مرة ، وخاصة إن علمنا أن الأستاذ قد ربطها بواقع المسلمين المعاش ، فقارنَ بذلك بين عهد الرسالة الأول ، مروراً بعصور الراشدين الموحدين الفاتحين ، ومتناولاً عصور الضعف ، ثم تناول عصرنا بشيء من التفصيل ، فإذا بالقصيدة المهداة إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - تتناول فيما تتناول التاريخ وأحداثه وتشخص الأحوال وتصف الوقائع. فقلتُ في نفسي: إن باب المعارضة الشعرية لم يغلق ، فلماذا لا أعارضُ الأستاذ بنونية أخرى من الكامل حُباً في رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وفي التوّ أمسكتُ بقلمِي بعد عودتي إلى بيتي ، وكانت هذه القصيدة التي عنونت لها ب (من أجلك يا رسول الله)! وكنت قد غضضتُ الطرف عن الواقع المعاصر ، وضربتُ الذكر صفحاً عن الأحداث الموازية لزمان تأليف القصيدة ، إنما تمّ التركيز على زمن الرسالة وما قبلها حتى يتحقق مبدأ: (وبضدها تتميز الأشياء) ، حيث إنني حقيقة أولى برسول الله - صلى الله عليه وسلم - منه! وإن الشعر والشاعر ليشرُفان برسول الله أكثر من أي أحد. ورحتُ أنشدُ معارضاً فقلتُ من شعري:)

يا مُنذِراً بهداه أشرقتِ الدنا	وغدتُ رسالتك المُعطرة السننا
إذ جنّت بالنور المُبين مُبشراً	فأزاح هذا النورُ غائلة الفنا
وأضاعتِ الدنيا بما أهديتها	وجلبت - للناس - المكارم والهننا
وأتيّت - بالبُشرى - لقوم آمنوا	ووعدتهم جناتٍ عدن موطنا
أخرجت هذي الأرض من ظلماتها	وأقمت صرح الحق مرفوع البننا
ودعوت الله الجميع مُؤملاً	أن يظهر الإسلام ثم يُهيمننا
أنقذت أهل الأرض من ضنك الشقا	والسلم حل ، وتوج الأمن الدنا
أرسلت من قبل المهيم رحمة	للعالمين ، وتلك غايات المنى
والناس تخبط في الجهالة والهوى	وتلوك إعراضاً مُبيراً أرعنا
فجميعهم عكفوا على أصنامهم	والبعض من هذي الطواغيت اقتنى
وحياتهم بالموبقات تضمخت	وفشا التفحش والدياثة والزنا

والقتل أضحى - في القبائل - هينا
وأسرَّ بعضهم ، وبعضُ أعلننا
وسلَّ المؤرَّخ كي ترى ما دوننا
والجيلُ قد عشقَ القتال ، وأدمننا
فقبيلة سُحقتُ ، وراعيها اغتني
وتأصَّلتُ فيهم ، وباتت ديدنا
واستمرَّ الكمل الإهانة أزمنا
حتى تطيب لقاطيها مسكنا
وغدت - لهم - بعضُ الممالك موطنا
وبلالُ نادى بالصلاة ، وأذنا
والله - للتوحيد - فيها مكننا
وعلى المربع شرعُ ربي هيمننا
ونبيِّنا مَنحَ الرِّشاد ، وبيننا
والأمرُ أمسى - في الجزيرة - مُعلننا
لكنه ردَّ على أهل القنا
كي يرجعوا للكفر قسراً والخنا
وصحابه أهل المحامد والثنا
وأجرُ رعيلاً مسـتقيماً ديتنا

والكل جاهز بالكبائر قانعاً
وكفى بواد بناتهم وحشية
وحروبهم نشبت لأتفه علة
وأسأل عن الثارات جندت الوري
وأسأل عن النكبات جاء بها الربا
واسأل عن الغارات قام بها الغثا
واحتل أرضهم البُغاة تجبِّرا
للروم بعضُ الأرض: هذا شرطهم
والفرسُ حازت ما تريد تحايلاً
حتى أتى بالحق (أحمدُ) هادياً
فإذا الجزيرة تستعيد حياتها
وتحطمت أصنامها وسلومها
وتفيات ظل العقيدة والهدى
وسيوف أهل الحق تردغ من طغي
هو ليس إكراهاً ، كما قد يدعي
من حاربوا في الدار من هم آمنوا
للهم صل على النبي وآله
وارحم من اتبعوه دون تحرج

إلا من تاب وآمن

(ذهب ذلك الرجل ذو الأبناء الثلاثة مع رفقة له في رحلة قصد منها الاستمتاع بالطبيعة وتغيير الجو ، هكذا أوهم الأصحابُ صاحبهم الساذج الذي لم يكن يعرفهم على حقيقتهم. بينهما هم قصدوا الاستمتاع المحرّم بالنساء والخمر. ولما وصلوا بدا له أنه يستطيع الصمود. وبعد حين انزلت قدمه ، حيث كان موج الغواية أكبر من قدراته على المقاومة والاصطبار! وحظي بامرأة وباشرها وبكي دماً لا دموعاً. وينس من الحياة ، وبعد العودة عمد إلى صاحب له مؤمن مسلم موحد ، وهناك بكى في توجع وقال لصاحبه وهو يحاوره: أنا سوف أسلم نفسي للمحكمة حتى يُقام عليّ حدّ الله (الرجم). فعارضه صاحبه وأقنعه بأن لا يفعل وأن الواجب عليه أن يستر على نفسه ويتوب ، ولكن دون فائدة. فاقترح عليه استفتاء أحد العلماء الثقات فوافق ، وعند الاتصال بالشيخ أنصت واستمع ، فإذا بجواب الشيخ هو عين رأي صاحبه: أن تب إلى الله واندم على ما بدر منك واعزم على أن لا تعود واعمل الصالحات وابك على خطيئتك ولا تسلم نفسك للمحكمة واستر على نفسك كما ستر الله عليك. فقال للشيخ: سيدي الفاضل ، أعطني الدليل من كتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - ، فقال الشيخ: أفعل إن شاء الله ، أما من كتاب الله فمن سورة الفرقان: (وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراماً إنها ساءت مستقراً ومقاماً ، والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً ، والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرّم الله إلا بالحق ولا يزنون ، ومن يفعل ذلك يلق آثماً ، يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً ، ومن تاب وعمل صالحاً فإنه يتوب إلى الله متاباً). وأما من السنة فالخبر الصحيح عندما جاء إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - رجل يقول: رأيت ما عزأ يفعل كذا وكذا. فقال: هلا سترت على أخيك بثوبك؟! فكان الستر اختيار النبي - صلى الله عليه وسلم - فتاب صاحبنا وعدل عن الذهاب إلى المحكمة. ثم داوم على الطاعات والندم والبكاء ولزوم الصالحات حتى حانت ساعة احتضاره. فطلب من أهله إحضار صديقه الموفق ليودعه فجاؤوا به. فسلم عليه وقال له: إنك أحب الناس إلي وإني راحل كما ترى ، ولذلك أرسلت في طلبك لوداعك. ولأقول لك: إلا من تاب وآمن واستمر يقرأ الآيات حتى فاضت روحه إلى بارئها تبارك وتعالى. فجعلت هذا المقطع من الآية عنواناً لقصيدةٍ أحكي فيها قصة الرجل الصالح مع قرناء السوء كاملة وبلا رتوش إلا ما تتطلبه ضرورة النص الفنية من لوازم وقد روي عن بعض السلف أنه قال: أدركت قومًا لم يكن لهم عيوب ، فذكروا عيوب الناس ، فذكر الناس عيوبهم ؛ وأدركت قومًا كانت لهم عيوب ، فكفوا عن عيوب الناس فنُسيت عيوبهم. وعن أبي بَرزَةَ رضي الله عنه عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: {يا معشر من أسلم بلسانه ولم يفيض الإيمان إلى قلبه ، لا تؤذوا المسلمين ، ولا تعيروهم ، ولا تتبّعوا عوراتهم ؛ فإنه من يتبع عثرات أخيه المسلم يتبع الله عورته ، ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله}. [أخرجه الترمذي ؛ من حديث ابن عمر ؛ وقال: حسن غريب ، أخرجه الطبراني ؛ من حديث ابن عباس ؛ وقال الهيثمي: رجاله ثقات]. وقال صلى الله عليه وسلم: {من ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة} [رواه البخاري ومسلم].

وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ ، فَيُضِعُّ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتَرُهُ ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَكَ؟ أَتَعْرِفُ ذَنْبَكَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ ، أَيُّ رَبِّ ، حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلْكَ قَالَ: سَتَرْتَهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا ، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ ؛ فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ } [أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، وَمُسْلِمٌ]. وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {مَنْ سَتَرَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ ، سَتَرَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ كَشَفَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ ، كَشَفَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ حَتَّى يَفْضَحَ بِهَا فِي بَيْتِهِ} [أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَةَ ؛ وَقَالَ الْهَيْثَمِيُّ: إِسْنَادُهُ حَسَنٌ]. وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَلَّ أُمَّتِي مَعَايِي إِلَّا الْمَجَاهِرِينَ ، وَإِنَّ مِنَ الْمَجَاهِرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا ثُمَّ يَصْبِحُ وَقَدْ سَتَرَهُ اللَّهُ فَيَقُولُ: يَا فُلَانُ عَمَلْتَ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا ، وَقَدْ بَاتَ يَسْتَرُهُ رَبُّهُ وَيَصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللَّهِ عَلَيْهِ». وَمَنْ هُنَا يَنْدُبُ لِلْمُسْلِمِ الْمُؤْمِنِ الْمُوَحَّدِ إِذَا وَقَعَتْ مِنْهُ هَفْوَةٌ أَوْ زَلَّةٌ أَنْ يَسْتَرِ عَلَى نَفْسِهِ ، وَيَتَوَبَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَأَنْ لَا يَرْفَعُ أَمْرَهُ إِلَى السَّلْطَانِ ، وَلَا يَكْشِفُهُ لِأَحَدٍ كَانَتْ مَا كَانَ ، لِأَنَّ هَذَا مِنْ إِشَاعَةِ الْفَاحِشَةِ الَّتِي تُوَعَّدُ عَلَى فَاعِلِهَا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: {إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ} وَلِأَنَّهُ هُنَاكَ لَسِتْرُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وَمَجَاهِرَةٌ بِالْمَعْصِيَةِ. قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «اجْتَنِبُوا هَذِهِ الْقَادُورَةَ ، فَمَنْ أَلَمَّ فَلْيَسْتَرِ بِسِتْرِ اللَّهِ وَلْيَتَبَّ إِلَى اللَّهِ ، فَإِنَّ مِنْ يَبْدُ لَنَا صَفْحَتَهُ نَقَمَ عَلَيْهِ كِتَابُ اللَّهِ». وَعَنْ حُكْمِ السِّتْرِ عَلَى الْمُسْلِمِ يَقُولُ الْأُسْتَاذُ جَمَالُ سَعِيدِ الْمَالِكِ مَا نَصَّهُ: (أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ مَنْ أَطْلَعَ عَلَى عَيْبٍ أَوْ ذَنْبٍ أَوْ فَجُورٍ لِمُؤْمِنٍ مِنْ ذَوِي الْهَيْئَاتِ أَوْ نَحْوِهِمْ مِمَّنْ لَمْ يُعْرِفْ بِالشَّرِّ وَالْأَذَى وَلَمْ يَشْتَهَرْ بِالْفُسَادِ ، وَلَمْ يَكُنْ دَاعِيًا إِلَيْهِ ؛ كَأَنْ يَشْرَبَ مَسْكَرًا أَوْ يَزْنِيَ أَوْ يَفْجُرَ مَتَخَوِّفًا مَتَخَفِيًّا غَيْرَ مَتَهَتِّكَ وَلَا مَجَاهِرًا يُنْدَبُ لَهُ أَنْ يَسْتَرَهُ ، وَلَا يَكْشِفُهُ لِلْعَامَةِ أَوْ الْخَاصَّةِ ، وَلَا لِلْحَاكِمِ أَوْ غَيْرِ الْحَاكِمِ. [الْمَوْسُوعَةُ الْفَقْهِيَّةُ الْكُوَيْتِيَّةُ]. كَمَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {مَنْ عَلِمَ مِنْ أَخِيهِ سَيْنَةً فَسَتَرَهَا عَلَيْهِ ، سَتَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} [أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَالطَّبْرَانِيُّ ، وَقَالَ الْهَيْثَمِيُّ: رَجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ]]. هـ. وَلَمَّا عَشْتُ الْمَوْقِفَ وَتَخَيَّلْتَهُ مِنْ بَدَايَتِهِ حَتَّى سَاعَةِ الْإِحْتِضَارِ ، قَلَّتْ مِنْ شِعْرِي:

يَتَّبِعُ التُّرْبُ مَنِهَجَ الْأَتْرَابِ	كَمْ بِلَاءٍ يَأْتِي مِنَ الْأَصْحَابِ!
وَانْحِرَافُ الْخِلَانِ أَعْتَى مُصَابِ	وَاتَّخَذَ الْخِلَانَ سَمْتًا جَمِيلًا
نَيْلُ دُنْيَا تَوْشَحَتْ بِالْخِرَابِ	فَلنَحَاذِرُ مِنْ صَحْبَةٍ مُبْتَغَاهَا
وَلَهُمْ حَقًّا أَسْوَأُ الْأَدَابِ	إِنْ أَعْوَانَ السُّوءَ شَرًّا مَقَامًا
نَفْسُهُ بِالْتَدَجِيلِ وَالتَّلْعَابِ	لَمْ يَزَالُوا بِالْخِلِّ حَتَّى تَدَسَّتْ
ثُمَّ رَاجَتِ بَضَاعَةُ الْكِذَابِ!	كَمْ خَلِيلٌ بِالْخِلِّ أَزْرَى وَأَغْرَى
بِخَلِيلٍ يَحْتَالُ كَالْمَرْتَابِ؟	هَلْ تَسَاوَى خِلٌّ تَقِيَّ أَمِيْنٌ
بِرَفَاقٍ سَاقُوهُ لِلْأَوْصَابِ؟	أَوْ رَفَاقٍ كَالْوَالِدِ لِأَخِيهِمْ

جرّ عوه الويلات لَمّا تدنى
والعجيبُ أن شيبوه انتقاماً
ليت شعري ، كيف استبدّوا بعبدٍ
أدخلوه نار السقوط ، فأغفى
واستجاب المسكين دون احتراز
أوهّموه أن الحياة التخلي
أفهموه أن الزنا كأس حُب
فاستساع الأفكار تغتال عقلاً
إنما هذي في الفنادق تفشوا
كل زان - إلى الأجيّة - يُفضي
إن هذا عصرُ النخاسة قطعاً
أي دين يقِرّ هذا التردّي؟
واستفاق المخدوع بعد التعدي
والدموع في العين تجري دماءً
وإذا بالأنفاس تهتاج ضيقاً
أين أين الأصحاب مما ابتلاه؟
أين أين الأصحاب يأسون جرحاً؟
والصحابُ أسبابُ هذه الخطايا
إنه التوبُّ للإله احتساباً

فاعتراه الشيبُ الذي لا يُحابي
والأسيرُ في عُفوان الشباب
كان يخشى من سيئ الأصحاب؟
مستكيناً لمن يريد التصابي
كل داعٍ يهون إلا التغابي
عن جميع الأخلاق والآداب
دائر بين الغيد والأحاب
ما احتواه من قبل أيّ كتاب
إذ تُعمى مزالج الأبواب
والضجيع يغنو لدفع الحساب
والتزاني بالأجر فصل الخطاب!
هل يجيز هذا أولو الألباب؟
وانبرى يهذي، سائلاً ما عقابي؟
والضميرُ أناته كالحراب
ثم يسري الهياج في الأعصاب
ولماذا خصّوا الفتى بالغياب؟
كل جرح في الجسم بالأسباب
والتداوي بوصفةٍ ونصاب
بُغية الأجر وافراً والثواب

بل أصلها الربيع

(الربيع بن خثيم - رحمة الله عليه - من أعلام التابعين ، يقول أبو وائل ، أحد كبار أصحاب عبد الله بن مسعود اسمه شقيق بن سلمة يقول: خرجنا مع عبد الله بن مسعود ومعنا الربيع بن خثيم فمررنا على حدّاد ، فقام عبد الله ينظرُ حديده في النار فنظر ربيعٌ إليها فتمايل فسقط ، لما رأى النار ماذا تعمل في الحديد وهو حديد؟ فكيف تفعل باللحم والدم؟ قال تعالى: (وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ) ، فمضى عبد الله حتى أتينا على أتون : (فرن) ، فلما رآه عبد الله والنار تلتهب في جوفه قرأ هذه الآية: (إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا... إلى قوله: نُثُورًا) فصعق الربيع ، أي أغمي عليه ، فاحتملناه فجننا به إلى أهله. قال: ثم رابطة عبد الله ، رابطة: أي ظل بجانبه حتى يفيق ، إلى الظهر فلم يفق ، ثم رابطة إلى العصر فلم يفق ، ثم رابطة إلى المغرب فلم يفق ثم إنه أفاق فرجع عبد الله إلى أهله. وذات يوم أراد جماعة من التجار المفسدين إغواء الربيع بن خثيم ، فذهبوا الى امرأة من البغايا وأعطوها 1000 دينار وقالوا لها: هذا ثمن قبلة واحدة تأخذها من الربيع فقالت المرأة: ولكم فوق ذلك أن يزني. فذهبت إلى الربيع في خلوته وتعرضت له وتجردت من ملابسها. فجري نحوها الربيع وهو مندفع ويبكي: كيف بك يا أمة الله إذا نزل بك ملك الموت ، فقطع منك حبل الوتين؟ وكيف بك إذا سألك منكر ونكير ويوم تقفين بين يدي العزيز الجليل؟ أم كيف بك إن لم تتوبى يوم تلقين في الجحيم؟ ففزعت المرأة وخرجت من عنده تائبة عابدة حتى لُقبت بـ (عابدة الكوفة)! حتى قال التجار: أردنا ان تفسد الربيع بن خثيم فأفسدها الربيع علينا! ومناقب الربيع بن خثيم مسطرة في دواوين التراجم والأعلام! قال علقمة بن مرثد: "أما الربيعُ فقيل له حين أصابه الفالج لو تداويت فقال: " لقد علمتُ أن الدواء حق ، ولكن ذكرتُ عادًا وثمود وأصحاب الرس وقرونًا بين ذلك كثيرًا ، كانت فيهم الأوجاع وكانت لهم الأطباء ، فما بقي المداوي ولا المداوي " فقيل له: ألا تذكرُ الناس؟ قال: "ما أنا عن نفسي براضٍ فأتفرغ عن ذمها إلى ذم الناس ، إن الناس خافوا الله في ذنوب الناس وأمنوا على ذنوبهم ، وقيل له: كيف أصبحت؟ قال: "أصبحنا ضعفاء مذنبين نأكل أرزاقنا وننتظر آجالنا". وكان ابن مسعود إذا رآه قال: "وبشر المخبتين ، أما إن محمداً - صلى الله عليه وسلم - لو رآك لأحبك". وكان الربيع يقول: "أما بعدُ فأعد زادك وخذ في جهازك وكن وصي نفسك" الذي تريد أن تعمله لنفسك من أنواع البر اعمله بيدك ، كن وصي نفسك ، لا يوجد أحد خلفك سيعمل لك ، حتى لو فرضنا أن هناك من يريد أن يعمل ستجد ألف مثبط عنه وعندما ترك التداوي قال: "لقد علمتُ أن الدواء حق" والتداوي جائز ولو صبرت على المرض لست آثمًا في هذا! تأثرت بقصة الربيع مع المرأة فأنشدتُ أقول:

جُودي بحسن - به - (الربيعُ) ينبهرُ وإن ألفك - بعد الجود - مدخرُ
دعي الجمال يُدسيه ويفتنه إن الجمال - به - الحسناءُ تنتصر
بضاعة جُربت - في الناس - أزمنة ويشهدُ القومُ ، والتاريخ ، والعُصر

فصانعيه بما خوّلت من فيتن
حتى يذوب من المفاتن اشتعلت
لا شئ مثل لهيب العشق يصرفه
ولا عليك فإن الحسن أسرّه!
وحطيمه بجسم من رآه هفا
إذ التغنج بين الناس ديدنه
وللربيع اخضعي بالقول صائدة
مهما تذرّع بالتقوى سيتركها
تسبي القلوب ، لها سلاح غازية
وإن تعرت غزت قرى بأكملها
تصطاد بالعري من لا رأي يقتعه
قالت: أقبله بالألف قانعة
قد اتفقنا ، وإني لست أخدعكم
وسوف أنسيه أخلاقاً يتيه بها
وتسمعون من الأخبار أعذبها
وسوف أجعل من هذا الفتى مثلاً
وسوف أدحض ما يزجيه من قيم
وسوف أصرفه عن كل منقبة
وكم وعدت ، وما أخلفت موعده!
وبالربيع خلت في ليلة بطرت

تبدو ، وأيضاً بما يخفى ويستتر
ناراً مجامرها تزكو ، وتستعر
إليك ، شهوته يؤزها الشرر
جنود حُسنك لا تُرك ولا تتر
إليه حيث له في لثمه وطر
وبالتغنج كم يُستدرج البشر!
فواد صب بلحن القول ينبهر
أمام غانية في الحسن تتجر
إن أشهرته رأيت الخصم يُحتضر
لا الرمح يدحزها ، كلا ، ولا الوتر
وتستهين بمن إليه ينحدر
وسوف يزني لكي أراه ينتحر!
فجهزوا ألكم يا قوم ، وابتشروا
فخرأ ، وسوف ترون العف يُحتقر
وسوف يوحل في الفحشاء مُعتدل!
وعبرة لفنام ليس تعتبر
بها يدل ويستعلي ويفتخر
بزينة شوئها بين الورى قذر
وخلف وعدي خداع ليس يُغتفر
نوراً يجود به في الظلمة القمر

فأسدلت سترها حتى تمكّنه
وأقبلت بسراج تستضيئ به
وراودته بألفاظٍ مُنمّقةٍ
وأطلقت ضحكاتٍ كلها مَلقٌ
أما الربيعُ فلم يعبأ بفتنتها
ولم يبال بعُريِ عاش يمقته
بل جابه النارَ بالتقوى ليخمدها
لما يمدّ يداً لمن تراوده
بل صدها بكَلِماتٍ منزللةٍ
وقال: كُفّي عن الإغراء ، واعتبري
إن الذي جنّته نذيرُ مهلكةٍ
ألا تخافين ما في الموت من محن؟
وأخذه الموت إذ يأتي بها ملكٌ
ولن ينالك مني ما وعدت به
توبي إلى الله من ذنبٍ ومعصيةٍ
فتابيت الغادة الحسناء عازمة
فقال مَنْ نذروا للكيد جائزة
إن الربيع جنى على خيلتنا
فقلت: أصلحها نصحُ الربيع لها
يارب فاقبل من العصماء توبتها

وهيأت نفسها وفقاً لما أمروا
في ظلمة الليل حتى يحلّو السهر
وزايلت ثوبها ليعذب السمر
حتى يكون الذي تهوى وتنتظر
ولم يقذه إلى جمالها النظر
دهراً ، وإن كان للزواج يفتقر
كيلا يكون لها إذ أوقدت خطر
لكي يُغازلها شأن الألى فجروا
لأن عقبى الذي يزني غداً سقر
لقد تفيذُ التي تصغي لها العبر
وقد خلّت قبلنا للظالم النذر
وكل عاقلةٍ في الموت تفتكر
وإن مُرسله بالأخذ مُقتدر
ولن يكون لما دبرته أثر
والأجرُ عند مليك الناس مُدخر
أن لا تعود لذنب بعده الضرر
وبئس قوماً همُ ، وبئس ما نذروا!
والوعظ أفسدها ، وساءنا الخبر
أليس عندكم فيما جرى نظر؟
إن الدموع - عن العصيان - تعتذر!

التجمل الزائف

(دخلت بيت أحدهم فإذا بخمسة سيوف من سيوف العرب مُعلقة على الجدران ، وسجادة من القطيفة عليها أبيات من شعر عنتره ، وبعض الأوعية والمجسمات التي تأخذ شكل الخيام التراثية العربية ، ونموذج لبيت الشعر ، ولوحات تعكس بيئة العرب البدوية القاحلة ، ومجسمات للآبار ومرابط الخيل ومضارب القبيلة ، إلى جانب بعض الآلات الموسيقية القديمة العتيقة وبعض الآلات الحديثة. بينما البيت برمته لا نصيب للعروبة فيه ، فضلاً عن الإسلام الحق بالمرّة ، فالدشوش قد نصبت واستقبلت وربت وعلمت الأولاد والبنات كيف شاعت. للحدّ الذي قال أحد الأبناء مفتخراً متباهياً إن عندنا ألف قنّاة. وامتأ البيت بالجوّاري (أعني الخادّات) والعبيد (أعني الخدم). وإن هي إلا بيّنة نشأ لا نصيب للعروبة منها إلا من التسمي ، والاختلاط يملأ البيت وكان هذه الخادّات صرن أهلاً وعشيرة إلى جوار الخدم. فرحت أستهنّ هذا التجمل الزائف الممقوت ، وأطلب إلى راعي هذا البيت أن يختار لنفسه بدون تردّد إما عروبة طابعها وأساسها الإسلام ، وإما تغربّ فظ طابعه العلمنة والخروج على شريعة رب الأنام. وبناءً على هذا فلا يصحّ أبداً في بداهة العقل والمنطق هذا الفصام النكد ، وتلك الازدواجية التي تقوم على مبدأ الخلط بين التصورات والمفاهيم. إما عروبة مسلمة حقيقية قلباً وقالباً ، فتحتوي على قيم وأخلاق وتقاليد وأعراف العرب محاطة ومدعّمة بالإسلام ، فيكون الإسلام هو قاعدة الأساس فيها ، فنعمت العروبة الأصيلة التي نفتخر بها. وإما تغربّ كامل بكل علمنته وانحطاطه وتهتكه ومجونه وسُخفه وإباحيته. أما التجمل الزائف القائم اليوم في ديار وبيّنات ونفوس نصيب العروبة منها مجرد التسمي فقط ، ونصيب الإسلام التسمي كذلك ، فإن هذا التجمل الشاذ ليس بشيء. فبينما كنّ ضيفاً في بيت هذا شأنه رحّت أتأمل في هذه الأشياء المُعلقة هنا وهناك ، وغرقت بتفكيري في سالف مجد العرب الأوائل ، وكانت هذه القصيدة انعكاساً لما جال بخاطري من الأفكار التي رحّت أوجّها مباشرة لراعي البيت بوصفه المسؤول الأول عن هذه الممارسات! وإن شاء تاب وأهل بيته عن ذلك الفصام النكد!)

عن المفاخر أنت الراغب العاري
يا من قضى العمر بين العود والطار
فيم ادعاؤك مجداً ، لست صانعاه
حوت مآثره حوائط الدار؟
فيم التعلق بالسيوف مشهورة
على الجدار ، ولم تعمّد إلى الثار؟
ما قيمة السيف يعلوه الغبار ، فلم
يرجع حقوقاً سبهاها ثعلب ضاري؟
علقت خمستها رمزاً وتذكرة
فهل تُحلّ قضايانا بتذكار؟
بالأمس كانت سيوف العرب ماضية
تُركي المعامع كالبارود والنار
تصدّ كيد العدا في كل خدمة
وتسـ تهين بسـ فاح وغـ دار

أو يَسْمُرُونَ على إيقاع مِزمار
فَاللَّعْبُ بالسيف عَدُوهُ من العار
على الرخام بألوان وأحبار!
فكيف تَخْلِط تهريجاً بأشعار؟
وأنت - مَاحوثٌ من قيمةٍ - عار
أم إنها تُحَفِّفُ ، وإنك الشاري؟
من المبادئ ، قد صِغَتْ بأكبار؟
وتحتوي عَذْبَ آراءٍ وأفكار
مُخْلِفاً بعده أطيافُ آثار
لَمَّا احتوى من رؤى تشجي وأخبار!
أو القטיפفة ، أو إبريق فخار
مرصعاتٍ ببياقوتٍ وأحجار!
بكل عزمٍ وتأكيدٍ وإصرار
ما العيش؟ ما الملتقى بدون سُمار؟
بدمع عين من المأساة مدار
يُدنك من نقمة المهيمن الباري
أقول هذا بتشهير وإشهار

ولم تكن زينة يلهو الغفاة بها
أو يلعبون بها حيناً بلا هدفٍ
وكم أسأت - إلى الأشعار - تنقشها
الشعرُ أسمى - من التهريج - منزلة
أراك زخرفت - بالأشعار - دارتكم
فهل تمثلت ما تحويه من خلق؟
وهل فطنت إلى ما خلف أحرفها
كانت تقام لها الأسواقُ عامرة
والكل يحضر مُختالاً بصنعتة
وكم تُسَرُّ - بهذا الشعر - أفئدة
واليوم تبدو على الديباج لمعته
وكم سَخِرَتْ من المُجَسَّمات بدت
تصوّر البيئاة الأصيلة انتحرت
إذ الأعاربُ - عن أصقاعها - رحلوا
حتى مرابط خيل العُرب قد وجمت
يا صاح هذا فصامٌ ، لا مثيل له
حياتك اليوم - من أعرابنا - برئت

بل هو الشارع إذن!

(سافر ذلك الطائع الموفق الموحّد إلى بلد يدعى الإسلام. وعندما جنّ عليه الليل ولم تكن مهمته قد اكتملت ، وتعيّن عليه أن يُتمّها في اليوم التالي ، قصد فندقاً يبيت فيه السويغات الباقية من الليل ليستأنف العمل في اليوم التالي. وفي الفندق رأى ما لم يكن يخطر على بال ولا في الأحلام. فالدواعرُ والخمورُ والنزواتُ لا وصف ولا حد لشيئٍ منهما. وحدثني وأظنه لا يكذب أن إحدى العواهر جاءت بمجرد دخوله غرفته التي حجزها ، وراحت تسأله بكل تجرد وجرأة: (أتريد كذا كذا؟) ويعقب قائلاً: أنا لم أكن أتوقّع أن تبلغ البجاجة والوقاحة والجرأة بامرأة أن تخاطب عريباً مثلها وأمارات الإسلام عليه بادية لا تحتل الخفاء ، ثم هي تطلب هذا الأمر علناً بكل صراحة ووقاحة معاً! يقول: فطرقتُ الباب في وجهها طرقة تعجبت كيف لم يتكسر بعدها من هول ما سمعت وعابنت. يقول: وما الحل وما العمل ، والآن المساجد أغلقت وتجاوزت نصف الليل بساعة؟ وجاءه الشيطانُ وقال: نم ولا عليك ، نم والنية عند الله ، نم كما نام الآلاف هنا قبلك ، أو تهلك نفسك بالخروج من الفندق إلى قطاع الطريق وأبناء الليل؟ فربما اعتدى عليك أحدهم وخاصة إن علم من هينتك ما يكون عليه أمثالك من النعيم والثراء ، نم هنا في الفندق وها أنت ذا قد طرقت الباب وأعلمتها ردك الصارم ، نم حيث لا صاحب ولا صديق يمكن أن تبيت عنده ليلتك. يقول الرجل: فقلتُ في نفسي: ولو ، سوف أغانر هذا الفندق فوراً ، ولن أذهب إلى سواه أبداً ، فلعله أن يكون كذلك ، وأخشى أن تراود الداعرة الفكرة وتعيد الكرة وتضعف نفسي ، سوف أخرج فوراً وإن اعتدى عليّ قاطعو الطريق واللصوص ، فسوف أجاهدهم فإما قتلتهم دفاعاً عن نفسي وإما قتلوني فشهد عند الله تعالى. نعم شهيد في الحالتين: شهيد إن قتلتهم فقتلني قانون بلادهم ، وشهيد إن هم قتلوني وأنا أدافع عن نفسي التي بين جنبي. فانتصر على شيطانه وانطلق إلى صاحب الفندق ، وأعلمه بما كان. يقول: ولم يستهجن صاحب الفندق لهجتي ، ولم يجادل ولم يتمعر وجهه لذلك الأمر أبداً! وكأنه اتفاق قد أبرم بينه وبين هذه الساقطة المردولة التي تتاجر بعرضها ، وتعرض شرفها على زبائنها فمن راتع فيه ومن زاهد له. وأخذ الرجل ماله وانطلق إلى الشارع. وكنتُ أنا ضعيفاً على الرجل على غداً أعده لضيوفه الذين كنت واحداً منهم ، وأحسستُ أنني بصدد كتابة قصيدة عملاقة بهذا الخصوص ، قصيدة حية نابضة تحيي ذلك الشهم وتندد بالساقطة المهينة. وكنت قد انتويت ذلك في نفسي وأجلته لحين عودتي إلى بيتي ، وهناك خلوت بنفسي ساعة وقد أخذت عنوان قصيدتي من فيه إذ قال لنفسه مقترحاً أحد الحلول ، وهو الحل الوحيد الذي استقر عليه رأيه: (الشارع!) فسميت القصيدة: بل هو الشارع إذن! لتكون أكثر دلالة!)

مالي وقوم - إلى الرذيلة - انحدروا
وبالفواحش فيما بينهم جهروا!
تحلّوا ، وسواؤ الليل يلعنهم
وفي التهلك والدياثة اتجروا
وعاقروا الخمر حتى غاب عاقلهم
عن الوجود ، فتعساً للألى سَكروا!

وفي جيبهم الأثمان والأجر
تستقطب القوم ، في أهوائهم سهروا
وكل زان له - في قريتها - وطر
ولا تراهم عن الكبائر اعتذروا
كانهم بالذي أملى لهم كفروا
كانهم بالخنا والدعر ما شعروا
أم غاب عني النهى والسمع والبصر؟
حتى أسائل ما الأوضاغ؟ ما الخبر؟
أنا إليه - بلا شك - سأنحدر؟
ولا يسرّ به من هولته النظر
وأين صقّ نأى - عن أهله - الخطر؟
وقال أين النجاة - الآن - والوزر؟
إني - أراك إلى النعاس - تفتقر
إن الفؤاد - لما عاينت - يستعر
فإن مكثت ، فلي - من وقدها - شرر
هي الملاذ ، أنا - بها - سأستر
بعد العشا أغلقت دون الألى عمروا
لي النجاة إذن من الألى فجروا

واستعذبوا العهر ، قد راجت بضاعته
في فندق رفح الأعلام مغلثة
وكل زانية جاءت مزيناة
هم البهائم لا الأخلاق تردعهم
لا يعرفون من الحلال خرداة
يمارسون حرام الله في مالا
هل زل بي قدمي حتى أتيت هنا؟
أست أبصر ما في القوم من نزق
كيف السبيل إلى النجاة من غرق
في عالم يحزن القلوب منظره
هذي السويغات أين الآن أمكثها؟
وجاء إبليس يغريني بوسوسة
هل تكمل الليل حتى الفجر معتزلاً؟
فقلت: كلا ، وهل إن نمت تتركني؟
والنار حولي - يمين الله - موقدة
والشارع الآن لي ألى ، وظلمته
ولا مساجد تأوي الآن مغترباً
المستعان إلى الناس ، أسأله

زوجة أب!

(بهذا العنوان عنون الأستاذ الشيخ محمد متولي الشعراوي في مقال له في أحد كتبه بعنوان (المرأة المسلمة وفتنة الشيطان) ، وتحكي القصة عن زوجة أب احتالت لتوقع فتنة بين زوجها وابنه من غيرها لفرط حب الأب لابنه ، واكتشف الأب الخدعة وطلقها تطلقاً ثم راجعها بعد حين. فأعجبني القصة فتحدثت عن الخيانة. أما كيف كانت البداية وكيف سارت الأحداث ، فهذا ما سوف نستمتع إليه من المرأة نفسها ، تقول نصياً وحرفياً: تزوجت زوجي وكان له ابن من زوجة أخرى توفيت ، وقد عاهدت زوجي على أن أكفله بالرعاية عوضاً عن أمه التي توفيت منذ فترة ، وسارت الحياة بيني وبين زوجي هانئة سعيدة وكان ابنه عمره خمس سنوات فعاملته في البداية معاملة حسنة ، ولكن الغيرة بدأت تأكل قلبي بسبب حب زوجي له ورعايته له أكثر مني وكأنه تزوجني فقط لأكون خادمة له ولابنه بعد وفاة زوجته الأولى ، وزاد حقدى على ابن زوجي أكثر بعد أن أنجبت ولداً وأحطته برعايتي ، ولم أكن أقصر في رعاية ابن زوجي ، ولكن زوجي كان يُفَرِّق بين ابني وابن زوجته الأولى في المعاملة ، فقد كان يعامل ابني معاملة عادية ، ويعامل ابنه برعاية واهتمام أكبر بكثير ، وكانت النيران تضطرم في قلبي ، وأتمنى أن أقتل ابنه ليكون زوجي لي ولابني فقط ولا يشاركنا فيه أحد ، وكنت أحاول كثيراً أن ألفت نظره لكنه لم يكن يهتم بكلامي وبدأ ابنه وابني يكبران ويكبر في قلبي الحقد الأسود. إلى أن زاد فحاولت أن أوقع بين زوجي وابنه وأدعي ادعاءات باطلة ، ولكن زوجي رفض الانصياع لي ، فقلت له: إن ابنك كبر فلماذا لا ترسله ليعيش مع خالته؟ فنظر لي نظرة نارية ، وقال: حذار أن أسمع منك هذا الكلام مرة ثانية! وكنت لا أمل من أن أثير غضبه على ابنه فأقول له: إن ابنك ينظر لي نظرات غير كريمة. فيضحك قائلاً: إنه مازال طفلاً لا يدرك مما تقولين شيئاً. وفي يوم اشتد حقدى عليه ، فكنت في غرفة نومي بملابس نوم خفيفة ، وزوجي ينام في غرفة أخرى مجاورة ، وناديت ابن زوجي قائلة له: أحضر لي كوب ماء! فأحضر الكوب وأعطاه لي وسألته: اجلس هنا فأنا أريد أن أتحدث معك. وبمجرد جلوسه صحت بصوت فظيع قائلة له: ما تفعله عيب وصرخت وابن زوجي مندهش مما أفعل ، وفجأة دخل زوجي فقلت له: ألا ترى ما فعل ابنك؟ ووقف زوجي صامتاً مندهشاً. فصحت فيه: إن ابنك يغازلني ، ورأيت نظرة الغضب في عينيه ، فعرفت أنه سيترد ابنه ، وأن حيلتي قد انطلت عليه ، وبدأ قلبي يقفز من الفرحة ، لكن زوجي أجمني حين قال لي: أنت طالق! لم أعرف ماذا أفعل ، بكيت طويلاً. وقال زوجي مفسراً ومُعقِباً: لحظك السيئ أنا لم أكن في غرفتي ، ولكني كنت قادماً إليك ، ورأيت ابني يدخل بكوب الماء الذي طلبته ونظرت في المرأة المقابلة للسريير من مكاني في الصالة ، فقد آثرت انتظار خروج ابني ، ورأيت حيلتك الشيطانية! هـ. وعندما اطلعت على هذه القصة العجيبة في كتاب الشيخ الشعراوي أدركت أنها تجسد كيد المرأة بصورة بشعة جداً ، وأدركت أنني سأتناولها في قصيدة إن في القريب العاجل وإن على المدى البعيد ، ورحت أعنون للقصيدة الوليدة بذات عنوان الشيخ الشعراوي (زوجة أب!) ، وبالطبع ليست زوجات الآباء كلهن هكذا ، ولكنه موقف تمخضت عنه قصيدة أعتز بها من بين قصائدي! ألا فلتتق الله تعالى كل زوج أب ، ولتعلم أن الله سائلها يوماً عن الذي استرعاها إياه من أبناء وبنات للأب الذي اختارها زوجة من بين النساء وأحسن إليها! ولتعامل أبناءه من سواها بمثل ما كانت تتمنى لو رحلت عن أبنائها وبناتها أن

يعاملوا به! ولا تتعدى ولا تتجاوز في معاملتها معهم! ولتضع نصب عينيها قول الله تعالى: (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وأن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين)! لأن هذا النص ليكفي لمحاسبة النفس والحذر من الآخرة!)

كم تعدّ تشقى - به - الأرواح!
كم تمادت - في الكرّ والفرّ - نفس!
كم تشفت في خصمها الشهم ذات!
كل زوج تُزكي المودة فضلى
خيرتني غيرى ، دهاها التجني
أشعلت بالإيقاع أعتى مُصاب
كيف طابت نفساً بظلم الضحايا
كيف ساد الظلام بيتاً منيراً
كيف أبدت - لزوجها - ما توارى
كيف شدت - إلى الشقاء - رحالاً؟
كيف أمسى الطلاق عُقبى الأحاجي
كيف حلّو عيش بدون التصافي؟
كل بيت لم يلتزم شرع ربي
والنفوس إما نفوس تسامت
أو نفوس في الموبقات تدنت

قد حكاها الكتاب والشراخ
فاعتزتها الآلام والأتراح
حرّضتها الأوهام والأشباح
حيث تُشفى - مع الوداد - الجراح
ثم ولى عما انتوته الفلاح
واتهام البرى بنس السلاح!
عندما استعلى كيدُها الملحاح؟
هي فيه الأنوار والمصباح؟
بإدعاء لا تدعيه (سجاج)؟
والسؤال: هل فعلها مستباح؟
حين غاب عنها الصفا والصلاح؟
هل يكون ضيفاً عليه النجاح؟
ليس فيه خير ولا مستراح
مُلتقاهم الأعراس والأفراح
فالعقاب خسّر بواخ صراح

القلادة الرابعة

(اشترى هذا الأب الظالم أربع قلادات لبناته الأربع. وبدا له أن يحرم ابنته الكبرى لأنها من زوجة طلقها منذ سنوات ، ويُبقي على قلانده الثلاث لبناته الثلاث من زوجته الحالية ، وتم ذلك له بالفعل. وكان ثمن كل قلادة (1850 ريالاً سعودياً) ، وبينما هو يُجري إجراءاته في المطار ، فطن أحد أصحاب المكوس إلى ذهب الرجل ، فقرر أن يجعله يدفع ما قيمته (1850 ريالاً) بعملة بلده (جمارك) ، فما أحرى الأب الظالم جواباً ، بل دفع المبلغ صاغراً ، ولم يتأمل ولم يفكر ولم يسأل نفسه لماذا حدث هذا؟ ولماذا هذا الرقم (1850 ريالاً). روى الشيخان وغيرهما عن النعمان بن بشير - رضي الله عنه - أن أباه أتى به رسول الله ﷺ فقال: إني نَحَلتُ ابني هذا غلاماً كان لي ، فقال رسول الله - ﷺ -: "أكل ولدك نحلته مثل هذا؟" فقال: لا ، فقال رسول الله - ﷺ -: "فأرجعه". وفي رواية: فقال رسول الله - ﷺ -: "أفعلت هذا بولدك كلهم؟ قال: لا ، قال: "اتقوا الله واعدوا في أولادكم" ، فرجع أبي فرد تلك الصدقة. وفي رواية: فقال رسول الله - ﷺ -: "يا بشير: ألك ولد سوى هذا؟" قال: نعم ، قال: "أكلهم وهبت له مثل هذا؟" قال: لا. قال: "فلا تشهدني إذن ، فإنني لا أشهد على جور" ، ثم قال: "أيسرك أن يكونوا لك في البر سواء؟" قال: بلى. قال: "فلا إذن". فلما علمت بقصة ذلك الأب الجائر من ثقات واستوثقت بعد ذلك من الرواية (أعني الأب صاحب القلادات الأربع) ، وربطت بينها وبين حديث النعمان بن بشير في الصحيحين برواياته كلها أحسستُ بأن براعة الشعر تريد أن تسجل في هذه المناسبة رسالة شعرية تكون بمثابة النذير لجميع الآباء الظالمين الذين يعطون بعض أبنائهم ويغدقون عليهم حارمين البعض الآخر من العطاء والهبات. بل يتناول بعضهم ويحرم من أولاده زيداً أو عمراً أو فلانة من الميراث بعد أن يموتوا! وأنا أسأل هذا الأب الظالم صاحب القلادات الأربع المجرم في حق ابنته سؤاليين هامين: * الأول: أضمنت ولاء البنات اللاتي تخصصهن اليوم بالعطاء والهبات ماذا يكون منهن عند شيخوختك وهرمك؟ * الثاني: أما كفاك ظلمك لابنتك التي طلقت أمها وهي في مهدها تعاني اليتيم والمحاكم والقضايا ، فتكون بذلك قد سقيتها كأس اليتيم مرتين الأولى وهي في مهدها والثانية وهي عروس اليوم؟ ويقول صاحب محاضرة: (الغيظ المكتوم بين الظالم والمظلوم) ما نصه: (قال صلى الله عليه وسلم: (انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً ، فقال رجل: يا رسول الله! أنصره إذا كان مظلوماً ، أفرأيت إذا كان ظالماً كيف أنصره؟ قال: تحجزه عن الظلم فإن ذلك نصره) رواه البخاري. وعن البراء قال: (أمرنا النبي صلى الله عليه وسلم بسبع منها ونصر المظلوم). وقال صلى الله عليه وسلم: (المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه) أي: لا يتخلى عنه ولا يتركه إلى الظالم ، بل ينصره ويدفع عنه الظلم. إذاً لا بد من الوقوف بجانب المظلوم ، وحرام على من رأى أخاه المسلم مظلوماً وهو قادرٌ على نصرته أن يتركه ويسلمه ولا يمنع عنه الظلم. ويجب كذلك كف يد الظالم كما قال أبو بكر رضي الله عنه في الحديث الحسن الذي رواه الترمذي: يا أيها الناس إنكم تفرعون هذه الآية: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ، وإنني سمعت رسول صلى الله عليه وسلم يقول: (إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقابٍ منه) والأخذ على يديه إذا لم يفد معه القول ، فإذا قدر وقوي على منعه ولو بالقوة منعه. ولا

شك أن على صاحب السلطان من هذا الواجب النصيب الأكبر ، وعلى كل صاحب سلطةٍ مثل رجل الأمن مثلاً - واجبٌ عظيم في هذا المجال ، وإذا نصر المظلوم نصره الله يوم القيامة ، والمحتسب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذا نصر المظلوم ينصره الله يوم القيامة. وأما إغاثة الظالم فهي من المصائب العظيمة ، فمن الواجب على الناس أن يقولوا للظالم: يا ظالم! ويعرفوه بأنه ظالم ويمتنعوا عن إعانتة ، وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن من أعان الظلماً لا يرد عليه الحوض ، فالذي يُعين الظلماً يحرم من ورود حوض النبي صلى الله عليه وسلم ، كما جاء ذلك في الحديث الصحيح ، وينبغي على الناس كذلك أن لا يقلدوا الظلماً في الظلم ، ولا يقولوا: إن ظلم الناس ظلمنا ، وإن أحسنوا أحسننا ، وليوطنوا أنفسهم إن أحسن الناس أن يحسنوا وإذا أساء الناس أن يتجنبوا إساءتهم. وعلينا بدعاء الله تعالى كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (واجعل ثأرنا على من ظلمنا) حديثٌ حسن رواه الترمذي ، وكان يقول عليه الصلاة والسلام: (وانصروني على من يظلمني وخذ منه بثأري) رواه الترمذي وهو حديثٌ حسن ، وكان عليه الصلاة والسلام يقول: (اللهم إني أعوذ بك أن أظلم أو أظلم) وهذا من دعائه عند خروجه من البيت). هـ. فواعجباً من هذا النوع من الآباء الذين لم يكتفوا بالظلم في حياتهم ليمتد ظلهم بعد مماتهم! تحركت في ضميري قشعريرة الشعر ، فأتشددت هذه القصيدة التي جعلت عنوانها: (القلادة الرابعة) لتكون أنكى في بيان الظلم! وإن شاء ذلك الأب الظالم ، عدل بين بنياته بدلاً من أن يموت ، فيلقى الله ظالماً!

الظلم يُعقب ظلمةً وقتاماً	يا من عن العقبى استمى وتعامى
بالظلم تنفصمُ العلائقُ والغرى	فعلام تظلمُ من تعول؟ علاما؟
وبه ندمر ، ثم تذهبُ ريحنا	وكفى به - بين الورى - استذماما!
وبه نوججُ نار كل مكيدةٍ	وتظلم آثارُ الشقا أعواما
وبه نوهل للجحيم نفوسنا	إما لقينا الواحدَ العلاما
وبه نوصلُ للقطيعة والجفا	أرأيت - بالظلم - التراحم داما؟
وبه نحطم كل أسباب الصفا	كي نزرع التحريش والإجراما
وبه نروج للتناجش منهجاً	وطريقة - في قومنا - ونظاما
وبه يضيع الحق ، لا نلقى له	يا للأسى - في العالمين - دعاما!
ماذا دهاك لكي تفرق في العطا	بين البنات؟ لقد أتيت حراما
أجزيت أنفعهن يوماً يا ترى؟	فمن الذي أزجى لك الإعلاما؟

فتزيد سهمك - في العطاء - سِهاما؟
رب الورى والغرف والإسلاما؟
أصبحت - إن سَلمتها - ظلاما؟
إذ لم تعش من عمرها أياما
والمهد مُشتعلٌ أسىً وضِراما
وعلى يديك تجرّعت جرساما
قد حطم الأمان والآصاما
وبها خدعت الأم والآناما
لَمّا أزال الواقعُ الأحلاما
ورفضت نصحاً قاله من حامى
بئس الأبوة أرغمتُ إرغاماً!
وأبو البنية يعلن الأرقاماً!
مستهجناً من صدّه ، أو لاماً
أنت اشتريت تكلفاً وغراماً
في تيمية ، من يحتفي بي تيامى؟
لَمّا يُشغ - بين البنات - سلاما
لينفذوا القانون والأحكاما
كلّ - بتنفيذ العقوبة - قاما
فلعلها قد أفهمت إفهاما
ألزم - به نفساً - غوث إزاما

أعلمت من تويك عند كهولةٍ
أضمنت من أكرمتهن محارباً
أحرمت فضلى من عطيتك التي
وظلمتها من قبل يوم رزقتها
وطغنتها - في مهدها - مُتشفياً
وطردت - من قيظ الهجيرة - أمها
وأتى الطلاقُ يترجم البغضَ الذي
وبدت بلاويك التي أخفيتُها
وإذا التجمّل - في السراب - ببيعةٍ
وأراك طلقت اثنتين تطاولاً
أطلق البنات التي في مهدها
وحلبها القاضي يُحدّد سيره
واليوم يختصرُ المدى إجحافه
حكرّ على أخواتها الذهبُ الذي
أما التي أسقطتها من قسمةٍ
والله سلطَ من يُعاقب جانراً
وإذا بأصحاب المكوس تشردموا
كي ينهبوا ثمن القلادة وافيّاً
هي عبرة - والله - واضحة الصوى
اعدل ، فإن العدل أفضلُ شيمةٍ

عندما تكون التربية رسالة

قام المربيان المعلمان اللذان كانا يشرفان على تربية (محمد الفاتح) ابن السلطان مراد الثاني العثماني ، الشيخان / محمد بن حمزة المشهور بـ (أق شمس الدين) وأحمد الكوراني ، قاما بدور كبير في تنشئة الفاتح ، وكان الأول أشد تأثيراً عليه ، وكان الفاتح يعتز به ويقول وهو سلطان على المسلمين: لا تجعلوا شيخي وأستاذي يقف بالباب طويلاً ، بل أدخلوه عليّ مباشرة. قام المربي بضرب محمد الفاتح وعمره سبع سنوات ضرباً شديداً وذلك دونما سبب. وظل محمد الفاتح يذكر ذلك إلى أن تسلم مقاليد الحكم بعد أبيه ، وكان شاباً في مقتبل العمر. فنادى على مُربيه ، وقال: لماذا ضربتني ضرباً شديداً أيام كان عمري لا يتجاوز السنوات السبع يا سيدي؟ فقال: لتذوق معنى الظلم فلا تظلم أيام تكون سلطاناً يوماً ، إن عندي شعوراً أنك ستكون سلطاناً يوماً ما. كما كانت عادة ذلك المربي أيضاً أنه كان يركب جواداً ويحمل محمد الفاتح وهو طفل معه ويخوض الجواد في البحر إلى أن يشرف على الغرق ثم يرجع به. وأثناء هذه الرحلة البحرية يشير المربي إلى أسوار القسطنطينية في الساحل الآخر ويخاطب محمداً قائلاً: هذه هي الأسوار التي تحيط بالمدينة التي ستفتحها يوماً إن شاء الله. وإذن فهي التربية عندما تكون رسالة حقيقية ذات أهداف محددة المعالم. لا التربية الارتزاقية نظير دراهم معدودة. إن المربي الناجح هو الذي يترك أثراً لكل معنى من معاني الدروس التربوية التي يغرسها في نفس من يربيه. وهنا تثمر العملية التربوية بجميع أهدافها الوجدانية والمعرفية والأخلاقية والسلوكية. ولازلنا نذكر الدروس التربوية والمواعظ الوجدانية والنصائح التي جاد بها علينا أساتذتنا الكرام ونحن صغار. وفي سفره العظيم: (رسالة المُعلِّم وأدب العالم والمُتعلِّم) يقول الدكتور عبد المجيد البياتوني يفرق بين التدريس كمهنة وكوظيفة فيقول ما نصه: (يجمع بين المُعلِّم والموظَّف أن كلاً منهما مسلم يحمل في عقله وقلبه ، وسلوكه وأخلاقه رسالة الإسلام ، ويدعو إليها بحسب استطاعته. ولكننا من خلال طبيعة عمل كل من المُعلِّم والموظَّف ومهمتهما في الحياة نستطيع أن نعرِّف المُعلِّم والموظَّف على النحو التالي: - فالمُعلِّم هو الذي ياتممه الناس على تربية أولادهم ، وتأديبهم وتعليمهم ، ويتحقق بمستوى مناسب من الأهلية لذلك. - وأما الموظَّف فهو الذي يكلف بعمل ما ، وتتحقق به الأهلية العلمية ، أو الفنية ، أو الخبرة المناسبة لهذا العمل. ونستخلص من التعريفين الحقائق التالية: * أنَّ كلاً من المُعلِّم والموظَّف يتحقَّق فيهما قدر مشترك من المؤهلات العلمية والأخلاقية ، والمهارات الفنية المناسبة لمهمة كل منهما ، وطبيعة عمله واختصاصه. * أن الجانب الأساسي في المُعلِّم هو المستوى العلمي والسلوك الأخلاقي المناسب ، والقدرة على التعليم والعطاء ، بما ينسجم مع طبيعة المهمة المُلقاة على عاتقه ، ولا يفترض في الموظَّف أن يكون كذلك كما هو واضح. * أن علاقة المُعلِّم علاقة إنسانية تربوية ، فميدان عمله: النفس البشرية ، ومهمته صقل العقول ، وإيقاظ القلوب ، وتهذيب النفوس ، وغرس الفضائل ، واجتثاث الرذائل ، وتنشئة الطفل تنشئة قويمة سوية. إنَّ مهمة المُعلِّم تتعلق بسيد المخلوقات في هذا الوجود. بالإنسان الذي خلقه الله بيديه ، وأسجد له ملائكته ، وجعله في أحسن تقويم ، وحمله ما ناعت السموات والأرض والجبال بحمله ، فشرَّفه بالأمانة ، وخصَّه بالتكليف ، ليكون في أرفع المنازل عند الله ، إنَّ هو وفي بعهد الله وأمانته. إننا نلقي إلى المُعلِّم بفلذات أكبادنا ، معادن وخامات ليجعل منها أدوات نفيسة القدر ، عالية المهمة ،

شريفة المهمة ، وينقش عليها نقوش الحق ، التي تؤهلها لجليل المهام ، ولا تمحوها الليالي والأيام. وفي هذا المعنى يقول الإمام الغزالي رحمه الله تعالى: "إن الصبى أمانة عند والديه ، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة ، خالية من كل نقش وصورة ، وهو قابل لكل ما ينقش فيه ، ومائل إلى كل ما يمال إليه ، فإن عود الخير وعلمه ، نشأ عليه ، وسعد في الدنيا والآخرة ، وشاركه في ثوابه أبواه وكل معلم له ومؤدب ، وإن عود الشر ، وأهمل إهمال البهائم شقي وهلك ، وكان الوزر في رقبة مربييه والقيم عليه". - أما الموظف ؛ فقد يكون تعامله مع آلة صماء فحسب ، لا صلة له بالناس مطلقاً ، وقد يكون بعيداً عن الناس يتعامل مع أوراق تصله ، ومعاملات للناس يتلقاها من موظف آخر ، فتتحصر علاقته مع الناس بعلاقته مع زملائه ورئيسه ، وقد يكون تعامله مع الناس محدداً بلحظة عابرة ، أو كلمة محدودة ، فلا يربطه مع الناس سوى نظام وشروط وقيود! ولا تصله بهم إلا الأوراق المطلوبة ، والشروط المستوفاة. ولا يخفى أن ذلك في كثير من الأحيان إن لم يصحبه حسن الخلق ، والصبر الجميل ، والأسلوب الحكيم في العلاقة ، والطيب في التعامل ، فإنه يورث الجفاء في العلاقة بينه وبين الناس ، لأن النفوس جُبلت على النفرة من القيود والنظام ، وإباء الانقياد والانتظام. ولئن كانت طبيعة عمله لا تقتل من أهمية أخلاقه وسلوكه ، وضرورة صبره وتحمله ، وحسن علاقته بالناس ولطفه ، وما لذلك كله من أثر ، وما يتركه في نفوس المتعاملين معه من انطباع حميد ، وثناء عطر ، وتأثير طيب ، ولكنه لا يقف في ذلك كله موقف المعلم للناس ، والمربي الموجب. ونخلص من ذلك: إلى أن الفرق الذي نريد الحديث عنه بين المعلم والموظف يتجلى في طبيعة علاقة كل منهما بالناس ، ففي الوقت الذي تكون علاقة المعلم مع تلاميذه علاقة أبوية تقوم على التربية والتعليم ، والإرشاد والتوجيه ، تنحصر علاقة الموظف بالناس في نطاق محدود ، من طبيعة العمل الذي يقوم به ، والمسئولية التي يؤديها ، ولا يطلب منه ما فوق ذلك ، ولا يسأل عنه! ومن هنا تتجلى علاقة الناس بالمعلم والموظف ، ولعل هذه النقطة تعدّ مكملة للنقطة السابقة ، ويتجلى خلالها مزيد من الفروق بين المعلم والموظف! - أما علاقة التلاميذ بمعلمهم ؛ فهي علاقة أبوية حانية ، ممتدة طويلة ، يقف فيها المعلم موقف المربي الموجب ، ويقف فيها التلميذ موقف المتلقي المتعلم ، المستجيب المتأدب ، إذ يرى معلمه أكبر منه سناً وجسماً في أكثر الأحيان ، وأكثر منه علماً ، وأجلّ قدراً ، وينظر إليه نظرة الأسوة والاقتداء. وتبعاً لذلك ؛ فإنه يُكنّ له الاحترام والتقدير ، على حسب ما تكون هذه الصفات في المعلم أتم وأكمل! وعلى حسب ما يكون المعلم بعيداً عن الصفات السلبية ، التي تنزع احترام تلاميذه له ، فلا ينظرون إليه نظرة التأسى والاقتداء. وعلى قدر ما يخلص المعلم في عمله ، ويكون قدوة حسنة لتلاميذه ، ينظر إليه تلاميذه نظرة التقدير والاحترام ، والتأسى والاقتداء ، ويعظم انتفاعهم به واستفادتهم منه. ولا ننسى أن من إخلاص المعلم في عمله أن يحرص على نصح تلاميذه وتوجيههم وإرشادهم في كل مناسبة ، وأن ينتهز كل فرصة مواتية لبث الفضائل في نفوسهم ، والتنفير من الرذائل ، والحث على معالي الأمور ، والنهي عن سفاسفها. وتتبع علاقة التلاميذ بالمعلم علاقة آبائهم وإخوانهم وأولياء أمورهم ، وهم الذين يمثلون روابط التلميذ الأسرية والاجتماعية ، وتنعكس سلبياتها وإيجابياتها على تكوين التلميذ وسلوكه وأخلاقه. ويلاحظ في هذا المقام أن كثيراً من أولياء الأمور ، على اختلاف دوافعهم ، يقفون من المعلم كواقفة التلاميذ من معلمهم. مسترشدين مستنصحين ، يتقبلون بصدر رحب ما يوجه إليهم من انتقادات ، تعود إليها

أسباب تقصير الطالب في دراسته ، أو إهماله في واجباته ، أو عدم تهييء الظروف المناسبة لجده واجتهاده. وإذ كان كثير من المعلمين لا يجاملون أولياء الأمور ولا يدارونهم ، بل يصارحونهم ، ويتناولون تقصير الوالدين في مسئوليتهم ، ويقفونهم على نقائص التربية في بيوتهم وأدائها ، وسلبيات تصرفاتهم على سلوك أبنائهم ، مما يجرح بعض الآباء ، وهم في كثير من الأحوال قد خرجت الأمور من أيديهم ، ولم يعودوا يستطيعون تلافي التقصير ، أو تدارك الخلل ، أو لا يريدون ذلك. ولا يخفى أن من طبع الإنسان الهروب من المواقف المحرجة مما يدفعهم إلى قطيعة المدرسة والهرب من مراجعتها ، وتجنب التعرف على معلمي أولادهم ، والسؤال عنهم ، فيتخلون بذلك عن مسئوليتهم في التربية والتقويم ، وتكميل دور المعلم والتعاون معه. وهذا ما تكثر الشكوى منه في مختلف مراحل التعليم بصورة عامة).هـ. واليوم نحاول أن نغرس أمثالها في أبنائنا وطلابنا والله المستعان. أنشدتُ مثنياً على نصائح معلم الفاتح وذلك لفرط إعجابي بها!

نصائح أصـبحتُ دَرِيماً وزادا	وعلماً وانطلاقاً واجتهاداً
وتربية تُبصِّرُ بالمعالي	وتُحيي - رَغْم قسوتها - الجهادا
وتزرعُ في الضمير هدىً وتقوى	لتزدادَ المجاهدة ازيداداً
وتغرسَ في الفؤاد سنا التسامي	عن الدنيا لتغمره رشاداً
وتعلميمٌ له أسسٌ وفحوى	(محمدٌ) من معالمها استفاداً
ورجعَ ذكـرَها سِيراً وجهراً	لذاك انقـادَ - للعمل - انقياداً
ومعلمه أجادَ ، ولم يُقصِّرُ	وبالخبرات والأخلاق جاداً
وحذره الركونُ إلى الأعداي	وجنبه الرذيلة والفساداً
وأدبـه ، ولقنه الوصايا	بأتمته التي أمسيت تُعداي
وعلمه الفضائل والتحدى	وفي العزمات أشربه العناداً
وفهمه كتابَ الله حتى	يكون له مدى الأيام زاداً
ودرسه الحديث بكل صبر	لذا اتأدتُ جوارحه اتناداً
وفي الإسلام فقهه احتساباً	لذا اعتاد المُنظره اعتياداً
وثقفـه ليغدو عبقرية	ويُزري بالخصوص كمأ أراداً

وَدَرَّبَهُ عَلَى الْفَتِيَا مِرَاراً
وَعَلَّمَهُ رَكُوبَ الْخَيْلِ حَتَّى
وَعَلَّمَهُ السَّابَاحَةَ فِي خِضَمٍ
فَأَخْرَجَ لِلوَرَى سُلْطَانَ دَارِ
تَوَلَّى الْحَكْمَ بَعْدَ أَبِيهِ حُبّاً
وَعَبَّأَ جُنْدَهُ لِلْحَرْبِ حَتَّى
وَيُظْفِرَ بِالْعِدَا بَرّاً وَبَحْرّاً
وَيَفْتَحَ - بِاسْمِ رَبِّ النَّاسِ - دُوراً
فَلَمْ يَقْتُلْ صَبِيّاً أَوْ فَتَاةً
أَوْ الرَّجُلَ الْمَسْنَنَ يَرِيدُ سِلْماً
وَلَمْ يَهْلِكْ زُرُوعاً أَوْ ثَمَاراً
وَلَا دَكَتْ مَدَافِعُهُ بِيوتاً
وَلَمْ يُرِقْ الدَّمَاءَ بِدُونَ حَقِّ
هِيَ الْأَخْلَاقِ تَحْكُمُهُ ، وَتُضْفِي
فَرَحْمَةَ رَبِّنَا الْمَوْلَى عَلَيْهِ
فَلَمْ يَكُنْ ظَالِماً فِي أَيِّ حَرْبٍ
يَزْجُ بِهِمْ لِيَقْتُلَهُمْ جَمِيعاً
فَجُودِي أَرَبَ بِالْمَأْوَى عَلَيْهِ
وَسَامِخٌ مِنْ (بَنِي عَثْمَانَ) قَوْماً

لِيَنْفَعَ ذَاكَ الْمُفْتِي الْعِبَادَا
يُغَيِّرَ ضِحْيَ فَيَمْتَطِي الْجَوَادَا
وَأَكْبَرَ جُهْدَهُ لَمَّا أَجَادَا
كَمْ ارْتَعَدَ الْعِدَا مِنْهُ ارْتِعَادَا!
وَتَوَصَّيَةٌ فَلَمْ يَذُقِ الرَّقَادَا
يَوْمَنْ مَا بِهِ يَحْمِي الْبِلَادَا
وَيَصْطَادُ الْقِيَاصِرَةَ اصْطِيَادَا
تُعَانِي الْأَحْتِلَالَ وَالْأَضْطِهَادَا
أَوْ الْجُنْدِ الْأَلَى فَرَوْا فِرَادَى
عَلَى الْعُكَّازِ يَعْتَمِدُ اعْتِمَادَا
وَإِنْ أَصْحَابُهَا ارْتَدُّوا ارْتِدَادَا
وَلَا هُوَ - فِي مَعَارِكِهِ - تَمَادَى
كَمَنْ - فِي سَاحَةِ الْهَيْجَا - تَهَادَى
عَلَيْهِ سَنَا الْبَطُولَةَ وَالْوَدَادَا
فَكَمْ بِالْعَدْلِ وَالتَّوْحِيدِ نَادَى!
يَرَى أَجْنَادَ جَحْفَلِهِ جَرَادَا
وَكَمَا - بَوَسْعِهِ - لَوْ أَنْ تَفَادَى
وَخَصَّ بِدَعْوَتِي هَذَا (مُرَادَا)
قَبْلَتَهُمْ ، فَكَمْ رَحِمُوا الْعِبَادَا!

يا ابنة الملاح

(رباها أبوها من حرام ، فهان عليها كل شئ من دين و عرض و نفس و أهل و دار و شرف . و راحت تسوم البحارة سوء العذاب . فتتكبر عليهم و تسخر من صلاتهم و أخلاقهم و تحملهم جبراً و قسراً على ترك السفينة التي هي في البحر مصدر عيشتهم و حياتهم . و رحّت أعظها و أذكرها فإذا بها تقع في عرضي و تنالني بالسوء . و ذلك لأن جسماً نبت من حرام و سحت و من أكل أموال الناس بالباطل لا يمكن أن يرجى منه خير أبداً إلا إذا تغمد الله صاحبته برحمة منه و فضل ، و لكن إن كانت صاحبته تعربد في الأرض و تخرب الدور و تسخر من الدين و القيم و تتعالى بعنجهيتها و عجزفتها فماذا نتوقع منها إلا الإفساد في الأرض؟ و عن الغرور و عواقبه يقول الأستاذ جابر عبد الله ما نصه: (بعض الرجال يصيبهم الغرور ، فرغم زواجهم بزوجات رائعات إلا أن الغرور يصيبهم فيبحث أحدهم عن أخرى ، و بعض النساء يرفضن الرجال بسبب الغرور و المقارنة ، و البعض تسوغ له نفسه الخيانة لأنه يرى أنه لا يحصل على ما يريد من الطرف الآخر . الإنسان المغرور إنسان بلا وعي ، فهو لا يرى الاستحقاق إلا له ، و ينظر إلى ما عند غيره و يراه حقاً يجب استرداده و هو لا يقر بأحقية الحياة إلا له و وحده ، و يحسد غيره و يتمنى زوال النعمة عنه . كم من الناس غرهم المنصب ، و كم من الناس غرهم المال ، و كم من الناس غرهم الحسب و النسب ، و كم من الرجال غرتهم القوة ، و كم من النساء غرر بهن الشيطان في أشكالهن و جمالهن! فهل يدرك هؤلاء أنهم في جاهلية؟ و هل يدرك هؤلاء أنهم ينتهجون نهج الشيطان حين خرج عن أمر ربه ، و قال جملة واحدة «أنا خير منه»؟ إن الإنسان لا يدرك مغبة أقواله و أفعاله الناتجة عن كلمات يختزنها عقله الباطن ، و التي سبق أن خزنتها النفس الشقية فيه ، لا يدرك أن كلمة واحدة بها شيء من الغرور قد تهوي به في نار جهنم سبعين خريفاً ، و لا يدرك أن كلمة قالها إبليس جعلته في الدرك الأسفل ، فهو قد تحدى ربه في غرور و قال لأغوينهم أجمعين ، هذه هي النفس و هذا هو الغرور الذي تتوق إليه النفس الخبيثة . الغرور نهج شيطاني يبعد المرء عن إنسانيته و عن فطرته ، و يجعله أقرب إلى أن يكون شيطان إنس . فهل تحب أيها الإنسان أن تكون من أبناء الشيطان و تتبع عمله الذي لن يقودك إلا إلى الهلاك؟ فكّر في كل قول و فعل ، و لا تكن من الذين غرتهم الحياة الدنيا). هـ. فأنشدت في هجائها و نقدها - و قد سرقت مني عشرين ألف و مائتي درهم ظلماً - أقول:)

يا ابنة الملاح ما هذا البلاء؟	كيف تختالين في ثوب الشقاء؟
كيف تغالين أسمى عزة	من سنا الإسلام تجني الكبرياء؟
كيف تحتالين أخزى حيلة	و تلاقين التحايا بازدراء؟
كيف تنصاعين طوعاً للهوى	بعدما راجت دعاوى الالتواء؟
أنت أهدرت مقامات الألى	لك كانوا - في البلايا - نصراء

أنت أغرقتِ سَفيناً عامراً
جُوجُؤٌ - في اليمِّ - يسعى جاهداً
أنتِ غافلتِ ضحىً ربانه
أنتِ أهدرتِ حقوقاً سنّها
أنتِ أسقطتِ حُدوداً حَدّها
كم تجاوزتِ المعايير التي
وإذا بالسبب يُمسي ديدناً
أنتِ ما بيّنتِ إلا نعمة
أنتِ ما أرسلتِ إلا حربة
أنتِ ما ناولتِ إلا خنجراً
أنتِ ما حاربتِ إلا مُحسناً
كم تحمّلتِ كُرْهاً نبتغي
كم تصبّرنا ، وقلنا عليها
كم نصحناك فلم تستر شدي
وأمانينا لقد ضاعت سُدىً
يا ابنة الملاح رفقا إننا
لا نحايبي أو نداجي لحظة
نحرسُ الحق ، ونحيا سادة
فاتقي الظلم الذي أذمنتَه
فلماذا نفخة الكِبْر التي
في عُباب الموج يُغريه المضاء
وكذا السُّكان يجتاحُ الوراء
بسيوف الغدر تُردي في الخفاء
بين كل الناس ديّان السما
خاتمُ الرّسُل إمامُ الأنبياء
تبعث التقوى ، وتسمو بالإخاء!
وإذا باللعن سَمَماً والعداء
تحرقُ الوُدّ ، وتُودي بالصفاء
تتدُ الصفح ، وتجتث الهناء
كي تريقي ما تبقى من دماء
جادَ مختاراً بألوان العطاء
بعضَ ما يصبو إليه الأوفياء!
تُطفئُ الحرب ، وتُصغي للنداء!
واجتهدنا بالتمني والنداء!
حيث أعماكِ التعالي والثراء
زأدنا التقوى ، ومأوانا الإباء
ولدين الله نحن الأولياء
ولنا - في ساحة - الهيجا لواء
واعلمي أنك من طين وماء
جرّعتك اليوم أصناف البلاء؟

هذه بندقيتي ، وهذا كفي

(لأنه يسكن في البادية اعتاد على أن يحمي قبيلته ويذود عن عرضه بسلاحه. شأن باقي القبائل في تلك البادية من صعيد مصر. وبينما كان ذلك الرجل ينظف بندقيته ، ويقوم بتفكيك أجزائها في طست من السولار ، جاء ابن له طفل ووضع الذخيرة في الخزنة ، والعادة أنها فارغة ، ولما وضع الرجل كل شئ في مكانه وتزامن مجيئ صاحبه وصديقه من قبيلة مجاورة ، وكان الرجل فقط يجرب بندقيته فأنطلقت طلقة من البندقية لتستقر في دماغ الصديق دون عمد ولا قصد ، وعرف الناس وانتشر الخبر. واستقر رأي القبيلة المجاورة على قتل المسكين. ولم يتنازلوا عن ذلك فبعد مشورة حمل الرجل بندقيته وكفنه على ذراعيه ، وحمل معه كذلك دية القتل الصديق بعدما جمعها من أفراد قبيلته الميسورين ، وتوجه إلى قبيلة القتل يستسمح أولياء الدم أو يخيرهم بين العفو أو القتل. وسامو شيخ القبيلة الذي القتل ابنه ، فاختار القتل فأخذ يذكره بالله ورسوله والقيم الأصيلة ويذكر من فضائل الصفا والعفو والتسامح فأصر على القتل ، وازداد إصراراً على القتل. فقال الرجل: إذن اقتلوني بنفس البندقية التي قُتل بها ابنكم واحملوني مُضرجاً بدمي في كفي هذا. واذهبوا بالجثمان إلى قبيلتي ليفعلوا بي ما يشاؤون ، ولقد أوصيت قبيلتي أن أدفن مع صاحبي في قبر واحد لأن حُزني عليه كصديق يُضاهي حزنكم عليه كأهل ويزيد. فتأثر شيخ القبيلة وقال: بل أعفو وأصفح محتسباً على الله غفران ذنبي وذنبي ولدي القتل. وتشاور شيخ القبيلة مع سادات القبيلة وكبرائها وأشرفها فاختاروا القتل. ولم يزل بهم حتى عفوا وسامحوا بعد مشورة الصالحين الطيبين من وجهاء القرية من القوم الذين لهم لون اجتهاد في الإسلام. وكانت فرحة غامرة ومناسبة عالية في القبيلتين نحرت من أجلها الجزر وأقيمت الولائم أسبوعاً كاملاً. يقول الله في سورة المائدة بعد إيراد قصة قتل ابن آدم لأخيه: (من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم إن كثيراً منهم بعد ذلك في الأرض لمسرفون). يقول صاحب الظلال ما نصه: (إن إحياء نفس واحدة هو استحياء للنفوس جميعاً ، لأنه صيانة لحق الحياة الذي تشترك فيه النفوس جميعاً ، وهذا ينطبق فقط على أهل دار الإسلام من مسلمين وذميين ومستأمنين! فأما دم أهل دار الحرب فهو مباح ما لم تقم بينهم وبين أهل دار الإسلام معاهدة وكذلك ما لهم ، فيحسن أن نكون دائماً على ذكر من هذه القاعدة التشريعية ، وأن نتذكر كذلك أن دار الإسلام هي الأرض التي تقام فيها شريعة الإسلام ويُحكم فيها بهذه الشريعة ، وأن دار الحرب هي الأرض التي لا تقام فيها شريعة الله ولا يحكم فيها بهذه الشريعة ، ولقد كتب الله ذلك المبدأ على بني إسرائيل ، لأنهم كانوا في ذلك الحين هم أهل الكتاب ، الذين يمثلون دار الإسلام ما أقاموا بينهم شريعة التوراة بلا تحريف ولا التواء ، ولكن بني إسرائيل تجاوزوا حدود شريعتهم بعد ما جاءتهم الرسل بالبينات الواضحة ، وكانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يزالون يكثر فيهم المسرفون المتجاوزون لحدود شريعتهم ، والقرآن يسجل عليهم هذا الإسراف والتجاوز والاعتداء بغير عذر ، ويسجل عليهم كذلك انقطاع حُجتهم على الله وسقوطها بمجيء الرسل إليهم وبيان شريعتهم لهم (ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ، ثم إن كثيراً منهم بعد ذلك في الأرض لمسرفون). (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يُقتلوا أو يُصلبوا أو تُقطع

أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خِلاَفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ، ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا ، وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ) إنه حد الحراية وقطع الطريق وهل من إسراف أشد من تجاوز حدود الله ، والتعدي على شريعته بالتغيير أو بالإهمال وفي هذه الآية قرن الله قتل النفس بالفساد في الأرض ، وجعل كلا منهما مبرراً للقتل واستثناء من صيانة حق الحياة ، وتفضيع جريمة إزهاق الروح ، ذلك أن أمن الجماعة المسلمة في دار الإسلام وصيانة النظام العام الذي تستمتع في ظله بالأمان وتزاول نشاطها الخير في طمأنينة ، ذلك كله ضروري كأمن الأفراد بل أشد ضرورة ، لأن أمن الأفراد لا يتحقق إلا به ، فضلاً على صيانة هذا النموذج الفاضل من المجتمعات وإحاطته بكل ضمانات الاستقرار ، كيما يزاول الأفراد فيه نشاطهم الخير وكما تترقى الحياة الإنسانية في ظله وتثمر وكما تتفتح في جوه براعم الخير والفضيلة والإنتاج والنماء ، وبخاصة أن هذا المجتمع يوفر للناس جميعاً ضمانات الحياة كلها وينشر من حولهم جواً تنمو فيه بذور الخير وتدوي بذور الشر ويعمل على الوقاية ، قبل أن يعمل على العلاج ثم يعالج ما لم تتناوله وسائل الوقاية ، ولا يدع دافعاً ولا عذراً للنفس السوية أن تميل إلى الشر وإلى الاعتداء. فالذي يهدد أمنه بعد ذلك كله هو عنصر خبيث يجب استئصاله ، ما لم يثب إلى الرشد والصواب فالآن يقرر عقوبة هذا العنصر الخبيث وهو المعروف في الشريعة الإسلامية بحد الحراية (إنما جزاء الذين يُحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يُقتلوا أو يُصلبوا أو تُقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ). وحدود هذه الجريمة التي ورد فيها هذا النص هي الخروج على الإمام المسلم الذي يحكم بشريعة الله والتجمع في شكل عصابة خارجة على سلطان هذا الإمام ترزع أهل دار الإسلام ، وتعدي على أرواحهم وأموالهم وحُرَمَاتِهِمْ ، ويشترط بعض الفقهاء أن يكون ذلك خارج المصر بعيداً عن مدى سلطان الإمام ، ويرى بعضهم أن مجرد تجمع مثل هذه العصابة وأخذها في الاعتداء على أهل دار الإسلام بالقوة يجعل النص منطبقاً عليها سواء خارج المصر أو داخله! وهذا هو الأقرب للواقع العملي ومجابهته بما يستحقه وهؤلاء الخارجون على حاكم يحكم بشريعة الله ، المعتدون على أهل دار الإسلام المقيمين للشريعة سواء كانوا مسلمين أو ذميين أو مستأمنين بعهد لا يحاربون الحاكم وحده ولا يحاربون الناس وهدمهم إنما هم يحاربون الله ورسوله حينما يحاربون شريعته ويعتدون على الأمة القائمة على هذه الشريعة ويهددون دار الإسلام المحكومة بهذه الشريعة كما أنهم بحربهم لله ورسوله وحربهم لشريعته وللأمة القائمة عليها وللدار التي تطبقها يسعون في الأرض فساداً فليس هناك فساد أشنع من محاولة تعطيل شريعة الله وترويع الدار التي تقام فيها هذه الشريعة ، إنهم يحاربون الله ورسوله وإن كانوا إنما يحاربون الجماعة المسلمة والإمام المسلم ، فهم قطعاً لا يحاربون الله سبحانه بالسيف وقد لا يحاربون شخص رسول الله بعد اختياره الرفيق الأعلى ، ولكن الحرب لله ورسوله متحققة بالحرب لشريعة الله ورسوله وللجماعة التي ارتضت شريعة الله ورسوله وللدار التي تنفذ فيها شريعة الله ورسوله. كما أن للنص في صورته هذه مفهوماً آخر متعيناً كهذا المفهوم وهو أن السلطان الذي يحق له بأمر الله أن يأخذ الخارجين عليه بهذه العقوبات المقررة لهذه الجريمة هو السلطان الذي يقوم على شريعة الله ورسوله في دار الإسلام المحكومة بشريعة الله ورسوله ، وليس أي سلطان آخر لا تتوافر له هذه الصفة في أية دار أخرى لا يتوافر لها هذا الوصف! نقرر هذا بوضوح لأن بعض أذئاب السلطة في

كل زمان كانوا يفتون لحكام لا يستمدون سلطانهم من شريعة الله ولا يقومون على تنفيذ هذه الشريعة ولا يحققون وجود دار إسلام في بلادهم ولو زعموا أنهم مسلمون ، كانوا يُفتون لهم بأن يأخذوا الخارجين عليهم بهذه العقوبات باسم شريعة الله بينما كان هؤلاء الخارجون لا يحاربون الله ورسوله ، بل يحاربون سلطة خارجة على الله ورسوله! إنه ليس لسلطة لا تقوم على شريعة الله في دار الإسلام أن تأخذ الخارجين عليها باسم شريعة الله ، وما لمثل هذه السلطة وشريعة الله إنها تغتصب حق الألوهية وتدعيه ، فما لها تتحكك بقانون الله وتدعيه؟ إنما جزاء أفراد هذه العصابات المسلحة التي تخرج على سلطان الإمام المسلم المقيم لشريعة الله ، وتروّع عباد الله في دار الإسلام وتعتدي على أموالهم وأرواحهم وخرماتهم أن يقتلوا تقتيلاً عادياً أو أن يُصلبوا حتى يموتوا وبعض الفقهاء يفسر النص بأنه الصلب بعد القتل للترويع والإرهاب أو أن تقطع أيديهم اليمنى مع أرجلهم اليسرى من خلاف ، ويختلف الفقهاء اختلافاً واسعاً حول هذا النص إن كان للإمام الخيار في هذه العقوبات أم أن هناك عقوبة معينة لكل جريمة تقع من الخارجين ويرى الفقهاء في مذهب أبي حنيفة والشافعي وأحمد أن العقوبات مرتبة على حسب الجناية التي وقعت! فمن قتل ولم يأخذ مالا قتل ، ومن أخذ المال ولم يقتل قطع ، ومن قتل وأخذ المال قتل وصلب ، ومن أخاف السبيل ولكنه لم يقتل ولم يأخذ مالا نفي ، وعند مالك أن المحارب إذا قتل فلا بد من قتله وليس للإمام تخيير في قطعه ولا في نفيه ، وإنما التخيير في قتله أو صلبه ، وأما إن أخذ المال ولم يقتل فلا تخيير في نفيه وإنما التخيير في قتله أو صلبه أو قطعه من خلاف ، وأما إذا أخاف السبيل فقط فالإمام مخير في قتله أو صلبه أو قطعة أو نفيه ومعنى التخيير! وعند مالك أن الأمر راجع في ذلك إلى اجتهاد الإمام! فإن كان المحارب ممن له الرأي والتدبير فوجه الاجتهاد قتله أو صلبه لأن القطع لا يدفع ضرره ، وإن كان لا رأي له وإنما هو ذو قوة وبأس قطعة من خلاف ، وإن كان ليس له شيء من هاتين الصفتين أخذ بأيسر ذلك وهو النفي والتعزير ، ونحن نختار رأي الإمام مالك في الفقرة الأخيرة منه وهي أن العقوبة قد توقع على مجرد الخروج وإخافة السبيل ، لأن هذا إجراء وقائي المقصود منه أولاً منع وقوع الجريمة والتغليظ على المفسدين في الأرض الذين يُرَوِّعون دار الإسلام ، ويُفزعون الجماعة المسلمة القائمة على شريعة الله في هذه الدار وهي أجدر جماعة وأجدر دار بالأمن والطمأنينة والسلام. كذلك يختلفون في معنى النفي من الأرض هل هو النفي من الأرض التي ارتكب فيها جريمته أم هو النفي من الأرض التي يملك فيها حرّيته وذلك بحبسه أم هو النفي من الأرض كلها ولا يكون ذلك إلا بالموت. ونحن نختار النفي من أرض الجريمة إلى مكان ناء يحس فيه بالغرابة والتشريد والضعف ، جزاء ما شرد الناس وخوفهم وطغى بقوته فيهم حيث يصبح في منفاه عاجزاً عن مزاوله جريمته بضعف عصبته أو بعزله عن عصابته ، ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم ، فالجزاء الذي يلقونه إذن في الدنيا لا يسقط عنهم العذاب في الآخرة ولا يطهرهم من دنس الجريمة كبعض الحدود الأخرى ، وهذا كذلك تغليظ للعقوبة وتبشيع للجريمة. ذلك أن الجماعة المسلمة في دار الإسلام يجب أن تعيش آمنة ، وذلك أن السلطة المسلمة القائمة على شريعة الله يجب أن تكون مطاعة ، فهذا هو الوسط الخَيْر الرفيع الذي يجب توفير الضمانات كلها لازدهاره ، وهذا هو النظام العادل الكامل الذي يجب أن يُصان من المساس به. فإذا ارتدع هؤلاء الخارجون المفسدون عن غيهم وفسادهم نتيجة استشعارهم نكارة الجريمة وتوبة منهم إلى الله ورجوعاً إلى طريقه المستقيم وهم ما يزالون في قوتهم لم تنلهم يد السلطان

سقطت جريمتهم وعقوبتها معاً ولم يعد للسلطان عليهم من سبيل وكان الله غفوراً لهم رحيماً بهم في الحساب الأخير ، إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم. والحكمة واضحة في إسقاط الجريمة والعقوبة في هذه الحالة عنهم من ناحيتين: * الأولى تقدير توبتهم وهم يملكون العدوان واعتبارها دليل صلاح واهتداء * والثانية تشجيعهم على التوبة وتوفير مؤنة الجهد في قتالهم من أيسر سبيل والمنهج الإسلامي يتعامل مع الطبيعة البشرية بكل مشاعرها ومساربتها واحتمالاتها ، والله الذي رضي للمسلمين هذا المنهج هو باريء هذه الطبيعة الخبير بمسالكها ودروبها العليم بما يصلحها وما يصلح لها ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير).هـ. فأعجبني الموقف المهيب فأنشدت أقول حكاية على لسان القاتل البرئ الذي لا ذنب له!

أعلنت - بعد جريمتي - استسلامي
فتخلصوا من كيد الاستتدام
وأيتكم في ثوب من لعق الجوى
وقلا الهنا من قسوة الآلام
لم تكتحل عيني بغمض ليلة!
ومشتت الأفكار كيف يُعامي؟
وأبيت من كسر الفؤاد مَعذِباً
أحيا أسير الضنك والإيلام
وأسير فوق الشوك يجرخني الأسى
والقلب - من فرط الهواجس - دامي
هذي الرصاصة سببت لي مازقاً
حتى غدوت فريسة اللوام
وأحالت الأنوار من حولي دجى
كيف المعيشة في بهيم ظلام؟
إذ جندلت شهماً وفيأ صالحاً
كم كان عنا - في البلاء - يُعامي!
وأقامت العثرات بين أماجدٍ
متألفين مجالين كرام
وبها أزيلت وحدة وأواصر
بين القبائل صفة الأقسام
وبها تصرمت الوشائج والعرى
تلك التي لم تشك أي فصام
وبها تأججت العداوة والجفا
من بعد ود بيننا وونام
وبها تسعرت الدغاول تجتني
ما تشتهي من عشرة وسلام
وبها تفاقم الانتقام مُحطماً
ما بيننا من ألفة ودعام
وبها انبرى للثأر كل سَميدع
مُسْتقتل مُستبسِل مقدام

وسرى لهيبُ قطيعةٍ وخصام
وسعى الوشاة لقطع كل سوام
ممزوجةٍ بمَرارة اسـترحام
لكن يسـير الأمرُ بالإرغام
ناولتها قوماً ذوي أحلام
والأجرُ عند الواحد العلام
عانى من الكُربات والأوهام
من هول ما تلقى من الآثام
لأقوم بالأعباء خيرَ مقام
والبنديقة فصولٌ أيّ ختام
أسعى - إلى الهيجاء - كالضرغام
وكانني أوغلتُ في الإجرام
يهوى - من الأعماق - ضربَ الهام
يأتيه - بين الناس - عقلُ غلام؟
طفلاً حديثَ رضاعةٍ وفِطام
أو آلة تُشجيه بالأنغام
تلك التي تُفضي لشر مرام
واغفرُ مثالبَ عثرتي وكلامي

وبها تلاشت ریح كل قبيلةٍ
وبها تمرقت المحبة والإخا
والآن جئتُ أسخ عبرة نادم
كفني على كفي ، ولستُ مخيراً
والبنديقة بالذخيرة عُمرتُ
ناشدتهم حقن الدماء تکرماً
وليقبلوا دية القتيل من الذي
وليرحموا نفساً تشتت أمرها
وليجعلوني في مقام قتيابهم
ولئن أرادوا القتل ، إنني جنّتهم
أنالا أخاف الموت ، إذ أنا فارس
لكن ثار القوم يُقلق مضجعي
وكانني سددتُ رمية عامدٍ
أولم يكن هذا من العبث الذي
البنديقة ألهمت تفكيره!
هو قال: هذي لعبة مثل الدمى
وأبوه لم يفطن إلى أفكاره
يارب فاغفر - يامهيم - زلتي

أنين الجوى (في رثاء الحاجة فاطمة)

(في يوم الإثنين 21 من صفر 1430هـ الموافق 16 / 2 / 2009م. توفى الله (الحاجة فاطمة) جدة زوجي لأمها ، فرثيتها بهذي القصيدة ، على ذات بحر وروي شوقي عندما رثى جدته التي جاوزت التسعين. وكنت قد عزمث على إنهاء رحلة الغربة والعودة إلى كنف أبوي الكريمين وأهلي وعشيرتي والحاجة فاطمة ، وذلك لما كنت ألمسُ فيهم من حكمة أنا إليها مفتقر! ولكنها إرادة الله أن تسبقنا إلى الرفيق الأعلى الحاجة فاطمة - رحمها الله - وتلحق بزوجها المحترم الحاج كمال مجاهد - رحم الله الجميع - ، وكنت تأثرتُ برحيلها جداً ، ودمعتُ - والله - عيناى ، ورأى غير واحد على وجهي هالات من الحزن العميق. وحق لشعري أن يُشيعها ويتعيبها ويبيكيها بأحرّ الكلمات والتعبيرات. وقلت في نفسي: صحيح أنني عشتُ بعيداً عن الحاجة فاطمة - رحمها الله - ، ولكن بقي الحب كما هو ، والذكريات الجميلة كما هي ، والأخبار الطوة كما هي. فنظمتُ هذه القصيدة في تأبينها لما كان لها عندي من محبة واحترام. فرحمة الله على الحاجة أم زكريا مجاهد ، وأبدلها الله تعالى داراً خيراً من دارها ، وأهلاً خيراً من أهلها ، وجزاها الله عنا خير الجزاء ، على النصائح الغالية والذُرر النفيسة التي استلهمناها منها على قلة لقاءتنا ، وضاعف لها الأجر والمثوبة ، وجمعنا وإياها في مُستقر رحمته يوم نلقاه. عن عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (من أحب لقاء الله ، أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله ، كره الله لقاءه ، قلنا: يا رسول الله ، أكرهية الموت؟ فوالله إنا لنكرهه! قال: ليس ذلك كراهية الموت ، ولكن المؤمن إذا حضر ، جاءه البشير من الله برحمة الله ورضوانه وجنته فليس شيء أحب إليه من أن يكون قد لقي الله - عز وجل - فأحب الله لقاءه ، وإن الفاجر أو الكافر إذا حضر بشر بعذاب الله وسخطه ، فإذا بشر بذلك ، يكره لقاء الله ، والله للقائه أكره). وفي رواية أخرى عن شريح بن هانئ عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (من أحب لقاء الله ، أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله ، كره الله لقاءه ، قال شريح: فأتيت عائشة - رضي الله عنها - فقلت: يا أم المؤمنين ، سمعت أبا هريرة يذكر عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حديثاً ، إن كان كذلك فقد هلكننا ، فقالت: إن الهالك من هلك بقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وما ذاك؟ فقلت: قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: من أحب لقاء الله ، أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله ، كره الله لقاءه ، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ليس منا أحد إلا وهو يكره الموت ويفطع به! فقالت: قد قاله رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وليس بالذي تذهب إليه ، ولكن إذا شخص البصر وحشرج الصدر واقشعر الجلد وتشنجت الأصابع فعند ذلك من أحب لقاء الله ، أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله ، كره الله لقاءه). وأجزم بأن ذكرى الحاجة فاطمة لا تنسى! وقد بلغني أنها ماتت مبتسمة بعد أن شهدت أن لا إله إلا الله ، وهذه ولا شك من البشائر السارة!)

وفاتك جنـدلتُ أعماقَ ذاتي وهزتُ ما تماسك من ثباتي

وهيجت اللواعج والمآسي ورجعت الجوى والذكريات

وأزقت المشاعر والطوايا وسأقت من صروف العائدات

وصفدت العواطف بالبلايا
ونالت من أحاسيس وجاع
وتخزنها عبارات التعازي
كأنني قبل لم أفجع بفضلي
ولم أجزع ، لأن الموت حق
وهذه سنة المولى تعالى
فكم بالموت قد رحلت قرون!
وتنعي النفس أصحاب المعالي
ومن يتأمل الأيام يُدرك
وعيش المرء مرهونٌ بموت
ودنيانا ثقلاً ذننا الأماني
ونهرب من مصائرنا هروباً
فتفجعنا - بصولتها - المنايا
فندعن للقضاء بلا اعتراض
وعند الموت كنت شهدت حقاً
وليس سيواه معبوداً بحق
وأن محمداً - صدقاً - رسول
وودعت الجميع إلى فراق
وغسلت النساء بكل رفق
وكلن المدح خبياً واحتراماً

فكانت من مكابدة الأداة
يُعذبها البكاء على الوفاة
وطعم الحزن يا أمهات
ولم أحزن لموت الفضليات
ويوماً سوف يُذركني مماتي
وسوف تموت كل الكائنات
وكم موتى على قيد الحياة!
وأرباب الحجا والمكرّمات
حقائق تحتوي أئدى العظّات
توشّح بالقضا والنائبات
فنسبح في خيال تأملات
ونسكن في كهوف الأمنيات
وتسرد ما اختفى من بينات
ونمسك عن حكايا الترهات
بأن الله رب الكائنات
وتلك عقيدة الصّيد التقاة
أتانا بالهدى والمعجزات
وقدمت العزرا لمغسلات
فعاين المناقب والسّمات
لما آسن من عذب الصفات

فلجئهم ان إشعاع ونور
 ووجه نغره يزجي ابتساماً
 أيا (زهراء) موتك نال مني
 وطرزت القريض بفرط دمعني
 معمرة ، ولم تترك صلاة
 تجاوزت الثمانين اللواتي
 وعند الباب مصحفك المسجى
 وطرحتك التي تبكي انتحاباً
 وجلباب أناخته الرزايا
 وغرفتك الكئيبة في التيع
 وأهل يذرفون دموع تكلني
 لأجلك ، أنت كنت لهم سراجاً
 وما قصرت في نصح الولايا!
 وللألفاظ نور كالثريا
 وفي التحكيم أعدل من رجال
 وما حكموا كما حكمت ، ولكن
 كلامك ما احتوى يوماً هراً
 وكم حزت المناقب والسجايا
 ومهما قلت ما وفيت أمأ
 كفاني قلت ما عندي قريضاً
 تلاً في وجوه الحاضرات
 وذي الأخبار جاءت عن ثقات
 لذا أتت خير الأمهات
 عليك ، فأنت مني بعض ذاتي
 سيجزيك المليك عن الصلاة
 تقضت في الفعال الصالحات
 يشيع من خلث بأسى الممات
 عليك بما تواجه من أذاة
 تذرغ - في المصيبة - بالسكات
 تلوك الوجد ، توغل في الشكاة
 محطمة الجوانح مبتلاة
 يشعشع في الليالي الداجيات
 نصائح زيتت بالتضحيات
 وفي الآراء وعظ الخيرات
 لنا لبسوا جلابيب الدعاة
 عشوا عن حكم رب الكائنات
 كما تهذي جموع الساقطات
 وكنت بهن أرجى الوالدات!
 مزاياهما تفوق توقعاتي
 بأبلغ ما درست من اللغات

دهته ، أتى بها في الحي آت
بأبياتٍ كمثل المعجزات
تساقط فوق مقفرة فلاة
بنص سوف يقرأه روايتي
بما قاسيت من خبر النعاة
بما أملاه وقع الحادثيات
وأبياتٍ تحنن إلى الخداة
ودمع الشعر يهطل كالفرات
فقد ركبت قطار الرحلات
سواءً في الصباح أو البيات
فيحشر ربنا كل الموات
وأسكنها الجنان العاليات
أعدت للنساء المؤمنات
ومن - على الكريمة - بالهبات
وعند سؤالها جرد بالثبات
وفصلت الأمور الواجبات
لكي نحظى هنالك بالنجاة
فأكرمنا بخير الأعطيات

وما غيبث في قلبي هموماً
وما أحرث تحبيري لكرب
تتالت - فوق قرطاسي - كغيث
فأمسكت اليراع ، وقلت: مرحى
(لفاطمة) نقشت كنيب شعري
فجاء النص مبتسماً كسيراً
بأحرف تشكي ألم البلياء
ويرجمها النعي بصخر حزن!
على (الزهراء) عن عينيه غابت
ومن يرحل يُراوذه التلاقي
ولقيا هذه يوم التنادي
فيا رب الورى أحسن إليها
وأبدلها - من الدنيا - بدار
وأهلاً من جميع الناس خيراً
تغمذها بمغفرة وعفو
خلقت الموت والعيش ابتلاءً
ألا يا رب جنبنا المعاصي
دعوت ، وأنت أهل لابتهالي

أستاذي قال لي

(جلستُ وصحبي إلى أستاذ كان يُحفظنا القرآن صغاراً. وبينما نحن كذلك خرجتُ إحدى بُنياته من غرفة إلى أخرى في البيت. وكانت شابة رانعة الجمال. فأعجب أحد الطلاب بها فأطال النظرة ، ولاحظ الشيخ متابعته لها ، فلقد كان سريع الفهم ثاقب النظرة حاضر البديهة متوقد الحس صريح النصيحة. فعذره الأستاذ نسبياً ، إذ الافتتان بالنساء اليوم لا تكاد تخلو منه بقعة في الأرض! واستجمع الأستاذ قوة تفكيره وسكت هنيهة وقال لابنته: أغلقي الستار واذهبي إلى أمك يا بُنية! ثم قال للكل: يا بني إذا أعجبك حُسن امرأة شابة أو غير شابة فتذكر مناتنها: هذا الفم المشقوق المرسوم لو غاب عنه الطعام سويغات أتطيق رانحته؟ وهذا الأنف العمودي الطويل الجميل إذا أصيب بالزكام وازداد إفرازه للمخاط أتطيق رانحته؟ وهذه الأذن الرانعة الحسن أتطيق الصماخ الذي تفرزه؟ وهاتان العينان أتطيق العماص الذي تفرزانه أو الدموع التي تهطل منهما؟ وهذا الجسم الميَّاس القد والنحيل القوام إذا نامت صاحبتة وعرقت أتطيق عرقها؟ أليست تحيض؟ فإن حاضت أتطيق رائحة حَيْضها؟ إن ولدت أليس لها نفاس؟ أتطيق رائحة دم نفاسها؟ أليست تبول؟ أتطيق رائحة بولها؟ أليست تُخرج؟ أتطيق رائحة إخراجها؟ ألا تستحي من نفسك أن تستهويك من ثنتها حيضة أو بولة أو إخراج أو بخر أو صماخ أو مخاط أو عرق أو عمصة أو بصاق؟ وأخذ الأستاذ يرغبنا في عرائس الجنان الحور المقصورات في الخيام اللاتي لم يطمثنهن إنس ولا جان ، وراح يقارن بين الحور العين والحور الطين ، وأوضح أن الكلمات تعجز عن وصف الحور العين ، وأن الفرق بينهن وبين الحور الطين كالفرق بين السماء والأرض! فأخذتُ أحلل نصيحة المعلم لطلابه فألفيتها غالية وعزيزة للحدّ الذي يجب معه أن تصاغ شعراً يقرعُ سمع الزمان ويُخالج مشاعرَ الشباب في كل مكان من هذه الدنيا. في زمان أصبحت فيه المرأة مادة إعلانية أو إعلامية رانجة وسلعة رخيصة لكسب ما تيسر من الأموال على حساب الفضيلة. المرأة التي لمّا غوثت كانت سبباً رئيساً في تضليل كثير من المجتمعات ، وهوت بها إلى قيعان الفسوق والرذيلة ودرك البهيمية والعجاوية والانحطاط والسفول والضياع والتشريد والتتهتك والإباحية. المرأة التي كانت سبباً رئيساً في فتنة بني إسرائيل ، وتعيد الكرة في هذه الأمة ، ونسأل الله العفو والعافية والسلامة. يا بني: إذا أعجبك حسن امرأة فتذكر مناتنها ووسخها وأذاها. ما أجملها من وصية تزهد من وعائها في أي امرأة كان جمالها وبالغاً ما بلغ حُسنها! وعنوانتُ للقصيدة بـ (أستاذي قال لي) وكل الذي قمتُ به هو تحويل نصيحة الأستاذ من نثر عامي ، إلى شعر عربي أصيل موزون مقفى!)

تلميذِي المحببِوبَ خَلَّ المُنكرا
إذ إنه يُزري بأخلاق الـورى
صورُ المعاصي جَمّة ، وأخسّها
أن تفتنَ المتبرجات الخيّرا
والأصلُ غضّ الطرفِ عمن أظهرتْ
حُسناً يشعّ تغنجاً وتكسّرا
لم تلتزم شرعاً ، وليست تستحي
وتسيّر - في وسط الطريق - تبخترا

لم تحترم دين المليك توقفاً
وترنحت - بين الرجال - بلا حياء
أضحى يشف عن المحاسن للألى
جسم توشح بالتعري والخناء
والوجه تغشاه المساحيق التي
ورموشها نمصت لتسبي ناظراً
وتفاجت للحسن ، بنس جريئة!
وتزيتت - للمعجبين - بقدها
وخضوعها بالقول بأسر سامعاً
وكلامها هزل تخالسه الهوى
ولها لحاظ بالعيون ، سهامها
يا أيها التلميذ زایل فتنة
واذكر مناتن من فتنت بحسنها
هذا الفم المشقوق يسحر عاشقاً
وله احمرار زاد من قسماته
ما حالة إن طعمة غابت وآل
والأنف إن وطئ الزكام رياضه
ما شأن أنفاس غدت مهتاجة؟
وإذا ترى أذنا تدلى قرطها
أذا استبد بها الصماخ وأزها

لكنها هوت السفور كما ترى
بلباس فاجرة يعاف ويذرى
كالوا الثناء على السفور محبرا
وسعى الهوينى مائساً مستعطرا
جعلته أبهى للمغازل منظرا
والشعر - فوق الرأس - ها هو كورا
تدري الحرام ، فتلك شبت معصرا
وتمايلت - للناظرين - تندرا
في قلبه مرض ، ويهوى المنكرا
مثل العزيف إذا تجلبب بالهرا
تغثال - إن غمزت بهن - غضنفا
هي - عند من فقه العقيدة - تُذرى
حتى تُطامن من دفاعك والمرا
ورضائه شهده عليك تحذرا
وغدا - من الزهر المزركش - أزها
مه الطوى ، وغدا كريهاً أبخرا؟
وأذله ، وطغى المخاط وعسكرا
أفلا تراه بما يغل تغيرا؟
والأذن فاقت - في البريق - الجوهرا
أنطبق رائحة الصماخ إذا انبرى؟

منذ ارتأها لم يذق طعم الكرى
وبياضها - بالدمع - أصبح أحمرًا؟
أيسر عينك وقتها أن تنظرا؟
سبحان من خلق الجمال ، وصورا!
تُبدي الذي لَمَا يَكُنْ مُتصورا؟
حتى تفيئ من المحيض وتطهرا؟
هذا الذي كتب المليك ، وقَدرا؟
أم منه ترجع ما استطعت القهقري؟
والنصح أقبح ما يكون مُزورا
وتعود - بالقلب السليم - إلى الورى
فإذا غضضت الطرفَ لن تتأخرا
حسِن السريرة مُخلصاً ومُشمرا
ونفحن مسكاً - للعشير - وعبرا!
لموحدٍ وُعد الجنان ، وبُشرا
واقرا كتاب الله ، كي تتبصرا
كلا ، ولا جن رأى ، أو أشغرا
من حور طين ، لم يُشرفن القرى
وتشد أزرِك كي تقلدك الذرى
كيلا تعيش مُكرماً مُستبصرا!

والعين ترسل سحرها لمُتيم
ماذا تساوي إن تعقبها القذى
أتجب رؤيتها ، إذا ما استعبرت؟
والجسم ذو قدٍ يمس تدللاً
أوليس من عرق يفوخ زهامة
أتطبق حيضتها إذا ما أكبرت
أتطيقها نساء يلفحها الأذى
أتطبق بولاً أخرجت أو غانطاً؟
عذراً إذا صرحت إنى ناصح!
فاحذر من النظرات تُزري بالفتى
وأراك تنشُد - في الصلاح - تقدماً
والحورُ ترجو - في الجنان - موحداً
نعم العرائس - في الجنان - أزينت
هذي العواتق - في الخيام - تشوقت
ليست لهن مناتن يا صاحبي
لم يطمث الحوراء إنس لحظة
أبني: حور العين أعظم رتبة
شتان بين الحور تُهديك الهنا
والحور تُفقِدك التمسك بالهدى

الأميرة زبيدة بنت جعفر (طموح يتحدى الواقع)

(نعم إن رحلة الطموح والأمنيات والآمال في حياة الأميرة زبيدة بنت جعفر - رحمها الله تعالى - لا تكاد تصل إلى نهاية. بل كانت جياتها جهداً متواصلاً والله المستعان على كل حال. الله نسأل أن يرحمها رحمة واسعة ويتقبل عنها صالح عملها ويبارك سعيها ويجعلها من سيدات الآخرة كما كانت من سيدات الدنيا! فلقد كانت نذراً للإسلام والمسلمين. أنشدت هذه القصيدة في وصف رحلة العطاء والطموح في حياة الأميرة زبيدة بنت جعفر زوج هارون الرشيد - رحمهما الله تعالى - عرفاناً بجميلها واعترافاً بفضلها ، فلقد كانت من ربات الفضل والعطاء والمكرمات. ووجدت القصيدة طريقها إلى (ديوان السليمانيات) في مجلده الخامس اعتزازاً بالأميرة العظيمة. ونسجلها في هذه الديوان عنها لتكون بمثابة التحية لها ، وإن ديوان أي شاعر مسلم ليشراف بأن تكون فيه قصيدة عن زبيدة صاحبة الهمة العالية والمقام الرفيع. جاعلين هذه القصيدة بمقدمتها الطويلة تلك ترجمة لحياتها وعطائها. ولقد تناولنا فيها مسيرة الأميرة زبيدة بنت جعفر ، واقتطفنا بعض الزهور من بستان حياتها اليانع لنحمل الجميع على الاقتداء بها في بذلها للخير وإثرائها للعمل الخيري والتطوعي في الداخل والخارج ، والتأسي بها في رعاية الأيتام وكفالتهم والإحسان إليهم ابتغاء مرضاة الله - عز وجل - وحده. وتناولنا كذلك جانباً كبيراً من فلسفة الأميرة زبيدة بنت جعفر في العطاء ، حيث إنها لا تعتمد إراقة ماء وجه السائل والمسكين وإذلاله قبل أن تعطيه ، بل تبادر إلى العطاء قبل السؤال في أغلب الأحوال كما عرف عنها وأثر من خلال سيرتها في كتب التراجم والتاريخ. ومن هنا كانت أسلوبية العطاء أجمل من العطاء الجزيل ذاته. يقول الفرنسيون في مثلهم: (طريقة العطاء هي أفضل مما نعطي). وصدق الأديب العربي جبران حيث يقول: (جميل منك أن تعطي من يسألك ما هو بحاجة إليه ، ولكن الأجمل من ذلك أن تعطي من لا يسألك وأنت تعرف حاجته). ولجبران أيضاً مقولة ظريفة تبين لنا أن أصحاب العطاء لم يتفضلوا على غيرهم إلا ليرجموا أخلاقهم السامية إلى واقع ، يقول جبران: (ليس اللؤلؤ سوى رأي البحر في الصدف ، وليس الماس سوى رأي الزمن في الفحم). وهكذا أصحاب القلوب الرحيمة يعطون ليرجموا رحمة قلوبهم إلى سلوك عملي تطبيقي. وهكذا رأينا الأميرة زبيدة بنت جعفر تجعل عطاءها ترجمة لرقرة مشاعرها ورحمة قلبها وشفقتها على الأيتام والأرامل والفقراء والمحتاجين والمنكوبين في بلاد الإسلام وخارجها. إن هذه المسيرة مشوار حياة محفوف بالمخاطر عبر المجهودات الشاقة في بلاد الدنيا ومُكلل إن شاء الله تعالى بالأجر الجزيل عند الله تعالى. ما بين العمل المتواصل في الداخل ، في بغداد والعمل في الخارج شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً في بلاد الإسلام. ومن هنا كانت القصيدة محطات وقفناها عبر مسيرة الأميرة زبيدة بنت جعفر لنستروح أرج العمل الخيري والتطوعي بكل صدق وإخلاص. تقول عنها الكاتبة سارة علام ما نصه: (بين صفحات التاريخ المطوية أكثر من وجه لـ "زبيدة" التي نعرفها ، وجوه نحرص على أن نروي سيرتها ، ونبرز مناقبها ومآثرها التي أضافت إلى هذا الاسم على مر التاريخ بهاءً وجلالاً. ولعل درة تاجهم "زبيدة" بنت جعفر بن المنصور (149هـ - 216هـ) ، زوجة الخليفة العباسي الخامس هارون الرشيد (149هـ - 193هـ) رائدة العمل الخيري في التاريخ الإسلامي قبل عصور الروتاري واللايونز. حيث ارتحلت في عام 186هـ لأداء مناسك الحج ، فواجهت الكثير من المشاق رغم موكبها العظيم ، وهودجها الموشى ،

وناقتها الوضحاء ، فعزمت لدى عودتها على إعادة الحياة إلى طريق الحج الوعر الذي يصل بين بغداد ومكة ، الذي سمي منذ حينها "درب زبيدة". أمرت بنت جعفر بتمهيد طريق الحج بطول 870 ميلاً ، وشيدت على جانبيه المرافق والمنافع والآبار التي ظلت تخدم الحجيج لأكثر من 1200 عام ، والتي ما تزال آثارها شاخصة بمنطقة حائل على الحدود الشمالية للمملكة العربية السعودية كما لقبت بـ "ساقية الحجيج" حيث هالها ما يكابده زوار بيت الله الحرام من مشقة العطش ، فأطلقت مشروع ري عملاق شمل حفر عدد من القنوات لنقل المياه من منابع سقوط الأمطار إلى مكة بعمق 40 متراً تحت الأرض ، ولمسافة امتدت لنحو 10 أميال ، لتصبح قنوات "عين زبيدة" الخالدة حتى الآن بمعمارها الهندسي الفريد ، ولم تثنها دراسة الجدوى الاقتصادية للمشروع عن تنفيذه . بلغت تكلفة المشروع نحو 1.7 مليون دينار . بل أصرت وهي تضع حجر الأساس ، على اصدار توجيه واضح لمهندس المشروع: اعمل ولو كلفتك ضربة الفأس ديناراً).هـ. لقد كانت هذه المناقب وساماً على صدرها يجلي سيرتها لمن لا يعرفها! رحمها الله تعالى رحمة واسعة ، وجزاها عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء! وأسكنها فسيح جنات! وغفر لها ذنوبها وتجاوز عن سيئاتها! وجعلها الله مع النبيين والشهداء والصديقين والصالحين وحسن أولئك رفيقاً!

سُر شعري لَمَّا سبأهُ الصُّمودِ	واحتوته الأفراخ والتغريدُ
فانبرى يُطري (الأميرة) جزلاً!	صيتها - في كل الوري - محمود
ناشراً أمداحاً تروخ وتغدو	يجتبيها - للعالمين - قصيد
مثل هذي - بين النساء - قليل	تشهد الدار ، والحمى ، والبيد
إن (دار السلام) تختال فخراً	ثم تمضي في زوها ، لا تعود!
والبرايا تقولها باقتناع:	نجمة هذي يجتبيها الخلود
حُزت حب الجميع في كل واد!	والدليل الإطراء والتمجيد
يا (زبيد) الخير الحقيقة بانث	واستبان المراد والمقصود
والطموخ المغوار بالخير يسمو	يتحدى ، والناصر المعبود
والأماني في قلبك الغض تحيا	باشتيق ما صدّها المجهود
والعطاء كالبجر دون حساب	هل يُضيرُ الدماء هذا الجود؟
مكرمات في كل صقع ودار	وسبيل الجنات تلك الجهود

فوقها الأكل والدوا والمزيد
ماله بيت - في الديار - مشيد
بعدهما أوهى عزمه التنكيد
لم يعقك جهد ولا تنهيد
عن تكالي ما عندهن رصيد!
والعطاء - من بعدها - مشهود
والمليك - على العطايا - شهيد
فاكتفت أم عفة والوليد
عندك الرأي العبقري السديد
حيث إن إنفاقهم محدود
خاب والله الفقير والتعبيد!
فارتأينا التعليم بعد يسود
والمساعي يحدو مداها الخلود!
حسبة إذ تأخر التضاميد!
إذ أتيت ما عنه يعيا الصيد
إنما رأي سما به التقصيد
مثلما يطري شاعر رعيد
في جنان ما طاولتها حدود!

والجمال تجتاز عرض الفيافي
كم أغت المنكوب ينشد مأوى!
كم أعت المسكين يرجو نوالاً!
كم قطعت الأسفار سراً وجهراً!
كم طرقت الأبواب بعد التحرى
كم مسحت بالكف رأس يتيم!
كم بذلت المعروف ترجين أجراً!
كم تفضلت دون من مراراً!
كم نصحت من تطلب الرأي حقاً!
كم دحضت الجوع الذي هدّ قوماً!
كم طغنت الإملاق أردى نفوساً!
كم طرحت التجهيل والجهل أرضاً!
كم درجت في سلم المجد طوعاً
كم جراح أسيتها بالعطايا
يا زبيد أفلحت ديناً ودنيا
وعلى المولى لا أذكى قطعاً
أحسب الفضلى هكذا ، لم أبالغ
يا زبيد جوزيت خيراً عمياً

الشعر يحيى الأميرة زبيدة بنت جعفر

(أما الشعر يحيى الأميرة أمة العزيز زبيدة بنت جعفر فتستحق الكثير على جهودها المشكورة المباركة التي بذلتها في مصلحة الإسلام وأهله والإنسانية بأسرها على الصعيد الإقليمي والدولي. ولها المنزلة والمكانة العالية في قلوب الناس ومنهم الشعراء. وعندما اطلعت على سجل حياتها ووقفت على طريف أخبارها وعظيم موافقها كتبت هذه القصيدة التي أوردتها في المجلد الخامس من ديوان (السليميات). وإن القصيدة لأقل ما يُهدى إلى الأميرة زبيدة بنت جعفر ، ولكنه شرف المحاولة يحدوني. ولم أكن يوماً ولن أكون أبداً إن شاء الله من الشعراء المرتزقة الذين يتاجرون بما ينشدون من الشعر. وإنما أتى إنشادي بشأن الأميرة زبيدة بنت جعفر ترجمة عملية إيحائية لكثرة ما عرفت عنها من الخير والمعروف والإحسان والبذل والجود والعتاء. الأمر الذي تعجز عن تصويره فضلاً عن إدراكه الكلمات مهما بلغ أصحابها من البراعة والإجادة. والعُهد هنا على رُواة الأخبار عنها. وكنت قد درّست اللغة الإنجليزية في مدرسة (أم القرى الخاصة) في أم القيوين لمدة تجاوزت السنوات العشر! وطلبت من طلابي أن يعدوا عنها البحوث باللغة الإنجليزية. مما جعلهم يدركون معي حجم الافتراء الذي افتراه عليها ظلاماً الروافض الخبثاء والعلمانيون الحقراء وبعض كتاب التاريخ الجهلاء! وأدركت الكثير عن سيرتها العطرة وقدرتها على الريادة والقيادة. وكنا نرى بكل صدق بأن زمان (أم المؤمنين خديجة – رضي الله عنها -) قد انتهى ، وأن الزمان لا يوجد بمثلها في حزمها وحكمتها وجودها وكرمها وإحسانها إلى الفقراء والمساكين والمحتاجين. حتى أطلت علينا الأميرة زبيدة بنت جعفر فأعادت لنا الثقة بأن الزمان يمكن أن يوجد بامرأة تجود ببعض ما جادت به أم المؤمنين خديجة. وإذن فهي سيرة تستحق الذكر والتدوين والمساجلة. وأعتقد أن محاولتي هذي ستكون الأولى عن الأميرة زبيدة بنت جعفر ريثما يأتي كتاب آخرون مُجيدون يُكملون المشوار ويكتبون عنها الكثير ، وينصفونها من كل من نال منها بغير الحق. رحمها الله رحمة واسعة ، وتقبل عنها صالح أعمالها. وإن كنت أنسى فلا أنسى آراء الأميرة زبيدة بنت جعفر الفلسفية العميقة المستوحاة من كتاب الله وسنة رسوله – صلى الله عليه وسلم - ، وما وافقهما من أعراف وتقاليد العرب الأصيلة وسلوم القبائل العربية والبدواة ، تلك التي تعبر كذلك عن القيم الأصيلة التي نهلتها الأميرة أمة العزيز زبيدة بنت جعفر ، وهي طفلة إذ نشأت وترعرعت في البادية المتحضرة فاستقت تلك القيم العربية الأصيلة. فلم يكن في حياة الأميرة زبيدة بنت جعفر ما يُكدرها من لهيب الجاهلية اللافح على حدّ علمنا. جاء في الويكيبيديا في ترجمتها ما نصه: (كانت زبيدة بنت جعفر ذات طبيعة صافية ، تغلب عليها النزعة العاطفية. وكان مما يعزز ظنونهم أنها بنت بعد وفاة زوجها قصراً أحاطته بحدائق واسعة ، واستخدمت منات الكتبة والمساعدین الذين كانت حركتهم لا تنقطع وهم ينقلون الرسائل منها وإليها. قال ابن بردي في وصفها: "أعظم نساء عصرها ديناً وأصلاً وجمالاً وصيانة ومعروفاً. لقد كانت زبيدة سيدة جليلة سخية لها فضل في الحضارة والعمران والعطف على الأدباء والأطباء والشعراء". وقد كان لها الدور الكبير في تطور الأزياء النسائية في العصر العباسي. فقد كانت النساء من مختلف الطبقات ينتظرن ظهورها على أحرّ من الجمر ويسعين إلى تقليدها في ما ترتديه من ثياب. وقد عُرف عنها أنها استوردت من الهند والصين أوفر أنواع الحرير الطبيعي الموشى بالذهب والفضة والحجارة الكريمة. وكانت

كثيراً ما تختار ألواناً باهرة لم يسبق لأحد من النساء أن ارتدتها من قبل. وكانت زبيدة أول من اتخذ أدوات القصر من الذهب والفضة المكحلة بالجوهر. وكان الخدم والجواري يملأون قصرها ويذهبون برسائلها وكتبها. وهي أيضاً أول من اتخذ القباب من الفضة والآبنوس والصندل والكلايب من الذهب والفضة ملبسة بالوشى والسمور وأنواع الحرير الأحمر والأصفر والأخضر والأزرق. جسدت زبيدة المثال الأكبر في مكانة المرأة الزوجة والقائدة ، وقد كانت حياة الرشيد الحافلة بالعمل والعبادة والفكر نموذجاً آخر لنجاحها ، فقد عُرف عن الرشيد التفقه ومحبة العلماء ومزاولة الرياضات البدنية والذهنية ، حتى أنه مارس الشطرنج بشغف واستمرارية ، ليتعلم ترويض الذهن والصبر وطول البال ، وكان بالإضافة إلى كل ذلك يجد متسعاً من الوقت للعبادة وأداء الفرائض والسنن ، وكانت تتنابه حالات من التوجُّد الروحي حتى وصفه البعض بأنه كان من البكائين المتأثرين بالنصوص القرآنية وسير الصالحين. عاشت السيدة زبيدة 32 عاماً بعد وفاة هارون الرشيد ، وتوفيت في بغداد سنة 216هـ الموافق 831م بعد أن عاشت في ظل عبد الله المأمون معززة مكرمة كما كانت في عهد أبيه. وكان المأمون يعاملها معاملة الأم ، وكثيراً ما كان يلجأ إلى مشورتها في أمور الدولة ، ويقبل برأيها ، حتى لو كان مخالفاً لما يراه هو شخصياً. وقد رثاها مسلم بن عمرو الخاسر الشاعر البصري ، بعد رحيلها ظلت باقية حية في أذهان بني العباس ، يتذكرون أخبارها وأخلاقها وثقافتها المميزة ، وظلوا يتناقلون أفعالها في أرجاء الجزيرة العربية).هـ. والله حسيبها ووكيلها. ولا نزكي على الله ربنا أحداً ، ونحسبها هكذا. وأجعل هذه القصيدة من قبيل التعريف بها ، وإن هذا لشرف لي عند الناس وعند الله تعالى!

يا ذرة سطعت في أمة العرب	(زبيد) حُزتِ الذرى في الأصل والنسب
بل أكبر الدرّة العصماء عن رغب	ولا أزكي على الرحمن ذرّتنا
فتلك أسمى من الأمداح والخطب	حسبها الله من مدح يُجملها
لله يمدح ، لا للمال والقرب	والشعرُ يفخرُ إذ يُطري موفقة
لأنها جمّة الأخلاق والأدب	وللقوافي صدئ في ذكر سيرتها
حتى يبيتن رهنّ اللحن والطرب	والوزن يطرب إن غدت مناقبها
وسُطرت حسب الأهواء والطلب!	وكم قصائد - في الملوك - قد نظمت
شنتان شنتان بين الصدق والكذب!	تحكي النشاذ يُغنيه الألى كتبوا
يُعطّر النصّ في الأسفار والكتب	(زبيد) شعري بصدق القول أنسجه
وأستعين بمن يُطريك عن كذب	أجل قدرك بالأخبار أسطرها

يا شعرُ حَيِّ (زبيدُ الخير ما سَطَعَتْ)
وَجُد بما خُزِت من سَجِّعٍ ومن صور
(زبيدُ) أهْلٌ لَمَّا دَوْنَتْ من كَلِمٍ!
وفِذَةُ خُورَةَ أخلاقها طهرتْ
عِزَّ العروبةِ والأعرابِ في دمها
هي الحِصَانُ الرِزَانُ ، الكلَّ يعرفها
(وجعفرُ) والبدُّ أرسى مبادئها
(بيتُ الخلافة) مأواها ومنبتها
والأم (سلسلُ) في الجوزاء مسكنها
وأهلها الشَّمَمَ من في الفضل يسبقهم؟
(زبيدُ) نلتِ من الإِبَاءِ ذِروتَه
أنتِ التواضعُ في أسمى مدارجِه!
رحمتِ أهْلِ ذوي الحاجاتِ قاطبةِ
ولليتنامي إذا رَأوكِ دندننةِ
وللأراميلِ إمَّا زرتِ مكرمةِ
تحاربينِ لهيبَ الجوعِ واثقةِ!
وتنشُرينِ الهُدى ، يا سَعْدَ مُحسنَةٍ
يا نبتةِ - في سماءِ المَكْرَماتِ - نمتِ
ليس النبتاتِ الذي تعطيه تربتهِ
هو المليكُ له - في الخلقِ - سُنته

شمسٌ ، وجادت ببذلِ النورِ والذهبِ
أغلى من الماسِ والياقوتِ والذهبِ
كريمةِ الذاتِ في إسمِ ، وفي لقبِ
وذاتِ أصلِ جليلِ الجاهِ والحَسبِ
فَمَن يضرارُعها في مَحْتَدِ وأب؟
وليس يقْدُرُها إلا ذُوو اللبِّبِ
في القلبِ والروحِ والإحساسِ والعصبِ
هو العلوُ رفيعِ الجاهِ والرُتَبِ
واسألِ مَراجِعنا عن قومها النُجَبِ
ومن يُسابقهم في البأسِ والغلبِ؟
يا رَبِّيةِ العطفِ والإكرامِ والحَدَبِ
تواضعُ قد نأى عن حالِكِ الرَيِّبِ
فزايلُهم خُزُونُ الضنكِ والوَدَبِ
لأنَّ بَذلكِ أنجاهم من الكُربِ
لكي تَزولَ بها غوائلُ الحَزبِ
وتدحضينِ عذابَ الفقرِ في دأبِ
تسعى لنشرِ التقى والخيرِ والأربِ!
ومَن تأملها أفضى إلى العَجَبِ
مثلُ النبتاتِ نشافِ في القحطِ والجَدبِ!
شِتانِ شِتانِ بينِ الشَّيحِ والعنَبِ!

وإذا مسه الخير منوعاً

(في بحث (حدث في المحكمة) ص 16 قصة أسرة تعيش الفقر بكل ألوانه ، حتى إن الأب ليحسب على الأم نوى تمرها! فإذا رآها تأكل كثيراً قال: (خسرتنا) ، والأبناء لا يكادون يجدون لباساً يوارى سوراتهم إلا بصعوبة ، ولا طعاماً يملأ أفواههم وأجوافهم إلا بشق الأنفس ، والرجل يلبس نعلين مختلفين ، وثوباً رثاً ويظنه الجاهل فقيراً ، ويحاسب أولاده على (النقير والفتيل والقطمير) ، ولما مات كانت تركته بعشرات الملايين ، وبدلاً من أن يقول أولاده لبعض: أحسن الله عزاءنا فيه ، بدأوا يتبادلون التهاني ، ويُبشرون جيرانهم وأقاربهم بموت أبيهم ، فتحوّلت لحظات وفاة أبيهم إلى فرح لا يعدله فرح ، وإلى فرج لكابوس أخرسهم سنين عدداً ، وسرعان ما تحول بيت الطين المتهدّم ذو الأبواب الخشبية المتشققة إلى قصر جميل ، وزالت الهائلوكس أو الداتسون التي تُدفع سبع مرات عند تشغيلها ، فأصبح لكل واحد من الأولاد سيارة جديدة يطربون لها ويتغنون بصوتها. سألتهم أحد جيرانهم: هل تضحون لأبيكم؟ فقالوا: إن أمنا تلغنه ليلاً ونهاراً فأنى لنا أن نضحى له؟! قال: هل جعلتم له من ماله شيئاً من الربا (أي جعلتم إنفاق الربا كفارته)؟ قالوا: لا ندرى ، بل عليه الوزر ولنا الغنم. ويبقى السؤال المطروح للأغنياء: هل عقلنا جميعاً قول النبي – صلى الله عليه وسلم -: (أيكم ماله أحب إليه من مال وارثه ، قال: فإن مال وارثه ما أحر وماله ما قدّم). فهذا المال الذي جمعه هذا الرجل فأوعى وأحبه حباً جماً ، وركض في الرمضاء ، وسهر على القمرء ، وخطى بخطوات وثيدة ينن من المرض والإعياء ليجمعه قرشاً فوق قرش ، وريالاً على ريال هل انتفع منه بشيء؟ أم أنه أصفار خاوية بقيت في البنك؟! هل تلذذ بشيء من ماله؟ هل بهذا المال سيتلذذ في الدار الآخرة ، هل بنى بيتاً من بيوت الله تعالى ، يبتغي به وجه الله حتى يبني الله له بيتاً في الجنة؟ والجواب: لا ، هل بر به أولاده وزوجته حتى يُحسنوا إليه؟ والجواب: لا ، بل هو زرع العقوق ولا يُجنى من الشوك العنب ، وينبغي لذوي العقل والنباهة من الأغنياء والأثرياء أن يتقوا الله في أولادهم وأموالهم وأن يُقدّموا لأنفسهم ما يتمتعون به الدنيا ، ليكتسبوا أجراً وافراً عند الله في الآخرة ، فله الحكم وإليه النشور. وليحذروا أن يكونوا مثل هذا الرجل الذي عاش يجمع المال ويكنزه طول حياته. فلما مات مُخلفاً الملايين تغيرت أحوالهم ، وبان أثر النعيم عليهم وسرّوا يوم وفاته. والحقيقة أنني عندما طالعت هذه القصة المؤثرة ، وجدتي أترنم بمطلع هذه القصيدة على الفور ، ورحت أكملها فيما بعد لتحمل العبرة والعظة للناس جميعاً ، وأعطيتها عنواناً هو آية من كتاب الله تعالى تصف الذين ابتلوا والعياذ بالله بأفة جمع المال وكنزه دون أداء حق الله فيه (وإذا مسه الخير منوعاً) فك يقول ابن كثير: (يقول تعالى مخبراً عن الإنسان ، وما هو مجبول عليه من الأخلاق الدنيئة {إن الإنسان خلق هلوعاً} ، ثم فسره بقوله: {إذا مسه الشر جزوعاً} أي إذا مسه الضر فزع وجزع ، وانخل قلبه من شدة الرعب ، أيس أن يحصل له بعد ذلك خير {وإذا مسه الخير منوعاً} أي إذا حصلت له نعمة من الله بخل بها على غيره ، ومنع حق الله تعالى فيها. وفي الحديث: (شر ما في الرجل: شح هالع وجبن خالع) "رواه أبو داود". ثم قال تعالى: {إلا المصلين} أي إلا من عصمه الله ووفقه وهده إلى الخير). هـ. وقال البغوي: (وإذا مسه الخير منوعاً: أي: إذا أصابه الفقر لم يصبر ، وإذا أصاب المال لم ينفق. قال ابن كيسان: خلق الله الإنسان يحب ما يسره ويهرب مما يكره ، ثم تعبه بانفاق ما يحب والصبر على ما يكره). هـ. وقال الطبري:

(وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ، أَي: وَإِذَا كَثُرَ مَالُهُ ، وَنَالَ الْغِنَى فَهُوَ مَنُوعٌ لِمَا فِي يَدِهِ ، بِخَيْلٍ بِهِ ، لَا يَنْفِقُهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ ، وَلَا يُؤَدِّي حَقَّ اللَّهِ مِنْهُ). هـ. وَمِنْ هُنَا كَتَبْتُ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ!

لِلْجُودِ قَوْمٌ هُمْ بِالْبَذْلِ أَقْطَابُ
وَالْبَخْلُ أَرَى بَمَنْ عَنِ السَّخَا تَابُوا
وَلِلْأَجَاوِيدِ صِيَّتٌ لَا يُضَارِعُهُ
أَشْحَةَ النَّاسِ ، إِنْ الطَّبَعُ غَلَابُ!
لَا يَلْبَسُ الْجُودَ ثَوْبًا غَيْرُ ذِي كَرَمٍ
وَكَمْ بِمَنْ بَخَلُوا تَضَيَّقُوا أَثْوَابُ!
وَلِلثَّرَاءِ الْأَعْيَبِ وَدَنْدَنَةِ
وَطَنْطِنَاتِ وَرِنَاتٍ وَأَلْقَابِ
وَكَمْ يَحِبُّ بِرَيْقِ الْمَالِ عَابِدُهُ!
وَأَسْمَعُ لِقِصَّةِ مَفْتُونٍ بِثَرَوَتِهِ
وَكَمْ يَحِبُّ بِرَيْقِ الْمَالِ عَابِدُهُ!
وَأَسْمَعُ لِقِصَّةِ مَفْتُونٍ بِثَرَوَتِهِ
غَنِيٍّ قِصَّتِنَا أَمْوَالَهُ كَثُرَتْ
فَعَاشٍ - فِي لَجَّةِ الثَّرَاءِ - مُحْتَفِيًّا
وَوَظَلٍ يَبْخُلُ ، لَمْ يَجِدْ بَعَارِفَةَ
وَأَمْسَكَ الْمَالَ عَنِ إِمْتَاعِ أَسْرَتِهِ
وَجَرَعَ الْكُلَّ شَحًّا لَا حُدُودَ لَهُ
وَيَحِ الْمَلَائِكِينَ أَحْصَاهَا وَجَمَعَهَا
وَالْأَهْلُ فِي لَجَجِ الْإِمْلَاقِ أَغْرَقَهُمْ
حَتَّى إِذَا مَاتَ جَاءَ الْمَالُ مُبْتَشِرًا
وَرَفْرَفِ الْخَيْرِ فِي آفَاقِ عَائِلَةٍ
وَعَرَدَ الْبِشْرُ فِي قُلُوبِ مَنْ وَرَثُوا
وَحَازَ بِالْمَالِ كُلَّ مَا يَتَوَقَّعُ لَهُ

الحبيبتان

(في صيف عام 1995م رحلت أم عبد الله إلى مصر فكتبت (لوعة الرحيل) ، وهي أطول ثاني قصيدة كتبتها إذ تجاوزت 650 بيتاً من الكامل لامية القافية. إن أحب رجل على الأرض زوجته مثل حبي لزوجتي ، فليخرج لنا مثل هذه المعلقة في بيان لواعج الفراق ولوعة الرحيل. وأما في صيف 2011م فسافرت أم عبد الله ومعها الزهراء (الزوجة والابنة) معاً. فأنشدت (الحبيبتان): وعلى كل حال المحرم طبعاً شرط في سفر المرأة لعموم قول النبي - صلى الله عليه وسلم - "لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر إلا ومعها ذو محرم) والحمد لله ، هذا الشرط نوفره في كل مرة. وبقى وحدي هذه المرة في صيف الغربية بين حرّ الهاجرة ولواعج الفراق ، والله تعالى المستعان.)

القلبُ يبكي ، ويبكي الطرسُ والقلمُ
والعينُ ترسلُ دمعاً واجماً هطلاً
وللخـواطـر أنـاتٌ وهينـمة
وبالعواطف من طول الأسى غصصٌ
وكم تصبّرت حتى قيل: مُصطبراً!
وكم كتمت عذاباتي وأخيلتي!
لكنما خانني صبري وتجربتي
حبيبتاي لأرض النيل سافرتا
فتانهاً دامع العينين خلفتا
يعيشن تصرعه كروب غربته
إذ الحنين لزوج وابنة كدر!
ريحانتي ونور العيش في زمن
هما اليسار إذ عنت مكابدة
هما المودة في أبهى معالمها
هما الدواء الذي يشفي المليك به

والنفسُ والروحُ والإحساسُ والذمُّ
- بما تعاني من الأحزان - ينسجم
وبالجوانح - من فرط النوى - ألم
وبالمشاعر - مما نالها - غم
وليس مثلي الذي في الصبر يُتهم
لأنني - بلواء السعتر - أعتصم
فبت أصلى بأشواقِي وأضطرم
والعيشُ دون أحبائِهِ هو العدم!
يقض مَضجَعَه التنغيصُ والوضم
ولا أراه قريراً الببال يبتسم
وكيف - دونهما - الحياة تنسجم؟
تظلل أغلب من يحيى به الظلم
أو حلت المحن القعساء والنقم
وبالمودة يسمو الخير والقيم
عبداً ألم به - في غربته - سقم

أَوْ عَاقَنِي مَأْزُقٌ - فِي ذِي الدِّنَا - وَخِم
وَالْبُعْدُ نَارٌ لَهَا - فِي مَهْجَتِي - ضَرَم
عَلَى تَجَاوُزِ أَمْرٍ فِيهِ نَخْتَصِم
وَكَمِ مَشَاكِلَ بِالتَّوَدُّبِ تَنَحُّسِم!
وَقَوْلُهَا - لِلَّذِي يُصْغِي لَهُ - حِكْم
دَوْمًا ، وَمَا اعْتَذَرُوا يَوْمًا ، وَلَا نَدْمُوا
وَمَنْ تَنَقَّصْنَا فَاللَّهُ يَنْتَقِم
وَحُبُّهَا - فِي سُوَيْدَا الْقَلْبِ - مُرْتَسِم
فَعَمَّنَا مِنْكَ نَوْرٌ مُشْرِقٌ تَمَم
تَشَدُّ أَرْزَابُ - بِالْحَبِّ - يَتَسَم
وَالْحَبُّ فِي الْقَلْبِ يَا سَلْوَى الْفَوَادِمِ؟
فَيَسْطُرُ الشَّعْرَ - فِي بُنْيَتِي - الْقَلَم
فِيهَا التَّرَانِيمُ وَالْإِيْقَاعُ وَالنَّعْم
تِلْكَ الْمَنَاجَاةُ كَمْ تَقْوَى بِهَا الِهْمَم!
وَاللَّهُ مَا اسْتَوَى الْإِصْبَاحُ وَالْغَسَم!
وَكَانَ - فِي عَوْنِكَ - الْمَهِيْمُنُ الْحَكَم!
وَإِنَّ وَصَلَ ذَوِي الْأَرْحَامِ مُغْتَنَم
مَا خَابَ عَبْدٌ بِحَبْلِ اللَّهِ يَعْتَصِم!

هَمَا هُمَا الْعَوْنُ إِنْ فَتَشَتْ عَنْ سِنْدِ
صَدِيقَتِي ، وَكَمْ قَاسِيَتْ بُعْدَهُمَا!
وَلَسْتُ أَنْسَى (لَأَمِ الْعَبْدُ) قَدْرَتَهَا
وَحَزْمَهَا إِنْ أَرَادَتْ فَضْ مَشْكَلَةً
وَعَطْفَهَا إِنْ حَنَتْ ، وَالْفَصْلَ إِنْ نَطَقَتْ
لَكِنْ تَجَامَلُ مَنْ فِي عَرَضِنَا وَقَعُوا
لِيَغْفِرَ اللَّهُ مَا قَالَتْ وَمَا فَعَلَتْ
وَلَسْتُ أَنْسَى التِّي - فِي الْقَلْبِ - مَسْكَنُهَا
(زَهْرَاءُ) يَا نَجْمَةَ فِي عَالَمِي سَطَعَتْ
ذِكْرَاكِ - وَاللَّهُ - نَصَبَ الْعَيْنِ مَائِلَةً
وَكَيْفَ أَنْسَاكِ ، وَالْأَرْكَانُ شَاهِدَةٌ
أَرَاكِ فِي واقِعِي ، وَفِي مُخَيَّلَتِي
حَتَّى حُرُوفِكَ فِي الْأَذَانِ صَادِحَةٌ
وَمَنْ أَنْجَى هُنَا مِنْ بَعْدِ (فَاطِمَةَ)؟
هِيَ الصَّبَاحُ ، وَمَنْ هُمْ دُونَهَا غَسَقُ
أَعَادِكَ اللَّهُ يَا بِنْتَاهُ سَالِمَةٌ!
وَرَدَّ أَمْرَكَ - لِلْأَبْنَاءِ - غَانِمَةٌ
إِنَّ الْمَلِيكَ - عَلَى مَا قَلْبَتْ - مَقْتَدِرٌ

همسة مغرزة

(وغد تدخل مُصلِحاً بين زوجين ، فأفسد ليتزوجها ثم انكشف! والأصل في الذي يتدخل للإصلاح بين زوجين أن يكون محايداً موضوعياً منصفاً عادلاً فقيهاً! وينبغي أن تكون له دراية بفقهاء الواقع وطبيعة الرجل والمرأة! أما أن يُصلح بين زوجين رجلٌ أدنى صفاته أنه جاهل جهولٌ مجهالٌ جهلٌ فإن هذه مهزلة تنتهي بخراب البيوت! وتحت عنوان: (إصلاح الزوج) يقول الأستاذ عبد اللطيف البريجاوي ما نصه: (الزوج عماد الأسرة ، وأساس استقرارها وهنائها ، ومنبع التفاؤل والأمل فيها ، وأي كلام عن إصلاح الأسرة لا يكون الزوج طرفاً فيه ، فصاحبه كباسط كفيته إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه. فلن تبلغ الأسرة شأوها في الاستقرار والصلاح ، إذا كان الأب بعيداً كل البعد عن منهج الإصلاح ومقوماته. وقد يطرأ ما يعكّر صفو الحياة الزوجية ، ويطيح باستقرارها ، ويهدم المودة الربانية التي سكبها الله سبحانه بين الزوجين ، فيتحوّل المنزل إلى كابوس نتيجة تصرفات شيطانية وعشوائية من رب الأسرة ، حيث يصعق الأولاد والزوجة بكثير من هذه التصرفات التي تهز مشاعرهم. وتسلب السكينة من قلوبهم ، وتحيل حياتهم إلى ذهول واضطراب بدلاً من أن تتحول إلى مودة واستقرار. وانطلاقاً من حرص الإسلام على الأسرة واستقرارها جعل للمرأة سبلاً مختلفة لإصلاح الزوج وردّه إلى الأسرة الهانئة ، والحياة الرغيدة ، والمسؤولية الجسيمة الملقاة على عاتقه. قال تعالى: "وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً ، فلا جناح عليهما أن يُصلحا بينهما صلحاً ، والصلح خير ، وأحضرت الأنفس الشح ، وإن تحسنوا وتتقوا فإن الله كان بما تعملون خبيراً". قال القرطبي رحمه الله: النشوز: التباعد ، والإعراض: أن لا يكلمها ولا يأنس بها. يقول صاحب الظلال: (في هذه الآية ينظم القرآن حالة النشوز ، حين يخشى وقوعها من ناحية الزوج ، فهتد أمن المرأة وكرامتها ، وأمن الأسرة كلها كذلك. إن القلوب تتقلب والمشاعر تتغير ، والإسلام منهج حياة يعالج كل جزئية فيها ويتعرض لكل ما يعرض لها. وهذه الآية وإن كانت تعرض للمراحل الأخيرة التي قد تمرّ بها الأسرة ، وهو أن تتخلى الزوجة عن بعض حقوقها من أجل أن تحافظ على الروابط الأسرية المقدسة ، إلا أنها قد أطلقت للزوجة العنان في كثير من الخيارات ، وأوضحت أن الصلح خيرٌ ، وبقاء الرابطة الزوجية أفضل الحلول وأسلمها). هـ. ثم يقول صاحب الظلال: "والصلح خير: فينسّم على القلوب التي دبّت فيها الجفوة والجفاف نسمة من الندى والإيناس". إن الإسلام جعل كل أطراف البيت يتحملون مسؤولية تجاه استقرار البيت وهدونه وطمأنينته ، فحمل الزوج المسؤولية تجاه إصلاح بيته وإصلاح زوجته! وفي المقابل حملت الزوجة كذلك مسؤولية حماية بيتها ورعايته ومسؤولية إصلاح زوجها ورعايته! فكانت هذه المسؤوليات الملقاة على عاتق كل واحد كحزام الأمان بالنسبة للأسرة حتى لا ينفطر عقدها ، ولا ينفرد ودها. وإن السنة النبوية الشارحة للقرآن والمبيّنة له وضحت كثيراً من المفصلات الأخرى في هذه المسؤوليات. وفي حالتنا هذه وهي حال إعراض الزوج ونفوره ، وقسوة قلبه ونشوزه ، سمح الإسلام للمرأة أن تتدخل لتعالج الموقف وترد الزوج إلى العيش الرغيد والبيت السعيد وأن تستخدم بعض الطرق المختلفة والمتنوعة حسب أحوال الناس ومعيشتهم منها: * الحوار بالتي هي أحسن: من المشاكل التي تعاني منها الأسر اليوم قلة الطرق الحوارية بين الزوجين ، وهي دائماً مقطوعة ، أو سالكة بصعوبة ، وهي لا تكون إلا في حالات

محدودة ومعدودة. إن حكمة المرأة للمحافظة على بيتها يقتضي منها تذليل الصعوبات في هذه الطرق الحوارية ، وجعلها أمراً طبيعياً في الحياة الزوجية ، يطرح فيه المشاكل التي تعانيها الزوج بحكمة وعقلانية ، محافظة كل الحفاظ على احترام الزوج ومكانته. * التفاني في خدمته: وهو أمر مطلوب شرعاً في الحالات العادية ، وهو مطلوب أكثر في مثل هذه الحالات ، لأنه أقرب لتقبل الزوج وأسرع للدخول إلى قلبه ، وأوثق للعلاقة الزوجية ، والآيات والأحاديث أكثر من أن تحصى في وجوب طاعة الزوجة لزوجها ، والأهم من ذلك أنه لا بد من أن يظهر الرجل من أسباب السعادة لزوجته. وكذلك المرأة لا بد أن تظهر لزوجها أسباب السعادة والهناء. فقد روى الإمام أحمد في مسنده عن سعد بن أبي وقاص قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من سعادة ابن آدم ثلاثة ومن شقوة ابن آدم ثلاثة ، من سعادة ابن آدم: المرأة الصالحة والمسكن الصالح والمركب الصالح! ومن شقوة ابن آدم: المرأة السوء والمسكن السوء والمركب السوء! فلا بد أن يلحظ الزوج أهمية الزوجة الصالحة في البيت ، وأنها من أهم أسباب الحياة السعيدة ولا يكون ذلك إلا بالتفاني في خدمته وخدمة بيته. * تدخل والد الزوجة: وفي حال عدم نجاح الممارسات المختلفة والمتنوعة ، فإنه لا بد من خطوة أخرى تكون أثقل وأقوى في نفس الزوج وهي تدخل والد الزوجة الصالح ، ونؤكد على كلمة الصالح الذي يكون أكبر اهتمامه هو المحافظة على حياة ابنته وأسرته ويسعى دوماً إلى تخفيف حدة التوتر بين ابنته وزوجها بحكمة وعقلانية ، وهذا ما حصل للسيدة فاطمة مع سيدنا علي رضي الله عنهما! فقد روى البخاري ومسلم عن سهل بن سعد قال: جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت فاطمة فلم يجد علياً في البيت فقال: أين ابن عمك؟ قالت: كان بيني وبينه شيء فغاضبني ، فخرج فلم يقل عندي! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لإنسان: انظر أين هو! فجاء فقال: يا رسول الله هو في المسجد راقداً! فجاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مضطجع قد سقط رداؤه عن شقه وأصابه تراب فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسحه عنه ويقول: "قم أبا تراب قم أبا تراب". ووالد الزوجة هنا صاحب قلب كبير ، ووعي ناضج ، ولسان كالعسل ، ودعابة لطيفة تتسرب إلى القلب لتزيل منه ما كان من غضب ونفور. * تدخل الأصدقاء الصالحين: ذلك أنهم ليسوا أقل تأثيراً في نفس الزوج وخاصة إذا كانوا أصحاب مكانة عند الزوج ، وكلامهم له تأثير في نفسه وتصرفاته ، وكانوا أصحاب علم وأمانة. فقد روى البخاري والترمذي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخى بين سلمان وبين أبي الدرداء ، فزار سلمان أبا الدرداء فرأى أم الدرداء متبذلة فقال: ما شأنك متبذلة؟ قالت إن أخاك أبا الدرداء ليس له حاجة في الدنيا! قال: فلما جاء أبو الدرداء قرب إليه طعاماً فقال: كل فإني صائم. قال: ما أنا بأكل حتى تأكل! قال: فأكل ، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء ليقوم ، فقال له سلمان: نم فنام. ثم ذهب يقوم فقال له: نم فنام. فلما كان عند الصبح قال له سلمان: قم الآن فقاما فصليا! فقال: إن لنفسك عليك حقاً ، ولربك عليك حقاً ، ولضيفك عليك حقاً ، وإن لأهلك عليك حقاً ، فأعط كل ذي حق حقه ، فأتيا النبي صلى الله عليه وسلم فذكرا ذلك! فقال له: صدق سلمان. * تدخل الأقارب الصالحين: وربما تكون هذه في مراحل متقدمة من الشقاق ، قال تعالى: "وإن خفتن شقاقَ بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها ، إن يريدوا إصلاحاً يوفق الله بينهما ، إن الله كان عليمًا خبيرًا". ومع ذلك فهي إحدى الوسائل المهمة والناجعة والناجحة في إعادة شريان الحياة للحياة الزوجية ، فتنفض عنها الغبار ، وتزيل عنها ما لحقها من أدران الجاهلية حيث يبين الحكمان الحقوق والواجبات لكلا الطرفين. إن تقصير الزوجة

في متابعة أخطاء زوجها ، ومحاولة تصحيحها ، والتقليل منها ، وإهمالها في ذلك ليولد الكثير من المشاكل التي يكون البيت في غنى عنها ، ومنها: (نشوز الزوج وإعراضه ونفوره - انقطاع الحوار والتفاهم بين الزوجين - ضياع الأولاد بين الأبوين المتنافرين - انهدام الرابطة الزوجية).هـ. وإذن فالحياة الزوجية شراكة بين الجميع الزوج وزوجه والأبناء والأهل بصفة عامة!)

اربأ بنفسك عن هزءٍ وألغاز
فلست للزوج - في الفتيا - بمنحاز
تُخبُّبُ اليومَ كي تحظى بعشرتها
لذاك تلبسُ ثوبَ المخلص العازي!
وتُظهر الحرصَ مشفوعاً بمسكنةٍ
وتستعينُ بعزمٍ غيرَ هزهاز
وتدعي مبدأ الإصلاح محتسباً
وأنت - بينهما - المستعمر الغازي
تدينُ ما فعل الحليلُ توريةً
وأنت أكبرُ خراسٍ وهمّاز
ولا تدين الذي أتته زوجته
وكيف يصدقها لسانُ غماز؟
وقد تُضيفُ - إلى الآلام - سُخرية
رفقاً بنفسك ، يا ذا الساخر الهازي!
مازلت تُوسِّعُها مدحاً وتكرمة
وتستطيلُ باطناب وإيجاز
وقد تُغازلها حتى تحرضها
وكلُّ لفظٍ لهُ آلفُ ألغاز!
تريدُها زوجة؟ ألسنت تعشقها؟
وفي الفؤاد لها كبيرُ إعزاز
وأنت أخلصُ من يرجوه صاحبها
لُدفع ضررٍ وأعداءٍ وإعواز
فهل جزا صحبة الخلان مفسدة؟
حتى إذا انكشفت أسرارُ ذي غرض
وذلك أقبحُ ما يُجزى به الجازي
تريدُ أن تصلحَ الذي به ذهبَتْ
أتيت تسعي على جذرٍ وأوفاز
واليومَ جئت إلى الزوجين معتذراً
بسعي محترق الأحشاء لمّاز
إنا بصُرننا بما قد كنت تنشده
لا تعتذرُ أبداً ، يا أيها النازي
وقد جهرت به بدون إيعاز

الضاد أم اللغات

(إن العجيب في لغتنا العربية – وكل أمرها عجيب – أن نجد الترادفات الكثيرة والمعاني المتعددة للمسمى الواحد أو للفظ الواحد! ولا أريد تكرار ما قلته في مقامات أخرى عن اللغة العربية! ولكنني فقط هنا أشير إلى مثال واحد وهو (أسماء المال) في اللغة العربية! إن المال تتعدد أسماؤه في اللغة العربية بتعدد الحالات التي يستخدم فيها! ففي المدرسة على سبيل المثال يسمى المال الذي ندفعه للمدرسة نظير تعليم أبنائنا وتربيتهم (رسوماً)! وعند الزواج يسمى (مهرأ)! وعند الطلاق يسمى (نفقة)! وإذا أخذ من شخص إلى أجل مسمى يسمى (دينأ)! وإذا دفع للحكومة يسمى (ضريبة)! وإذا دفع للمحكمة يسمى (غرامة)! والمال الذي يدفع للمتقاعدين يسمى (معاشأ)! والمال الذي يدفع للموظفين الاعتياديين يسمى (راتبأ)! والمال يعطى للعمال نظير عملهم يسمى (أجرأ)! والمال يعطى للوسطاء التجاريين يسمى (عمولة)! والمال يعطى للمحامين نظير مرافعاتهم يسمى (أتعابأ) والمال يعطى للصائغ نظير تشكيله للمجوهرات يسمى (مصنعية)! والمال يخص لمشروع ما يسمى (استثمارأ) والمال يؤخذ من البنك ليسدد على الأيام يسمى (قرضأ)! والمال يؤخذ من المستدين أضعافاً مضاعفة يسمى (ربأ)! والمال يودع في البنك يسمى (وديعة)! والمال يقدم دفعة واحدة بعد نهاية الخدمة في وظيفة ما يسمى (مكافأة نهاية الخدمة)! والمال يخطف وينهب بغير حق يسمى (فدية)! والمال يقدم لزيد أو عمر لأخذ حق الآخرين يسمى (رشوة)! والمال يقدم للفقراء كواجب شرعي بنصاب ومقدار محدد معين يسمى (زكاة)! والمال يقدم للفقراء على سبيل التطوع بأي نسبة وبأي مقدار كان يسمى (صدقة)! والمال يدفع لاستئجار عقار يسمى (إيجارأ أو كراء)! والمال يدفع من قبل الأغنياء الأثرياء يسمى (مكرمة)! والمال يدفع بنسبة معينة وبمقدار محدد لتصفية الذنوب يسمى (كفارة)! والمال يدفع لذوي المتوفى ويقسم في أولاده وبناته وأهله بنسب محددة وأسهم معينة يسمى (ميراثأ)! والمال الذي لا يصل إليه العاجزون الكسالى يسمونه هم (وسخ الدنيا)! والمال الذي وصفه الله تعالى بصفة عامة في كتابه (زينة الحياة الدنيا)! والمال يدفع للبنك كتكلفة اقتراض يسمى (سعر الفائدة) بينما في الشريعة يسمى (ربأ)! والمال يدفع لمتضرر من حادث ما يسمى (تعويض)! يؤخذ عنوة في كمين رسمي أو أهلي دون وجه حق يسمى (بلطجة)! والمال يعطى لمن عثر على شيء كان مفقوداً يسمى (حلوانأ)! والمال يعطى لامرأة بغي من فاجر ثمنأ للزنا بها يسمى (كروة أو كراء)! والمال يعطى للأبناء طواعية لا إجباراً يوم العيد يسمى (عيدية)! والمال يعطى مقدماً لشراء شيء لتصديق نية الشراء يسمى (عربونأ)! والمال يعطى لعامل يومي في أول قبض يومي له يسمى (استفتاحاً أو فألاً)! والمال يعطى عوضاً عن التجاوز في حق أحد ما يسمى (رد اعتبار)! والمال يعطى لورثة إنسان عن قتله بوصفهم أولياء الدم يسمى (دية)! والمال يعطى لشركة لترده مضاعفاً على صاحبه إن مرض أو مات يسمى (تأمينأ)! والمال ينثره الأثرياء على الراقصات في مواخير الفساد يسمى (فنجرة ملعونة)! والمال ينثره أهل العرس الأثرياء المؤمنون على المعازيم كل في محفله: الرجال في محفل والنساء في محفل آخر دون اختلاط مستهتر أو غير مستهتر يوم العرس يسمى (فنجرة محمودة)! والمال يقبل عليه راغبه بشراهة أو بدون شراهة ، بحق أو بدون حق يسمى (فتنة)! والمال يعطى ظلماً بغير وجه حق للعروس يوم الاتفاق المبدئي لتصديق نية القبول يسمى (شبكة)! ويكون بحق إذا حُسب من المهر! والمال يعطى طواعية لا إجباراً لعامل أو أجير لإتمامه عملاً ما أو خدمة ما خلاف أجره الأصلي المتفق عليه يسمى (بقشيشأ)! والمال يعطى لعامل ما أو أجير ما

مكافأة له لإتمامه عمله أو مهمته على أكمل وجه يسمى (إكرامية)! والمال يعطى طواعية واختياراً لا إجباراً للعريس أو للعروس والمختون يسمى (نقوطاً)! والمال يعطى في مستهل عمل ما أو ختامه لعمال الأجرة الذين يعملون بالمياومة يسمى (دخاناً)! والمال الذي يسرق من صاحبه ويحاز عند الشرط يسمى (حرزاً)! والمال يؤخذ من الكتابيين نظير حمايتهم ورعايتهم في دار الإسلام يسمى (جزية)! والمال إذا كان زيادة على رأس المال الأصلي في الاستثمار يسمى (ربحاً)! والمال يؤخذ من غير المسلمين على بضائعهم واستثمارهم في دار الإسلام يسمى (مكوساً أو جمارك)! والمال يعطى للحاكم لإثبات الخضوع يسمى (إتارة)! والمال إذا وجد مدفوناً في الأرض نقداً كان أو ذهباً أو فضة يسمى (ركازاً)! والمال يؤخذ على الزرع الناتج من الأرض على وصف مخصوص يسمى (خراجاً)! وهكذا نتحفنا لغتنا الجميلة لغة الضاد بمترادفاتها العذبة وبمعانيها الحلوة! ومن هنا كان الأحرى والأليق بنا أن نعود إليها بأقصى سرعة ممكنة معتزين بها وبحلاوتها وبطلاوتها وبعذوبتها! وعلينا أن نكف عن رطانة الأعاجم إلا من ضرورة! وتحت عنوان: (لغتنا الجميلة هل نعود إليها؟) يقول الأستاذ محمد المنجد ما نصه: (إن الله - سبحانه وتعالى وعز وجل - أنزل علينا الكتاب باللغة العربية ، فقال - سبحانه وتعالى وعز وجل - : (كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ). أي: بينت معانيه ، وأحكمت أحكامه ، قرآنًا عربيًّا بليًّا واضحاً ، فمعانيه مفصلة ، وألفاظه واضحة غير مشكلة: (أُحْكِمْتُ آيَاتِهِ ثُمَّ فُصِّلْتُ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ خَبِيرٍ) ، فهو معجز في لفظه ومعناه: (قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرِ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ). نزل بلسان عربي مبين لا اعوجاج فيه ، ولا انحراف ، ولا لبس ، بل هو بيان ووضوح وبرهان: (وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا) ، بلسان عربي مبين أنزل الله القرآن ، بلسان عربي فصيح لا لبس فيه ، ولا عي. (وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا). محكماً معرباً واضحاً جلياً مبيناً ، (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ). ، وذلك ؛ لأن لغة العرب أفصح اللغات وأبينها ، وأوسعها ، وأكثرها تأدية للمعاني التي تقوم بالنفوس. لا يضيق صدر العربي الفصيح أن يعبر عما فيه ، وأكثرها تأدية للمعاني التي تقوم بالنفوس ، فلهذا أنزل أشرف الكتب بأشرف اللغات على أشرف الرسل بسفارة أشرف الملائكة ، وكان ذلك في أشرف بقاع الأرض ، وابتدئ إنزاله في أشرف شهور السنة - وهو رمضان - ، في أشرف ليالي العام في ليلة القدر ، فكمل الكتاب من كل الوجوه: (وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (نَزَّلَ بِهِ الرُّوحَ الْأَمِينُ) (عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ) (بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ). تكلم الله بالقرآن بالعربية حرفاً وصوتاً ، تكلم الله بالقرآن باللغة العربية ، وأنزله سبحانه باللغة العربية ، وتكلم به إلى جبريل ، وأسمعه جبريل النبي محمداً ﷺ باللغة العربية. ولما اتهم الكفار محمداً ﷺ بأنه أتى بالقرآن من نجار رومي بمكة ، نصراني تعلم منه القرآن ، قال الله رداً على هذه الفرية: (وَلَقَدْ نَعَلْنَا أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ). ذلك النصراني رومي لسانه أعجمي ، وهذا لسان عربي مبين ، فكيف يخرج العربي المبين من فم رجل نصراني رومي؟! واللغة العربية كانت هي لغة الأقوام الأولى من العرب البائدة من عاد وثمود ، والعرب الباقية من جرهم وقحطان وحمير حتى ظهر إسماعيل - صلى الله عليه وسلم - ، فصارت نقلة في عالم اللغة العربية ، فقد جاء في الحديث الصحيح في قصة إسماعيل لما ضرب جبريل الأرض ، فنبع ماء زمزم ، وجاءت قبيلة جرهم ، ونزلوا عند أم إسماعيل ، قال في الحديث: وشب الغلام ، وفي رواية: ونشأ إسماعيل بين ولدانهم ، وتعلم العربية منهم ، تعلم العربية من جرهم ، ثم حدثت النقطة ، فجاء في الحديث: أول من فتنق لسانه بالعربية الفصحى المبينة إسماعيل

- عليه السلام - . وجاء في حديث ابن عباس: أول من نطق بالعربية إسماعيل - عليه السلام - ، قال ابن حجر رحمه الله تعالى: وروى الزبير بن بكار في النسب من حديث علي بإسناد حسن: أول من فتن الله لسانه بالعربية المبينة إسماعيل ، وبهذا القيد يجمع بين الخبرين ، فيكون بعد تعلمه أصل اللغة من جرهم ألهمه الله العربية الفصحى فنطق بها ، ومن هنا قال بعض العلماء: إن اللغة العربية وحي. فإذن تعلم إسماعيل أصل اللغة من جرهم ، ثم ألهمه الله النطق بالعربية الفصحى ، فقال أهل السير: إن عربية إسماعيل أفصح من عربية يعرب وقحطان وجرهم ، فصارت العربية على لسان إسماعيل العربية الفصحى بإلهام من الله تعالى ، ثم حدثت النقلة العظيمة بنزول القرآن باللغة العربية ، فبلغت اللغة أوج مجدها ، وقمة عزها حينما صارت لغة الإسلام ، ونزل بها القرآن. وتحدى الله فصحاء العرب أن يأتوا بمثله فعجزوا ، وبسورة فعجزوا ، وبآية فعجزوا ، فنأدى عليهم بالعجز إلى يوم الدين: (لَئِن اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا). ووجد العرب في القرآن ألفاظاً ووجوهاً للغة لم يسمعوا بها من قبل ، ولم تُعرف إلا من القرآن ، تكلم الله بالعربية ، وأنزل القرآن بالعربية ، وصارت هذه اللغة مقوماً أساسياً من مقومات وجود الأمة ، صارت علامة فارقة ، وتمييزاً للأمة. قال شيخ الإسلام رحمه الله: "اللغة العربية من الدين ، ومعرفتها فرض واجب ، فإن فهم الكتاب والسنة فرض ، ولا يفهمان إلا بفهم اللغة العربية ، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب. ثم منها ما هو واجب على الأعيان - على كل واحد بعينه - ، ومنها ما هو واجب على الكفاية ، على بعض الأمة دون الآخرين. وجاءت الآثار عن السلف بتعلم اللغة العربية ، وإعراب القرآن: أعربوا القرآن ، وأمرنا بتعلم اللغة العربية ، وأجمع العلماء على أن معرفة النحو من شروط الاجتهاد ، وحثوا على تعلمها. وقال بعض أهل العلم: من شروط المفتي أن يعرف من اللغة والنحو ما يعرف به مراد الله تعالى ، ومراد رسوله ﷺ في خطابهما. وقال بعض السلف: تعلموا النحو كما تعلمون الفرائض والسنن. وقال النووي رحمه الله: وعلى طالب الحديث أن يتعلم من النحو واللغة ما يسلم به من اللحن والتصحيح ، اللحن: أي الخطأ كنصب المرفوع ، ورفع المجرور ، ونحو ذلك. وقال الشعبي رحمه الله: النحو في العلم كالمالح في الطعام لا يُستغنى به. وكره الإمام أحمد رحمه الله أشد الكراهة تسمية الشهور بالفارسية ، وهذا له وجهان كما قال شيخ الإسلام رحمه الله ، الأول: إذا لم يُعرف المعنى جاز أن يكون محرماً ، والآن يعرف الكثيرون أن أسماء بعض الشهور بلغة الأعاجم التي نستعملها في جميع الشركات ، وبعض الأيام ، لها علاقة بأسماء الآلهة التي يعبدها الكفار ، ومن هذا الباب منع العلماء الرقية بالأعجمية خوفاً أن يكون فيها شرك ، وما لا يجوز. والوجه الثاني: كراهية - لماذا نهى أحمد رحمه الله عن تسمية الشهور بغير العربية ، واستعمال الأسماء الأعجمية؟ كراهية أن يتعود الرجل النطق بغير العربية ، فإن اللسان العربي شعار الإسلام وأهله ، واللغات من أعظم شعائر الأمم التي بها يتميزون. إذن أمة الإسلام تتميز باللغة العربية ، هذه لغتها ، هذه لغة كتابها وشرحه ، هذه لغة كتابها وشرح الكتاب ، وهي السنة. وتكلم الفقهاء في حكم الأذكار والأدعية في الصلاة بغير العربية ، وفرقوا بين القادر والعاجز. قال شيخ الإسلام رحمه الله: وأما الخطاب بالأعجمية من غير حاجة في أسماء الناس والشهور فهو منهي عنه مع الجهل بالمعنى بلا ريب. وكره الشافعي رحمه الله لمن يعرف العربية أن يسميَ بغيرها ، وأن يتكلم بها خالطاً لها بغيرها. وهذا الذي قاله الأئمة متأثر عن الصحابة والتابعين ، وقال عمر - رضي الله عنه - : إياكم ورتانة الأعاجم ، إياكم! عمر يحذر ، إياكم ورتانة الأعاجم ، وأن تدخلوا على المشركين يوم عيدهم في كنائسهم. وسمع محمد بن سعد بن أبي وقاص قوماً يتكلمون بالفارسية ، فقال: ما بال المجوسية بعد الحنيفية؟! جاء الله بالحنيفية ،

وباللغة العربية ، فما بالكم تستعملون اللغة المجوسية الفارسية بدلاً من الحنيفة ، ولغتها اللغة العربية؟! وإسناده صحيح. هذا بيان لما يقع فيه كثير من الناس اليوم من الكلام في مدارسهم ومكاتبهم وبيوتهم من لغة الأعاجم ، والذين يتباهون بها ، والذين يظنون أنهم يكونون في تقدم وحضارة إذا تكلموا بها ، ثم إن المؤسف أن تجد هؤلاء يخلطون اللغة العربية باللغة الأعجمية خلطاً مقرفاً ، مقرزاً مشوهاً للغة العربية. وقد يقول بعض الناس: إنها تصدر بغير قصد بعض كلمات ، قال شيخ الإسلام رحمه الله: جاء عن بعض السلف أنهم كانوا يتكلمون بالكلمة بعد الكلمة -أي: كلمات قليلة قد تدخل في عرض الكلام - ، جاء عن بعض السلف أنهم كانوا يتكلمون بالكلمة بعد الكلمة من العجمية ، وفي الجملة فالكلمة بعد الكلمة من العجمية - ليس المقصود الكلمة بعد الكلمة يعني كلمة عربية وكلمة أعجمية ، كلا ، الكلمة بعد الكلمة يعني: كلمات نادرة تأتي في عرض الحديث - ، قال شيخ الإسلام: فالكلمة بعد الكلمة من العجمية أمرها قريب ، وأكثر ما يفعلون ذلك إما لكون المخاطب أعجمياً ، فيضطرون للإتيان ببعض الكلمات ليفهم ، أو قد اعتاد العجمية يريدون تقريب الأفهام عليه ، كما قال النبي ﷺ لأم خالد بنت خالد بن سعيد بن العاص ، وكانت صغيرة قد وُلدت بأرض الحبشة لما هاجر بها أبوها فكساها النبي ﷺ خميصاً - أي فستاناً صغيراً - ، وقال: يا أم خالد ، هذا سنا ، وسنا بلغة الحبشة الحسن الجميل. ثم قال رحمه الله: وأما اعتياد الخطاب بغير اللغة العربية التي هي شعار الإسلام ولغة القرآن حتى يصير ذلك عادة للمصر وأهله ، أو لأهل الدار ، أو للرجل مع صاحبه ، أو لأهل السوق ، أو لأهل الديوان ، أو لأهل الفقه ، فلا ريب أن هذا مكروه ، فإنه من التشبه بالأعاجم ، وقد نهينا عن التشبه بالكفرة: ومن تشبه بقوم فهو منهم. قال رحمه الله: وأما اعتياد الخطاب بغير اللغة العربية التي هي شعار الإسلام حتى يصير ذلك عادة للمصر وأهله ، أو لأهل الدار ، أو للرجل مع صاحبه ، أو لأهل السوق ، أو لأهل الديوان ، فلا ريب أن هذا من التشبه بالأعاجم: ومن تشبه بقوم فهو منهم. قال رحمه الله: ولهذا كان المسلمون المتقدمون لما سكنوا أرض الشام ومصر - ولغة أهلها رومية - ، وأرض العراق وخراسان - ولغة أهلها فارسية - ، والمغرب - ولغة أهلها بربرية - ، عودوا أهل هذه البلاد العربية حتى غلبت على أهل هذه الأمصار مسلمهم وكافرهم ، حتى الكفار ، في البلاد التي فتحها المسلمون عودوهم العربية ، لتكون معبراً وقناة تدخل من خلالها الدعوة ، منفذ على القرآن والسنة ، بدون لغة لا يوجد فهم. وانظر الآن إلى حال المسلمين يفتحون الكتاب العزيز كثير من الكلمات لا يفهمونها فضلاً عن الأحاديث ، ولا مراد الله بها ، ولا المقصود منها ، ولا الأحكام التي تضمنتها ، لأي شيء؟ ما هو السبب؟ عدم فقه اللغة وعدم معرفة معانيها ، ضعف اللغة العربية أثر تأثيراً مباشراً وواضحاً في فهم الكتاب والسنة. ثم يقول شيخ الإسلام رحمه الله: إنهم -المسلمون المتأخرون الذين جاءوا من بعد - تساهلوا في أمر اللغة ، واعتادوا الخطاب بالفارسية حتى غلبت عليهم ، وصارت العربية مهجورة عند كثيراً منهم ، ولا ريب أن هذا مكروه ، وإنما الطريق الحسن اعتياد الخطاب بالعربية ، -اعتياد! كيف نعالج القضية؟ كيف نوجد الحل؟ اعتياد الخطاب بالعربية حتى يتلقنها الصغار في المكاتب - يعني مدارس الصبيان - وفي الدور ؛ فيظهر شعار الإسلام وأهله. الآن بالعكس تماماً، تدريس اللغة الإنجليزية للأطفال في الروضة، ومفاصلة القائمين على المدارس: لماذا لا تزيدون حصص اللغة الإنجليزية؟ وبعض الآباء يعتمدون اليوم الخطاب مع أولادهم بلغة الكفرة داخل بيوتهم ، وفي السيارة ، وفي الطريق! يقولون: ليتعلم الولد اللغة مبكراً ، ويضرون لغته الأصلية ، ويضرون فهمه وعقله بازواجية في اللغة ، أكد علماء التربية حتى من غير المسلمين على أنها ضارة ، ونصوا

في دول الكفر على عدم السماح بتعلم الولد في المرحلة المبكرة في سن الطفولة ، على عدم تعلمه لغة أخرى غير اللغة القومية ، ولا يمكن أن تجد في فرنسا مثلاً روضة أطفال يتعلم مع الفرنسية اللغة العربية ، أو لغة أجنبية ؛ لأن القانون لحامية الثقافة الفرنسية والإنجليزية وغيرها لا يمكن أن يسمح بتعلم لغة أخرى ، ونحن نرحب ، ونأهل ونسهل ، ونهلل لأولادنا إذا نطقوا باللغة الإنجليزية ، وترى كلمات التشجيع تنطلق مرحبة مادحة للولد إذا رطن بالأعجمية. وبعض أولاد المبتعثين إلى الخارج رجعوا الآن لا يفقهون اللغة العربية ، وصرت تحتاج أن تترجم لولد عربي ابن عربي اللغة العربية. وفتح الطريق لاقتباس ثقافات القوم الكفرة ، وعادات القوم الكفرة ، وفهم أغاني الكفرة ، وغير ذلك من أفلام الكفرة، ومجلات الكفرة، وكتب الكفرة ؛ لأن الأولاد صاروا يحسنون اللغة الإنجليزية ، لم نستفد الفائدة الصحيحة ، لم نعلم الأولاد اللغة الإنجليزية في السن الصحيح ولا بالكيفية الصحيحة ، ولا ليستفيدوا المعارف التي يحتاجها المسلمون ، وإنما فتحنا الباب على مصراعيه ، فصرنا نتباهى بأن الطفل يتكلم الإنجليزية بطلاقة ثم يتأتى في اللغة العربية ، لا يحسنها ، ولا يحسن الكلام بها. قال رحمه الله في علاج المشكلة العظيمة: وإنما الطريق الحسن اعتياد الخطاب بالعربية حتى يتلقاها الصغار في المكاتب ، وفي الدور؛ فيظهر شعار الإسلام وأهله ، ويكون ذلك أسهل على أهل الإسلام في فقه معاني الكتاب والسنة ، وكلام السلف ، بخلاف من اعتاد لغة ، ثم أراد أن ينتقل إلى أخرى فإنه يصعب. ثم قال رحمه الله مبيناً أثر اللغة على الدين والخلق والعقل ، واعلم أن اعتياد اللغة يؤثر في العقل والخلق والدين تأثيراً قوياً بيناً ، ويؤثر أيضاً في مشابهة صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين - إذا كانوا يتعلمون العربية يتشبهون بالصحابة والتابعين - ، ومشابهتهم تزيد العقل والدين والخلق ولذلك ترى كثيراً من الذين يجيدون الإنجليزية ، ويتكلمون بها دائماً قد أثرت في أخلاقهم ، بل إنك ترى بعض العرب الذين يدرسون في الخارج إذا أرادوا أن يتحدثوا عن موضوع خسيس ، أو كلام فاحش قلبوا إلى اللغة الإنجليزية. إذن العلاج هو أنه لا بد من التعويد ، لا بد من اعتياد الكلام باللغة العربية ، واللغة العربية الفصحى. لقد كانت تربية السلف لأولادهم على النطق باللغة العربية وإتقانها أمراً عجباً وذلك لأنهم كانوا يعرفون تمام المعرفة أن الولد لن يفهم كتاب ربه وسنة نبيه ﷺ إلا إذا أجاد اللغة العربية ، وكانوا يحاربون اللحن والخطأ في اللغة جداً ، وكان أمرهم شديداً في هذه المسألة. قرأ بعضهم يوماً قوله تعالى: (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ). "العلماء" فاعل ، هم الذين يخشون الله فقرأها: "إنما يخشى الله من عباده العلماء" ، فقال له قائل: أتتطرق بالكفر؟! جعلت الله يخشى العلماء! وسمع أعرابي - وكانوا أهل اللغة - ، قارئاً يقرأ: (وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ). قال مكمل الآية: "ورسوله" ، لما جرها ، جر اللفظة: "ورسوله" صارت معطوفة على المشركين ، صار الله بريئاً من المشركين ، وبريء من رسوله ، ومعاذ الله أن يتبرأ الله من رسوله! ومر أحدهم على قارئ يقرأ قوله تعالى: (وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ). "لا تنكح" يعني لا تعط بنتك ، أو أختك ، لا تزوج مشركاً حتى يسلم ، لا يجوز أن تجعل مسلمة تحت يهودي ، أو نصراني ، أو كافر: (وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ). فمن جهل القارئ قرأ: "ولا تنكحوا المشركين" ، فقال: والله لن ننكحهم حتى ولو آمنوا ، كيف ينكح الذكر الذكر؟ فانظر إلى شناعة التغيير الذي يحدث بتغيير ضمة ، أو فتحة أو كسرة. وكان الوليد يخطب العيد فقرأ: (يَا أَيُّهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ). هذه جملة تامة: (يَا أَيُّهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ). هي كانت القاضية ، كان واسمها وخبرها ، جملة تامة ، قال بدلاً من ذلك: "كانت القاضية" ، صارت جملة ناقصة ، "كانت القاضية"! وماذا بعد؟ على من القاضية؟ فقال عمر بن عبد العزيز: عليك ؛ فتريحنا منك. وقال شيخ الإسلام رحمه الله: وكان السلف يؤدبون أولادهم على اللحن ،

فنحن مأمورون أمر إيجاب ، أو أمر استحباب أن نحفظ القانون العربي ، ونصلح الألسنة المائلة عنه ، فيحفظ لنا طريقة فهم الكتاب والسنة ، والافتداء بالعرب في خطابها ، فلو ترك الناس على لحنهم كان نقصاً وعبأً. ورأى أبو الأسود الدولي رحمه الله أحمالاً - أي بضائع - للتجار مكتوب عليها: "لأبو فلان" ، واللام حرف جر "لأبي فلان" الصحيح ، فقال: سبحان الله يلحنون ويربحون. لقد كان الأمر عندهم مهماً ، أما الأمر عندنا اليوم غير مهم ، لو قال واحد في مجلس: "I is" لنظر إليه شزراً من الحاضرين: كيف يخطئ في هذا الفعل؟! كيف يخطئ في الكلمة؟! يا متخلف ، يا جاهل ، تنظر إليه الأعين ، لكن لو أخطأ في آية ، أو حديث ، أو نصب مرفوعاً ، أو جر منصوباً ، أو غير المعاني ، فمن ذا الذي ينكر عليه في المجلس؟ من ذا الذي ينكر عليه؟.هـ. وأعتذر عن الإطالة في التقديم ، والآن لنطالع ما فتح الله به علينا في الثناء المحض على لغة الضاد!

يا ضاد أنت - على التبيان - عنوان	وأنت - للعرب الأقحاح - ديوان
حُزتِ المكانة في الأقطار قاطبة	وبحر لفظك ما حدّته شيطان
غنية أنت عن وصفٍ وعن نسب	وفي المعاجم تدليلٌ وبرهان
ولا تزالُ رحي التاريخ دائرة	لها الكفاخ مدى ، والبحث عنوان
تُبَيِّنُ الحق ، تستجلي معالمه	وليس يطمس ما تبديه طغيان
وتُتَحَف الضاد بالحقائق ابتشّرت	وليس - في نصها الميمون - بهتان!
تعليكَ - فوق لغات الأرض - أجمعها	فأنت أم لها - بين اللغا - شان
فقت اللغا شرفاً في كل مصطدم	وقد تنزل - وفق الضاد - قرآن
أقحاحك الشم ما زلوا ، وما لحنوا	وما استساغوا الدخيل ، أو هانوا
بل ناولوك - من الصيان - أحكمه	وكل جيل أتى لـإرث صيان
ما خالطوا عجماً ، لذاك قد سلموا	ولم تكن - في لغات القوم - ألحان
حتى إذا جاء (إسماعيل) نقحها	وزادها ألقاً ، وساد غربان
إذ أسلم الضاد (إسماعيل) كوكبة	من اليعاريب ، هم للضاد فرسان
تناولوها ، وما ضاقوا بمؤنتها	وهم على نشرها في الأرض أعوان
جابوا القبائل في قرى وفي حضر	دعوا إلى دينهم ، وضادهم صانوا

فاعتز قومٌ بها ، إذ صحَّ تبيان
وفي القصائد ترشييدٌ ورُجحان
ويومَ كان لهم - في الأرض - سلطان
(محمدٍ) ، فاستمى وحيِّ وقرآن
فيه القريضُ - بضاد العُرب - مُزدان
والسلمُ من يومها - للعُرب - ديوان
يصدُّ مَنْ كَفَرُوا صدأً ، ومن خانوا
كأنما قولها فصلٌ وفرقان
منها الكثير ، وفي القاموس ميزان
منها كذلك ، هيا استشهدوا (مانو)!
من نهرها العذب ، والتاريخ فتان!
والضاد لانت لأقوام - لها - لانوا
حلاً لتوصيل أفكار بها دانوا
وشاهدي حقبٍ مرت وأزمان
والضاد تُغلي البرايا أينما كانوا
ففي قلبهم - للضاد - أضغان
أن لا يكون لها أهلٌ وأوطان
كأنها - في بقاع الأرض - نيران!
أرواح أحرفها ، وخاب عدوان!
هم والشياطين - في العداء - إخوان

وصدروا الشعرَ في ميدان دعوتهم
ونافحَ الشعرُ - عن أمجادهم - غرداً
وسجلَ الشعرُ - للدنيا - مآثرهم
وأَنْزلَ الله - بالضاد - الكتاب على
والذُكْرُ حل محل الشعر في زمن
وأصبح الدينُ يهديهم ويصنعهم
وللقريض مدى يُثري رسالته
والضاد كم أثرت في غير ما لغةٍ
فالبربرية والأوردية استقتا
واليونانية والقبطية احتوتا
والفارسية والعبرية ارتوتا
واللاتينية عقت من بها نطقوا
سل القساوسة اختاروا اللجوء لها
والضاد تجمع أهل السلم قاطبة
يوحد السلمُ أقواماً به اشترعوا
أما الأعادي فقد صفوا جفافهم
يحاربون لسان الضاد مطمخهم
ويبذرون بذور الشر ماحقة
ويشبهون مدى التغريب حاصدة
ويطعنون بالاستشراق هيبتها

وَجُل ساداتهم - للهزل - غبدان
من الخداع لها نيل وخسران
وكيف يحيا معافى وهو (خيبان)!
كي لا يفوه - بضاد العُرب - إنسان
أن لا تمحص ذا التشكيك أذهان
يقودهم نحو ما ينوون شيطان
وكان - في حربهم - مكر وإثخان
أعداء - في كيدهم - عزم وإمعان
وقد بدا جورهم ، ما فيه كتمان
يحمونها ، ما لهم في الصون خذلان
مناضلون لهم - في النصر - إيقان
أواه كم يدحر المخذول نكصان!
على المضى ، وللتصميم أثمان
لقد يفيد لسان الضاد إحسان
بحبائه ، إنه بالخلق رحمن!

ويرسلون - لنا - سوأى حدائتهم
وناولونا أساليباً منمقة
وأغرقوا الجيل في أحوال خيبتهم
ونوعوا الكيد في بدو ، وفي حضر
وشككوا في لسان الضاد ، بغيثهم
وغلبوا دارج الألفاظ ، تحسبهم
واستهجنوا اللغة الفصحى لينتصروا
يا قومنا انتبهوا لما يريد بكم
أفواههم نطقت بالظلم جاهرة
والضاد شاخصة أبصار صفوتها
ينفون عنها انتحالا كاد يوبقها
والضاد تنذر من - عن نصرها - نكصوا
مقومات بقاء الضاد تحفزكم
فأحسنوا للسان الضاد ، وانطلقوا
مُدوا الأيادي للرحمن ، واعتصموا

عندما عرفنا الطريق

(الإيمان قرينُ الابتلاء. والابتلاء يعقبه الثبات على دين الله أو الفتنة عنه. ويصعب على نفس موحدة أن تتعاس عن مقتضيات الإيمان لعرض من الدنيا قليل ، أو خوف ضياع أي فرصة تجنباً لجبار في الأرض. إن من عرف الطريق يضحى ويستعذب المعاناة والمحن والإحزن. يقول الدكتور أحمد عبد الكريم نجيب في محاضراته: (الابتلاء سنة الله في خلقه) ما نصه: (هذه هي الدنيا الدنيّة ، لم يسلم منها أحد ، ومع ذلك فلم يكف عن السعي في الاستزادة منها أحد ، وأسعد الناس فيها من قنع منها ببلغة تبلغه غايته ، ولقمة يسد بها جوعته ، وليبذل وسعه بعد ذلك في مقارعة البلاء واللأواء ، في دار الابتلاء ؛ سنة الله في خلقه ، وقدره المحتوم الذي لا يتخلف في عباده. وحديثنا عن الابتلاء له من المبررات الشيء الكثير ، فهو ذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد وهو موضوع تمس إليه الحاجة في زمن غربة الدين التي تكاد تطبق على حياة المسلم من كل جهة وجانب ، الغربة التي لا يكاد يشعر بها من لم يستشعر عظم المسؤولية الملقاة على عاتقه تجاه دينه وأمتة ، ولا من لم يتذوق حلاوة الإيمان في حياته الدنيا. وللمسلم حلاوتان يذوقهما في حياته معاً ؛ حلاوة الإيمان المترتبة على حبه لله ولرسوله ، وحبه العباد في الله دون سواه ، وكراهيته الكفر بعد الإيمان كما يكره أن يُلقى في النار ، فمن ذاق حلاوة الإيمان المترتبة على هذه الخصال ، كان أهلاً لنيل حلاوة التضحية في سبيل الله ، وبذل الغالي والنفيس من النقيير إلى القطمير في سبيل فلا يلوي ذراعه بلاء ، ولا تلين له قناة أمام الشدائد والعناء. أما من أعرض عن ذكر ربّه {فإنّ له مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى}. من جانب الهدى ، فمصيره إلى الردى ، وحياته ضنكٌ تعجُّ بالبلاء ، وتصير به وبغيره إلى هلاكٍ وفناء. وموضوع الابتلاء متكئ على محاور عدة: * المحور الأول: تحرير معنى البلاء والابتلاء في اللغة والاصطلاح: للبلاء في اللغة معان أشهرها ما ذكره الإمام القرطبي رحمه الله [عند تفسير الآية الثانية بعد المائة من سوره الصافات في الجزء الخامس عشر من تفسيره]. أولاً: الإنعام ، وهو بذل النعمة للغير ، كما في قوله تعالى: (إن هذا لهو البلاء المبين) أي النعمة الظاهرة ؛ يقال: أبلاه الله إبلاءً وبلاءً إذا أنعم عليه. ثانياً: الاختبار والامتحان بالخير أو الشر ، كما في قوله تعالى: (ونبلوكم بالشر والخير فتنة) ، أي اختباراً وامتحاناً ، يُقال: بلاه يبيلوه إذا اختبره ، ولا يقال من الاختبار إلا بلاه يبيلوه. والبلاء بالمعنى الثاني مرادف للابتلاء ، فهما بمعنى واحد ، وهو المقصود فيما نحن بصده. قال ابن منظور [في مادة بلا من المجلد الرابع عشر من لسان العرب]: (وابتلاه الله: امتحنه ، والاسم البَلْوَى والبَلْوَةُ والبَلِيَّةُ والبَلِيَّةُ والبَلَاءُ ، وبُلِيَ بالشيء بلاءً وابتُلِيَ ؛ والبلاء يكون في الخير والشر ، والجمع: البَلايا. ويقال: أبلاه الله يبليّه إبلاءً حسناً إذا صنع به صنعاً جميلاً. وبلاه الله بلاءً وابتلاه أي: اختبره. و التَّبالي: الاختبار. والبلاء: الاختبار.. الخ. والمعنى المتبادر من الابتلاء عند ذكر ما يتعرض له المؤمن في حياته من سراء وضرء ، وهو الاختبار والتمحيص المقرون – غالباً – بالشدائد والمحن ، والمصائب والفتن. * المحور الثاني: من حكم الابتلاء: لا شك في مدار الأقدار على حكمة الملك الجبار ، الذي (لا يُسألَ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسألُونَ) ولا في أنّ الحكمة المقدره في الخلق والتدبير قد تكون مما استأثر الله تعالى بعلمه ، وقد تكون مما أخبر به في كتابه أو على لسان نبيّه وقد تكون مما وفق من يشاء من عباده لمعرفة باستنباطه أو الاجتهاد في الوقوف عليه ، بإلهام

أو دُربةٍ أو غير ذلك. ومن تأمل فيما عاناه ، أو ما وَقَعَتْ عليه – من معاناة غيره – عيناه من صور الابتلاء ، سيدرك ولا شك بعض الحكم الربانية في ذلك كله ، ومن أَجَلَ تلك الحِكم تمحيص المعبود لعباده {حَتَّى يَمِيزَ الْحَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ}. فقد يكون الابتلاء لتمحيص الصف المسلم وتنقيته من الدغل والدخل والدخلاء ، ومن صور الابتلاء للتمحيص ما قد تتعرض إليه الصفوة من أبناء الأمة من الكرب أو الأسر أو النفي أو القتل أو غير ذلك مما هو معروف ومشاهد في كل زمان ومكان. قال تعالى: {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ}. وقد يكون الابتلاء قصاصاً في الدنيا مما تقترفه أيدي العباد ، وجزاء لهم بالسينة على السيئة. قال تعالى: {ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَافِرَ} وقال سبحانه: {فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا}. وقال أيضاً: {وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا}. كما قد ينزل البلاء على العباد رفعا للدرجات ، أو وضعاً للأصوار وتكفيراً للخطايا والسيئات. فمما يكون لرفع درجات العباد ، ويُرَاد لهم الخير به ما رواه البخاري في صحيحه أن أبا هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (من يرد الله به خيراً يُصِيبُ منه). أي: يبتليه بالمصائب والمحن ليرفع درجاته ويزيد في حسناته على ما يكون من صبره واحتسابه. ومما يكون لتكفير السيئات ما جاء في الحديث المتفق على صحته عند الشيخين أن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (ما من مصيبة تصيب المسلم إلا كفر الله بها عنه ، حتى الشوكة يشاكها). قال الإمام المناوي رحمه الله شارحاً هذا الحديث في فيض القدير: (ما من مصيبة) أي: نازلة ، وأصلها الرمي بالسهم ثم استعيرت لما ذكر (إلا كفر الله بها عنه) ذنوبه أي محي خطيئاته بمقابلتها (حتى الشوكة) قال القاضي: حتى إما ابتدائية فالجملة بعدها خبرها أو عاطفة (يشاكها) أي: حتى الشوكة يشاك المسلم بتلك الشوكة أي يجرح بشوكة ، والشوكة هنا المرة من شاكه ، ولو أراد واحدة النبات قال يشاك بها ، والدليل على أنها المرة من المصدر جعلها غاية للمصائب. اهـ. و مما اتفق عليه الشيخان أيضاً حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، أن رسول الله قال: (ما يصيب المسلم من هم ولا غم ولا نصب ولا وصب حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياها). قال الإمام الغزالي رحمه الله: قال عيسى عليه السلام: لا يكون عالماً من لم يفرح بدخول المصائب والأمراض عليه لما يرجوه من ذلك من كفارة خطاياها. * المحور الثالث: الابتلاء سنة عامة تتفاوت مراتب الناس فيه: ليس الابتلاء قاصراً على أحد ، ولا ينجو منه بر ولا فاجر ، وإن تباينت صورته ، وتفاوتت مراتبه ومراتب الناس فيه تبعاً لذلك. وما ادعى أحدٌ إيماناً بالله ورسوله إلا كان نصيب من الابتلاء كما أخبر بذلك رب الأرض والسماء ، فقال تعالى: {أَلَمْ أَحْسِبِ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ}. لو نجا من هذا الابتلاء أحد لنجى منه الأنبياء والمرسلون ، ومن تابعهم من الأولياء والصالحين. ولكن ؛ ما من نبي أوتي الكتاب والحكمة إلا وهو معرض لأصناف البلاء حتى يبلغ رسالة الله إلى الناس ، فالأنبياء أكمل الناس إيماناً وأكثرهم بلاءً ، وذلك لأن الابتلاء على قدر العطاء ، فقد قال ربنا تعالى: {لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ}. ولو تأملنا ما قصه الله تعالى علينا من معاناة الأنبياء لوجدنا ما يذيب الحديد ، ويشيب الوليد. ألم تر كيف ابتلى الله أبا البشر آدم عليه السلام بالسراء فكرمه وأسجد له الملائكة ، ثم ابتلاه بالضراء فأهبطه من جنة عدن إلى دار الهم والغم والحزن. وابتلى نوحاً عليه السلام في أهله

وولده بكفرهم وصددهم عن سبيل الله وإعراضهم عن دعوته إلى دين الله ، وأي ابتلاء أعظم من أن يرى الأب ابنه يغرق أمامه في موج كالجبال مع من كفر من قومه ، وهو لا يملك صرف الضر عنه ولا تحويلاً . وابتلي إبراهيم عليه السلام في أبيه الذي كان يصنع أصناماً تعبد من دون الله ، وابتلي في جسمه فقذف في النار وابتلي في ولده وفلذة كبده فأمر بذبحه ، وابتلي إلى ذلك بابتلاء من نوع خاص ، وهو تحميلة أمانة الإمامة ، حيث قال تعالى: {وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ}. ويا لها من أمانة ثقيلة وابتلاء عظيم على من تصدر له فأناط بعنقه مسؤولية أمة أو طائفة من العباد. وابتلي أنبياء بني إسرائيل عليهم السلام بأقوام لا يرقبون ذمة ولا حرمة فقتلوا أنبياءهم وحرفوا كتبهم وشرائعهم ، وكان من آخر من قتلوا يحيى وزكريا عليهما السلام. وابتلي نبي الله يوسف عليه السلام بالطعن في أمانته حينما قال إخوته: {إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِنْ قَبْلُ} ، وألقي في غيابة الجب كما تلقى الأحجار ، وبيع في سوق النخاسة كما يبيع العبيد ، وشري بثمن بخس دراهم معدودة ، وكان من اشتراه فيه من الزاهدين ، وخدم في البيوت كما يخدم العبيد ، واتهم في عرضه تهمة يتنزه عنها العقلاء فكيف بالأنبياء؟ وألقي بسببها في السجن كما يلقى المجرمون ، فلبث فيه بضع سنين. هذه حياة الأنبياء ، وهذه نماذج من ابتلاء الله تعالى لهم ، ومن تأمل ما لحقهم من صنوف البلاء لوجد عامته من الابتلاء بالشدائد والمحن ، ولا يخرج عن ذلك إلا صور معدودة جاءت مقرونة بالعز والتمكين كما في قصتي داود وسليمان عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام. ومن الملاحظ أيضاً ابتلاء الكثيرين منهم في ولده لأن الولد أقرب الناس إلى أبيه ، ومصاب أبيه فيه جلل. فهذا آدم عليه السلام ؛ يقتل أحد ولديه أخاه في أول جريمة عرفت للبشرية في إراقة الدماء. وهذا نوح عليه السلام ؛ يحول الموج بينه وبين ولده فيكون الولد من المغرقين على مرأى الأب ومسمعه وهو ينهى عن التدخل لإنقاذه ويقال له: {إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ} ؛ لكفره وإعراضه عن دين الله . وهذا خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام يؤمر بذبح ولده البار إسماعيل فيسن شفرته ويثله للجبين امتثالاً لأمر رب العالمين ، فيكاد يذبحه لولا ما تداركه ربه به من الفداء بذبح عظيم. وهذه أم موسى تبتلي في ابنها موسى الكليم عليه السلام فلا تجد بداً من إلقائه في اليم ، وقلبها يتفطر حزناً عليه. ثم يبتلي موسى الكليم بقتلة الأنبياء من بني إسرائيل من جهة وبالفراعة الأشداء من جهة أخرى ، فيهدد بالقتل ، ويخرج من بلدته خائفاً يترقب ، والملا يأترون به ليقتلوه ، وتتوالى عليه الأيام ؛ وهي حُبلى بالأحداث وصنوف البلاء بعد بعثته ، من ملاحقة فرعون وملاه لموسى ومن معه إلى اليم ، إلى ارتداد قومه واتخاذهم العجل ، حتى لا تكاد تخلو صفحة من صفحات سيرته التي كادت تذهب بالقرآن لكثرة أحداثها ، من صنف من صنوف الابتلاء. وتبتلي الطاهرة البتول مريم العذراء فتضع طفلاً نبياً من غير أب ، وتؤدي بسببه ، فيتسلط عليها اليهود ويتهمونها في عرضها ، وهي الصديقة الطاهرة المطهرة. ويبتلي محمد في أبنائه الذكور خاصة فلا يعيش له منهم أحد ، حتى سماه المشركون أبتراً ، وهو صابر محتسب يجود ابنه إبراهيم بنفسه بين يديه الشريفتين ، وهو لا يزيد على أن يقول وعيناه تذرّفان الدموع: (إن العين لتدمع ، وإن القلب ليحزع ، وإنا على فراقك يا إبراهيم لمحزونون) ولا نقول إلا ما يرضي ربنا). هكذا يبتلي الله أوليائه ، ومن أشدهم بلاءً نبيّه المختار ، وصحابته الأخيار رضوان الله عليهم ؛ جرياً على سنة مضت وتمضي (فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا) ولا محيص

لأحد عن التمهيص ، ولذلك (هنالك ابْتَلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زُلْزَالًا شَدِيدًا). وعانى الصحابة مع نبيهم أشد أنواع الابتلاء ، فَقْتَلُوا ، وَشَرَّدُوا ، وأخرجوا من ديارهم حتى قال رسول الله (ما أودى أحد ما أوديت في الله) [رواه أبو نعيم في الحلية ورواه بنحوه الترمذي وحسنه - وهو كما قال ، وابن ماجه وأحمد]. واختص الله تعالى المجاهدين والمرابطين في سبيله بأصناف البلاء ، ولم يذكر غيرهم على سبيل التخصيص رغم عموم سنة الابتلاء لعموم البشر. قال تعالى: {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ}. وقال سبحانه: {أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَنَّةٍ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ}. وقال وهو أصدق القائلين: {أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَكْبِرِينَ الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَزُلْزَلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصُرُ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ}. وليس هذا خاصاً بهذه الأمة ، ولكنها سنة مضت وتمضي إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، ولا يعدُّ الابتلاء أن يكون {سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا} ، كما دلَّ عليه صدر سورة العنكبوت ، وقد تقدم. وعن خباب بن الارت رضي الله عنه قال: شكونا إلى رسول الله وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة ، فقلنا: ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعو لنا؟ فقال: (قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها ، ثم يجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ، ويمشط بأمشاط الحديد من دون لحمه وعظمه ، فما يصده ذلك عن دينه.. والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء حتى حضر موت لا يخاف إلا الله والذنب على غنمه ، ولكنكم تستعجلون) [رواه البخاري]. وها هنا فائدة يحسن التنبيه إليها ، وهي متعلقة بمسألة الدعاء على الظالم سواء كان ولي أمر كافرًا ، أو عدوًّا متسلطًا ، أو غير ذلك ، حيث كثر عند من يجادل عن المنافقين ، والحكام الظالمين التذرع بأن النبي ترك الدعاء لخباب ومن معه رضي الله عنهم ، ولم يزد على أن أوصاهم بالصبر ، ووعدهم بالظفر والتمكين ولو بعد حين. فيقال لهؤلاء: ليس في هذا الحديث ما يدل على أنه لم يدع لخباب ومن معه ، ولا النهي عن الدعاء لهم ، بل قد يكون مما فعله ولم يرو عنه لعدم وجود المناسبة أو المقتضي ، أو مما فعله عليه الصلاة والسلام لاحقًا. وإذا سلم جدلاً إعراضه عليه الصلاة والسلام عن الدعاء والاستنصار لأصحابه في الحال المذكورة ، فتوجيهه على ما ذكره الحافظ في الفتح حيث أورد قول ابن بطال رحمه الله: (إنما لم يُجب النبي سؤال خباب ومن معه بالدعاء على الكفار مع قوله تعالى: {ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ} وقوله: {قُلُوبًا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا} لأنه علم أنه قد سبق القدر بما جرى عليهم من البلوى ليؤجروا عليها ، كما جرت به سنة الله تعالى فيمن اتَّبَعَ الأنبياء فصبروا على الشدة في ذات الله ، ثم كانت لهم العافية بالنصر وجزيل الأجر ، فأما غير الأنبياء فواجب عليهم الدعاء عند كل نازلة لأنهم لم يطلَّعوا على ما اطلع عليه النبي). ومما تقدم في الآي والأثر يتقرر أن الابتلاء سنة عامة لا ينجو منه مؤمن قط ، وإن كان ما يصيب العباد من البلاء متفاوتاً بحسب قوة إيمان العبد وضعفه ف (أشد الناس بلاء الأنبياء ، ثم الأمثل فالأمثل ، يبئلى الرجل على حسب دينه ، فإن كان في دينه صلماً اشتد بلاءه ، وإن كان في دينه رقة ابتلى على قدر دينه ، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة) [كما أخرج النسائي (في سننه الكبرى) وابن ماجه والترمذي وقال: (هذا حديث حسن صحيح) وابن حبان والحاكم ، عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ، وبوب عليه البخاري في صحيحه]. وقد يكون الابتلاء بالخير ، أو بالشر والخير. ومن أصعب صور

الابتلاء بالغير أن يبتلى المرء في أقرب الناس إليه ؛ وهم أهله وولده. قال تعالى: {وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا}. وقال تعالى: {وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ}. وما أكثر من نعرف ممن ابْتُلِيَ بولد عاق أو مريض ، أو زوج نشاز أو ناشز تلطخ ما ابيض من صفحات زوجها بسوء أخلاقها أو أفعالها. كما يكون الابتلاء بالخير تارة وبالشر تارة أخرى ، وقد يكون بهما معاً ، قال تعالى: {وَبَلَوْنَاكُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّكُمْ يَرْجِعُونَ}. وقال سبحانه: {وَبَلَوْنَاكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ} ، وعلى المؤمن أن يوطن نفسه على مقابلة الابتلاء في كلتا الحالتين على مرضاة الله التي في تحصيل سعادة الدارين ، وبذلك يحوز خير الخيرين ، وأفضل الأمرين . وروى مسلم عن صهيب رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله : (عجباً لأمر المؤمن ، إن أمره كله له خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر ، فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له). أما من يُسَرُّ بالسراء ، ويستاء بالضراء فيسخط ويضجر وينقلب على وجهه ، فهو على جرف هار يوشك أن ينهار به في نار جهنم والعياذ بالله. قال تعالى: {ومن الناس من يعبد الله على حرف ، فإن أصابه خير اطمأن به ، وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين}. ويقول عمر بن عبد العزيز رحمه الله (ما أغبط أحداً لم يصبه في هذا الأمر بلاء). (من كتاب المحن ، لأبي العرب التميمي). فليُنظر امرؤ أن يضع قدمه ، فإن الأرض مزلة مزلقة ، والموفق من ثبته الله حتى يلقاه ، وما من عبد لله طوعاً أو كرهاً إلا وهو معرضٌ لأن يُبتلى فيما آتاه الله من أوجه النعماء ، قال تعالى: (ليبلوكم فيما آتاكم) ، فما أوتي أحد نعمة إلا كانت ابتلاء له واختباراً لشكره أو صبره. فالغني يبتلى بغناه والفقير يبتلى بفقره. والقوي يبتلى بقوته والضعيف يبتلى بضعفه. والعالم يبتلى بعلمه والجاهل يبتلى بجهله. وهكذا دواليك...كلنا مبتلى ، وإلى أقدارنا سائرون {فَمَنْ رُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ}. * المحور الرابع: عوامل الثبات عند المُتَلَمَّات: إن من لطف الله تعالى ؛ {والله لطيف بعباده} أن لا يبتليهم إلا بما يطيقون ، وأن يلطف بهم فيما ابتلاهم به ، فيعينهم ويثبتهم ، على ما يرضيه عنهم ويرتضيه لهم. وفي دينه الذي ارتضاه لعباده من العوامل المساعدة على ثبات العباد على ضراوة الفتن والبلاء الشيء الكثير ، الذي لا يستصعبه عبد في شدة إلا خفف عنه ، وربط على قلبه ، ومن هذه العوامل: أولاً: التعرف على الله في الرخاء: من كان مع الله كان الله معه بلا ريب ، كيف ولا جزاء للإحسان إلا بالإحسان ، ومن تقرب إلى الله شبراً تقرب إليه باعاً ، ومن تقرب إليه باعاً تقرب إليه ذراعاً ، ومن أتى ربه ماشياً أتاه ربه هرولة ، كما ثبت ذلك فيما رواه الشيخان وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال: قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: (يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه إذا ذكرني ، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم ، وإن تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً ، وإن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً ، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة). قال الإمام الترمذي بعد أن روى هذا الحديث في سننه: ويروى عن الأعمش في تفسير هذا الحديث (من تقرب مني شبراً تقربت منه ذراعاً) يعني: بالمغفرة والرحمة ، وهكذا فسّر بعض أهل العلم هذا الحديث. قالوا: إنما معناه يقول: إذا تقرب إلي العبد بطاعتي وبما أمرتُ سارعُ إليه مغفرتي ورحمتي. اهـ. وروى الإمام أحمد في مسنده عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، أنه قال: كنت رديف النبي فقال: (يا غلام أو يا غليم ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن؟) فقلت: بلى ، فقال: (احفظ الله يحفظك ، احفظ

الله تجده أمامك ، تعرّف إليه في الرخاء يعرفك في الشدة ، وإذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، قد جف القلم بما هو كائن ؛ فلو أن الخلق كلهم جميعاً أرادوا أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يقدروا عليه ، وإن أرادوا أن يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يقدروا عليه ، واعلم أن في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً ، وأن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسراً). ومما تقدم ونحوه يتبين لنا فضل الإقبال على الله في ساعات الرخاء ، وتتأكد ثمرة ذلك في ساعات الشدائد والبلاء ؛ حيث تتجلى مكافأة بالأولى ، وهو نصرة الله وتسديده وتشبيته لعبده حين يكون أحوج ما يكون إلى رحمة من يقو: {نَبِيُّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ}. ثانياً: الإيمان بالقدر: لا شيء يبعث على التسليم والطمأنينة عند نزول القضاء مثل التسليم لله في قضائه وقدره ، والبعد عن التسخط والضجر. قال تعالى: {مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ}. فلا يكمل إيمان عبد ولا يستقيم حتى يؤمن بالقدر خيره وشره ، ويعرف أن من صفته تعالى أن يُقَدِّرَ ويلطف ، ويبتلي ويخفف ، ومن ظن انفكاك لطفه عن قدره فذلك لقصور نظره {إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ}. روى أبو داود في سننه بإسناد صحيح عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أنه قال لابنه: يا بني إنك لن تجد طعم حقيقة الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وما أخطأك لم يكن ليصيبك ، سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : (إن أول ما خلق الله القلم فقال له: اكتب. قال: رب! وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة) يا بُنَيَّ! إني سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: (من مات على غير هذا فليس مني). وثبت في المسند وعند الطبراني (في الأوسط) عن أبي الدرداء رضي الله عنه ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (لكل شيء حقيقة ، وما بلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه). قال الإمام المناوي رحمه الله شارحاً هذا الحديث [في فيض القدير] ما نصه: (إن لكل شيء حقيقة) أي: كُنْهًا (وما بلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يعلم) علماً جازماً (أن) أي: بأن (ما أصابه) من المقادير ، أي: وصل إليه منها (لم يكن ليخطئه) ؛ لأن ما قُدر عليه في الأزل لا بد أن يصيبه ، ولا يصيب غيره منه شيئاً ، (وما أخطأه) منها (لم يكن ليصيبه) ، وإن تعرّض له ؛ لأنه بان أنه ليس مقدرًا عليه ، ولا يُصيبه إلا ما قُدرَ عليه. والمراد: أن من تلبّسَ بكمال الإيمان ، ووَجَّحَ نورُه في قلبه حقيقةً ؛ عَلِمَ أنه قد فُرغ مما أصابه أو أخطأه من خيرٍ وشرٍّ ، فما أصابه فإصابته له مُتَحْتَمَةً ، لا يُتَصَوَّرُ أن يُخطئه ، وما أخطأه فسلامته منه مُتَحْتَمَةٌ ؛ لأنها سهامٌ صائبةٌ وَجَّهَتْ في الأزل ؛ فلا بد أن تقع مواقعها. اهـ. ثالثاً: النظر إلى ما حلّ بالعبد على أنه مصيبة ولكنها أهون من غيرها: جاء في الحكمة: (من نظر إلى مصاب غيره هانت عليه مصيبته). ومن ثمرات أعمال هذه الحكمة الإقرار بأن مصيبة الدنيا أهون من مصيبة الدين ، وقد علمنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن نقول في دعائنا: (اللهم لا تجعل مصيبتنا في ديننا ، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا). رواه الترمذي في سننه (وقال: هذا حديث حسن غريب) والحاكم في مستدرکه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما. وتحمل البلاء العاجل خوفاً مما يترتب على فتنة الدين من العذاب في الآجل ؛ هو اختيار الأنبياء ، ومن اتبعهم بإحسان من الصالحين الأولياء ، فقد حكى الله تعالى عن نبيه يوسف عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام قوله: {رَبِّ السَّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ} ، فقد أثر السجن على ما فيه من الكرب والضيق واللأواء على ما كان ينتظره من نعيم الدنيا في كنف

العزیز وفتنة النساء. ولما كان عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة ، صار اختياراً من يدرك العواقب ، بما أوتي من بصيرة ونظر ثاقب ، كما أنّ اختيار أهون الشرين ، وأخف الضررين في أمور الدنيا هو مقتضى العقل والتشريع معاً. وما فتى العقلاء يوازنون بين مصاب ومصاب فيجدون العزاء والسلوان في أنهم كفوا أضعاف ما ألم بهم ، وهذا ما نلمحه من موقف أئمة السلف الصالح رضوان الله عليهم ، ومنهم عروة بن الزبير ، وهو أحد أئمة التابعين ، ومن جملة الفقهاء العشرة الذين كان عمر بن عبد العزيز يرجع إليهم في زمن ولايته على المدينة. قال الحافظ ابن كثير [في البداية والنهاية]: قد ذكر غير واحد أن عروة بن الزبير لما خرج من المدينة متوجهاً إلى دمشق ليجتمع بالوليد ، وقعت الأكلة في رجله في واد قرب المدينة ، وكان مبدأها هناك ، فظن أنها لا يكون منها ما كان ، فذهب في وجهه ذلك فما وصل إلى دمشق إلا وهي قد أكلت نصف ساقه ، فدخل على الوليد فجمع له الأطباء العارفين بذلك ، فأجمعوا على أنه إن لم يقطعها أكلت رجله كلها إلى وركه ، وربما ترفقت إلى الجسد فأكلته. فطابت نفسه بنشرها. وقالوا له: ألا نسقيك مُرَقداً حتى يذهب عقلك منه ؛ فلا تحس بألم النشر؟ فقال: لا! والله ما كنت أظن أن أحداً يشرب شراباً أو يأكل شيئاً يُذهب عقله ، ولكن إن كنتم لا بد فاعلين فافعلوا ذلك وأنا في الصلاة ، فإني لا أحس بذلك ، ولا أشعر به. قال: فنشروا رجله من فوق الأكلة ، من المكان الحي ؛ احتياطاً أنه لا يبقى منها شيء ، وهو قائم يصلي ، فما تضرّ ولا اختلج ، فلما انصرف من الصلاة عزّاه الوليد في رجله. فقال : اللهم لك الحمد ، كان لي أطراف أربعة فأخذت واحداً ، فلئن كنت قد أخذت فقد أبقيت ، وإن كنت قد أبلت فلطالما عافيت ، فلك الحمد على ما أخذت وعلى ما عافيت. قال: وكان قد صحب معه بعض أولاده من جملتهم ابنه محمد ، وكان أحبهم إليه فدخل دار الدواب فرفسته فرس فمات ، فأتوه فعزّوه فيه ، فقال: الحمد لله كانوا سبعة فأخذت منهم واحداً وأبقيت ستة ، فلئن كنت قد ابتليت فلطالما عافيت ، ولئن كنت قد أخذت فلطالما أعطيت. فلما قضى حاجته من دمشق رجع إلى المدينة. قال: فما سمعناه ذكر رجله ولا ولده ، ولا شكاً ذلك إلى أحد حتى دخل وادي القرى ، فلما كان في المكان الذي أصابته الأكلة فيه قال: {لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا} ، فلما دخل المدينة أتاه الناس يسلمون عليه ، ويُعزّونه في رجله وولده. رابعاً: احتساب الأجر عند الله تعالى: إن الله لا يظلم الناس شيئاً ، ولكن الناس أنفسهم يظلمون ، ومن عدل الله تعالى في خلقه أن ينصف المظلوم ويكافئ المحروم . فما من عبد يصاب فيحتسب إلا استحق البشارة بالأجر الجزيل والخير العقيم ولو بعد حين ، إنجازاً لما وعد الله به عباده في كتابه ، وعلى لسان نبيّه – صلى الله عليه وسلم –. كما تقدم معنا أن الابتلاء عام في نزوله على بني البشر ، وهو من سنن الله الكونية التي لا مفر منها ، ولا قبل لأحد نحوها إلا بالرضا والصبر والتسليم ، الذي أمرنا به ونُذِّبنا إليه ، كما في قول ربنا تعالى: (لَتَبْلُوَنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيراً وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ). وإذا كان (مثل المؤمن تصيبه الوعكة من البلاء كمثل الحديد تدخل النار فيذهب خبثها ويبقى طيبها) ؛ فلن تكون عاقبة الجلد الصبور إلا إلى خير الأمور. وقد روى ابن ماجة والحاكم والترمذي (بإسناد قال عنه: حسن غريب) عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: (إن عظم الجزاء مع عظم البلاء ، وإن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم ، فمن رضي فله الرضا ، ومن سخط فله السخط). وروى النسائي وابن ماجة وابن حبان والحاكم والترمذي من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله

عنه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (ما يبهرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه من خطيئة) ، قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. وما أبلغ ما قال الرافعي: (ما أشبه النكبة بالبيضة ، تُحسب سجنًا لما فيها وهي تحوطه ، وتربيته وتعينه على تمامه ، وليس عليه إلا الصبر إلى مدة ، والرضا إلى غاية ، ثم تفقس البيضة ، فيخرج خلقاً آخر ، فتبارك الله أحسن الخالقين ، وما المؤمن في دنياه إلا كالفرخ في بيضته). فطوبى للصابرين ، والعاقبة للمتقين. * المحور الخامس: خاتمة في موقف المسلم من الابتلاء: يختلف المؤمن في موقفه من المقذور عن سائر البريات ، فهو يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه ، وهذا ما يحدهه لتسليم أمره ، وزمام قياده إلى ربه الرؤوف الرحيم ، الذي وعد المؤمنين والمؤمنات بالثبوت عند الشدائد والملمات. {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ}. والمؤمن باحتسابه الأجر فيما يلحقه من لأواء ، موعود بجزيل الأجر ، وعظم الجزاء ، ولذلك يتفاه بتثبيت الله تعالى له ، راضياً مطمئناً ، وإن لم يكن يتمناه. يقول مسروق الوادعي رحمه الله: (إن أهل البلاء في الدنيا إذا لبثوا على بلانهم في الآخرة إن أحدهم ليتمنى أن جلده كان قرص بالمقاريض (من كتاب المحن ، لأبي العرب التميمي). وفي مقابل المؤمن الثابت كالطود الشامخ أمام نواب الدهر ، صنف آخر من البشر لا يلوح له البلاء إلا وتنهار قواه ، ويهتز كيانه ، ولا يلبث أن يسقط فيما يعترض سبيله من فتن ، وهذا شأن المنافقين ، ومن قالوا آمناً بألسنتهم ولم يدخل الإيمان في قلوبهم. فهم كخشب مسندة لا حياة فيها ولا إيمان يقويها. وكان هؤلاء لم يستمعوا إلى قوله تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ}. قال الشيخ العلامة محمد الأمين بن المختار الشنقيطي رحمه الله مفسراً هذه الآية الكريمة: (يعني أن من الناس من يقول: آمنا بلسانه فإذا أُوذِيَ فِي اللَّهِ أي آذاه الكفار إيدانهم للمسلمين جعل فتنة الناس صارفة له عن الدين إلى الردة ، والعياذ بالله ، كعذاب الله فإنه صارف رادع عن الكفر والمعاصي ، ومعنى فتنة الناس الأذى الذي يصيبه من الكفار ، وإيذاء الكفار للمؤمنين من أنواع الابتلاء الذي هو الفتنة). (أضواء البيان). يقول عمر بن عبد العزيز رحمه الله: (ما أعبط أحداً لم يصبه في هذا الأمر بلاء). (من كتاب المحن ، لأبي العرب التميمي). هـ. قَالَ قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ: "مَاتَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ وَمَاتَ الْوَرَعُ ، وَمَاتَ الشَّافِعِيُّ وَمَاتَتِ السُّنَنُ ، وَيَمُوتُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ وَتَظْهَرُ الْبِدْعُ". وَفِي رِوَايَةٍ: قَالَ قُتَيْبَةُ: "إِنَّ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ قَامَ فِي الْأُمَّةِ مَقَامَ النَّبِيِّ". قَالَ النَّبِيهَقِيُّ: "يَعْنِي فِي صَبْرِهِ عَلَى مَا أَصَابَهُ مِنَ الْأَذَى فِي ذَاتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ". وَقَالَ أَبُو عَمَرَ ابْنُ النَّحَّاسِ وَذَكَرَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ يَوْمًا فَقَالَ: "رَحِمَهُ اللَّهُ ، فِي الدِّينِ مَا كَانَ أَبْصَرَهُ ، وَعَنِ الدُّنْيَا مَا كَانَ أَصْبَرَهُ ، وَفِي الزُّهْدِ مَا كَانَ أَخْبَرَهُ ، وَبِالصَّالِحِينَ مَا كَانَ أَحَقَّهُ ، وَبِالْمَاضِينَ مَا كَانَ أَشْبَهَهُ ، عَرَضَتْ لَهُ الدُّنْيَا فَأَبَاها ، وَالْبِدْعُ فَنَفَاها". وَقَالَ الْمَيْمُونِيُّ: "قَالَ لِي عَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ بَعْدَ مَا مَثَحَنَ أَحْمَدُ ، وَقَبْلَ أَنْ يَمْتَحَنَ: يَا مَيْمُونِيُّ ، مَا قَامَ أَحَدٌ فِي الْإِسْلَامِ مَا قَامَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ. فَعَجِبْتُ مِنْ هَذَا عَجَبًا شَدِيدًا ، وَدَهَبْتُ إِلَى أَبِي عُبَيْدِ الْقَاسِمِ بْنِ سَلَامٍ ، فَحَكَيْتُ لَهُ مَقَالَةَ عَلِيِّ بْنِ الْمَدِينِيِّ ، فَقَالَ: صَدَقَ ، إِنَّ أَبَا بَكْرٍ الصَّدِيقَ وَجَدَ يَوْمَ الرَّدَةِ أَنْصَارًا وَأَعْوَانًا ، وَإِنَّ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَنْصَارٌ وَلَا أَعْوَانٌ". وَقَالَ هَلَالُ بْنُ الْعَلَاءِ الرَّقِّيُّ: "مَنْ اللَّهُ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ بِأَرْبَعَةٍ: بِالشَّافِعِيِّ ، فَهَمَّ الْأَحَادِيثَ وَفَسَّرَهَا ، وَبَيَّنَّ الْمُجْمَلِ مِنَ الْمُفَسِّرِ ، وَالْخَاصِّ مِنَ الْعَامِّ ، وَالنَّاسِخَ مِنَ الْمَنْسُوخِ ، وَبِأَبِي عُبَيْدٍ عَرَفَ الْعَرِيبَ وَفَسَّرَهُ ، وَبِإِخْيَ بِنِ مَعِينٍ نَفَى الْكُذْبَ عَنِ

الأحاديث ، وبأحمد بن حنبل ثبت في المخرجة ، لولا أن الله تعالى سخر وثبت هؤلاء الأربعة لهلك
الناس! انتهى من "البداية والنهاية".

تقوى الله أعز وأبقى
والمؤمن ممن تحنّ أبداً
وثبات المسلم منقبة
والفتنة تلفظ من سقطوا
وجدوا للحق تكاليفاً
وعلى الرزق الطغمة خافت
خاف الناس على دنياهم
ساووا دنياهم بالأخرى
وطريق الإيمان مليء
ولقد أدركت دغاوله
وأنا - في الفتنة - محتسب
وأثوق - إلى الجنة - دوماً
مذ أدركت معالم دربي
مهما عانيت من الدنيا
والمرء - بلا تقوى - يشقى
وبقذر تمسكه يرقى
وبه يصبح حقاً أتقى
وعدوا - في لجتها - غرقى
ففتوا حتى كرهوا الحقا
أولم يضمّن ربي الرزقا؟
فأذاقهم الله الضيقا
أثراهم ما عرفوا الفرقا؟
بصعاب تعضّل بالحمقى
وذلك غروته الوثقى
ليرى الخالق منى الصدقا
وأحنّ - إلى الرجعى - شوقا
وأنا أستعذب ما ألقى
خير ربّ الناس وأبقى

الخاتمة

الحمد لله سبحانه وتعالى سامع دعاء الخلائق أجمعين ويجيب ، يؤنس العبد الوحيد ، ويهدي العبد الشريد ، ويذهب الوحشة عن العبد الغريب ، يغفر الذنوب لمن استغفره ، ويرحم برحمته من استرحمه ، ويصلح العيب الظاهر والخفي ، ويستتر العصي ، ويمهل البغي ، ويُنذر الغوي ، ومن تاب من عباده قبل وأثيب ، يكلف سبحانه وتعالى بالقليل ، ويجزي بالجزيل ، ويعفو عن الذي بالعجز أصيب ، من أطاعه تولاه ، ومن غفل عنه لا ينساه ، وله من الرزق نصيب ، يرزق عباده بلا أسباب ، ويدخل الجنة بغير حساب ، فلا فضح بين الخلائق ولا تنقيب ، نحمده تبارك وتعالى ، ونسأله التنظيم لأحوالنا والترتيب ، ونعوذ بنور وجهه الكريم من الفساد والإفساد والتخريب ، ونرجوه الأمن والأمان والرضا في يوم يسقط الجنين والصغير فيه ويشيب ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له المهيمن والرقيب ، من تبع شرعه تولاه ومن تقرب إليه فاز بالتقريب ومن أوه إليه أواه ، ومن استحيا منه فليس عليه تسريب ، ومن توكل عليه كفاه ومن التجأ إليه فالفرج قريب ، ومن شكر عطاءه نمّاه ومن تواضع له نجاه من التعذيب ، من انتصر به ما ذلّ ، ومن اهتدى بهداه ما ضلّ ، ومن اتقاه ما زلّ ، ومن طلب غناه ما قلّ ، له الكبرياء والجبروت عز وجلّ. تمّ كماله ، وحسن جماله ، وتقدّس جلاله ، وكرّمت أفعاله ، وأصابته أقواله ، ونصر أوليائه ، وخذل أعدائه ، وقرب أعباءه. اطلع فستر ، وعلم فغفر ، وحلم بعد أن قدر ، زاد من شكر ، ذكر من ذكر ، قضم من كفر. الحمد لله الذي زين قلوب أوليائه بأنوار الوفاق ، وسقى أسرار أحبائه شراباً لذيق المذاق ، وألزم قلوب الخائفين الوجل والإشفاق ، فلا يعلم الإنسان في أي الدواوين كتب ولا في أيّ الفريقين يساق ، فإن سامح بفضله ، وإن عاقب فبعده ، ولا اعتراض على الملك الخلاق. وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، إله عزّ من اعتز به فلا يضام ، وذللّ من تكبر عن أمره ولقي الآثام. لو أن الأقاليم هي الشجر ، والمداد هو المطر ، والكتبة هم البشر ، ثم أتى عليه بالمدح من شكر ، لما بلغوا ذرّة مما يستحقه جلّ في علاه وقهر. يا أيها الإنسان أعمر جناتك بحبه ، وأصلح زمانك بقربه ، وأشغل لسانك بحمده ، واحفظ وقتك بتسبيحه. العزيز من حماه ، والمحظوظ من اجتباه ، والغني من أغناه ، والسعيد من تولاه ، والمحفوظ من رعاه. أرسل الرّسل ، وأفنى الدول ، وهدى السبل ، وأبرم الحيل ، وغفر الزلّل ، وشفى العلل ، وستّر الخلل. وأشهد أن سيدنا وحبينا وشفيعنا محمداً عبد الله ورسوله ، وصفيه من خلقه وحببيه ، خاتم أنبيائه ، وسيد أصفِيائه ، المخصوص بالمقام المحمود ، في اليوم المشهود ، الذي جمع فيه الأنبياء تحت لوائه. اللهم صل عليه عدد ما وسعه علم الحساب من تربيعة وتكيب ، وأثني عليه شاعراً وأديب وعلّي الصحب والإله وكل ما انتسب إليه بعيد هو أو قريب. وأشهد أن محمد عبده ورسوله المقرب والحبيب خلقه نعمة ومبعثه رحمه وشمس سنته لا تغيب نظره لحظة وكلامه وعظ واللفظ منه لا يريب ، نوره يخطف الأبصار ومسجده علم ومزار وأنفاسه منه مسك وطيب. إلهنا غرتنا الدنيا ، واجتالتنا الشياطين الإنسية والجنية ، وغفلنا عن ذكرك ولم نعبك حق عبادتك ، وفرطنا في كل حق ينبغي لك! ولكن رحمتك أوسع من ذنوبنا!

ذُقت الهوى مُرّاً ، ولم أذق الهوى يارب خلّوا ، قبل أن أهواك

يا غافر الذنب العظيم وقابلاً
للتوب قلب تائب ناجاك
رباه ها أنا ذا خلصت من الهوى
واسقبل القلب الخالي هواك
وتركت أنسي بالحياة ولهوها
ولقيت كل الأنس في نجواك
ونسيت حبي ، واعتزلت أحبتي
ونسيت نفسي خوف أن أنساك

إلهنا تباركت وتعاليت نسألك الثبات على الحق مهما حلا الباطل وعلا صوته وكثر أهله!
اجعلنا على الحق ومن أهل الحق ومن شهداء الحق وشهوده حتى نلقاك!

فواظنا بالله - جل جلاله
وَمَنْ عَمَّ كُلُّ الْعَالَمِينَ نُوَالِهِ
وأسمأؤه الحسنى ، وأوصافه العلى
وأقواله مَحْمُودَةٌ وفِعَالُهُ
وَمَنْ خَلَقَ الْجَنَاتِ مِنْ مَخْضِ فَضْلِهِ
وَمَنْ يَخْشَاهُ بِالْغَيْبِ فَهِيَ مَأْلُهُ

ربنا ارحمنا فإتك بنا راحم ، ولا تعذبنا فأنت علينا قادر! والطف بنا يا لطيف فيما جرت به
المقادير! اللهم لا تحرمنا خير ما عندك بشر ما عندنا ، وعاملنا بما أنت أهله لا بما نحن أهله!

يا رب إن عظمت ذنوبي كثرة
فلقد علمت بأن عفوك أعظم
إن كان لا يدعوك إلا محسن
فمن الذي يرجو ويدعو المجرم؟
أدعوك ربّي كما أمرت تضرعاً
فإذا رددت يدي ، فمن ذا يرحم؟
مالي إليك وسيلة إلا الرجاء
وجميل عفوك ، ثم أتى مسلم

إن الإنسان إذا تأمل في المخلوقات من حوله لأدرك قدرة الله في الأشياء ، ولأدرك رسالته الحقيقية
التي عبادة الله وفق ما شرع الله تعالى له! والخلق كله يسبح الله فنحن بالتسبيح أولى!

تأمل في نبات الأرض ، وانظر
إلى آثار ما صنع المليك
عيون من لجان شاخصات
بأحداق هي الذهب السبيك
على قضب الزبرجد شاهدات
بأن الله ليس له شريك

اللهم انفع بشعري وافتح به آدانا صماً وافتح به قلوبنا غلفاً ، اللهم اجعله سهلاً هيناً على الناس!
لقد كانت دعوة الأنبياء والرسل كلهم متبلورة في التوحيد والعقيدة! (اعبدوا الله ما لكم من إله
غيره) وكان اعتزاز الأنبياء والرسل وأتباعهم بالإيمان والإسلام! يقول الأستاذ سعد بن زيد آل

محمود ما نصه: (وما دامت هذه دعوة الأنبياء جميعاً وهذا حالهم وافتخارهم ، فلماذا يستحي البعض من أن يظهر أنه مسلم أو يطبق بعض شعائره علناً! بل الأدهى والأمر أنك تجد في الأمة من يصير على تحويل كل قضاياها وأمورها إلى شرقية وغربية وقومية وحزبية وغيرها من الشعارات واللافقات والتفاهات التي لا تسمن ولا تغني من جوع ، ولا يتجرأ أبداً أن يتفوه باسم الإسلام على لسانه وليته مضطراً لفعل ذلك ، لهان الأمر قليلاً ولكنه الجهل أحياناً والخبث والمكر أحياناً أكثر! ألم ينصر الله - سبحانه - عباده الصالحين ويعددهم بميراث الأرض فقال- تعالى:- {ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحين} ، وقال: {إننا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد}. وقال: {وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني ولا يشركون بي شيئاً}. فيا من تبحثون عن المجد ، يا من تبحثون عن الأمن أيها الراكضون وراء الملك والجاه إن الطريق واضح لمن كان له قلب ، وإن السبيل بين لمن كان له لب إن طريقكم إلى المجد والعلا والأمن والأمان وحكومة الأرض بأسرها ، إنما هو بالسير على هدي كتاب الله وسنة نبيه مفتخرين معترزين بهذا الإسلام ، رغم كيد الكاندين ورغم ضعف المنهزمين فالإسلام الإسلام عباد الله! الإسلام الذي ترجمه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بقوله: (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً) والذي قال - تعالى - في وصف أهله: {إنما المؤمنون أخوة} ، ووصف النبي - عليه السلام - المسلمين به كالجسد الواحد فقال: (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى). وصدق حمد بو شهاب إذ يقول: (إن العروبة بالإسلام عزتها):-

قبل الرسالة قل لي: من هم العرب؟	وأي مجيد بنيت أم لهم وأب؟
تعال ، فاستقرئ التاريخ أمثلة	تر الحقائق فيما تحمل الكتب!
كان التفاحز بالأنساب رائدهم	في كل نادٍ فماذا حقق النسب؟
هل استطاعوا به توحيد أمتهم؟	كلا! ففاقد أمر الشيء لا يهب
أبناء لخم لكسرى الفرس تابعة	وآل جفنة بالرومان تعصب
وذو النباهة فيهم من له وثن	إليه يجار بالشكوى وينتخب

يقول الأستاذ سعد بن زيد آل محمود: (إن المؤمن يعلم أن الله - سبحانه - هو الذي يعز ويذل ، وهو الذي يوتي الملك وينزعه ولا يقوم بذلك إنس ولا جن لا ملك ولا حاكم ولا طاغوت ولا سواهم مصداقاً لقوله - تعالى - : {قل اللهم مالك الملك توتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير}. ومن هنا اعتز هؤلاء النفر بالله وبيدنيهم وبياسلامهم ، لم يلتفتوا للباطل ولا لأهله ، ولم ينظروا للظلم وجولته ، وإنما زرعو في قلوبهم قول الله - تعالى - : {ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون}. فلم ينظروا

إلى المجرمين من الكفار واستكبارهم في الأرض، ولم يلتفتوا إلى علو الطغاة الظالمين ، ولم يأبهوا بالهجمة الحاقدة على هذا الدين ، وبالترصد الغادر للمجاهدين ، فلم ينحنوا إلا لله ولم يقبلوا الدنيا في دينهم بحجة الواقع ، كما فعل البعض فتبرأ من دينه وعقيدته وكال التهم والشتائم للجهاد والمجاهدين ، مُبرناً نفسه من الإرهاب وأهله كما يدعون. إن الاعتزاز بالإسلام والانتساب إليه إنما هو من أهم أسباب الرفعة للأمم ، وهذا عمر الفاروق - رضي الله عنه - يسطر هذه القاعدة خالدة إلى يوم الدين فقال: كنا أدلة فأعزنا الله بالإسلام فإذا ابتغينا العزة في غير الإسلام أدلنا الله! فإلى اللاهثين وراء الطواغيت وإلى الراكعين لأعدائهم وإلى الراكضين وراء المال والجاه هلا تمغنم في قول الفاروق الذي لم يكن في قومه في الجاهلية ذليلاً ولم يكن عبداً مهاناً وإنما كان سيداً مهاباً ورجلاً عزيزاً ومع ذلك يقول هذه المقولة عن تجربة وخبرة وعلم فيا ليت قومي يفقهون!)-هـ. لنعلم جميعاً أن أيَّ عِزَّةٍ تقومُ على غير الإيمان بالله ، فهي عِزَّةٌ واهيةٌ باطلةٌ مُنْقِضيةٌ فانيةٌ مُتصدِّعةٌ ، وإنَّ أيَّ رِفعةٍ ومَنعةٍ وقِمةٍ وعلوٍّ تكونُ بغير الله ، فهي زائلةٌ عمَّا قليل ، تحوُّلٌ وتزوُّلٌ وتنتهي ، حتى وإن استمرت في بغيٍ وظلمٍ وطغيانٍ ، ولذا أُبشِّرُكم بسُرعةٍ تصدِّعُ العِزَّةَ الباطلةَ ، وعِزَّةَ الغربِ بالباطل ، تلك التي يتغطسون بها على أمةِ الإسلام ، يُجوعون شعوباً ، ويُدمِّرون شعوباً أخرى ، ويضربون دُولاً ، ويحبسون المياه ، ويثيرون الفِتَنَ ، ويحاربونهم بالاقتصاد ، ويُفسِدون الإعلامَ ، ويخربون العقولَ ، هم الآن يعيشون حالةً من عِزَّةٍ السيطرة في زمن العولمة ، ولكن اسمعوا قول الله عز وجل: (لا يَغْرُنْكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ * مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ). مهما علا المتجربون وتكبروا ، فإن مصيرهم الهلاك ومصيرهم العقاب والنوار والدمار ، لماذا يكون مصيرهم هكذا؟ لأنهم بغوا في الأرض بغير الحق ، وأفسدوا الحياة والأحياء ، والله لا يصلح عمل المفسدين. وتلك سنة ربانية لا تتبدل ولا تتخلف. ماذا كان العرب قبل الإسلام؟ صدق حمد بو شهاب إذ يقول: في إحدى قصائده التي عنون لها بـ (إن العروبة بالإسلام عزتها):-

وأشرف القوم من وأد البنات له	يُعد فخراً ومَن يقتات ما نهبوا
وما البسوس وما جرته من فتن	إلا دليل بأن الفكر مضطرب!
نعم! وإلا فما مقدار ناقتهما	حتى عليها دم الحيين ينسكب؟
وكان أول قتلى القوم سيدهم	كليب ، ثم توالى بعده النوب
فأربعون من الأعوام إن خمدت	نار الحروب ، فنار الحقد تلتهب
إن كنت في مريّة من أمر سيرتهم	فابحث عن الصدق في أخبار من ذهبوا

إن العزة الحقيقية لا تتحقق إلا بالإسلام! قال الأستاذ صالح الفوزان تحت عنوان: (لا اعتزاز إلا بالإسلام) ما نصه: (إن الانتماء والاعتزاز بغير الإسلام من أمور الجاهلية. لما سمع النبي صلى الله عليه وسلم من يقول: يا لأنصار ومن يقول: يا للمهاجرين قال صلى الله عليه وسلم: "أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم". وقال: "دعوها فإنها منتنة". فالاعتزاز بالقبيلة أو بالقومية أو

بالعروبة أو بالإنسانية اعتزاز وانتماء بأمر الجاهلية! ولما ظهر قبل فترة قريبة من يدعو إلى القومية العربية أنكر عليه العلماء أشد الإنكار ، ورد عليهم الشيخ عبد العزيز بن باز برد مطول قوي سماه: نقد القومية العربية. وهو مطبوع ومتداول. وذلك لأن الإسلام دين الرحمة (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ). ودين البشرية: (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا). والإنسانية بدون دين الإسلام لا تغني شيئا فقبل الإسلام كانت الإنسانية في وحشية وخصام وقتال ونهب وسلب وتناحر: (وَادْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا). فكل رحمة وكل إحسان إلى الناس فذلك في دين الإسلام: (لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ). حتى البهائم عند ذبحها أمر الإسلام بالإحسان إليها عن الذبح والقتل! قال صلى الله عليه وسلم: "إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته!" وغفر الله لبغي سقت كلباً وعذب امرأة حبست هرة حتى ماتت. إن الإنسانية وحدها بدون الإسلام لا تغني شيئاً ولا تجلب خيراً ولا تدفع ضراً وما سفكت الدماء ولا استبيحت الأعراض ولا استحلّت الأموال إلا من بني الإنسانية ولا حفظت هذه الحرمات إلا بالإسلام وإننا نسمع في هذا الوقت من يعتر بالإنسانية وينسب إليها كل إحسان ومعروف ناسياً أو متناسياً أو قاصداً جحود فضل الإسلام. والله سبحانه قال: (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً) ولم يقل: وما كان لإنسان إن يقتل إنساناً وما خالف الإسلام فهو من أمور الجاهلية التي أمرنا بتركها والاعتزاز بديننا والانتفاء إليه وإظهار فضله والدعوة إليه). هـ. الإيمان القويم هو الذي جعل إبراهيم- عليه السلام - في موقف العزيز القوي ، ليقول للكثرة الكاثرة الكافرة التي أجمعت النار لتحرّف بها ، يقول لهم وهو الذي قُبِدَ وربطَ ليرمى في النار ، يقول لهم في عزة: (أَفْ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ من دون الله) ؛ ليجعل الله الخسار والذلة لمن عاداه: (وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ). كذلك يكون المؤمن المعتز بدينه ، يرى أنه القوي وأعداءه الضعفاء ، لا يتردد ولا يدخله الشك ، ولا تهزّه ألوان الأذى ولا التهديد ، كل ذلك إذا تغلغل الإيمان فيه. إن الإيمان إذا خالطت بشاشته القلوب فحدث ولا حرج عن الثبات في القول والفعل والعمل! وعندما اعتز قومٌ بعروبتهم هل أغنت عنهم عروبتهم من الله شيئاً؟ لنرجع إلى أيام داحس والغبراء وذبيان! صدق حمد بو شهاب إذ يندد بما كان عليه القوم من جاهلية فيقول في قصيدته التي عنون لها بـ (إن العروبة بالإسلام عزتها):-

وكيف عبس وذبيان به نكبوا؟

تصلى الفريقين لم يخمد لها لهب

فيها تحكمت الهندية القضب

فيه تمخض عنه الحقد والغضب

وما أفادتهم القربى ولا الحساب!

سل داحساً والغبيرا عن رهانهما

خمسون عاماً ونار الحرب ما فتت

وسل بني قيلة عن داء باقعة

وعن بعث وما لاقوه من محن

فراح يحصد بعضٌ بعضهم سفهاً

يقول الأستاذ سعد بن زيد آل محمود: (إن العزة بالإسلام إنما هي قوة وشدة على أعداء الله وجهاداً لهم وثباتاً وصبراً على أذاهم وإرغاماً لأنوفهم بكل وسيلة شرعها الله وسنتها قوانين العدل ، وهي في الوقت ذاته رحمة للمؤمنين ولين عليهم وألفة لهم وبهذا يقول الحق - تعالى -: {محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم} ، ويقول - تعالى -: {يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله} ، فالعزة طريق النصر ولا يمكن لامرئ يخجل من دينه وانتمانه لهذا الإسلام أن يكون قوياً مدافعاً عن فكرته ومبادئه لأن فاقد الشيء لا يعطيه ، فالذي دخل الوهن والضعف في قلبه أنى له أن يقنع الآخرين بما يحمل من أمانة ورسالة؟! ولو رجعنا إلى تاريخنا وسيرتنا وماضي أمتنا لوجدناه يمضي على نسق واحد ، أنه كلما رجعت الأمة إلى دينها وتمسكت به ، سادت الأمم ووصلت إلى القمة ، وكلما حادت عن الطريق وابتعدت عن الاعتزاز والافتخار بهذا الدين سقطت في أودية الذل لا يرفعها إلا عودتها لدينها وتمسكها به واعتزازها به. كيف لا يكون ذلك والإسلام دين رضيه الله لنا وهو - جل جلاله - الذي خلقنا وهو أعلم بما يصلح حالنا فقد قال الله- تعالى -: {اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً} ، ويقول - تعالى -: {إن الدين عند الله الإسلام} ، وهو القائل - سبحانه -: {ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين}. وإذن فلا بد لكل مسلم أن يعلنها بكل صراحة ، مدوياً أن ديني الذي أحمل هو الإسلام وبكل فخر ، فهو الدين الذي سينقذ البشرية من ظلام ظلم الظالمين ، ويرفعها من الهوان والذل الذي تغرق فيه وأنه لقادر على ذلك بإذن الله). إن الإسلام ذلك الدين القيم هو الذي أعزَّ ورفَّع وأعلى أمَّة كانت شرانم مُشْتَتَّة فجمَعها ، ضعيفة فقوَّأها ، جاهلة فعلمها ، ذليلة فأعزَّها ، لقد نقلها من الدلَّة إلى العزِّ ، ونقلها من عتبات اللات والغزى ومناة الثالثة الأخرى! ومن يعوث ويعوق وسواع ونسر وهبل وإساف ويعبوب ونائلة وذو الخلصة ، إلى منازل (إياك نعبد وإياك نستعين). وإلا يكن ذلك كذلك فنسأل هنا سؤالاً ماذا كان سادات هذه الأمة في جاهليتهم؟ لقد كانوا رعاة للغنم فجعلتهم رسالة الإسلام قادة للأمم! إن الإيمان وعزته هو الذي جعل بلالاً العبد الأسود سيِّداً ، يسمع الرسول - صلى الله عليه وسلم - خشخشة نعليه في الجنة ، ليكون مؤدِّب الإسلام الأول ، الذي تحفظ الملايين اسمه ، وثحبَّ لونه ، ما الذي رفَّعه؟ إن بلالاً لا يملك شجرة طويلة ولا لوناً ولا جمالاً ، لكنَّه يملك شجرة الإيمان وجمال النَّقْوَى ، يملك لا إله إلا الله. وإذن فهو الإسلام الذي رفع بلالاً وخباباً وصهيباً وسلمان وابن مسعود! صدق حمد بو شهاب إذ يندد بما كان عليه القوم من جاهلية فيقول في إحدى قصائده التي عنون لها بـ (إن العروبة بالإسلام عزتها):-

هَذَا مِثَالٌ مِنَ التَّارِيخِ أَنْقَلَهُ	كَمَا رَوْتَهُ لَنَا الْأَخْبَارُ وَالْكَتَابُ
وَلَوْ أَرَدْنَا لَهُ حَصْرًا لَأَعْجَزْنَا	فَهُمْ عَلَى مِثْلِ هَذَا الْحَالِ قَدْ دَابُّوا
لَكِنَّ مَنْ يَتَوْلَانَا بِرَحْمَتِهِ	لَمْ يَتْرِكِ الْحَالِ فَوْضَى سَعِيهَا شَعْبُ
وَأَنَّمَا اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ نَظْمُهُ	شَرِيعَةٌ هَمَّهَا الْإِصْلَاحُ لَا السُّلْبُ

فطوّفت في رحاب الأرض حاملة
إلى البرية منهاجاً بما يجب
تاريخهم من رسول الله مبدؤه
وما عداه فزيف كله كذب
فقد أطل على الدنيا ببعثته
وليس فيها لأمر صالح سبب

إنَّ عَزَّتْنَا وَعُلُوْنَا وَسْمُونَا يَكْمُنُ فِي تَوْحِيدِنَا ، فِي إِسْلَامِنَا ، فِي إِيمَانِنَا: مِنْ وَحْدٍ وَمَنْ أَسْلَمَ وَأَمَّنْ ، فَقَدْ ارْتَفَعَ وَعَلَا عُلُوًّا يَرْفَعُهُ عَنِ حَيَاةِ أَذِلَّةِ الْأَصْنَامِ وَعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ ، الَّذِينَ يَخْضَعُونَ لَهَا وَيُؤْمِنُونَ بِهَا. إِنَّ أَيْ مُسْلِمٍ هُوَ فِي قِمَّةِ وَعِزَّةِ بَدِينِهِ وَإِيمَانِهِ وَإِسْلَامِهِ ، وَأَيَّ كَافِرٍ فَهُوَ فِي مُنْتَهَى الذَّلَّةِ وَالْمَهَانَةِ وَالْإِنْحِطَاطِ ، (وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ). وَلِنَتَأَمَّلَ كَيْفَ قَالَ تَعَالَى: (خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ) ؛ لِأَنَّ الْإِسْلَامَ نَقَلَهُ مِنْ حَضِيضِ الْغُبْرَاءِ إِلَى شَامِخِ الْعُلْيَاءِ ، مِنْ ضَيْقِ الدُّنْيَا إِلَى سَعَةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَلِأَنَّ الْإِيمَانَ يَرْفَعُ الْمُؤْمِنَ مِنْ مَزْبَلَةِ الْوَثْنِيَّةِ إِلَى مَقَامَاتِ الْإِيمَانِ وَالذِّينِ. نَعَمْ ، الْمُؤْمِنُ فِي السَّمَاءِ عُلُوًّا وَرِفْعَةً وَعِزَّةً ، وَلَكِنْ حِينَمَا يَنْتَازِلُ عَنِ إِيمَانِهِ ، وَحِينَمَا يَجْرَحُهُ وَيُرْتَكِبُ مَا يَقْدَحُ فِي إِيمَانِهِ ، فَهُوَ يَنْتَازِلُ عَنِ عُلْيَانِهِ وَعِزَّتِهِ بِقَدْرِ مَا يُرْتَكِبُ مِنْ خُدُوشٍ أَوْ تَكْسِيرٍ فِي جِدَارِ إِيمَانِهِ. (فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ). وَمَنْ هُنَا يَفْقَدُ قِيَمَتَهُ فِي الْحَيَاةِ وَبَيْنَ الْأَحْيَاءِ! كَتَبَ الْأُسْتَاذُ يَاسِينَ بْنُ عَلِيٍّ نَقْلًا عَنْ مَجَلَّةِ الزَّيْتُونَةِ وَتَحْتَ عِنْوَانٍ: (الاعتزاز بالإسلام) مَا نَصَّهُ: (يَمِيلُ الْإِنْسَانُ بِحَكْمِ شَعُورِهِ بِالْعِزِّ ، وَالنَّقْصَانِ ، وَالْمَحْدُودِيَّةِ ، إِلَى الْإِحْتِمَاءِ بِقُوَّةِ عَظِيمَةٍ خَارِقَةٍ يَسْتَمَدُّ مِنْهَا الْعَوْنُ ، وَالْغَلْبَةُ ، وَالنَّصْرَةُ ، فَيَجْعَلُهَا مَصْدَرَ قُوَّةٍ يَتَّقَوِي بِهَا ، وَمَبْعَثَ فَخْرٍ يَتَشَرَّفُ بِالْإِنْتِمَاءِ إِلَيْهَا أَوْ الْإِحْتِمَاءِ بِهَا. وَهُوَ مَا يُطْلَقُ عَلَيْهِ الْإِعْتِزَّازُ. فَإِذَا رَأَى إِنْسَانٌ مَا أَنْ تَمَيَّزَهُ يَكْمُنُ فِي انْتِمَائِهِ إِلَى بِلَدٍ مَا أَوْ قَوْمِيَّةٍ مَا أَوْ جَنَسِيَّةٍ مَا أَوْ طَبَقَةٍ مَا ، جَعَلَ مِنْ بِلَدِهِ أَوْ قَوْمِيَّتِهِ أَوْ جَنَسِيَّتِهِ أَوْ طَبَقَتِهِ مَصْدَرَ قُوَّتِهِ وَغَلْبَتِهِ ، وَمَبْعَثَ فَخْرِهِ وَشَرْفِهِ ، فَيَعْتَزُّ بِهَا وَيَبَاهِي بِالْإِنْتِسَابِ إِلَيْهَا. وَقَدْ أَبْطَلَ الْإِسْلَامُ اعْتِزَّازَ الْبَشَرِ بِالْبَشَرِ أَوْ بِقَوْمِيَّاتِهِمْ أَوْ بِأَعْرَاقِهِمْ أَوْ بِغَيْرِ ذَلِكَ ، وَجَعَلَ الْإِعْتِزَّازَ بِهِ وَحْدَهُ عِزًّا وَجَلًّا. قَالَ تَعَالَى: "مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا" ، وَقَالَ: "الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْبَتُهُمْ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةُ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا" ، وَقَالَ: "وَاللَّهُ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ". وَلِذَلِكَ فَإِنَّ الْمُسْلِمَ لَا يَعْتَزُّ إِلَّا بِاللَّهِ ، وَلَا يَسْتَمَدُّ الْقُوَّةَ وَالْغَلْبَةَ وَالنَّصْرَةَ إِلَّا مِنْهُ. فَالْعِزَّةُ بِاللَّهِ هِيَ الْعِزَّةُ الْحَقِيقِيَّةُ الدَّائِمَةُ الْبَاقِيَّةُ ، وَالْعِزَّةُ بِغَيْرِهِ مَذَلَّةٌ. وَالْمُسْلِمُ الَّذِي أَدْرَكَ قِيَمَةَ الْإِسْلَامِ وَتَمَيَّزَهُ ، وَوَعَى عَلَى مَصْدَرِ عِزَّتِهِ ، فَإِنَّهُ يَفْتَخِرُ بِالْإِنْتِمَاءِ إِلَيْهِ ، وَيَتَشَرَّفُ بِذَلِكَ. فَيَعْتَزُّ بِهَذَا الدِّينِ ، وَبِعَقِيدَتِهِ ، وَبِنِظَامِهِ ، وَبِقِيَمَتِهِ ، وَبِنَمَطِ عَيْشِهِ ، وَيَفْتَخِرُ بِأَنَّهُ جِزءٌ مِنَ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ. هَذِهِ الْأُمَّةُ الَّتِي قَالَ فِيهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: "وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا" ، وَقَالَ فِيهَا: "كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ". وَأَخْرَجَ أَحْمَدُ عَنْ حَكِيمِ بْنِ مَعَاوِيَةَ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَنْتُمْ تَوْفُونَ سَبْعِينَ أُمَّةً أَنْتُمْ خَيْرُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى». هـ. وَصَدَقَ شَاعِرُ الْعَرَبِ وَالْإِسْلَامِ حَمْدُ بُو شَهَابٍ إِذْ يَنْدُدُ بِمَا كَانَ عَلَيْهِ الْقَوْمُ مِنْ جَاهِلِيَّةٍ قَبْلَ إِسْلَامِهِمْ ، فَيَقُولُ فِي إِحْدَى قِصَانَدِهِ الَّتِي عَنُونَهَا بِ (إِنَّ الْعَرُوبَةَ بِالْإِسْلَامِ عَزَّتْهَا):-

فوحّد الله بالإسلام فـرقتهم على يديه وفي توحيدها العجب
وإذ بتلك البطولات التي جنحوا بها إلى الشر نحو الخير تنقلب
فلا ترى صفحة بالعدل مشرقة إلا وجدت بأيديهم لها كتبوا
ولا روث كتب التاريخ مكرمة إلا وفيها بسهم الفوز قد ضربوا
مكارم سـيظل الدهر يذكـرها بالفخر ما شـيد في بيداننا ظنـب

إن اعتزازنا كمسلمين بالله سبحانه وتعالى يجعلنا نُقدّم حُكمه وقرآنه ومنهجه وشرّعه ودينه وأمره
نبيّه - صلى الله عليه وسلم - على كل القوانين ، وعلى كل الشّهواتِ وعلى كل الأهواءِ وعلى كل
العادات والتقاليد والأعراف ، وعلى كل شيء ، فلا نرضى بذلك بديلاً ، (إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ) ؛ (وَمَنْ
يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) ، (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة
إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً
مبيناً). يقول الأستاذ سعد بن زيد آل محمود: (يقول الله تعالى: {ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله
وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين} ، قالها بكل افتخار واعتزاز ، رافعاً رأسه بدينه عقيدة
وسلوفاً ودستوراً ومنهجا حياة ، وهذا ما أخبر الله - تعالى - به عن حال الأنبياء السابقين كيف
أنهم دانوا بالإسلام وأعلنوا ذلك إلى قيام الساعة ، فهذا نوح - عليه السلام - قال الله - تعالى - على
لسانه: {وأمرت أن أكون من المسلمين} ، وهذا إبراهيم - عليه السلام - جاء قومه بالإسلام
ووصاهم به فقال - تعالى -: {ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا
تموتن إلا وأنتم مسلمون} ، ويوسف - عليه السلام - يدعو ربه دعاءه المعروف بقوله - تعالى -:
{توفني مسلماً وأحقني بالصالحين} ، وهذا موسى - عليه السلام - يؤكد لقومه الالتزام بالإسلام
فقال - تعالى -: {وقال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين} ، وهذا
عيسى - عليه السلام - قرر قومه بالإسلام فقال - تعالى -: {فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من
أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون} ، وهذا خير خلق
الله محمد - صلى الله عليه وسلم - يعلنها لكل البشرية قائداً معتزلاً بإسلامه حيث قال الله - تعالى -:
{قل إنني أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين وأمرت لأن أكون أول المسلمين}. وما دامت هذه دعوة
الأنبياء جميعاً وهذا حالهم وافتخارهم ، فلماذا يستحي البعض من أن يظهر أنه مسلم أو يطبق
بعض شعائره علناً! بل الأدهى والأمر أنك تجد في الأمة من يصر على تحويل كل قضاياها وأمورها
إلى شرقية وغربية وقومية وحزبية وغيرها من الشعارات واللافقات والتفاهات التي لا تسمن ولا
تغني من جوع ولا يتجرأ أبداً أن يتفوه باسم الإسلام على لسانه وليته مضطراً لفعل ذلك ، لهان
الأمر قليلاً ولكنه الجهل أحياناً والخبث والمكر أحياناً أكثر ، ألم ينصر الله - سبحانه - عباده
الصالحين ويعددهم بميراث الأرض فقال- تعالى -: {ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض
يرثها عبادي الصالحين} ، وقال - تعالى -: {إننا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم

يقوم الأَشهادُ). هـ. لا تنتصر الجاهلية أبداً! وصدق حمد بو شهاب إذ يندد بما كان عليه القوم من جاهلية قبل إسلامهم ، فيقول في إحدى قصائده التي عنون لها بـ (إن العروبة بالإسلام عزتها):-

سَلَّ عابِدَ النار هل أَغْنَتْ عِبَادَتُهَا
عن عرشه حين جاء الجَحْفَل اللّجب؟
وهل حنى تاجه الإيوان حين أتى
سعدٌ ومِن خلفِ سعدٍ قادة نُجَب؟
كتائب بتعاليم الهُدَى انطلقت
لنشرها حيث ساد الشك والريب
فمادعوا لولاة الفرس ذاكِرة
عن المجوسية الرعناء إذ وثبوا
والشام حيث غزوها فرقيصرها
وفر من خلفه الرومان والعرب
وحينما نزل الإسلام ساحتهم
لاذت دمشقُ به ، واستسلمت حلب

إن الإسلام يحقق النصر والتمكين في أرض الله ودنيا الناس! يقول الأستاذ سعد بن زيد آل محمود: (قال - تعالى -: {وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني ولا يشركون بي شيئاً}. فيا من تبحثون عن المجد ، يا من تبحثون عن الأمن ، أيها الراكضون وراء الملك والجاه إن الطريق واضح لمن كان له قلب ، وإن السبيل بين لمن كان له لب ، إن طريقكم إلى المجد والعلا والأمن والأمان وحكومة الأرض بأسرها إنما هو بالسير على هدي كتاب الله وسنة نبيه مفتخرين معتزين بهذا الإسلام رغم كيد الكاندين ورغم ضعف المنهزمين فالإسلام الإسلام عباد الله الإسلام الذي ترجمه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بقوله: (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً) والذي قال - تعالى - في وصف أهله: {إنما المؤمنون أخوة} ، ووصف النبي - صلى الله عليه وسلم - المسلمين به كالجسد الواحد فقال: (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى). ولنعلم أخيراً عباد الله أن الافتخار والاعتزاز بهذا الدين لا يكون بالكلام وحسب وإنما يحتاج إلى دليل وبرهان وأعظم دليل على الافتخار بهذا الدين مواجهة أعداء الله و طغيانهم به جهاداً واستشهاداً ، فلكي يرتفع هذا الأمر ويتم لا بد له من تضحية وجهاد ، ولا بد له من دماء تراق وتسيل في سبيل الله - تعالى - ، وتكون النتيجة عندها مرضية في الدنيا والآخرة. ومن هنا لا يحق لنا أبداً أن ننسى إخواننا المجاهدين في كل مكان وخاصة على أرض فلسطين الرسل والأنبياء أولى قبلة المسلمين وفيها ثالث المسجدين. هؤلاء الذين ترجموا الاعتزاز بالدين على أرض الواقع بدمانهم حتى شهد لهم القاصي والداني. ومن اعتز بغير الإسلام ذل في الدنيا وخسر في الآخرة ، قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: (انتسب رجلان على عهد موسى - عليه السلام - فقال أحدهما: أنا فلان بن فلان حتى عد تسعة ، فمن أنت لا أم لك؟ قال: أنا فلان بن فلان ابن الإسلام ، قال: فأوحى الله إلى موسى - عليه السلام - أن قل لهذين المنتسبين: أما أنت أيها المنتمي أو المنتسب لتسعة في النار أنت عاشرهم وأما أنت يا هذا المنتسب إلى اثنين في الجنة فأنت ثالثهما في الجنة). هـ.

وأخيراً يمكننا إجمال الكتب والدواوين في هذه القائمة:

- 1 – عزيز النفس: (ديوان شعر).
- 2 – القوقعة الدامية: (ديوان شعر).
- 3 – سويغات الغروب: (ديوان شعر).
- 4 – ترنيمة على جدار الحب: (ديوان شعر).
- 5 – الأمل الفواح: (ديوان شعر).
- 6 – نهاية الطريق: (ديوان شعر).
- 7 – من وحي الذكريات (1): (ديوان شعر).
- 8 – الصعايدة وصلوا: (ديوان شعر).
- 9 – ماسحة الأحذية: (ديوان شعر).
- 10 – ذل الجمال: (ديوان شعر).
- 11 – دموع التصبر: (ديوان شعر).
- 12 – عتاب وشكوى: (ديوان شعر).
- 13 – فأعضوه ولا تكنوا: (ديوان شعر).
- 14 – الشعر مسبحتي وتغريدتي: (ديوان شعر).
- 15 – غادة اليمن: (ديوان شعر).
- 16 – عزة الخير: (ديوان شعر).
- 17 – منار الخير: (ديوان شعر).
- 18 – غربة وحربة وكربة: (ديوان شعر).
- 19 – الطبيبتان: (ديوان شعر).
- 20 – عجبٌ من قدرة الله تعالى: (ديوان شعر).
- 21 – أعلام الأرض المقدسة: (ديوان شعر).
- 22 – كالقابض على الجمر: (ديوان شعر).
- 23 - من وحي الذكريات (2): (ديوان شعر).
- 24 – السيرة والمسيرة: (سيرة ذاتية للأميرة زبيدة بنت جعفر بن المنصور).
- 25 – قراءة أسلوبية في شعر حسان بن ثابت الأنصاري.
- 26 – قراءة أسلوبية في شعر عنتر بن شداد العبسي.
- 27 – ترجمة الشاعر أحمد علي سليمان عبد الرحيم.

وتحت عنوان: (كلام في الشعر) بقلم تركي بني خالد كان هذا النص: (الشعر جمال وغموض محبب يبعث النشوة في القلوب.. شلال يتدفق من مشاعر الإنسان حين يحدث ذلك التفاعل الغريب المفاجئ بين عناصر الطبيعة وعناصر الإنسان وعناصر اللغة. ولا يمكن في رأيي أن يكون الشعر شعراً إذا كان مباشراً ودقيقاً وصريحاً كقطعة مأخوذة من كتاب فيزياء.. لا يمكن أن يكون الشعر شعراً إلا إذا رافقه شعور بالاكشاف.. و شعور بالحقيقة.. و لا يمكن أن يكون الشعر شعراً إلا إذا كان مدعوماً بوحي بواقع العالم ونظرة معينة للأشياء.. أو ربما ما نسميه ثقافة الشعر محتوى والشعر شكل

يتفاعلان فيخرج منهما سيمفونيات لغوية وأدبية وفنية رائعة تعبر عن ذكاء الإنسان وتميزه عن باقي المخلوقات. الشعر والجمال والمتعة.. طاقة إبداعية خلقة.. تتجلى فيها النفس ويكافئ الإنسان نفسه بما يقول أو يكتب لا يهمه ما يقوله الآخرون من نقد أو إطراء.. إنه مكافئة للذات.. من عناء العمل.. أو قل هروباً من أوقات الملل والرتابة.. وممارسة لصنع الكلمات الجميلة تنطق بالمشاعر الإنسانية الصادقة.. ولا أقصد هنا الشعر الذي يكتب تكسباً للمال أو الشهرة.. أو نفاقاً.. من نوع ما. الشعر للعيون الجميلة.. ولابتسامات الأطفال.. ولألوان الطبيعة بأشكالها المتعددة.. الشعر للمعاناة.. للانتظار.. للموعد الذي نتعذب انتظاراً له.. وللشوق في القلوب العطشى. الشعر موهبة ومثابرة لصقل تلك المنحة الإلهية.. الشعر مناجاة.. الروح للروح.. و أشياء أخرى. الشعر صناعة لغوية.. للتعبير عن ذواتنا.. عن إنسانيتنا.. وأحلامنا التائهة. الشعر إحياءات.. إيماءات.. وتخيلات ترسم بالكلمات.. صور ومشاعر وتأملات.. ترافقها موسيقى عذبة داخلية تتخلل سيل الكلمات وانسيابها.. وحوار هادئ بين الشاعر وقصيدته.. فكل قصيدة هي مولود جميل يولد للتو.. ينتظر تعميده لينضم إلى جماهير الأعمال الفنية الجميلة. ألحان و آلام.. ومواويل.. وخواطر تنتظم في أسطر بطريقة معينة.. فيها الحساسية للأشياء.. والعمق في فهم الأمور. الشعر محاولة صادقة لسبر أغوار الروح وكشف الحقيقة والتعبير عنها. إنه التعبير عن المشاعر والآراء مدعومة بالعاطفة.. فلا شعر أو فن دون عاطفة صادقة. هل خطر ببالك أن تتأمل منظر غروب الشمس أو طلوع الفجر؟ وهل فكرت أن ترسم هذا المنظر لا بالألوان وإنما بالكلمات؟ هذا هو الشعر. نتأمل الكون ومخلوقات الله على الأرض و نراقب النجوم ثم نستوحي المعاني الجميلة ونفتش في اللغة فنجد الكلمات الرقيقة للتعبير عنها في نسق لغوي جميل تطرب له الأذان عندما يسمع وتعشقه العين عندما يُقرأ. إنه التجربة التي يعيشها الإنسان حين يتصور.. يتخيل موضوع القصيدة مثل أن نتخيل شجرة.. لا بد أن نراها حتى لو لم تكن هناك أمامنا ثم نتصور مشاعرنا نحوها بكل التفاصيل ، رائحتها ، منظرها ، شكلها وغير ذلك. تعالوا نتخيل منظر النار مثلاً ونتصور اللهب ، أسنة اللهب ، وهي تمتد لتطال الأشياء ، ومشاعرنا نحو الدفء المنبعث منها أو الخوف من انتشارها. من منا لم ير البراعم في الحديقة ، تفتح الزهور ، وتتنفس الهواء النقي؟ لا بد و أن اللغة ، أي لغة ، مليئة بكلمات تصلح للتعبير عن هذه المعاني الجميلة. ولنتخيل منظر الشمعة وهي تحترق أو تحرق نفسها ولهبها البرتقالي يتراقص بشكل جميل ، وكذلك ذلك الصوت المنبعث من فرقعة النار تطلق شرراً من موقد الحطب في برد الشتاء.. بإمكاننا تصور تفتح الزهور وهي تبكي ، وبتلات الزهر تعانق قطر الندى. في الشعر صورة أو تصوير وتصوير لا بد من دعوة القارئ أو السامع للمشاركة في تأملها. ألوان الزهرة ، وما قد ترمز إليه ، وضياء النهار ، والظلال ، وما لها من رموز ممكنة في ثقافتنا. هل هناك عصفير ، بلابل ، عنادل في المكان؟ هل هي في حالة الطيران أم في حالة الوقوف على الأغصان؟ هل هي صامتة متأملة أم جذلة تبعث الأصوات الجميلة في الأفق؟ ماذا نقول؟ إن الشعر ابتعاد عن عالم الواقع وهروب إلى الخيال الجميل. عالم الأحلام والتأملات وتحقيق كل شيء في عالم اللاشيء. جرب أن تغمض عينيك لحظات ، وتنسم عبير الزهور في الحديقة، أو ربما حاول لمس بتلات الأزهار (ولا تحاول قطفها إذا سمحت). اعمل كل ذلك ثم تناول قلماً واكتب أي شيء يأتي إلى خاطر. إن صوغ الشعر جزء من الأحلام ، والشاعر لا بد أنه حالم. أحلام اليقظة ، وحملقة في الفراغ فيما قد يبدو تصرفاً غريباً بالنسبة إلى البعض. حين يتنفس الدماغ.. ويتحرر

العقل من قيود الواقع وقوالب المجتمع.. يكون الشعر ممكناً والأوزان والقافية مهمان للشعر ، لكنهما يستعملان بحذر ، فإذا جاءت القافية- الموسيقى- بشكل عفوي كان بها ، وإلا فلا ضرورة في رأيي أن نضحى بالمعنى أو الصورة من أجل الوزن. القارئ وحده هو الذي يقرر كيف يفسر أو يفهم المعاني في القصيدة. ولا مبرر لأن يحاول الشاعر تفسير كل شيء ، فتنحول القصيدة إلى موعظة أو نصاً إرشادياً مملأً. الشعر احترام لذكاء القراء وأذواقهم ويجب ترك مجال واسع لهم للتأويل في الشعر وصف ، وفي الشعر سخرية ، وفي الشعر نقد ، وفي الشعر خواطر وتأملات. ومصادر الفكرة في الشعر متعددة ، وهي وسائل الإلهام تأتي من الواقع ، من الملاحظات أو المشاهدات اليومية ، من الناس والأشياء الجميلة وغير الجميلة. وفي الختام ، الشعر موهبة ، والموهبة هبة من الله لعباده المتأملين في سحر هذا الكون الواسع. الشعر متعة في قراءته وكتابته وسماعه ، لأنه كلام جميل غير ملوث بفيروسات الواقع المؤلم. الشعر ذوق لا يتأتي إلا لأصحاب الذوق الرفيع من عاشقي الجمال الباحثين عن الطمأنينة).هـ. اللهم انفع بشعري هذا الناس كل الناس قريبتهم وبعيدهم ، وأعني على ترجمته إلى الإنجليزية في مقبلات الأيام! وانشر شعري هذا - يا ربي - في الأرض كل الأرض ، وفي الناس كل الناس! واقبل مني صالحه ، واغفر لي طالحه!

فهرس محتويات ديوان: (فأعضتوه ، ولا تكنوا!)

الصفحة	البحر	القافية	الأبيات	اسم القصيدة	مسلسل
7	دء				الإه
11	ة		دم	ة	الم
17	ة	ي	اح	ت	الاف
21	لاف			ورة الغ	ص
25	وان			ذا الدير	ه
33	البسيط	إنكارا	21	لن أحلف بالله كاذباً	1
35	المتدارك	قافية متنوعة	28	جنة الفردوس	2
38	البسيط	النزق	26	من الهاوية إلى بر الأمان	3
41	البسيط	إكبارا	62	مرحبا بك أختا يا سناء	4
46	الكامل	النسوان	62	(مراودة النذل) امرأة حفظها حجابها 1	5
51	الكامل	حصان	22	(إباء المحصنة) امرأة حفظها حجابها 2	6
55	المتقارب	الحنظل	19	لا طلاق ولا عدة ، بل فراق	7
58	الرمل	أسئلة	27	مائدة وأسئلة	8
60	الكامل	أتراحا	19	فأين الفضل إذن؟	9
62	المتقارب	المشكلة	17	الزواج ليس سجنأ جبرياً	10
64	الخفيف	الأوضاعا	24	توبة تحت الأمواج	11
67	الكامل	كتاب	80	وصية لا أحلى ولا أجمل	12
72	الخفيف	الزهراء	36	فاطمة الزهراء السلمانية	13
78	الخفيف	والإسراف	28	إن في ذلك لعبرة	14
80	الكامل	مزهرا	27	وفاء حتى نهاية العمر	15
83	البسيط	اعتبروا	96	وصية تائب	16
85	البسيط	استبقوا	85	كلاهما بطل!	17
106	البسيط	اندحروا	55	للبيت حرمته ، ولصاحبه قدره	18

110	الكامل	ويستجيرُ	33	وهل بعد عيني شيء؟	19
114	المتقارب	النائية	37	عزاء من القلب	20
117	الوافر	حياتي	21	في موتها حياة	21
120	المتقارب	الأمينُ	36	أمانة صاحب الحانوت	22
122	الرمل	الوافي	16	صيحة صدق ، لا صرخة مرتزق	23
125	الكامل	المبتاعُ	12	أوفوا بالعقود	24
127	الرمل	القربُ	19	حفظت القرآن بعد الثمانين	25
129	الكامل	للأبد	21	ولكن بعد فوات الأوان	26
131	البسيط	أعمال	33	فهل من مقتدية؟!	27
136	الوافر	الدواةِ	18	جهد يُعجز المربين	28
139	البسيط	جرم	29	خابت وخسرت	29
141	الكامل	صيامُ	49	وصية محتضر	30
143	البسيط	الظلم	20	(فأعضوه ، ولا تكنوا)	31
151	الخفيف	فوضى	32	جيل الشعير لا الشعر	32
153	الكامل	أوهام	26	كيف وقد أنقذني الله به؟	33
155	البسيط	القالبي	52	ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء	34
160	الكامل	العُطْبَلُ	46	ليلى بنت لكيز	35
165	البسيط	أفق	31	تقريظ كتاب (الحكمة في الشعر العربي)	36
169	الخفيف	الصافي	39	درسٌ لكل ناشز	37
172	المتقارب	العطرُ	32	وصية أب حكيم لابنه	38
175	الكامل	الأوجاعا	25	ولا يوم الطين	39
178	الرمل	الحدزُ	29	الحقيقة لا يحدها قبر	40
180	الوافر	مثالا	32	بين هارون والبرمكية	41
182	الكامل	شهودي	24	ابن مماتي مؤرخ صعيدي	42
189	البسيط	معتضدُ	46	من شابه أباه فما ظلم	43
194	الكامل	الأفكار	17	ثلاثة أسئلة ، والجواب واحد	44

197	الطويل	العزائم	22	كانت دعوتك اختباراً	45
199	البسيط	موزون	13	صدقت ، وأنت الكذوب	46
201	المنسرح	الأدب	41	صدقت يا حجاج	47
203	البسيط	وسلاب	15	غلبت عليه شقوته	48
206	المتقارب	الشكائية	17	ليس هذا من اللوم	49
207	البسيط	محبورا	18	الرسامة التائبة	50
209	الخفيف	آداب	45	شعور بات غريباً	51
211	المتدارك	الحفلة	16	والأسماء ضيوف الحفلة	52
214	الخفيف	الفداء	30	فداؤكما الصبا	53
216	الكامل	الأسفار	29	بائع الكتب	54
218	الكامل	السنا	27	من أجلك يا رسول الله	55
220	الخفيف	الأتراب	44	إلا من تاب وآمن	56
223	البسيط	مدخر	24	بل أصلحها الربيع	57
226	البسيط	الطار	21	التجمل الزائف	58
228	البسيط	بهبوا	16	بل هو الشارع إذن!	59
230	الخفيف	والشراخ	31	زوجة أب	60
232	الكامل	وتعامى	70	القلادة الرابعة	61
235	الوافر	واجتهادا	25	عندما تكون التربية رسالة	62
239	الرمل	البلاء	33	يا ابنة الملاح	63
241	الكامل	استسلامي	61	هذه بندقيتي ، وهذا كفني	64
246	الوافر	ثباتي	43	أنين الجوى (في رثاء الحاجة فاطمة)	65
250	الكامل	الورى	42	أستاذي قال لي	66
253	الخفيف	التغريد	32	الأميرة زبيدة بنت جعفر (طموح يتحدى الواقع)	67
256	البسيط	العرب	36	الشعر يحيي الأميرة (زبيدة بنت جعفر)	68
259	البسيط	تابوا	18	وإذا مسه الخير منوعاً	69
261	البسيط	والذمم	28	الحبيبتان	70

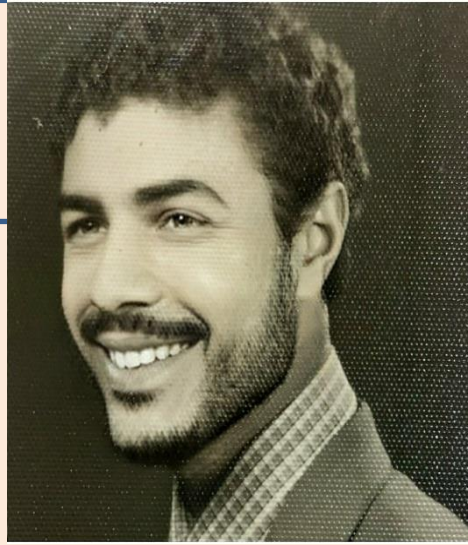
263	البسيط	بمنحاز	20	همسة مغرصة	71
626	البسيط	ديوان	46	الضاد أم اللغات	72
274	المتدارك	يشقى	19	عندما عرفت الطريق	73
283	ة	_____	_____	خ_____ات_____م_____	ال_____
293	ات	وي_____	_____	ه_____رس_____الم_____حت_____	ف_____

تم بحمد الله تعالى ديوان: (فأعضوه ، ولا تكنوا!)

تتوية هام

**حقوق الطبع والنشر والتوزيع محفوظة للشاعر
باسم (ديوان السليمانيات) بدار الكتب والوثائق القومية
(إدارة الإيداع القانوني)
16004 / 2006 في يوم 6 - 8 - 2006م
بطاقة فهرسة بدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشؤون الفنية
811 - 800**

نبذة عن أحمد علي سليمان عبد الرحيم



(الشاعر والكاتب والناقد / أحمد علي سليمان عبد الرحيم ، ولد في جمهورية مصر العربية - محافظة بورسعيد - تقاطع شارع روس وأسوان ، في يوم 15 / 10 / 1963م. تخرّج في كلية الآداب - قسم اللغة الإنجليزية - جامعة المنصورة - مايو عام 1985م. والشاعر بدوي صعيديّ فح أباً وجداً وأعاماً من بيت خليفة - الكولة - مركز أخميم - محافظة سوهاج. يدعو في أدبه إلى القيم والأخلاق والمبادئ بوسطية ودليل! وهو معلم لغة إنجليزية - لم يقدمه للناس أحد! وإنما قدمه أدبه وشعره ونثره ونقده بالحسنى - بتوفيق الله - سبحانه وتعالى -!

ويمكننا إجمال الدواوين والقصائد والمجموعات الشعرية والكتب في هذه القائمة:

أولاً: الدواوين الشعرية

- 1 - نهاية الطريق: (ديوان شعر).
- 2 - عزيز النفس: (ديوان شعر).
- 3 - سويغات الغروب: (ديوان شعر).
- 4 - القوقعة الدامية: (ديوان شعر).
- 5 - ترنيمة على جدار الحب: (ديوان شعر).
- 6 - الأمل الفواح: (ديوان شعر).
- 7 - من وحي الذكريات (1): (ديوان شعر).
- 8 - الصاعدة وصلوا: (ديوان شعر).
- 9 - ذلّ الجمال: (ديوان شعر).
- 10 - ماسحة الأحذية: (ديوان شعر).
- 11 - دموع التصير: (ديوان شعر).
- 12 - عتاب وشكوى: (ديوان شعر).
- 13 - فأعصوه ولا تكنوا: (ديوان شعر).
- 14 - الشعر مسبحتي وتغريدتي: (ديوان شعر).
- 15 - عادة اليمن: (ديوان شعر).
- 16 - عزة الخير: (ديوان شعر).
- 17 - منار الخير: (ديوان شعر).
- 18 - غربة وحرّبة وكربة: (ديوان شعر).
- 19 - الطبيبتان: (ديوان شعر).
- 20 - عجبث من قدرة الله تعالى: (ديوان شعر).
- 21 - أعلام الأرض المقدسة: (ديوان شعر).
- 22 - كالقابض على الجمر: (ديوان شعر).
- 23 - من وحي الذكريات (2): (ديوان شعر).
- 24 - خانك الغيث: (ديوان شعر).
- 25 - الشعر رحمّ بين أهله: (ديوان شعر).
- 26 - وداعاً أيها القريض! (ديوان شعر).

ثانياً: الكتب الأدبية والنقدية

- 1 - قراءة أسلوبية في شعر الصحابي الجليل المخضرم: حسان بن ثابت الأنصاري (رضي الله تعالى عنه).
- 2 - قراءة أسلوبية في شعر أحد أغربة الجاهلية: عنتره بن شداد العبسي.
- 3 - السيرة والمسيرة (دراسة نقدية لحياة التابعية الأميرة: زبيدة بنت جعفر بن المنصور) (رحمها الله).
- 4 - ترجمة الشاعر أحمد علي سليمان عبد الرحيم.
- 5 - ثلاثمائة سؤال وجواب في سيرة النبي - صلى الله عليه وسلم -!
- 6 - إن من الشعر حكمة! (مجموعة من الأبيات الشعرية لآخرين تأثرت بها في حياتي العملية والعلمية)

ثالثاً: القصائد الشعرية ذات الشأن

- 1 - الشاعر ليس نبياً ليكون شعره وحيأ!
- 2 - القاتل البطيء (التدخين)
- 3 - بين شوقي وحافظ!
- 4 - ثاني اثنين إذ هما في الغار
- 5 - عمير بن وهب الجمحي - رضي الله عنه -.
- 6 - لو كان له رجال! (سيرة الحاجب المنصور)
- 7 - من أجل زوجي!
- 8 - هشام الشريف (القاضي المصري الرحيم)
- 9 - فرانك كاريو (القاضي الأمريكي الرحيم)
- 10 - يا ليل الصب متى غده! (معارضة للقيرواني)
- 11 - يزيد بن معاوية (ما له وما عليه)
- 12 - رباعيات الخيام اليمينية (معارضة لعمر الخيام)
- 13 - ابتسم! (معارضة لإلياء أبو ماضي)
- 14 - إبراهيم مصطفى صديقاً وصهرأ
- 15 - أبو غياث المكي - رحمه الله -
- 16 - أتيناكم! أتيناكم!
- 17 - أحمد الجدع مؤرخاً وشاعراً ونحويأ وناقداً
- 18 - أستاذي قال لي! (عريف الكتاب - رحمه الله -)
- 19 - قراءة في أوراق الماضي (القصيدة الوحيدة من شعر التفعيلة)
- 20 - أسماء الله الحسنى
- 21 - الآن طاب الموت (السلطان سليمان القانوني)
- 22 - التلون أخو النفاق من الرضاعة
- 23 - موقع (الديوان) منتج الشعراء
- 24 - (الزاهية) تحدثنا عن نفسها
- 25 - أبجديات شعرية
- 26 - الشعر رحم بين أهله
- 27 - الله يرحم مزنه
- 28 - رسالة شعرية إلى أم يوسف
- 29 - امتهنوا فما امتهنوا! (علماء السلف رحمهم الله)
- 30 - تراني عندما أرى لحيتك!
- 31 - لا فضن فوك يا دكتور بدر العتيبي!
- 32 - بردة أبي بكر الصديق - رضي الله عنه -
- 33 - بردة عائشة بنت أبي بكر الصديق - رضي الله عنهما -
- 34 - بردة عثمان بن عفان - رضي الله عنه -
- 35 - بردة علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -
- 36 - بردة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -
- 37 - بردة فاطمة بنت محمد - رضي الله عنها -
- 38 - بكائية إسماعيل علي سليم (فقد التربية والتعليم)
- 39 - نعم الميت ، ونعمت الميتة! (رثاء فقيد الأزهر الشريف)

- 40 – تحية رقيقة إليك يا غدير!
- 41 – تحية أهل الشعر في جروب (أهل الشعر)
- 42 – تغير الحال أم الخال!؟
- 43 – تلميذي البار شكراً!
- 44 – تيس يرث نعجة! (جيء به محلاً فورثها)
- 45 – ثلاثة أقمار وأنت رابعتهن! (رؤيا عائشة)
- 46 – جاز المعلم وفه التبجيلاً! (معارضة لشوقي)
- 47 – حادي القلوب (ظفر النتيفات)
- 48 – حبيبي أقبلت! (معارضة لجاءت معدبتي لابن الخطيب)
- 49 – حرامية الشعر!
- 50 – حنين القلب (رثاء الشيخ عبد الباسط عبد الصمد)
- 51 – حنين بقلبي (معارضة للعشماوي)
- 52 – خاتك الغيث (معارضة للسان الدين بن الخطيب)
- 53 – رثاء الدكتور الشرييني أبو طالب (معارضة لشوقي)
- 54 – رثاء الحاجة فاطمة (أم زكريا مجاهد)
- 55 – رسالة إلى داننة!
- 56 – رضية الحاوية (رماها أبوها رضية فنفته في كبره)
- 57 – رفقاً بنفسك يا صاحبة الدموع (عائشة – رضي الله عنها -)
- 58 – رفيدة بنت سعد الأسلمية – رضي الله عنها –
- 59 – سلطان المجنوني (رائد القصة الهادفة)
- 60 – سمية بنت خياط – رضي الله عنها –
- 61 – سنسافر أنا والكتب (عبد الرشيد صوفي)
- 62 – ضحية تعتب على قاتلها (بعد استشراء ظاهرة قتل البنات)
- 63 – طببت حياً وميتاً يا أبتاه!
- 64 – طببت حياً وميتاً يا رسول الله!
- 65 – طبيب الغلابة (الدكتور محمد المشالي – رحمه الله -)
- 66 – ظلم الشقيقتين (كفلهما صغيرتين وخذلتاه في الكبر)
- 67 – عاشق عزيز النفس (معارضة لقصيدة نزار قباني: يا من هواه)
- 68 – موقع (عالم الأدب) مأوى الشعراء
- 69 – عجبث للنذل
- 70 – عجبث من قدرة الله تعالى! (معارضة لقصيدة: عجبث لا تنتهي)
- 71 – غادة اليمن (معارضة لغادة اليابان لحافظ)
- 72 – وربما حار الدليل!
- 73 – يا جارة الوادي اليمينية (1 & 2) (معارضة لشوقي)
- 74 – لصوص القريض
- 75 – لقاؤنا في المحكمة
- 76 – لوعة الرحيل
- 77 – مسألة كرامة (تحويل) (تبيني صدق لحامد زيد) إلى العربية الفصحى
- 78 – كفى تبرجاً وقبحاً (معارضة لقصيدة: أفوق الركبتين للخوري)
- 79 – مصابيح الدجى (علماء السلف – رحمهم الله -)

- 80 – مكتبة نور مأوى الأدباء والعلماء والشعراء
 81 – منار الخير (هدية لجمعية حماية اللغة العربية)
 82 – ميلاد أمة بميلاد نبيها (معارضة لقصيدة شوقي: ولد الهدى)
 83 – هذا بعض ما أعيش! (معارضة لقصيدة الأميري: أين الضجيج؟)
 84 – الأطلال اليمينية (1 & 2) (معارضة لقصيدة الأطلال لإبراهيم ناجي)
 85 – الكائنات الفضائية!

رابعاً: المجموعات الشعرية الموضوعية

- 1 – الغربية سلبيات وإيجابيات
 2 – إلى هؤلاء أتكلم!
 3 – آمال وأحوال
 4 – أمتي الغائبة الحاضرة
 5 – أنات محموم وآهات مكلوم
 6 – أوبريت هيا إلى العمل (أوبريت غنائي للأطفال)
 7 – تحية شعرية والرد عليها
 8 – رمضان شهر الخير والبركة
 9 – عندما لا نجد إلا الصمت
 10 – يا أماه ويا أختاه كفا الدمع!
 11 – بيني وبينك!
 12 – تجاذبات مع الشعر والشعراء
 13 – دموع الرثاء وبيكاء الحُداء (1 & 2)
 14 – رجالٌ لعب بهمُ الشيطان
 15 – رسائل سليمانة شعرية
 16 – شخصيات في حياتي! (1 & 2)
 17 – شرخ في جدار الحضارة
 18 – شريكة العمر هذي تحاياك! (أم عبد الله)
 19 – ضدان لا يجتمعان: الشهامة والنذالة (1 & 2 & 3)
 20 – عندما يُثمر العتاب
 21 – فمثله كمثل الكلب!
 22 – قصائد لها قصص مؤثرة (1 : 10)
 23 – كل شعر صديق شاعره
 24 – مساجلات سليمانة عشمأوية
 25 – مراودة ومعاندة (بين نذل وزوجة أخيه المسافر)
 26 – الأميرة زبيدة بنت جعفر بن المنصور – رحمها الله –
 27 – الزاهية تحدثنا عن نفسها (مسرحية شعرية من عشرة فصول)
 28 – الشهادة خيرٌ من النفوق!
 29 – الصبر ترياق العلل والداءات
 30 – الصعيد مهد المجد والسعد
 31 – الضاد بين عدو وصديق
 32 – العيد السعيد جائزة الله تعالى
 33 – الغربية ذربة على الطريق

- 34 - الغيرة غير القاتلة
35 - القصيدة ابنتي
36 - اللغة العربية وصراع اللغات
37 - اللقيط برئ لا ذنب له!
38 - المال والجمال والمآل
39 - المشاكل الزوجية توابل الحياة (1 & 2)
40 - المعلم صانع الأجيال
41 - الوحدة بر الأمان (مسرحية من فصل واحد)
42 - اليثم غنم لا غرم
43 - أمومة وأمومة
44 - أهازيج بين الشعر والشاعر
45 - أهكذا تكون الصداقة يا قوم؟!
46 - أهكذا يُعامل الشقيقُ يا هؤلاء؟!
47 - بين الفتنة والفتنة!
48 - بين هندٍ وزيد!
49 - جيران وجيران!
50 - رب ارحمهما كما ربياني صغيرا! (شاعر يرثي أبويه)
51 - عزة الخير (أم عبد الله)
52 - فداك أبي وأمي ونفسي يا رسول الله!
53 - قصائدي القصيرة المشوقة (1 & 2)
54 - مدائح إلهية شعرية
55 - اليمن في شعر أحمد علي سليمان عبد الرحيم
56 - البردات الشعرية السليمانية
57 - عيون الدواوين السليمانية
58 - معارضات سليمان شوقية (معارضاتي لشوقي)
59 - المعارضات الشعرية الكاملة (معارضاتي لبعض الشعراء) (1&2&3)
60 - مقدمات وإهداءات شعرية
61 - من أزاهير الكتب
62 - من الأجوبة المُسكّنة المُفحمة
63 - من أناشيد الأفراح
64 - نحويات شعرية
65 - نساء صقلتهن العقيدة
66 - نساء لعب بهن الشيطان
67 - وتبقى الحقيقة كما هي!
68 - وصايا شعرية!
69 - أم المؤمنين عائشة في شعر أحمد علي سليمان
70 - النفس في شعر أحمد علي سليمان
71 - الأندلس في شعر أحمد علي سليمان
72 - الحجاج في شعر أحمد علي سليمان
73 - الدنيا في شعر أحمد علي سليمان
74 - الصحابة في شعر أحمد علي سليمان (1&2)
75 - العثمانيون في شعر أحمد علي سليمان

- 76 - المنشدون في شعر أحمد علي سليمان
77 - علماء السلف في شعر أحمد علي سليمان
78 - علماء الخلف في شعر أحمد علي سليمان
79 - رسائل شعرية لمن يهمله الأمر
80 - ماذا قال لي شعري؟ وبم أحبته؟
81 - مواقع متفردة لهمم مغردة!
82 - المرأة في شعر أحمد علي سليمان 1 & 2 & 3
83 - التوبة في شعر أحمد علي سليمان
84 - الحجاج في شعر أحمد علي سليمان
85 - أبو بكر الصديق في شعر أحمد علي سليمان
86 - نصيب طلابي من شعري
87 - حضارة البطنة لا الفطنة
88 - إحقاقاً للحق وإظهاراً للحقيقة 1 & 2
89 - لا ينبغي أن ننخدع بلحن القول!
90 - الإدمان ذلك الشبح القاتل!
91 - دعاة الحق في شعر أحمد علي سليمان
92 - المرتزقة في شعر أحمد علي سليمان
93 - القرآن الكريم في شعر أحمد علي سليمان
94 - وترجون من الله ما لا يرجون
95 - قرية ظفر في شعر أحمد علي سليمان
96 - الفاروق عمر في شعر أحمد علي سليمان
97 - الإسلام في شعر أحمد علي سليمان
98 - صنائع المعروف تقي مطارق السوء! (1&2&3)
99 - الموت في شعر أحمد علي سليمان
100 - لماذا؟
101 - (لا) كلمة لها وقتها!
102 - هارون الرشيد في شعر أحمد علي سليمان
103 - أحرث عمّن هان رد سلامي! (معارضة لحمزة شحاته)
104 - العشق في شعر أحمد علي سليمان
105 - الحكمة في شعر أحمد علي سليمان (1&2&3)
106 - أين؟!
107 - الحب في شعر أحمد علي سليمان
108 - القلوب في شعر أحمد علي سليمان
109 - الشعر والشعراء في شعر أحمد علي سليمان (1&2)
110 - الطب والأطباء في شعر أحمد علي سليمان
111 - أيومة إلى الأبد!
112 - شتان بين البر والعقوق
113 - الملك والأميرة!
114 - عنوسة مع سبق الإصرار والترصد
115 - الظلم والظالمون في شعر أحمد علي سليمان
116 - النفاق والمنافقون في شعر أحمد علي سليمان
117 - الطبيعة في شعر أحمد علي سليمان

118 – الأميرات الثلاث!

119 – عندما!

120 - تحايا شعرية سليمانية (3&2&1)

121 – القصيدة الزينية 2

خامساً: الكتب القصصية

شرائح قصصية سليمانية في ثلاثة آلاف قصة وقصة ، مقسمة على ثلاثين جزء ، كل جزء يحتوي على مائة قصة!

سادساً: الكتب الإنجليزية

1. Proofreading Drills (1-12)
2. Reading Drills (1-50)
3. Reading Quizzes (1-111)
- 4 – Airborn (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
- 5 - Allied with Green (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
- 6 - Conversation Skills
- 7 - Correction Exercise (1-100)
- 8 - Frederick Douglass (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
- 9 - Grammar Tasks (1-77)
- 10 - Harriet Tubman (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
11. Kensuke' s Kingdom (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
12. Punctuation Tasks (1-56)
13. Reorder Quizzes (1-34)
14. Two Legs or One (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
15. Writing Practices (1-76)
16. Eleanor Roosevelt (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
17. Roughing It (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
18. Raymond's Run – Toni Bambara
19. Clean Sweep (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
20. The Treasures of Lemon Brown (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
21. O' Captain! My Captain! (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
22. The Ransom of Red Chief (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

In addition to hundreds of social essays to enrich the students backgrounds in English and make them love English! & 77 Translation Passages!